كتاب

تاريخ آداب اللغة العربية

يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته
من العلوم والآداب على اختلاف مواضيعها . وتراجم العلماء
والادباء والشعراء وسائر أرباب القرائح . ووصف
مؤلفاتهم وأماكن وجودها أو طبعها
من أقدم أزمنة التاريخ
الى الآن

تأليف

جرجي زيدان

منشىء الهلال

الجزء الثاني

يحتوي على تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي من
قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ ﻫ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ﻫ
ويدخل فيه تكون العلوم الاسلامية و نقل العلوم الدخيلة الى نضج
العلم في أواسط القرن الخامس للهجرة

مطبعة الهلال

سنة ١٩٣٠

كتاب

تاريخ آداب اللغة العربية

يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته
من العلوم والآداب على اختلاف مواضيعها . وتراجم العلماء
والادباء والشعراء وسائر أرباب القرائح . ووصف
مؤلفاتهم وأماكن وجودها أو طبعها
من أقدم أزمنة التاريخ
الى الآن

تأليف
جرجي زيدان
منشيء الهلال

الجزء الثانى

يحتوي على تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي من
قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ ﻫ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ﻫ
ويدخل فيه تكوّن العلوم الاسلامية ونقل العلوم الدخيلة الى نضج
العلم في أواسط القرن الخامس للهجرة

مطبعة الهلال
سنة ١٩٣٠

المقدمة

تمهيد في شروط التأليف

من تصدى للكتابة أو التأليف فقد جعل نفسه خادماً للمصلحة العامة . الا من يحصر كتابته في شؤون خصوصية أو يعالج علماً يلذّ له ولا يهمه سواه . أو يتعاطى الكتابة لاغراض معينة . أو يكون مرماه من التأليف بيان قدرته على الانشاء والغوص على المعاني العويصة والالفاظ الغريبة بتقليد الاساليب القديمة التماساً لاعجاب العلماء مما يشق فهمه على جمهور القراء ـ فهؤلاء وأمثالهم يكتبون لانفسهم أو لطبقة خاصة لغرض خاص ولهم منزلة وفضل ولكن في غير الخدمة العامة . واذا لم يصادفوا إقبالاً من الجمهور اتهموه بالجهل وهددوه بالاعراض والتقاعد عن الكتابة ـ مع أنه لم يشعر بوجودهم لانهم لم يخاطبوه بلسانه

وأما الكاتب العمومي فانه خادم الامة وولي ارشادها . وعليه ان يبذل الجهد في سبيل مصلحتها . ولا بدّ له في تأليفه من ثلاثة شروط : الاول اختيار الموضوع الذي يرى الامة في حاجة اليه . والثاني أن يسبكه في قالب يسهل تناوله . والثالث ان يتوخى صدق اللهجة والصراحة بلا انحياز الى طائفة أو حزب . والكتّاب يتفاوتون قدرة على القيام بأحد هذه الشروط أو كلها بتفاوت أحكامهم على النافع أو الضار من المواضيع وتباين قدرتهم على ايضاح أفكارهم. ويصعب ذلك على الخصوص في المواضيع الادبية كالتاريخ والاجتماع والاخلاق ونحوها ـ بخلاف المواضيع الطبيعية فانها مقيدة بمصطلحات تسهل الاجادة فيها

الاسلوب العصري

أما الابحاث الادبية فانها تفتقر في تأديتها الى أعمال الفكرة من حيث ترتيبها وسبكها في عبارة سهلة سالمة من الركاكة والتعقيد . وهذا في نظرنا هو الاسلوب العصري الذي يجب على كل كاتب ان يتحداه ـ وهو شائع اليوم على اقلام الكتاب لا يشذ عنه الا المتفانون في المحافظة على القديم الذين يحسبون اللغة وقفاً لا يحلّ بيعه أو التصرف فيه وفاتهم أنها من قبل الاحياء الخاضعة لناموس الارتقاء تتغير بتغير أحوال الاجتماع

من البداوة أو الحضارة . فتنمو بتولد الالفاظ الجديدة للمعاني الجديدة والتراكيب الجديدة للافكار العصرية. وتذهب الالفاظ القديمة بذهاب معانيها. كالاعضاء المهملة في الجسم الحي تقضي الطبيعة بانقراضها ليقوم سواها مقامها . أو هي كالحويصلات التي تدثر بالعمل الحيوي فتخلفها الحويصلات الجديدة النامية . فالتغيير الذي يصيب الالفاظ والاساليب باختلاف الاعصر دليل على حياة اللغة. ومن حاول الوقوف في سبيل هذا التغيير فقد عارض الطبيعة ـ كما يفعل الصينيون بحبس اقدام بناتهم في قوالب الحديد لتبقى صغيرة . فهم لا يوقفون النمو لكنهم يشوشون عمله فتنمو الاقدام مشوهة . وهكذا الوقوف في سبيل اللغة فانه لا يوقف نموها لكنه يشوش عمله

صدق اللهجة

أما صدق اللهجة والصراحة في القول والخلو من الغرض فهي من أهم واجبات الكاتب لكنها من أصعب الشروط عليه اذ لا يسهل على الانسان ان يجرد نفسه من الروابط الدينية أو الاجتماعية التي تتجاذبه وقد رضعها مع اللبن وتمكنت من خاطره بتوالي الاعوام . وانما يقوى على مغالبتها قويّ الارادة عالي التربية . وقد يتطرف المتعصب لأمته أو طائفته حتى لا يرى الحسنات الا فيها ولا يرى في سواها غير السيئات ولذلك فهو لا يفيد في الخدمة العامة . وقد يضرّ

أما المواضيع ففيها النافع والضار وما بينهما . والموضوع الواحد يختلف نفعه أو ضره باختلاف حال الامة وباختلاف نسق الكاتب في تبويبه وأسلوبه في تأديته . وفي مقدار ما يضمن كتابه من الحقائق أو المواد . لان من الكتاب من يصرف همه الى رشاقة العبارة وتزويقها وتنميقها ولو جرّ ذلك الى تبديد المعنى أو غموضه . ومنهم من يوجه اهتمامه الى الحقائق التي يستطيع جمعها في كتابه بلا تكلف أو تأنق ويحافظ على سلامة المعنى قبل كل شيء ـ هذه هي الخطة التي نبذل جهدنا في تحديها في ما نكتبه . لاننا نرى الامة في حاجة الى الحقائق أكثر مما الى الالفاظ . وهذا ما توخيناه على الخصوص في هذا الكتاب لاتساعه وتشعب مواضيعه وتعدد جزئياته . ولاننا نعلق أهمية كبرى بالنظر الى حاجة الناشئة العربية اليه

ما هو تاريخ آداب اللغة

واختلف الكتاب في مباحث تاريخ آداب اللغة فبعضهم يقتصر منها على تاريخ الادب بمعناه الخاص دون سائر العلوم. أو بمعناه العام لكنه لا يتجاوز النظر في تاريخه مع اعتبار مجرى التاريخ العام عليه أو بقطع النظر عن ذلك . وقد يكتفي بعضهم من

تاريخ آداب اللغة بتراجم العلماء والشعراء وأمثلة من أقوالهم بدون التعرض لكتبهم أو يجعل همه وصف الكتب التي ظهرت في كل علم دون التراجم وأطوار العلم . ومنهم من يكتفي باطراء أصحاب هذه اللغة وما بلغوا اليه من الرقي في معالجة المواضيع الهامة بالقياس على الامم الاخرى . أما نحن فقد أردنا ان نجمع بين ذلك كله على ما يبلغ اليه الامكان

نسق هذا الكتاب

فقسمنا كتابنا الى أعصر بينا فيها ما تقلبت عليه آداب اللغة في كل عصر . وذكرنا الاسباب السياسية والاجتماعية التي أثرت في ذلك وما قد يقابلها عند الامم الاخرى ومزية العرب فيها . وأرَّخنا كل علم في كل عصر وترجمنا النابغين فيه وذكرنا ما خلفوه من الكتب . واقتصرنا من ذلك على ما يمكن الحصول عليه ووصفنا أهم تلك الكتب ومنزلتها من سواها . وأشرنا الى المطبوع منها مع سنة الطبع ومكانه . وما لم يطبع ذكرنا مكان وجوده في أشهر المكاتب الكبرى بمصر أو الآستانة أو أوربا أو غيرها من المكاتب العمومية أو الخصوصية . وربما فاتنا ذكر كتب لا توجد الا في بعض المكاتب الخصوصية التي لم يصلنا خبرها . فنرجو ممن يقف على شيء من ذلك ان ينبهنا اليه لننشره خدمة لآداب هذا اللسان . وذيلنا كل ترجمة أو باب بأشهر المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في تفصيل تلك الترجمة أو التوسع في ذلك الباب

فمن أحب الاطلاع على تاريخ علم من العلوم مثلا طلبه في كل عصر وتتبع تاريخه الى آخره . ومن شاء الاطلاع على تأثير التقلبات السياسية في الآداب والعلوم هان عليه ذلك بمطالعة ما صدرنا به كل عصر من تاريخ تلك التقلبات . واذا أراد الاطلاع على ترجمة عالم أو شاعر أو أديب أو نحوي أو لغوي أو مؤرخ أو جغرافي أو أي رجل من رجال العلم أو الادب طلب ترجمته في باب العلم الذي غلب عليه حسب الاعصر . فيجد هناك خلاصة ترجمته وحقيقة منزلته وما خلفه من الكتب مما وصل الينا خبره ووصف كل كتاب وأين يوجد . واذا شاء التوسع في ترجمة ذلك الرجل رجع الى ما ذكرناه من المآخذ في ذيل ترجمته . وهكذا اذا كان غرضه البحث عن موضوع يريد التوسع فيه فانه يجد الكتب التي تبحث فيه فيختار ما يريده منها

الغرض من هذا الكتاب

وقد ألفنا هذا الكتاب للناشئة العربية أو طلاب هذا اللسان الذين يريدون الوقوف على العلوم العربية وأماكنها للمطالعة أو التأليف . أو يعوزهم درس موضوع أو

الكتابة فيه ولا يعرفون مظانه . وقد عرفنا حاجة الناشئة الى ذلك من الاسئلة الكثيرة التي تتوالى علينا من هذا القبيل . فربما رغب أحدهم في درس تاريخ أمة أو دولة أو موضوع من المواضيع الاجتماعية أو الاخلاقية أو اللغوية وأحب الاطلاع على ماقاله العرب فيه ولا يدري من ألف فيه منهم وهل ما ألفوه لا يزال باقياً وما هي قيمته بالنظر الى سواه في موضوعه وهل طبع وأين وإذا لم يطبع فأين يوجد ؟ الخ . فهذا الكتاب يرشده الى كل ما يريده من هذا القبيل . ويسهل استخدامه لهذه الغاية بعد وضع الفهارس في آخره

وقد توخينا الافاضة في ما يهم طلاب الادب أو الشعر أو التاريخ وسواها من العلوم الادبية والاجتماعية والاخلاقية ونحوها . واختصرنا في كتب الفقه وسائر العلوم الشرعية لكثرتها وتنوعها واستقلالها بموضوعها . وفعلنا ذلك أيضاً في كتب الطب والفلسفة والمنطق ونحوها من العلوم القديمة لذهاب دولتها أو تغير قواعدها

موقع الجزء الاول

وقد تحقق ظننا في حاجة الناشئة الى مثل هذا الكتاب بما آنسناه من اقبالهم على الجزء الاول مع قلة مواده واقتصاره على تاريخ آداب اللغة في العصور الاولى قبل تكوّن العلوم . فاقتنته نظارة المعارف العمومية وقررت بعض المدارس الكبرى تدريسه . وطلب الينا البعض الآخر ان نستخرج منه نسخة مختصرة للتدريس . وسنفعل ذلك بعد الفراغ من تأليف الكتاب ونشره

وكان للجزء الاول المذكور وقع لدى الادباء والكتاب فتناولوه بالتقريظ والانتقاد . أما المقرظون فنشكر لهم حسن ظنهم . وأما المنتقدون فقد اهتموا بانتقاده بلهجة تتفاوت شدة وأسلوباً بتفاوت فهمهم من المراد بالانتقاد وشروطه . وتدلُّ على حرج مركز الكاتب الشرقي بين قرائه . وليس في الدنيا جمهور استحكم فيه اختلاف المشارب والاهواء والاغراض مثل قراء العربية . فهم مختلفون موطناً ومشرباً ومذهباً وتربية . فلا يتأتى لكاتب ارضاؤهم جميعاً ولو أوتي علم الاولين والآخرين

ومما يحسن الاشارة اليه من الانتقادات المعقولة ان بعضهم انتقد على المؤلف تقليله من الامثلة الشعرية أو النثرية ولكن ذلك ما أردناه. ولو أكثرنا من الامثلة لخرجنا عن الغرض المقصود من هذا الكتاب . ومن أراد التوسع فليطلب ذلك في المآخذ الاصلية

المذكورة في ذيل التراجم . أو يطالعه في كتب الادب لادباء هذا العصر ومنها طائفة حسنة جمعت نخبة الاشعار والاقوال اشهرها « ادبيات اللغة العربية » لمحمد عاطف بك والشيخين محمد نصار واحمد ابراهيم وعبد الجواد افندي عبد المتعال من رجال نظارة المعارف العمومية . وكتاب « ادب لغة العرب » للشيخ محمد حسن نائل المرصفي مدرس اللغه العربية بكلية الفرير في مجلدين . و « مجاني الادب » وشرحه للاباء اليسوعيين في عدة مجلدات . وجواهر الادب للشيخ احمد الهاشمي مراقب مدارس فيكتوريا ونحوها . ومن الكتب الهامة في تاريخ آداب اللغة « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » لروحي بك الخالدي وهو فريد في بابه

وانما نختص من المنتقدين بالذكر الاب لويس شيخو اليسوعي لانه عقد في مجلة المشرق (سنة ١٤ ج ٨) فصلاً طويلاً في نقد الجزء الاول من هذا الكتاب نقداً نمّ عن أدبه وفضله ودلّ على تمكنه من الموضوع . فبعد ان وصف الكتاب ومنزلته بالنسبة الى ما ظهر من الكتب في موضوعه بالعربية وغيرها ذكر ملاحظاته وانتقاداته بتعقل واخلاص . فنشكر له حسن ظنه واهتمامه في البحث والتنقيب وسننظر في ملاحظاته بعين الاهتمام وان كان اكثرها في غير مكانه أو قبل اوانه. فان بعضها يكاد يكون تحقيقه مستحيلا كطلبه بيان اللغات التي كان يتكلم بها العرب في جاهليتهم الاولى . والبعض الاخر ليس مكانه في ذلك الجزء كالمفضليات والحماسات ونحوها فقد ذكرا كثرها في هذا الجزء لان اصحابها من ادباء العصر العباسي . واتهمنا بالتقصير في ابحاث سبق لنا البحث فيها مطولا في كتبنا الاخرى كبيان نسبة اللغة العربية الى اخواتها السامية فقد فصلنا ذلك في كتابنا « الفلسفة اللغوية » وفي « تاريخ العرب قبل الاسلام » واقترح علينا اموراً لو اردنا العمل بها لاستغرق هذا الكتاب اضعاف حجمه . فانه تقدم الينا ان نستخرج عادات العرب وتاريخهم من امثالهم واشعارهم . وهو خارج عن موضوع الكتاب . ومثل ذلك اقتراحه ان نطيل في درس كل شاعر وشعره وهذا يفتقر الى كتاب خاص لكل شاعر . وانما اكتفينا بخلاصة الترجمة وزبدة ما يقال في الموضوع مع مراعاة المكان وأشرنا الى المآخذ لمن اراد التعمق . وانتقد علينا ايضاً مبالغتنا في بيان مآثر العرب والتنويه بفضلهم ! ويرى ايضاً اننا اخطأنا في تعيين وفيات بعض شعراء الجاهلية . وغير ذلك من الملاحظات التي يريد من ورائها خدمة آداب اللغة وهي ضالتنا التي ننشدها . ولذلك فاننا سنتدبر ملاحظاته وننظر فيها باخلاص وامتنان. وفي كل حال فاننا قد استفدنا من انتقاده جزاه الله خيراً وجعله قدوة للمنتقدين

موضوع هذا الجزء

كان المراد عند الفراغ من الجزء الاول ان نجعل هذا الجزء خاصاً بتاريخ آداب اللغة في العصر العباسي من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ فقسمنا هذا العصر او الدولة الى اربعة اعصر لكل منها صفة مشتركة في السياسه والاجتماع والادب يمتاز بها عن سواه سيأتي ذكرها . وانما نريد هنا بيان الحكمة في ذلك التقسيم :

فالعصر الاول : (سنة ١٣٢ ـ ٢٣٢) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث السياسة والدولة او هو عصر الرشيد والمأمون والبرامكة وقد بلغت فيه الدولة الاسلامية ابان مجدها . وفيه نشأت اكثر العلوم الاسلامية ونقلت اهم العلوم الدخيلة

والثاني (سنة ٢٣٢ ـ ٣٣٤ هـ) هو فترة بين العصرين الاول والثالث اشتغل فيها رجال الدولة بأنفسهم عن نصرة رجال العلم والادب

والثالث (سنة ٣٣٤ ـ ٤٤٧ هـ) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث نضج العلم والادب ولا سيا اللغة وعلومها والتاريخ والجغرافية . وفيه تعاصرت عدة دول تعاون ملوكها وامراؤها ووزراؤها على الاشتغال بالعلم والاخذ بناصر العلماء

والرابع (سنة ٤٤٧ ـ ٦٥٦ هـ) فيه ظهرت ثمار العلوم ونضجت الموسوعات والمعاجم التاريخية والجغرافية وغيرها

فلما اخذنا بالكتابة اتسع بنا المقال فأكتفينا بالاعصر الثلاثة الاولى في هذا الجزء أي من تكون العلوم الى نضجها . وأجّلنا الكلام في العصر العباسي الرابع وما يليه من العصور الى الجزء الثالث من هذا الكتاب ان شاء الله

الخلاصة

هذا وقد بذلنا الجهد في تنسيق هذا الكتاب وتبويبه وضبط حقائقه وبسط عبارته باخلاص وصراحة مما نعتقد فيه النفع للناشئة العربية . فان احسنّا فذلك ما أردناه وهو فرضٌ اديناه . والا فقد اعذرنا ببذل الجهد وصدق النية . ولنا الامل ان ينشط من ادبائنا من يوفي الموضوع حقه بأحسن مما فعلنا وبالله التوفيق

العصر العباسي او الدولة العباسية

من سنة ١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ

تختلف الدولة العباسية عن الاموية اختلافاً بيناً : كانت الدولة الاموية عربية بدوية واصطبغت الدولة العباسية صبغة فارسية ـ الا من حيث آداب اللغة فظلت عربية وفي ايامها نضجت آداب العرب وعلومهم ونقلت علوم القدماء الى لغتهم ونبغ الشعراء والادباء والنحاة والمؤرخون واللغويون والمنشئون والفقهاء والمفسرون والمحدثون والفلاسفة والاطباء وغيرهم

ومدة العصر العباسي او الدولة العباسية في بغداد خمسة قرون وبعض القرن ـ من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ

وقد تقلبت آداب اللغة العربية في اثنائها بتقلب الدول وتغلب الامم على ما اقتضته الانقلابات السياسية او الاجتماعية . وقد تدبرنا ذلك باعتبار القرون او العصور فوجدنا لكل قرن تقريباً من القرون الثلاثة الاولى خصائص تختلف عما لسواه باختلاف احوال الاجتماع او السياسة او باختلاف الدول التي افضت الامور اليها . اما القرنان الاخيران فيشتركان في احوالها . فقسمنا العصر العباسي الى اربعة ادوار او اعصر وهي:

١ ـ الدور أو العصر الاول : من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى اول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ونسميه العصر العباسي الاول

٢ ـ العصر العباسي الثاني : من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ الى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ هـ

٣ ـ العصر العباسي الثالث : من استقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ

٤ ـ العصر العباسي الرابع : من دخول السلاجقة بغداد الى سقوطها في ايدي التتر سنة ٦٥٦ هـ وسنصدر الكلام عن كل عصر بما حدث فيه من الانقلاب السياسي او الاجتماعي الذي بعث على تغيير آداب اللغة فيه . ويقال بالاجمال ان في زمن العباسيين بلغت آداب اللغة العربية ارقى أحوالها ونضجت فيها اكثر الآداب العربية وعهد الكلام في ما كان من تأثير القرآن في نشوئها . وقد أشرنا الى شيء من ذلك متفرقاً في الجزء الاول فأحببنا جمعه والتوسع فيه هنا فنقول :

القرآن

وآداب اللغة العربية

تكاثرت العلوم والآداب في ابان التمدن الاسلامي حتى تجاوز عددها ثلاثمائة علم في الشرع واللغة والتاريخ والادب والشعر وغيرها . واكثرها نشأ من القرآن او تولد خدمة له ولا يكاد يخلو علم من تأثير القرآن عليه رأساً او ضمناً . فلا غرو اذا افردنا فصلا خاصاً لبيان ذلك

١ ـ العلوم التي تفرعت من القرآن او نشأت لخدمته

حمل العرب على العالم في صدر الاسلام وما في ايديهم من الكتب غير القرآن يقرأونه ويتعظون به ويتحاكمون اليه وقد اعجبوا باسلوبه ودهشوا ببلاغته . لانه ليس من قبيل ما كانوا يعرفونه من نثر الكهان المسجع ولا نظم الشعراء المقفى الموزون . وقد خالف كليهما وهو منثور مقفى على مخارج الاشعار والاسجاع . فلا هو شعر ولا نثر ولا سجع وفيه من البلاغة واساليب التعبير ما لم يكن له شبيه في لسانهم . فسحروا بأسلوبه وبما حواه من الشرائع والاحكام والاخبار . فاصبح همهم تلاوته وتفهم احكامه لانه قاعدة الدين والدنيا وبه تتأيد السلطة والخلافة . وهو أول كتاب أخذوا في قراءته وحفظه

﴿ القراءة وعلومها ﴾ واختلفوا في قراءة بعض آياته فتولدت القراءات السبع نسبة الى سبعة من القراء مرّ ذكرهم . وأخذ كل منهم يثبت صحة قراءته فتولد من ذلك علم القراءة وشواذها . وتفرع بتوالي الاعصر الى سبعة علوم هي : علم الشواذ وعلم مخارج الحروف . ومخارج الالفاظ . والوقوف. وعلل القرآن . وكتابة القرآن. وآداب كتابة المصحف . وفي كل من هذه العلوم قواعد وكتب

﴿ النحو ﴾ واول شيء احتاجوا اليه في ضبط القراءة « النحو » وقد بعثهم على التعجيل في وضعه وضبط قواعده ما شاهدوه من لحن الناس في قراءة القرآن بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق . فسمع ابو الاسود الدؤلي رجلاً يقرأ « ان الله بريءٌ من المشركين ورسوله » بخفض رسوله فصنف باب العطف والنعت وهو من اسس علم النحو . ثم وضع الاعجام لضبط القراءة . فكان القرآن من اهم البواعث

على وضع النحو أو الاسراع في وضعه . فتمت قواعده ولم يتم القرن الثاني للهجرة أي أنه نضج في قرن وبعض القرن واليونان لم يتم علم النحو عندهم الا بعد انشاء دولتهم بعدة قرون ولم يضع الرومان نحو اللغة اللاتينية الا بعد قيام دولتهم بستة قرون وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ٢٢٤

﴿ الادب وعلومه ﴾ ويفتقر علم النحو في تأييد قواعده الى معرفة كلام العرب وأساليبهم . ولما أخذ المسلمون في تفسير القرآن احتاجوا أيضاً الى ضبط معاني الفاظه وتفهم اساليب عبارته فجرَّهم ذلك إلى البحث في اساليب العرب واقوالهم واشعارهم وأمثالهم وهو « علم الادب » وقد بعث الى وضعه بالاكثر تفسير القرآن ــ قال ابن عباس « اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ولم تعرفوه فاطلبوه في أشعار لان الشعر ديوان العرب »

فكانوا اذا عمدوا الى تفسير آية أو ارادوا اثبات معنى لفظ التبس عليهم فهمه او تفهم أسلوب لم يألفوه اتوا بشعر جاهلي وردت فيه تلك اللفظة بهذا المعنى أو ذاك الاسلوب وخصوصاً في التفاسير التي يراد بها المعنى اللغوي بالاكثر كالكشاف للزمخشري فان الشواهد الشعرية التي جاءت فيه استغرقت مجلداً ضخماً افرد بعضهم كتاباً لشرحها والاشارة الى سبب ورودها . وصاروا يؤلفون كتب الادب والتاريخ لخدمة القرآن ــ قال ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر والشعراء « وكان اكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلُّ أهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلعم »

وناهيك بما تفرع اليه علم الادب من الفنون الادبية والعلوم المتعلقة بالالفاظ وهي تزيد على عشرين علماً كالنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والعروض وغيرها والفضل في تعجيل ظهورها للقرآن

﴿ الحديث ﴾ واحتاجوا في تفسير القرآن أيضاً الى تفهم الحديث لانهم كانوا اذا أشكل عليهم فهم آية واختلفوا في تفسيرها أو حكم من احكامها استعانوا باقوال النبي على استيضاحها . فلما تفرق الصحابة في الارض بعد الفتوح تفرقت الاحاديث معهم فاشتغل جماعة من أهل القرائح في جمعها وتدوينها وتولد من ذلك بتوالي الازمان العلوم المتعلقة بالحديث كشرح الحديث وناسخه وتأويله ورموزه وغرائب لغاته وتلفيقه واحوال الرواة ونحو ذلك. وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفات وابحاث وعلماء

﴿ التفسير ﴾ والتفسير نفسه لما نضج تفرع الى علوم عديدة ذكرها صاحب مفتاح

السعادة وهي تزيد على سبعين علماً ولكل منها علماء ومؤلفات وابحاث ومناظرات. وكان للعلوم اللغويه ارتباط بالعلوم الشرعية لا يستطيع الطالب اتقان الواحدة إن لم يتقن الاخرى حتى قال حماد بن سلمة « أن الذي يكتب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها »

﴿ الفقه ﴾ ولما صار الاسلام دولة احتاج امراؤه الى ما يقضون به بين رعاياهم في احوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فكان معولهم على القرآن والحديث فاستنبطوا منه الشريعة واحكامها وهو « الفقه » بفروعه المشهورة كعلم النظر والمناظرة والجدل والفرائض والشروط والقضاء والتشريع والفتاوي ونحوها

﴿ التاريخ ﴾ ولما اشتغل المسلمون في تفسير القرآن وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق الاماكن والاحوال التي كتبت بها الآيات أو قيلت فيها الاحاديث فعمدوا الى جمع السيرة النبوية ودونوها . واضطروا لتحقيق مسائل الحديث والفقه والنحو والادب الى البحث في اسانيدها والتفريق بين ضعيفها ومتينها . فجرَّهم ذلك الى النظر في الرواة وتراجمهم وسائر احوالهم . وقسموا رواة كل فن الى طبقات . فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات كطبقات الشعراء وطبقات المفسرين أو النحاة أو الفقهاء أو الحفاظ أو النسابين أوغيرهم وكان ذلك من أهم اسس علم التاريخ واتسع تأليفهم في هذا السبيل حتى كثيراً ما كانوا يؤلفون الكتب التاريخية خاصة لتراجم الاعلام الواردة في كتاب ككتاب تراجم الرجال الذين روى ابن اسحق سيرة النبي عنهم وكتاب تهذيب الاسماء فان من أهم البواعث على تأليفه ترجمة الاعلام الواردة في كتب مختصر المزني والمهذب والتنبيه والوسيط والوجيز والروضة

وزد على ذلك أن المسلمين يجدون في القرآن آيات تستحثهم على الاشتغال في التاريخ والاخبار للعبرة والموعظة كقوله « لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب » وقوله « ومثلا من الذين خلوا من قبلهم وموعظة للمتقين » وقوله « كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق »

﴿ الجغرافية ﴾ ويقال نحو ذلك في الاسباب المساعدة على وضع علم الجغرافيا أو تقويم البلدان أو الاسراع في نضجه ونموه كالاسفار في طلب الحديث من حملته والحج الى مكة والرغبة في تطبيق القواعد الفقهية كالخراج والجزية ويفتقر ذلك الى معرفة حال البلاد وكيفية فتحها صلحاً أو عنوة . فجرَّهم ذلك الى تعرف البلاد

ومواضعها وعلة فتوحها . ووجدوا في القرآن نصوصاً تحضُّ على طلب هذا العلم كقوله « أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » وقوله « قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كانت عاقبة المكذبين» وغير ذلك

٢ - تأثير القرآن فى آداب الجاهلية

هذا ما كان من تأثير القرآن في تولد العلوم وتفرعها بعد الاسلام . وهناك تأثير لا يقل عن ذلك احدثه القرآن في الآداب التي كانت شائعة قبل الاسلام فغير اسلوبها ورقاها وهاك اهمها : —

﴿ الخطابة ﴾ الخطابة والشعر من الفنون الادبية الجاهلية التى زادها الاسلام رونقاً وبلاغة والخطابة سبقت الشعر في ذلك لحاجة المسلمين اليها في الفتوح والغزوات فارسوها وقد اشربت نفوسهم باسلوب القرآن لما علمت من اقبالهم على حفظه وتدارسه فارتقى ذوقهم الخطابي بتحدي اسلوبه واقتباس آياته. فاخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات تمثُّلا وتهديداً حتى لقد يجعلون الخطبة بجملتها مجموع آيات كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق وحرض أهله على طاعة أخيه عبد الله وقد نشرنا خطبته في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ١٩٤ وصار المسلمون يسمون الخطبة التي لم تزين بشيء من القرآن « الشوهاء »

﴿ الشعر ﴾ وقس على ذلك تأثيره في الشعر فانه زاده طلاوة ورونقاً واكتسب تعابير واساليب لم تكن له من قبل وترى امثلة منها في اثناء هذا الكتاب

﴿ الانشاء ﴾ لم يصلنا من أساليب الانشاء الجاهلي غير سجع الكهان اتينا بمثال منه في كلامنا عن الكهانة في الجاهلية في الجزء الاول . وأقوال شق وسطيح الكاهنين الجاهليين مشهورة وكلها باردة ركيكة يمجها الذوق — ذلك ما وصل الينا على ألسنة الرواة . على أنهم نقلوا الينا من أساليب الخطابة في الجاهلية ما يخالف ذلك كخطبة قس بن ساعدة في عكاظ ـ والخطابة والانشاء يتقاربان باسلوبهما في كل زمان ومهما يكن من الامر فان الانشاء في الاسلام تبدَّل وارتقى كما ارتقت الخطابة ودخل في طور جديد من البلاغة والفصاحة في عبارته على اختلاف طرق تأديتها . وأخذ الكتاب يتحدون القرآن في الايجاز والاعجاز ويتوخون الاختصار على قدر الامكان عملا بالحديث القائل « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي

الكلام اختصاراً » فكانوا يجمعون المعنى الكبير في اللفظ القليل حتى تكاد ترى المعنى مجرداً من اللفظ . وكان لتلك الرسائل تأثير الخطب في الفتح فاستعاضوا بعد زمن الفتح ببلغاء الكتاب عن بلغاء الخطباء ـ كأن الرسالة البليغة خطابٌ يتلوه المرسل اليه . وقد أتينا بامثلة من ذلك في الجزء الاول صفحة ١٩٩

وكانوا اذا أرادوا البلاغة والتأنق في الانشاء ضمنوا عباراتهم آيات يقتضيها المقام فهي كالترصيع أو التطريز ولا يزالون يفعلون ذلك الى اليوم . ويكفي مثالا على ارتقاء ذوق الانشاء بالقرآن ما ظهر من بلاغة علي بن أبي طالب في خطبه ورسائله ـ ثم كان للانشاء تاريخ سنأتي عليه في حينه

﴿ اللغة ﴾ دخل اللغة كثير من الالفاظ الاسلامية واكتسبت كثيراً من المعاني الاسلامية لم تكن فيها من قبل كالصلاة والزكاة والمؤمن والكافر والمسلم وغير ذلك من الالفاظ التي اقتضاها الاسلام وقد فصلنا ذلك في مكان آخر

وبالجملة فان معظم العلوم العربية اقتضاها القرآن أو الاسلام حتى عدها بعضهم من قبيل الدين . قال أبو عمرو بن العلاء « علم العربية هو الدين بعينه »

وقد رأيت أن العلوم اللسانية استعجلوا في وضعها لقراءة القرآن وتفسيره لكنها ما لبثت أن صارت عالة عليه ترجع في تحقيق قواعدها الى آياته يستشهدون بها في النحو والادب وسائر العلوم اللسانية حتى اجتمع في كتاب سيبويه في النحو ثلاثمائة شاهد من القرآن

واعتبر ذلك في سائر فنون الادب أو علوم اللغة . ومنها ما تأيد اكثره باساليب القرآن كالمعاني والبيان والبديع ونحوها . ويرى المسلم في القرآن أماكن يتنسم منها الحض على طلب العلم ورفع قدر العلماء كقوله « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

٣ ـ تأثيره من الوجهة الاجتماعية

وهناك تأثير عظيم الاهمية لم يوفق لغير القرآن من الكتب الدينيه في الامم الاخرى ـ ذلك أنه أطال بقاء اللغة العربية الفصحى وجعل ملايين من الناس يقرأونها ويفهمونها . وهو الذي حفظ الجامعة العربية واستبقى العنصر العربي . لان الاسلام يفرض على كل مسلم أن يحفظه ويطالعه ـ لولا القرآن لكانت لغة العالم العربي لغات متفرقه يصعب التفاهم بين أصحابها كما صارت اليه اللغه اللاتينية بعد ذهاب

دولة الرومان فتفرق أصحابها أمماً وطوائف وامحت الدولةالرومانية والأمة الرومانية كما أمحت سواها من الامم التي ذهبت جنسيتها بذهاب لغتها كالسريان والانباط في الشام والقبط في مصر — وهؤلاء انما حفظت جامعتهم بالدين لا باللغة

أما اللغة العربية فقد حفظها القرآن وحفظ بها التفاهم بين الامم الاسلامية في الشام ومصروالعراق والحجاز والمغرب وزنجبار والسودان وغيرها. ولولاه لكانت كل أمة من هؤلاء تتكلم لغة لا تفهمها صاحبتها . ومع ذهاب التمدن الاسلامي وتقهقر الدولة الاسلامية كان يخشى ضياع تلك الامم وفناؤها أو اندماجها في الامم التي تسلطت عليها كما أصاب الامم التي اندمجت بالعرب بعد الاسلام . لكنها الآن تجتمع وتتكاتف لانها تتفاهم بلغة واحدة لغة القرآن وتعد نفسها أمة واحدة

ناهيك بمن يقرأ العربية من غير العرب بسبب حفظ القرآن ولو كانوا في أقصى الشرق كالهند والصين أو بأواسط آسيا تركستان وخراسان وفارس . فان عدد قراء العربية يزيد على مئتي مليون وقراء التوراة بلغتها الاصلية شرذمه من اليهود المتعلمين وجمهورهم يقرأها بلغة بلاده . وقراء الاناجيل بلغتها الاصلية فئة قليلة . وأكثر أمم النصرانية يقرأونها في اللغات المترجمة اليها . أما القرآن فالمسلمون يقرأونه في اللغة العربية

ويعدُّ من قبيل تأثيره في آداب اللغة ايضاً تأثيره في أخلاق اصحابه . ولكل كتاب من كتب الدين الرئيسية تأثير عام على اتباع ذلك الدين يظهر فيهم ولو تباعدت مواطنهم — وذلك طبيعي لما نعلمه من تأثير العادات في الاخلاق والابدان . ولكل دين تعاليم وتقاليد وآداب تظهر آثارها في اخلاق اصحابه . فالمسيحيون يشتركون في كثير من الآداب والعادات والاخلاق يمتازون بها عن سواهم وكذلك اليهود وغيرهم

واعتبر ذلك في القرآن بل هو أشد تأثيراً في اصحابه من سواه لانهم مكلفون بحفظه قبل كل علم وهم اطفال . وهو داخل في كل شيء من امورهم الدينية والدنيوية واساس شرائعهم القضائية وقاعدة معاملاتهم اليومية واحوالهم والعائلية حتى الطعام واللباس والشراب والنوم والغسل وكل شيء يمكن استنباطه منه ويوجد له مثالا فيه. وهذا لا تراه في الاناجيل مثلاً فانها كتب تعليمية لمصلحة الآخرة فقط . ولا تجد فيها شرعا او حكومة او احوالا شخصية او نحو ذلك الا ما يأتي عرضاً ويفتقر الى تأويل

ولكل كتاب من هذه الكتب شأن خاص أيضاً من حيث اخلاق القوم الذين كتب الكتاب لهم أو بلسانهم بما يلائم أخلاقهم وعاداتهم وآدابهم ويختلف القرآن عن سائر تلك الكتب من هذا القبيل كما تختلف اخلاق العرب الجاهلية الذين جاء القرآن بلسانهم عن أخلاق العبرانيين الذين كتبت التوراة لهم والاقوام الذين كتبت الاناجيل بالسنتهم.

وتأثير القرآن في اخلاق اهله ومعاملاتهم اليومية والبيتية لا يخلو من التأثير على عقولهم وقرائحهم وآرائهم ولو بعدت عن الدين وعلومه. فالصبغة الدينية القرآنية أو الاسلامية تظهر في مؤلفات المسلمين ولو ألفوا في الفلسفة أو الطب أو الفلك أو الحساب أو غيرها من العلوم الرياضية أو الطبيعية. فضلا عن العلوم الاسلامية الشرعية واللسانية والتاريخ والادب.

وبالجملة فان للقرآن تأثيراً في آداب اللغة العربية ليس لكتاب ديني مثله في اللغات الاخرى.

العصر العباسي الاول

او المائة الاولى من سيادة العباسيين في بغداد

من سنة ١٣٢ — ٢٣٢ هـ

هو عصر الاسلام الذهبي بلغت فيه دولة المسلمين قمة مجدها بالثروة والحضارة والسيادة وفيه نشأت اكثر العلوم الاسلامية ونقلت أهم العلوم الدخيلة الى العربية . وكانت دور الخلفاء آهلة بالادباء والشعراء والعلماء مثل بلاط لويس الرابع عشر ملك فرنسا في ابان مجده . وكانت الدولة العباسية في اكثره صاحبة السيادة على العالم الاسلامي . وأوربا في اكثف غياهب الجهالة

وكان الشرق يومئذ في نهضة فكرية كأن الاسلام هزَّ اركانه ونبه اهله فنهض الفرس والترك والتتار والهنود — حتى اهل الصين واليابان فانهم هبوا هبة اصلاحية ادبية في اثناء العصر العباسي الاول اوعلى اثره . فنبغ في الصين نحو القرن العاشر للميلاد طائفة كبيرة من فحول الشعراء على عهد دولة طانغ وكانوا كالعباسيين في دورهم الاول يحبون العلم ويقدمون العلماء . واشتغل اليابانيون في ذلك العصر ايضاً باصلاح لسانهم وتهذيب آدابهم الاجتماعية ونبغ فيهم الشعراء والكتاب والمصورون والحفارون وغيرهم

وتمهيداً للكلام في آداب اللغة العربية في ذلك العصر نذكر الانقلاب السياسي الذي تقدمه بانتقال الدولة من الامويين الى العباسيين ليهون علينا تفهم ما حدث من التغيير في الآداب والعلوم

الانقلاب السياسي

في العصر العباسي الاول

كانت عاصمة الدولة الاموية في دمشق على حدود بادية العرب وكان خلفاء تلك الدولة عرباً وجندها وقوادها وعمالها من العرب . وكذلك كتابها وقضاتها وسائر رجال حكومتها . اما الدولة العباسية فقد نصرها الفرس فجعلت قصبتها (بغداد) على حدود بلادهم واتخذت وزراءها واكثر امرائها وقوادها منهم . ولما عمرت بغداد تقاطر اليها الناس للارتزاق بالتجارة أو الصناعة أو الادب او الشعر او باسباب الملاهي

فالتقى فيها العربي والفارسي والرومي والنبطي والتركي والصقلبي والهندي والبربري والزنجي . وفيهم المسلم والنصراني واليهودي والصابي والسامري والمجوسي والبوذي وغيرهم

واعتبر ذلك في البصرة والكوفة من مدائن العراق الاسلامية فقد كانتا آهلتين بالناس على اختلاف نحلهم واجناسهم وعناصرهم وتختلفان عن بغداد بمن اقام في ضواحيهما من جالية العرب أهل البادية من القبائل التي نزحت الى هناك بعد الاسلام كما تقدم . وما زالت البصرة والكوفة مجتمع اهل الادب والعلم والشعر حتى عمرت بغداد فاصبحت بما استبحر من عمرانها هي وحدها ام المدائن الاسلامية وبؤرة العلم ومجتمع العلماء . ثم شاركتها في ذلك القاهرة وقرطبة ودمشق والقيروان وغيرها

وناهيك بثروة بغداد وحضارتها وتبسط اهلها في العيش وارتكانهم الى الرخاء وتدفق الاموال من بيت المال على اهل الدولة ومن يلتف حولهم من الاعوان او اهل المهن او الادب او الطرب

الخلفاء والعلم والادب

ويمتاز العصر العباسي الاول بمن تولى فيه عرش بغداد من الخلفاء العلماء لرغبتهم في العلم واجلال العلماء والادباء فسهلوا نزوحهم اليهم وأجروا الارزاق عليهم وبالغوا في اكرامهم وقربوهم وجالسوهم وآكلوهم وحادثوهم وعولوا على آرائهم . فلم يبق ذو قريحة أو علم أو ادب الا يمّم دار السلام ونال جائزة او هدية او راتباً

ولا يزهوا العلم الا في ظل امير يتعهده ويأخذ بايدي أهله — والناس كما يكون ملوكهم . وخلفاء العصر العباسي الاول من اكثر الملوك رغبة في العلم: يروى ان المنصور لما مات ابنه جعفر وانصرف الى قصره بعد دفنه قال للربيع وزيره « انظر من في اهلي ينشدني (أمن المنون وريبها تتوجع) حتى اتسلى بها عن مصيبتي » فطلب الربيع ذلك من بني هاشم فلم يجد من يستطيعه . فقال المنصور « والله لمصيبتي باهل بيتي ألاّ يكون فيهم واحدٌ يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الادب اعظم واشد عليَّ من مصيبتي بابني » (١)

وكان للمنصور دفاتر علم هو شديد الحرص عليها حتى اوصى ابنه المهدي بها عند وفاته (٢). وكان المنصور من احسن رواة الحديث وله ذوق في الشعر ينتقد الشعراء ويعرف المنحول والمسروق (٣) وكذلك ابنه المهدي فقد كان ينتقد الشعراء لكثرة

(١) الاغاني ٦١ ج ٦ (٢) ابن الاثير ٧ ج ٦ (٣) البيان ١٥٦ ج ٢

تشبيبهم قبل المدح وكان يكره الغزل [١] اما الرشيد فكان اكثرهم رغبة في العلم والعلماء حافظاً للشعر نقاداً للشعراء وكان يحفظ شعر ذي الرمة حفظ الصبا [١] وهو مشهور بتقديم الشعراء والادباء . وابنه المأمون اشهر من ان يذكر بعلمه وفضله وذكروا له مؤلفات حسنة قد ضاعت

وناهيك بابناء الخلفاء والامراء فقد اشتغل كثيرون منهم بالادب كابراهيم بن المهدي انه اول نابغ من بني العباس في الترسل والشعر والموسيقى وله كتاب في الادب اسمه «ادب ابراهيم» وكتاب الطبخ والطب وكتاب الغناء ضاعت كلها . واعتبر ذلك ايضاً في الامراء والوزراء كابي دلف العجلي سيد قومه فقد كان اديباً والف في سياسة الملوك والسلاح والصيد . والفتح بن خاقان وزير المتوكل كانت له خزانة علم لم ير اعظم منها كثرة وحسناً . وكان يحضر داره فصحاء الاعراب وعلماء الكوفة والبصرة . واشتغل بالادب لنفسه فالف كتاب اختلاف الملوك وكتاب الصيد والجارح وكتاب الروضة والزهر . وكان عبد الله بن طاهر شاعراً مترسلاً بليغاً وكذلك ابنه طاهر ولكل منهما مجموع رسائل

فالدولة التي يكون ملوكها وامراؤها على هذه الصورة يجدر بها ان تزهو بالعلم والعلماء . واعتبر هذه القاعدة بسائر عصور آداب اللغة من اول الاسلام فانك لا تجد نهضة الا كان للملك او الامير او الرئيس تأثير كبير فيها — ذلك شأن الامم في الحكم المطلق وارادة الملك شريعة المملكة

حرية الدين

ومن مميزات هذا العصر اطلاق الفكر من قيود التقاليد الا ما يمس الدولة او الخلافة . ولذلك فقد تعددت البدع الدينية في ايامهم من المجوس وغيرهم . غير الفرق الاسلامية وتعدادها . وكان اكثر الخلفاء تسامحاً في الدين المأمون فكان هو نفسه شيعيًّا وكان وزيره يحيى بن اكثم سنيًّا ووزيره احمد بن ابي دواد معتزليًّا . يكفيك من تسامحه في الدين انتصاره للمعتزلة في القول بخلق القرآن

فكانت الافكار من حيث الدين مطلقة الحرية في ذلك العصر لا يكره الرجل على معتقده او مذهبه فربما اجتمع عدة اخوة في بيت واحد وكل منهم على مذهب . فاولاد ابي الجعد ستة منهم اثنان يتشيعان واثنان مرجئان واثنان خارجيان

(١) الاغاني ٥٥ ج ٣ (٢) الاغاني ٣٩ ج ٥

الوزراء الفرس والموالي

وكان للوزراء الفرس تأثير كبير في تلك النهضة . والفرس اهل مدنية قديمة وكانوا يومئذ في نهضة علمية بدأت من زمن كسرى انوشروان وكان البرامكة على الخصوص يحبون العلم والعلماء ويبذلون المال في تقريبهم واستحثاث قرائحهم فوقف الادباء والشعراء على ابوابهم كما وقفوا بباب الرشيد وكانت لهم ايادٍ بيضاء في ترجمة العلم القديم الى العربية

ومن ثمار ذلك الانقلاب ان الموالي (المسلمين غير العرب) الذين كان الامويون يحتقرونهم قربهم العباسيون وفيهم الخراسانيون الذين نصروهم في تأييد دولتهم . وقدموا سائر الموالي واستخدموهم في امور الدولة. فارتفع شأن الموالي من ذلك الحين واكثرهم من الفرس. اشهرهم في العصر العباسي الاول آل برمك وآل الفضل . وكان الخلفاء العباسيون يتواصون بالموالي وحسن معاملتهم والاحسان اليهم فنبغ فيهم طائفة كبيرة من العلماء والادباء والشعراء ورجال العلم والعمل

ومن ثمار الحضارة في ذلك العصر تكاثر الجواري مما لم يسمع به قبله حتى كان منهن في بعض المنازل عشرات وفي البعض الآخر مئات . وبلغ عددهن عند الرشيد ٢٠٠٠ جارية وصاروا يتهادوهن كما يتهادون الحلي والجواهر [١] . وتكاثر الغلمان فيه وتفننوا في تزيينهم واستخدامهم وشاع تسريهم كما يتسرون الجواري ويتهادونهم كما يتهادونهن وصاروا يحجبونهم كما يحجبون النساء [٢]

فالانقلاب السياسي والاجتماعي المشار اليه احدث انقلاباً في الافكار والعقول وظهر أثر ذلك طبعاً في آداب اللغة كما سيجيء

---

(١) ترى تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٥ (٢) الاغاني ٢٠٨ ج ٦

اقسام آداب اللغة العربية

والعلوم او الآداب التي سننظر في تاريخها تدخل في اربعة ابواب :

الاول : العلوم العربية الاصلية التي كانت قبل الاسلام واهمها اللغة والشعر والخطابة

الثاني : العلوم الاسلامية وهي قسمان ١ً : العلوم الشرعية الاسلامية التي اقتضاها الشرع الاسلامي ٢ً : العلوم اللسانية نعني علوم اللغة التي اقتضتها العلوم الاسلامية وبعثت على ظهورها

الثالث : العلوم الدخيلة التي نقلت عن الامم الاخرى

ولنبدأ بالعلوم الدخيلة ليظهر تأثيرها في سائر العلوم

العلوم الدخيلة

لو اردنا بسط الكلام في هذه العلوم واصولها ومواضيعها وما نقل منها الى لساننا لضاق بنا المقام وبعدنا عن المراد من هذا الكتاب — نعني الكلام في ما يمكن الرجوع اليه والانتفاع به من الكتب . والعلوم الدخيلة التي نقلت يومئذ اصبح معظمها في زوايا الاهمال بظهور العلم الطبيعي الحديث . وقد فصلنا خبرها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي فنكتفي هنا بفذلكة اجمالية

امتياز العرب على سواهم من الفاتحين

ومما يحسن ايراده لبيان امتياز اصحاب التمدن الاسلامي على سواهم من الامم الفاتحة من هذا القبيل ان القوط او قبائل الجرمان سطوا على مملكة الروم من الشمال كما سطا عليها العرب من الجنوب وكلاهما اهل بادية وحرب . امتلك القوط ايطاليا في القرن الخامس فتركوا اهلها الروم على ما كانوا عليه من آدابهم وعلومهم وظلوا هم على بداوتهم وحبهم الحرب واستخدموا الوطنيين في تدبير حكومتهم — كما فعل العرب في اوائل دولتهم . لكن القوط لما تحضروا حملوا علماء الرومان على التأليف فالفوا لهم الكتب باللاتينية وليس بالقوطية . فذهبت هذه اللغة وبقيت لغة الروم بما صارت اليه من الفروع . أما العرب فانهم حالما استتبت لهم السيادة جعلوا الدواوين في العربية وحملوا رعاياهم على مكاتبتهم بالعربية . ولما ارادوا نشر العلم كلفوا رعاياهم نقل تلك العلوم الى العربية فذهبت لغات الامم التي كانت تحت سلطانهم وبقيت العربية

ما هي العلوم الدخيلة

نريد بها العلوم القديمة التي كانت شائعة عند ظهور الاسلام في الممالك التي عرفها المسلمون . وهي عبارة عن خلاصة ابحاث رجال العلم والفلسفة والادب في ممالك التمدن القديم على اختلاف الامم والدول والاماكن والاطوار في القرون المتوالية من اقدم ازمنة التاريخ الى ايامهم وفيها زبدة علوم الاشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين والهنود والفرس واليونان والرومان — ولا يراد بذلك ان العرب اخذوا علم كل امة عن اهله رأساً ولكنهم جاءوا والعلوم قد تحلبت بتوالى الادهار وتفاعل العناصر واجتمع معظمها لليونان فبوبوها ورقوها وظهرت النصرانية فأثرت فيها . وبقي بعضها في بقايا الدول القديمة كالفرس والكلدان والهنود وغيرهم ممن دانوا للمسلمين وانتظموا في خدمتهم فاخذوا من هؤلاء جميعاً . ولذلك كان من جملة افضال التمدن الاسلامي على العلم انه جمع شتات تلك العلوم من اليونانية والفارسية والهندية والكلدانية الى العربية وزاد فيها ورقاها

فلنبحث اولاً في حال العلم والادب في البلاد التي عرفها المسلمون وهو يتناول النظر في آداب اليونان والفرس والهنود والكلدان على ما يأذن به المقام . ثم نتقدم الى الكلام في مانقله العرب من ذلك

آداب اللغة اليونانية

الفلسفة والفلاسفة

بينا في الجزء الاول من هذا الكتاب اقسام الآداب اليونانية وعصورها الى عصر الفلسفة . فنكتفي بخلاصة تاريخية عنها :

اخذ اليونان باهداب الفلسفة والعلم على اثر الحروب المورية فانها توالت ٢٧ سنة وفي نهايتها دخلت اثينا في حوزة اللقديمونيين واصبح الاثينيون بعد العز اذلاء فساقتهم العبرة والمذلة الى النظر في الوجود فنهضوا نهضة فلسفية زعيمها وواضع أساسها سقراط . والحروب يغلب ان يعقبها نهضة ادبية او علمية أو سياسية على ما قررناه في غير هذا المكان — وان كانوا قد تنبهوا الى شيء من ذلك قبلاً

فلما اصيبت اثينا بالذل بعد تلك العظمة اصاب اهلها اضطراب وانكسار — والانسان اذا أصيب بنكبة لاحيلة له في دفعها اشتغل عنها بالتعليلات الفلسفية عن

الوجود وأصله ليخفف وطأة تلك المصيبة عليه . وخصوصاً في مثل ما أصيبت به اثينا بعد عزها ورفعة شأنها . وأصبح أهلها بعد سقوطها يتلفتون الى الوراء آسفين وينظرون الى الامام خائفين وقد ذهبت أسباب مفاخرتهم القديمة ولم تنتظم حكومتهم الجديدة . فتنبهت أذهانهم وانصرفت قرائحهم الى النظر في شؤون الانسان على الجملة وشؤونهم على الخصوص . فكانت وجهة تلك النهضة الادب والفلسفة . فدخل القرن الرابع قبل الميلاد والناس يتناقلون آراء بعض المتقدمين من العلماء على ما يوافق أحوالهم ونفوسهم تشتاق الى الزيادة



ش ١ : سقراط

﴿ سقراط ﴾ وكان الناس في ذلك اذ نبغ سقراط الحكيم . ورأى النظر في الفلسفة الطبيعية لا يجدي نفعاً في تلك الاحوال فانصرفت عنايته الى الفلسفة الادبية فدرسها جيداً وخلصها مما كان يعتورها من الرموز والغوامض وطبقها على حاجات الاثينيين يومئذ . وقسم شرائعه الى ما يتعلق بالانسان من حيث هو انسان والى ما يتعلق به من حيث هو اب ومدبر والى ما يتعلق به من حيث هو أحد الجماعة . وذهب الى خلود النفس . ويعتبره اليونانيون واضع الفلسفة الادبية العملية أو هو محوّل الفلسفة القديمة من الخيال الى العمل — قال شيشرون « ان سقراط انزل الفلسفة من السماء الى الارض »

ويندر ان ينجو النوابغ واصحاب الآراء الجديدة من حساد يتمنون أذيتهم أو

يسعون فيها . وقد كان في تعاليم سقراط ما يخالف اعتقاد الاثينيين يومئذ فقاموا عليه وقتلوه



ش ٢ : افلاطون

﴿ افلاطون ﴾ مات سقراط ولم يدون شيئاً من تعاليمه فدونها تلامذته من بعده ولكنهم اختلفوا في تفسير اقواله فانقسموا الى ثلاث فرق تعرف بالكرينية والكلبية والاشرافية . وهذه الاخيرة اشهرها ، وتسمى ايضاً الافلاطونية نسبة الى صاحبها افلاطون المولود سنة ٤٢٨ قبل الميلاد . ومذهبه مقتبس من ثلاثة مذاهب قديمة فانه تبع هيرقليطس في الطبيعيات وفيثاغورس في ما وراء الطبيعة والنقليات وتبع سقراط في الفلسفة الادبية والاخلاق.وقال بثلاثة أصول الاله والمادة والادراك والآلهة عنده ثلاث طبقات . عليون ومتوسطون وسفليون وعلّم بتناسخ الارواح . وكتب افلاطون على أسلوب المحاورات

﴿ ارسطو ﴾ وانقسم تلامذة افلاطون ايضاً الى فرق اهمها فرقة المشائين وصاحبها ارسطو او ارسطوطالس الذي اجمع العلماء على انه اقدر الفلاسفة القدماء ويسميه العرب المعلم الاول . ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٣٢٢ ق م . وعنه نقل العرب اكثر كتب الفلسفة والمنطق . جمع ارسطو في كتبه زبدة ما بلغ اليه العلماء في عصره ببلاد اليونان من الفلسفة والعلم . اما الفلسفة فاخذها عن أستاذه افلاطون ويدخل فيها الابحاث المنطقية والعقلية والنفسية والسياسية . وأما العلم ويراد به الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كالرياضيات والطبيعيات ونحوها فقد كانت من جملة ما طالعه من علوم القدماء وما اختبره بنفسه.وكان غرض ارسطو ايضاح الفلسفة بالعلم واخضاع كل بحث عقلي او نظري الى النواميس الطبيعية . ولم يكن يهمه تزويق العبارة او



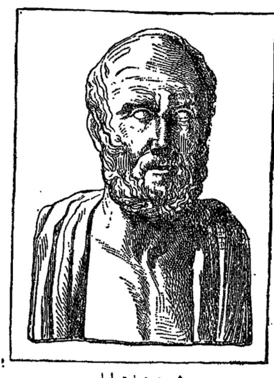
ش ٣ : ارسطو

برقشة الالفاظ وانما كان يهمه الغرض الاصلي من الموضوع . فكان يبذل جهده في تجريد عبارته من الخيالات الشعرية التي مازجت فلسفة افلاطون

والكتب التي ثبتت نسبتها الى ارسطو ١٩ كتاباً نقل معظمها الى اللغة العربية . وقد ذكرناها مع كتب افلاطون في الصفحة ١٥١ وما بعدها من تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣

الطب والنجوم

والطب ايضاً من ثمار تلك النهضة على اثر الحرب المورية وكان اليونان قبل ذلك يعالجون مرضاهم بالكهانة وينسبون الامراض الى اعمال الشياطين والعلاجات الى أعمال الآلهة . وكان الفلاسفة يتكلمون في الطب باعتبار انه فرع من الطب الطبيعي ولم يستقلّ احد منهم بالبحث فيه . وأول من رتب الطب وبوبه وبناه على اسس صحيحة ابقراط المتوفي سنة ٣٥٧ ق.م ولذلك سموه ابا الطب . وهو من نتاج الحرب المورية نشأ في اثنائها ونبغ بعد انقضائها وسافر الى سوريا ولعله اطلع على طب البابليين والمصريين فاضافهما الى طب اليونان والف فيه الكتب . واساس معالجته الاعتماد



ش ٤ : ابقراط

على الطبيعة وكان يفصد ويحجم ويكوي ويحقن ويشخص الامراض بالسماعة ويصف المسهلات النباتية والمعدنية. وله كتب في الطب كثيرة ذكروا منها ٨٧ كتاباً ولم يثبت له منها الا نحو العشرين ونقلت في جملة ما نقله المسلمون من كتب الطب الى العربية. وما زالت كتب ابقراط معوّل الاطباء الى العصر الجديد وفيهم من شرحها او فسرها او ترجمها او علق عليها

وممن اشتغل من اليونانيين في ترقية العلوم الطبية بعد ابقراط ارسطو وغيره من الفلاسفة العظام فلما انشئت مدرسة الاسكندرية على عهد البطالسة كان للطب شأن كبير فيها

والنجوم او علم الفلك قديم عند سائر الامم كما قد رأيت في كلامنا عن علوم العرب قبل الاسلام . اخذ اليونان مبادىء هذا العلم عمن سبقهم من أمم التمدن القديم على يد الفينيقيين وتوسعوا فيه من عند أنفسهم . وكان النظر فيه من جملة ابحاث الفلاسفة واقدمهم طاليس . وقل من جاء بعده من فلاسفة اليونان ولم يتعرض لهذا الفن واشهرهم فيه انكسيمندر وانكسيمينس وانكساغوراس. وكان للقسم الايطالي من بلاد اليونان عناية كبرى في النجوم ومقدام فلاسفتهم فيه فيثاغورس الشهير المتوفي سنة ٥٠٠ ق.م اخذ بعض هذا العلم من مصر وتوسع فيه وتبعه في ذلك

كثيرون . ويكاد لا يخلو فيلسوف يوناني من النظر في النجوم واحكامها مما يطول شرحه . على ان هذا العلم بلغ قمة مجده في مدرسة الاسكندرية .

ويقال نحو ذلك في سائر العلوم الرياضية كالحساب والهندسة فقد اشتغل فيها الفلاسفة لكنها لم تنضج الا في مدرسة الاسكندرية على يد اوقليدس .



ش ٥ : اوقليدس

وقد عقدنا فصلاً عن تاريخ مكتبة الاسكندرية وهل احرقها العرب في الجزء الثالث .



ش ٦ : ارخميدس

من تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ٤٠ و ١٢٣ وفصلاً في الهلال الاول من السنة العشرين وقد زهت الاسكندرية بالرياضيات والطب والفلسفة ونبغ فيها الرياضيون. ومنهم اوقليدس وارخميدس وابولونيوس من اهل القرن الثالث قبل الميلاد. وهيبارخس من اهل القرن الثاني . وفيها ظهر بطليموس القلوذي الجغرافي والرياضي، في اواسط القرن الثاني بعد الميلاد فوضع كتاب المجسطي وكان عليه المعول في مدارس العالم الى عهد غير بعيد والف ايضاً كتاب الجغرافية الشهير . واشتغل علماء الاسكندرية خصوصاً برصد الافلاك واستخراج الازياج وظل مرصدهم وحيداً في العالم الى ايام الاسلام



ش ٧ : جالينوس

اما الطب فكان يعلم في مدرسة برغامس .فلما زهت مدرسة الاسكندرية توجهت الانظار اليها وعمدة التدريس فيها على مؤلفات ابقراط لكنهم اشتغلوا ايضاً في التشريح، وفاقوا به سواهم

وانقسم اطباء الاسكندرية في الطب الى حزبين حتى ظهر جالينوس في أواخر القرن الثاني للميلاد فانتهى الطب اليه واصبحت كتبه معوّل الناس فيه . وللطب والفلسفة في مدرسة الاسكندرية تاريخ طويل لخصناه في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي

آداب اللغة الفارسية

الفرس من الشعوب الآرية اخوان الهنود واليونان وهم امة قديمة حاربت اليونان قبل المسيح ببضعة قرون فجردت على بلادهم جيشاً قد يمتنع على أعظم دول الارض اليوم حشده ونقله بمهماته ومؤونته من اوسط اسيا الى البحر الابيض . فكيف منذ بضعة وعشرين قرناً . فالدولة التي هذا مبلغ قوتها لاتخلو من ادب وعلم والفرس أهل ذكاء وتعقل وفيهم استعداد فطري لاسباب التمدن فلا بد من اجادتهم في نظم الشعر على نحو ما فعل اخوانهم الهنود في المهابهاراتة ونحوها وان كان ما وصل منه الينا قليلاً . ناهيك بالعلوم القديمة التي هي من قبيل الطبيعيات والرياضيات كالنجوم والانواء فقد احرزوا شيئاً منها وخصوصاً لانهم ورثوا البابليين والاشوريين واحتكوا باليونان وهم في ابان تمدنهم واختلطوا بجيرانهم الهنود . وكانوا يعرفون الكتابة وينقشونها على الاحجار باللغة الفهلوية . ويؤيد ذلك ما جاء في كتب الاخبار عن فتوح الاسكندر بلاد فارس وما عثر عليه في عاصمتهم اصطخر من خزائن الكتب وفيها ما كان قد جمعه الفرس من علوم الهند والصين الى تلك الايام

والمشهور ان علوم الفرس لم تأخذ في الظهور الا في ايام سابور بن ازدشير فبعث الى بلاد اليونان استجلب كتب الفلسفة وامر بنقلها الى الفارسية [١] واختزنها في مدينته واخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى انو شروان العادل (من سنة ٥٣١ — ٥٧٨ م) فتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستنيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على اثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الافلاطونية الجديدة قد نضجت ففرَّ بعض اصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم وجاء منهم سبعة الى انو شروان فاكرم وفادتهم وامرهم بتأليف كتب الفلسفة او نقلها الى الفارسية فنقلوا المنطق والطب [٢] والفوا فيهما الكتب فطالعها هو ورغب الناس فيها . وعقد المجالس للبحث والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا انو شروان انه من تلامذة افلاطون . والمظنون ان تلك الفلسفة كانت اساساً لتعاليم الصوفية التي نشأت بعد ذلك

(١) ابو الفداء ٥٠ ج ١ (٢) الفهرست ٢٤٢

ولم يقتصر انو شروان على نقل علوم اليونان الى لسانه ولكنه نقل علوم الهنود ايضاً من السنسكريتية الى الفارسية [١] وانشأ في جند بسابور مارستاناً (مستشفى) لمعالجة المرضى وتعليم صناعة الطب استقدم اليه الاطباء من الهند وبلاد اليونان وكانوا يعلمون فيه الطبين الهندي والابقراطي فجمع بين الحسنين

آداب اللغة السريانية

كان للسريان تمدن قديم وانما يهمنا في هذا المقام ما كان عندهم من علوم الفلسفة التي اشتغلوا بنقلها . وهم في ذلك تلامذة اليونان لانهم تعلموا فلسفتهم وطبهم وسائر علومهم كما تعلمها الرومان قبلهم واقتبسها الفرس معهم وكما تعلمها المسلمون بعدهم . والسريان اهل ذكاء ونشاط فكانوا كلما اطمأنت خواطرهم من مظالم الحكام وتشويش الفاتحين انصرفوا الى الاشتغال في العلم فانشأوا المدارس للاهوت والفلسفة واللغة ونقلوا علوم اليونان الى لسانهم وشرحوا بعضها ولخصوا بعضها . ومنهم خرج اكثر الذين ترجموا العلم للعباسيين واكثرهم من النساطرة . ونقتصر هنا على ذكر اشتغالهم في العلم لا نفسهم

كان للسريان في مابين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم بالسريانية واليونانية أشهرها مدرسة الرها وفيها ابتدأ السريان يشتغلون بفلسفة ارسطو في القرن الخامس للميلاد . وبعد ان تعلموها اخذوا في نقلها الى لسانهم فنقلوا المنطق في اواسط القرن المذكور.ثم اتم دراسة المنطق سرجيس الراس عيني الطبيب المشهور وفي المتحف البريطاني بلندرا نسخ خطية من ترجمته الايساغوجي الى السريانية . وكذلك مقولات ارسطو لفرفوريوس وكتاب النفس وغيرها وقد نشر بعضها من عهد قريب

في اوئل القرن السابع للميلاد اشتهرت مدرسة قنسرين على الفرات بتعليم فلسفة اليونان باللغة اليونانية وتخرج فيها جماعة كبيرة من السريان وفي جملتهم الاسقف سورس فقد انقطع فيها لدرس الفلسفة والرياضيات واللاهوت . ولما تمكن من تلك العلوم نقل بعضها الى السريانية ولاتزال بعض ترجماته في الفلسفة محفوظة في المتحف البريطاني . وقد اتمها بعده تلميذه يعقوب الرهاوي واضع علم النحو السرياني واثناسيوس

---

(١) E. Browne's Lit, Hist. of Persia, 167

بلد . ومن تلامذته اثناسيوس جورجيوس المعروف باسقف العرب (٦٨٦ م) فقد ترجم بعض كتب ارسطو . واشتغل جماعة آخرون في ترجمة كتب افلاطون وفيثاغورس وغيرها مما يطول شرحه. واشتهرت هناك مدارس اخرى كمدرسة نصيبين التي كان عدد تلامذتها نحو ثمانمائة وكانت تعلم كل العلوم العقلية والنقلية

اما الطب فقد كان لهم فيه حظ وافر على اثر انشاء مارستان جند يسابور واشتهر فيهم من اهل هذه الصناعة كثيرون منهم سرجيس الراس عيني المتقدم ذكره واناتوس الامدى وشمعان الطيبوتي والاسقف غريغوريوس والبطريرك ثيودوسيوس وغيرهم من الاطباء الذين ادركوا الدولة العباسية وخدموها

وقد نقل اطباء السريان كثيراً من كتب الطب من اليوناني الى السرياني حتى في اثناء اشتغالهم بنقلها الى العربية لانهم كانوا كثيراً ما ينقلونها الى السرياني فقط او الى السريانية والعربية معاً

آداب اللغة الهندية

الهنود امة قديمة والطبقة العليا منهم اخوان الفرس واليونان وقد نظموا الملاحم ودونوا الاخبار شعراً من قديم الزمان ولهم آداب خاصة وتواريخ خاصة تولدت عندهم بتوالي القرون كما يستدل من مراجعة تواريخهم ودرس احوالهم . حتى كثيراً ما كان ملوك الفرس يستعينون باطبائهم كما فعل انو شروان في مارستان جنديسابور وكما وقع للخلفاء العباسيين في اوائل نهضتهم فانهم كانوا يستقدمون الاطباء من الهند ويستشيرونهم في امراضهم بعد ان تفرغ حيل اطباء الفرس والسريان في معالجتهم . لان للطب الهندي طرقاً غير ما للطب اليوناني او الفارسي . وقد اشتهر منهم عدة أطباء ألفوا في الهندية ونقل المسلمون بعض كتبهم الى العربية ومنهم منكه وصنجهل وشاناق وغيرهم

وكانت لهم معرفة حسنة بالنجوم ومواقعها وابراجها ولها اسماء خاصة بلسانهم وكان لهم فيها ثلاثة مذاهب مذهب الارجهير ومذهب الاركند ومذهب ثالث يقال له بالسنسكريتية سدهنتا Siddhânta هو عبارة عن زيج ذكروا فيه آراءهم في حركات الكواكب . وهو الذي وصل الى العرب ونقلوه الى لسانهم وسموه السند هند . والهنود هم الذين

اخترعوا الارقام وعنهم اخذها العرب . ولهم طرق خاصة في الحساب اكتسبها العرب عنهم وكان لهم معرفة بفن الموسيقى ولهم فيها كتب ترجم المسلمون بعضها الى العربية

نقل الكتب ونقلتها

تلك حال العلوم والآداب عند الأمم المتمدنة لما اخذ المترجمون في نقلها الى اللغة العربية في العصر العباسي الاول . اما الخلفاء الذين اهتموا بذلك النقل فهم المنصور كان اكثر اهتمامه بالنجوم والطب. والمهدي قلما اشتغل بذلك. وكذلك الرشيد لم ينقل في ايامه الا كتاب المجسطي . ثم المأمون وهو الذي اهتم بنقل كتب الفلسفة والمنطق على الخصوص وسائر العلوم على العموم [١]

اما نقلة العلم في العصر العباسي فهم من اهل العراق والشام وفارس والهند رغبهم الخلفاء في ذلك بالبذل الكثير وجعلوا لبعضهم رواتب وجواري وبالغوا في اكرامهم ومحاسنتهم. واكثرهم من السريان النساطرة لانهم اقدر على الترجمة من اليونانية واكثر اطلاعاً على كتب الفلسفة والعلم اليوناني : اشهرهم آل بختيشوع سلالة جورجيس بن بختيشوع السرياني النسطوري طبيب المنصور . وآل حنين سلالة حنين بن اسحق العبادي شيخ المترجمين احد نصارى الحيرة وله تاريخ طويل. وحبيش الاعسم الدمشقى ابن اخت حنين . وقسطا بن لوقا البعلبكي من نصارى الشام . وآل ماسرجويه اليهودي السرياني وال الكرخي. وآل ثابت الحراني من الصابئة والحجاج بن مطر وابن ناعمة الحمصي ويوحنا بن ماسويه واسطفان بن باسيل وموسى بن خالد وسرجيس الراسي ويوحنا بن بختيشوع من غير آل بختيشوع المتقدم ذكرهم . والبطريق ويحي بن البطريق وابو عثمان الدمشقي وابو بشر متى بن يونس ويحي بن عدى . هؤلاء اشهر نقلة العلم من اليوناني او السرياني الى العربي وبعضهم تجاوز العصر العباسي الاول

واما النقلة من الالسنة الاخرى فمنهم من نقل من الفارسية الى العربية كابن المقفع وال نوبخت كبيرهم نوبخت ولابنه الفضل بن نوبخت نقل من الفارسي الى العربي في النجوم وغيرها . ومنهم موسي ويوسف ابنا خالد وكانا يخدمان داود بن عبد الله بن حميد بن قحطبة وينقلان له من الفارسية الى العربية . وعلي بن زياد التميمي ويكنى ابا الحسن نقل من الفارسي الى العربي كتاب زيج الشهريار . والحسن

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٤٠ ج ٣



ش ٨ : يوحنا بن ماسويه

ابن سهل وكان من المنجمين . والبلاذري احمد بن يحيى . وجبلة بن سالم كاتب هشام . واسحق بن يزيد نقل سيرة الفرس المعروفة باختيار نامه. ومنهم محمد بن الجهم البرمكي وهشام بن القاسم وموسى بن عيسى الكردي وعمر بن الفرخان وغيرهم

ومن الذين نقلوا عن اللغة السنسكريتية (الهندية) منكه الهندي كان في جملة اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي ينقل من اللغة الهندية الى العربية . وابن دهن الهندي وكان اليه مارستان البرامكة نقل من الهندي الى العربي (١)

ومن الذين نقلوا عن اللغة النبطية (الكلدانية) الى العربية ابن وحشية نقل كتباً كثيرة اهمها كتاب الفلاحة النبطية

وهناك طبقة من النقلة اشتغلوا بنقل العلم من عند انفسهم اشهرهم بنو شاكر أو بنو موسى لأنهم اولاد موسى بن شاكر وهم محمد واحمد والحسن وعرف اولادهم بعدهم ببني المنجم. كان موسى يصحب المأمون والمأمون يرعى حقه في اولاده هؤلاء . واشتغلوا في الهندسة والنجوم والطبيعيات والميكانيكيات وغيرها . وأتعبوا انفسهم في جمع الكتب

(١) الفهرست ٢٤٥

القديمة من بلاد الروم وأحضروا النقلة بالبذل لنقلها . وممن بذلوا المال في نقل العلم غير الخلفاء محمد بن عبد الملك الزيات وعلي بن يحيي المعروف بابن المنجم ومحمد بن موسى ابن عبد الملك وابرهيم بن محمد بن موسى الكاتب وغيرهم

الكتب التي نقلت

اما الكتب التي نقلت في ذلك العصر فعددها بضع مئات اكثرها من اليونانية منها ٨ في الفلسفة والادب لافلاطون و١٩ كتاباً في الفلسفة والمنطق والادب لارسطو و ١٠ في الطب لابقراط و٤٨ في الطب لجالينوس . وبضعة وعشرون كتاباً في الرياضيات والنجوم لاوقليدس وارخميدس وابلونيوس ومنالاوس وبطليموس وابرخس وذيوفنطس وغيرهم

واما منقولات اللغات الاخرى فمنها نحو عشرين كتاباً نقلت عن الفارسية في التاريخ والادب . ونحو ٣٠ كتاباً من اللغة السنسكريتية واكثرها في الرياضيات والطب والنجوم والادب . ونحو عشرين كتاباً عن اللغة السريانيـة او النبطية اكثرها في السحر والطلسمات الا كتاب الفلاحة النبطية في الزراعة . وهناك بضعة كتب نقلت عن اللاتينية والعبرانية

الخلاصة

وجملة القول ان المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ماكان معروفاً من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والادبيات عند سائر الامم المتمدنة في ذلك العهد . ولم يغادروا لساناً من السن الامم المعروفة اذ ذاك لم ينقلوا منه شيئاً وان كان اكثر نقلهم عن اليونانية والفارسية والهندية . فأخذوا من كل امة احسن ما عندها فكان اعتمادهم في الفلسفة والطب والهندسة والموسيقى والمنطق والنجوم على اليونان . وفي النجوم والسير والآداب والحكم والتاريخ والموسيقى على الفرس . وفي الطب (الهندي) والعقاقير والحساب والنجوم والموسيقى والاقاصيص على الهنود . وفي الفلاحة والزراعة والتنجيم والسحر والطلاسم على الانباط او الكلدان . وفي الكيمياء والتشريح على المصريين . فكأنهم ورثوا اهم علوم الاشوريين والبابليين والمصريين والفرس والهنود

واليونان وقد مزجوا ذلك كلــه وعجنوه واستخرجوا منه علوم التمدن الاســلامي (الدخيلة)

ومما نلاحظه من امر ذلك النقل ان العرب مع كثرة ما نقلوه عن اليونان لم يتعرضوا لشيء من كتبهم التاريخية او الادبية او الشعر مع انهم نقلوا ما يقابلها عند الفرس والهنود ، فقد نقلوا جملة صالحة من تواريخ الفرس واخبار ملوكهم وترجموا الشاهنامة . ولكنهم لم ينقلوا تاريخ هيرودوتس ولا جغرافية استرابون ولا الياذة هوميروس ولا اوذيسته . والسبب في ذلك ان اكثر ما بعث المسلمين على النقل رغبتهم في الفلسفة والطب والنجوم والمنطق . واما التواريخ والاداب فقد كان التراجمة ينقلونها غالباً من عند انفسهم حباً في اظهار مآثر اسلافهم او جيرانهم فالمترجمون الفرس نقلوا شيئاً من تواريخ الفرس وآدابهم وكذلك فعل التراجمة السريان بآداب اجدادهم وكذلك التراجمة الهنود. فلو كان في اولئك المترجمين واحد او غير واحد من اليونان لنقلوا كثيراً من تواريخ امتهم وأشعارها . ولا ريب ان من جملة ما منعهم من نقل الالياذة الى العربية ذكر الآلهة والاصنام فيها . ولكن في الشاهنامة ايضاً كثيراً من ذلك فلم يمنعهم من نقلها لكن الترجمة ضاعت

ويلاحظ ايضاً أن العرب نقلوا من علوم تلك الامم في قرن وبعض القرن ما لم يستطع الرومان بعضه في عدة قرون وذلك شأن المسلمين في اكثر اسباب تمدنهم العجيب

ولا يستخف بما اقتضاه ذلك النقل عن اشهر امم الارض في ذلك العصر من التأثير في الآداب الاجتماعية والآراء العمومية . وخصوصاً مما نقل عن الفارسية لان معظمه في الادب والتاريخ . كما اثر في آدابنا الاجتماعية ما نقلناه في نهضتنا هذه عن الافرنج فضلاً عن دخول الفرس في كل باب من ابواب الدولة . فدخل الاداب العربية والافكار العربية كثير من آداب الفرس الساسانيين وافكارهم اقتبسها العرب من الكتب التي نقلت عنهم ولم يبق منها الا الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ونتف متفرقة في بعض الكتب . وقد درس هذا الموضوع المستشرق اينوسترانسيف الروسي ووضع فيه كتاباً طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩ (١)

وعلى هذه المنقولات بنى المسلمون ما ألفوه في هذه العلوم في اثناء تمدنهم غير ما اختبروه واضافوه اليها من عند انفسهم . واكثر منقولاتهم ومؤلفاتهم ضاعت ولم يبق منها الا بعضها وعلى هذا البعض كان معول الاوربيين في نهضتهم الاخيرة لانشاء تمدنهم الحديث بما نقلوه منها الى ألسنتهم كما سنبينه في مكانه

(١) المشرق ٣٩٢ سنة ١٣

الباقي من المنقولات الى الآن

اما الباقي من الترجمات المتقدم ذكرها الى الآن فلا يتجاوز بضع عشرات مشتتة في مكاتب اوربا — اليك بعضها على سبيل المثال :

كتاب المجسطي لبطليموس ترجمة الحجاج بن يوسف بن مطر منه نسخة خطية في مكتبة ليدن

كتاب السياسة في تدبير الرياسة ترجمة يوحنا بن البطريق منه نسخ في مكاتب برلين ومنشن وغيرها

ولقسطا بن لوقا البعلبكي عدة آثار من نقله وتأليفه . منها رسائل في الطب والاخبار ذكرها بروكلمن في كتابه آداب اللغة العربية واشار الى اماكن وجودها (صفحة ٢٠٤ ج ١)

ولحنين بن اسحق بقايا حسنة من منقولاته اشهرها المدخل في الطب في مكتبة الاسكوريال ومسائل في الطب للمتعلمين في مكتبة برلين واجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكماء في مكتبة منشن . وكتاب النواميس وغيرها

ولابنه اسحق بن حنين كتاب في منطق ارسطو

وليعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب بقايا من مؤلفاته سيأتي ذكرها في ترجمته في الدور العباسي الثاني

وسنأتي على مشاهير النابغين في العلوم الدخيلة فيما يلي من هذا الكتاب ولا سيما الذين اشتغلوا بغيرها . وانما اجملنا الكلام هنا وتجاوزنا في اجماله العصر العباسي الاول رغبة في الاختصار للسبب الذي قدمناه من صرف العناية فيما نرجو نفعه للقراء فعلاً . ولنعد الى الكلام في العلوم العربية الاصلية

العلوم العربية الاصلية

في العصر العباسي الاول

١ اللغة

اصاب اللغة في هذا الدور تغيير كثير في الفاظها بما نقل اليها من العلوم الدخيلة وما اقتضاه التمدن من الالفاظ الادارية وما استلزمه التوسع في العلوم الاسلامية وغيرها من الاوضاع والمصطلحات العلمية والفلسفية والادارية لتأدية ما حدث من المعاني الجديدة مما لم يكن له مثيل في لسان العرب ، كما هو شأننا اليوم في نقل العلم الحديث الى لساننا . وكانوا يومئذ احوج الى اقتباس الالفاظ الاعجمية وتنويع المعاني العربية . ولم تقتصر تلك النهضة على اقتباس الالفاظ الاعجمية وتبديلها ولكنها احدثت تنويعاً في معاني الالفاظ العربية واليك امثلة من ذلك :

الالفاظ العلمية العربية

اهمها الالفاظ الطبية ولم يكن منها في الجاهلية الامفردات كالحجامة والكي ونحوها فحدث منها ما يدل على فنون الطب كالكحالة والصيدلة والتشريح والجراحة والتوليد ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن كاسماء الرطوبات والامزجة والاخلاط من الحار والبارد والجاف واليابس والسوداء والصفراء والبلغم والنبض والتخمة والانذار والهضم والبحران والمشاركات

واسماء الادوية كالمسخنات والمبردات والمرطبات والمجففات والمسهلات والنطولات والمخدرات والاستفراغات والسعوطات والادهان والمراهم والاطلية

وافعال تلك الادوية مثل ملطف ومحلل ومنضج ومخشن وهاضم وكاسر الرياح ومخمر ومحكك ومقرح واكال ولاذع ومفتت ومعفن وكاو ومبرد ومقوّ ومخدر ومرطب وعاصر وقابض ومسهل ومدرّ ومعرق ومزلق ومملس وترياق وغير ذلك

ومن الالفاظ الجراحية الفسخ والهتك والوثي والرض والخلع والفتق وتفرق الاتصال ومفارقة الوضع والجبار وغيره

ناهيك باسماء الامراض او اعراضها كالصداع والكابوس والصرع والتشنج واللقوة والرعشة والاختلاج والسرطان والسلاق والشترة والشرناق والخانوق والذبحة والربو وذات الجنب وذات الرئة والجهر والضمور والخفقان والغشيان واليرقان والاستسقاء

والدبيلة والاسهال والزحير والسحج والسدد والهيضة والبواسير ونحو ذلك مما لا يمكن حصره

ومن اوصاف الامراض انواع الحميات كالمزمنة والحادة والمختلطة والغب والمطبقة والربع والدق وغيرها . غير الالفاظ التشريحية كأسماء الاوعية الدموية ورطوبات العين وسائر الاعضاء الباطنية التي لم يكن العرب يعرفونها

ويليها الالفاظ الفلسفية ونحوها من مصطلحات الفلسفة والمنطق وما تفرع منها كعلم الكلام والتصوف والفقه ونحوه . وهي كثيرة تفوق الحصر كقولهم الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفي والحركة والسكون والماسة والمباينة والوجود والعدم والطفرة والاجسام والاعراض والتعديل والتحرير والمصاف من اصطلاحات علم الكلام. والهاجس والمريد والسالك والمسافر والسطح والقطب والهيبة والانس والبقاء والعناء والشاهد والفترة والمجاهدة من اصطلاحات التصوف

وقد تكاثرت الاصطلاحات الكلامية والصوفية والفقهية والاصولية حتى صارت تعد بالالوف فاضطروا الى وضع المعجمات الخصوصية لتفسيرها وشرح ما اكتسبته من المعاني المختلفة باختلاف تلك العلوم . ومن اشهر تلك المعجمات كتاب « التعريفات » للجرجاني في نيف ومائة صفحة و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي في نحو الفي صفحة كبيرة و« كليات ابي البقاء » في اربعمائة صفحة و « اصطلاحات الصوفية » الواردة في الفتوحات المكية وغيرها . فاذا ذكروا لفظاً اوردوا معناه اللغوي ثم معناه الاصطلاحي في الفقه او الكلام او التصوف او الاصول مع ما يناسب ذلك من المعاني الرياضية او الطبيعية او النحوية . وقد يغفلون المعنى اللغوي على الاطلاق

الالفاظ العلمية الاعجمية

ونريد بها ما اضطر المترجمون الى نقله من لغته بلفظه ومعناه . واكثر ما يكون ذلك في اسماء العقاقير والامراض والادوات والمصنوعات مما لم يكن له نظير في بلادهم كالافسنتين والبقدونس والزيزفون والسقمونيا والفنطاريون والمصطكي من اللغة اليونانية ، والبابونج والبورق والبنج وخيار شمبر والزاتينج والرجون والزرنيخ والزاج والسرقين والاسفيداج والشاهترج والشيرج والمرداسنج من اللغة الفارسية

ومن اسماء الامراض ونحوها من الاستعمالات الطبية القولنج والترياق والكيموس والكيلوس وقيفال ولومان ومالنخوليا من اليونانية . وسرسام ومارستان من الفارسية

ومن المصنوعات والادوات الاصطرلاب والقيراط والانبيق والصابون من اليونانية

والبركار والبوتقة والجزار والدسكرة والاسطوانة من الفارسية

ومن الاصطلاحات الفلسفية ونحوها الهيولى والاسطقس والفلسفة والطاسم والمغنطيس والاقليم والقاموس والقانون من اليونانية — غير ما اقتبسوه من اللغة الهندية واكثره من اسماء العقاقير ونحوها

فترى مما تقدم ان اهل تلك النهضة لم يكونوا يستنكفون من اقتباس الالفاظ الاعجمية ولم يتعبوا انفسهم في وضع الفاظ عربية لتأدية المعاني التي نقلوها عن الاعاجم بل كانوا كثيراً ما يستخدمون للمعنى الواحد لفظين من لغتين اعجميتين . فالسرسام مثلاً اسم فارسي لورم حجاب الدماغ استعمله العرب للدلالة على هذا المرض ولما ترجموا الطب من لغة اليونان استخدموا اسمه اليوناني وهو « قرانيطس » ولو استنكفوا من استخدام الالفاظ الاعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعاً

التراكيب الاعجمية في اللغة العربية

قياساً على ما نشاهده من تطرق العجمة الى اسلوب كتبة اهل هذا العصر فيما ينقلونه من الافكار الاعجمية نعتقد ان اسلافنا في النهضة العباسية دخل اسلوبهم شيء من ذلك وان كنا لا نستطيع تتبعه الى اصوله تماماً لتباعد عهده واختلاطه. على اننا اذا فحصنا لغة ذلك العصر وقابلنا بين عبارة كتب الطب والفلسفة وعبارة كتب الادب رأينا الفرق بينهما واضحاً .واذا دققنا النظر في سبب ذلك راينا عبارة اصحاب الفلسفة تمتاز بامور هي سبب ضعفها وركاكتها اهمها :

(١) استخدام فعل الكون بكثرة على نحو ما يستعمله اهل اللغات الافرنجية

(٢) كثرة الجمل المعترضة الشائعة عندهم

(٣) الاكثار من استعمال الفعل المجهول

(٤) استعمال ضمير الغائب « هو » بين المبتدا والخبر حيث يمكن الاستغناء عنه

(٥) ادخال الالف والنون قبل ياء المتكلم في بعض الصفات كقولهم روحاني ونفساني وباقلاني ونحو ذلك مما هو مألوف في اللغات الآرية ولا يستحسن في اللسان العربي

ومن التعبيرات التي اقتبسها العرب من اللغة اليونانية ما لم يكن لهم مندوحة عنها ولا بأس منها :

(١) تركيب الالفاظ مع لا النافية وادخال أل التعريف عليها كقولهم اللانهاية واللاأدرية واللاضرورة

(٢) صوغ الاسم من الحروف او الضمير مثل قولهم اللمية والكيفية والكمية والهوية والماهية

(٣) نقل الالفاظ الوصفية الى الاسمية كقولهم المائية والمنضجة والخاصة

ومن هذا القبيل اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل قولهم «صاحب الشرطة» و «صاحب الستار» وهو تعبير فارسي . غير ما اصاب اللغة من التغيير في الفاظها على الاجمال على اثر نموها وبما طرأ على الآداب الاجتماعية من التغيير فضلاً عن التجارة والصناعة . وما اقتضاه ذلك من تنوع الالفاظ العربية او اقتباس الالفاظ الاعجمية غير العادات والاخلاق ونحوها . وغير ما اقتضاه ناموس الارتقاء من النمو والتجدد والتنوع والتفرع. وقد عقدنا فصلاً ضافياً في هذا الباب في كتابنا تاريخ اللغة العربية تجاوزنا فيه هذا الدور الى ما يليه من الادوار العباسية (صفحة ٣٧ — ٤٠) وفصلاً في الالفاظ النصرانية واليهودية والتراكيب السريانية والعبرانية التي دخلت هذه اللغة في اثناء التمدن الاسلامي (صفحة ٤١ — ٤٣) فلتراجع هناك

مآخذ لهذا الموضوع

ومن الكتب التي يمكن الرجوع اليها في هذا الموضوع غير كتاب تاريخ اللغة العربية المتقدم ذكره «كتاب التعريفات» للجرجاني المتوفي سنة ٨١٦هـ ويشتمل على المصطلحات الفقهية والنحوية وغيرها مرتبة على حروف المعجم ، وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٥ وفي مصر . و«درة الغواص» للحريري طبع في مصر وغيرها . و« شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ طبع بمصر سنة ١٢٨٢ . و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي سنة ١١٥٨ هـ طبع في كلكتة سنة ١٨٦١ و«المعرب من الكلام الاعجمي» لابي منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ طبع في ليبسك سنة ١٨٦٧ وكتاب « المعرب والدخيل » لاحد ابناء القرن الحادي عشر للهجرة ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . و «المغرب في ترتيب المعرب » لابي الفتح المطرزي منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . غير المعاجم اللغوية وكتب اللغة

الشعر

في العصر العباسي الاول

الانتقال الاجتماعي

انتقل الشعر في الدولة العباسية انتقالاً كبيراً مثل انتقال الامة العربية من البداوة الى الحضارة ومن شظف العيش الى الرخاء ومن الملابس الخشنة الى الناعمة. فتحضر كثيرون من الشعراء وشاركوا اهل الحضارة باخلاقهم وشعورهم. وبعد ان كانوا يقيمون في المضارب لاتقع عين احدهم الا على صحراء قاحلة تسفي الرياح رمالها يبيت فيها حذراً خائفاً من غارات الاعداء ودبابات الصحراء. لا عشير له الاّ جواده او ناقته ـ اصبح وقد اركن الى الرخاء يقيم في القصور تكتنفها الحدائق فيها من كل فاكهة زوجان تجري فيها المياه مدبرة في الاحواض والاقنية تحف بها الازهار بأزهى الالوان وتسرح في اكنافها الاطيار الداجنة من جميل الريش ورخيم الصوت. وبعد ان كان يرتدي العباءة من شعر الجمل وينتعل الحفاء او يحتذي النعال من الخوص او الحبال لبس الحرير والوشي ـ وانتعل الخف والجورب وتخفف بالغلائل والملايات. واستبدل المضارب وفرشها الرمال بقاعات فرشها البسط والسجاد وعلى جدرانها الستائر من الخز والديباج بمسامير الفضة عليها طراز الذهب. وقد ضعفت انفة البداوة وحل عقال الحشمة وترك الناس وشأنهم ينغمسون بما يشاءون. وقد تدفقت عليهم الاموال بلا حساب وتكاثر الذهب بين ايديهم. فانتشر التهتك وذهبت الغيرة بشيوع التسري وانتشار المسكر. وللشعراء الحظ الاوفر من ذلك لترددهم على مجالس الغناء واختلافهم الى الخلفاء والوزراء والامراء من اهل البذخ والترف والرخاء فانطبعت في مخيلاتهم صور لم تألفها اهل البادية.

فلا غرو اذا اختلف الشعر في هذا العصر عما كان عليه في الدولة الاموية لرغبة الامويين بالبداوة والاخذ بناصر العرب وتحقير سواهم. فكان اكثر شعرائهم من اهل البادية يفدون عليهم من البصرة والكوفة او الحجاز او نجد ويندر فيهم المتحضرون. اما الدولة العباسية فاصحابها كانوا يرمون الى غرض يخالف ذلك ـ كان العباسيون

يرون تقديم غير العرب ويودون التخلص من العرب والاستغناء عن جزيرة العرب . حتى حبب بعضهم الى المنصور ان يستبدل الكعبة بما يقوم مقامها في العراق وتكون حجا للناس (١) وفعل ولم يفلح

فاختلاف طبائع الناس في الدولة العباسية عما كانوا عليه في العصر الاموي طبيعي وفي جملتهم الشعراء وخيالهم ـ واليك اهم مميزات الشعر والشعراء في العصر العباسي الاول

مميزات الشعر

في العصر العباسي الاول

يختلف الشعر العربي في هذا العصر عنه في العصر الاموي مثل اختلاف العصرين بالاحوال السياسية والاجتماعية والادبية لان الشعر مرآة اخلاق الامة وآدابها وسائر احوالها . فخصائص الشعر في هذا العصر ترجع الى ما يأتي :

١ ـ طريقة النظم

يشتمل الشعر على الخيال الشعري وهو المعنى . وعلى القالب الذي يسبك فيه ذلك المعنى وهو الكلام المقفى الموزون او النظم . واهم ما يلاحظ في النظم ثلاثة امور : (١) طريقته وهي الخطة التي يجري عليها الشعراء في تنسيق المعاني (٢) الاسلوب وهو العبارة التي يختارونها للتعبير (٣) اللفظ

ومن القواعد الاساسية في تاريخ الشعر ان يتبع في اسلوبه ولفظه وطريقته حال الامة التي تقوله فيتنوع شعرها بتنوع نظام اجتماعها وسائر احوالها . ولكن العرب ظلوا الى عهد غير بعيد يتحدون طريقة الجاهليين فيما ينظمونه . فيستهلون قصائدهم بذكر الرحيل والاطلال والابل وغيرها من خصائص الجاهلية. حتى الالفاظ فانهم كثيراً ما يقلدونهم بها وفيها الوحشي الذي لا يلائم المدنية لان وحشي الكلام لوحشي الناس

والسبب في تمسكهم بالقديم رسوخ الاعتقاد بافضلية آداب الجاهلية وشعراء الجاهلية اذ كان اليها مرجعهم في صدر الاسلام لتحقيق الالفاظ والتراكيب. ثم عظم الامويون مناقب الجاهلية وطباع البداوة لرغبتهم في تأييد العرب ودولة العرب. فرسخ في اذهان الناس ان مناقب الجاهلية افضل ما يتبع . فلما تغلب العباسيون بانصارهم الفرس وغلب العرب على امرهم وعلت كلمة الفرس اخذ ذلك الاعتقاد بالزوال

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٣٠ ج ٢

اما من حيث الاسلوب فان الشعر الجاهلي عريقٌ في البلاغة مع سلامته من الركاكة والعجمة . واما الخيال الشعري فيرى بعض العلماء ان العقل البشري سائر نحو الارتقاء في كل سبيل الا من حيث الخيال الشعري فانه لايزال في مكانه ـ هذا هوميروس لايزال نابغة الشعراء وقد مرَّ عليه نحو ٣٠٠٠ سنة والناس يتقدمون في كل شيء

وانظر الى امرىء القيس والنابغة وزهير وغيرهم من الجاهليين فانهم لا يزالون يعدون من نوابغ الشعراء الى الآن . على ان للشعر العربي شأناً خاصاً من حيث الاسلوب . فان كلام الاسلاميين يعدُّ على العموم اعلى طبقة من كلام الجاهليين في منثورهم ومنظومهم نعني الشعراء والخطباء والمترسلين في صدر الاسلام الى اوائل الدولة العباسية (١) فضلاً عن تأثير الاحوال الاجتماعية على الخيال الشعري ولاسيما في الانتقال من البداوة الى الحضارة ـ ومجاري الطبيعة كالقضاء المبرم لايدفعها دافع . لكن تعظيم الامويين للعرب جعل الجاهليين مثالاً يقتدى بهم في الشعر . فكان الادباء يتحاشون نقد ذلك الاعتقاد في الدولة الاموية. ومع ارتقاء الاسلوب واتساع الخيال ظلوا يتحدون طريقة الجاهليين في النظم

فلما انتقل الامر الى بني العباس هان عليهم الانتقاد واخذوا يفكرون في تقبيح تلك الطريقة . وأول من تجرأ على نقدها من الادباء ابن قتيبة في أواسط القرن الثالث للهجرة في كتابه الشعر والشعراء (٢) وسنعود الى ذلك في تاريخ نقد الشعر

على أن الشعراء تنبهوا الى هذا الامر فى صدر الدولة العباسية فاخذوا في انتقاد طريقة الجاهليين ولم يجدوا من يأخذ بناصرهم لغلبة التقليد على طباعهم . لكنهم حاولوا الخروج من تلك القيود على الاقل من العصر العباسي الاول عصر حرية القول . وأصبح حديث الشعراء في مجالسهم انتقاد تلك الطريقة ، واقدم ما بلغنا من هذا القبيل اجتماع مطيع بن اياس بفتى من أهل الكوفة ففاوضه بشأن ذلك فقال :

لأحسن من بيدٍ يحارُ بها القطا ومن جبلي طيٍّ ووصفكما سلعا
تلاحظ عيني عاشقين كلاهما له مقلةٌ في وجه صاحبه ترعى (٣)

وكان ذلك لسان حال اكثر الشعراء وان لم ينظموه . وممن جاهر به منهم ابو نواس ومن اقواله التي يستدل بها على انكاره طريقة القدماء قوله :

---

(١) ابن خلدون ٥٠٨ ج ١ (٢) الشعر والشعراء ٥
(٣) الاغاني ١٠٣ ج ١٢

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد

ومن هذا القبيل قوله :

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم (١)

ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخمر واخذ عليه ألا يذكرها في شعره وكأنه كلفه الرجوع عنها الى النظم على طريقة الجاهليين فقال :

أعر شعرك الاطلال والمنزل القفرا فقد طالما أزرى به نعتك الخمرا

دعاني الى نعت الطلول مسلطٌ تضيق ذراعي ان اردَّ له امرا

فسمعاً امير المؤمنين وطاعةً وان كنت قد جشمتني مركباً وعرا

فجاهر بان وصفه الاطلال والقفر انما هو من خشية الامام والا فهو عنده فراغ وجهل . واقتدى به ابو العتاهية ومن جاء بعده . ولكن بين الشعراء من يتحدى الجاهليين حتى الآن

واثر في اسلوب الشعر ومعناه في هذا العصر ما نقل الى العربية او حفظ فيها من آداب الفرس واخبارهم فاكتسب الشعر العربي خيالاً لطيفاً وزادت فيه معانٍ جديدة نحو ما كان من تأثير آداب اليونان القدماء في اخلاق الرومان . ويشبه ذلك تأثير التمدن الحديث في آدابنا ومجاري افكارنا

٢ ــ المعاني الجديدة باتساع الخيال

كان الاعتقاد في شعراء الجاهلية انهم لم يتركوا معنى من معاني الشعر لم يطرقوه . وفي الواقع انهم طرقوا اكثر المعاني التي تخطر لابن البادية ولكن الحضارة لها معانٍ خاصة . او هي توسع الخيال وتفتق القرائح لانتشار الناس في الارض . فاذا تأملت ما في اشعار الصدر الاول الاسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين . ثم ما في طبقة جرير والفرزدق واصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء الا نادراً . ثم تأتي بشار بن برد وابا نواس واصحابه فترى مازادوه من المعاني وما زاده الذين جاءوا بعدهم ــ علمت ان الشعر سار على سنة الارتقاء مثل سائر احوال الحياة . ومن امثلة المعاني التي حدثت في العصر العباسي الاول قول بشار بن برد الاعمى :

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقةٌ والاذن تعشق قبل العين احيانا (٢)

قالوا بمن لاترى تهذي فقلت لهم الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

وقول ابي نواس :

فكأني وما ازيّن منها قعديٌّ يزيّن التحكيما

(١) العمدة ١٥٥ ج ١ (٢) العمدة ١٨٨ ج ٢

كلٌّ عن حمله السلاح الى الحر ب فاوصى المطيق ألا يقيما

والقعدة فرقة من الخوارج ترى الخروج وتأمر به وتقعد عنه . وقوله أيضاً :

بنيت على كسرى سماء مدامة مكللة حافاتها بنجوم

فلوردَّ في كسرى بن ساسان روحه اذاً لاصطفاني دون كلّ نديم

وقال أيضاً في صفة النساء الخمارات ويروى لابن المعتز :

وتحت زنانيرٍ شددن عقودها زنانير اعكان معاقدها السرر

فهذا تشبيه لم يسبق اليه وقال أيضاً :

لست أدري أطال ليليَ أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى

لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعي النجوم كنت مخلاَّ

ومما زاد من المعاني في هذا العصر قول أبي تمام :

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسودِ

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وقوله :

بني مالك قد نبهت خامل الثرى قبورٌ لكم مستشرفات المعالم

غوامض قيد الكف من متناول وفيها علا لا يرتقى بالسلالم

غير ما أخذوه من المعاني القديمة أو توسعوا فيه ولا سيما النسيب والغزل

٣ ـ المعاني الجديدة بالاقتباس

تلك معانٍ شعرية اقتضاها توسع الخيال بالحضارة . وهناك معانٍ حدثت بدخول العلوم القديمة الى اللغة العربية ، فاستعار الخطباء والكتاب والشعراء تعابير فلسفية فيها الفاظ علمية قد تقدم ذكر أمثلة منها كالتناهي والتوليد والتجزء والمعاد. ومنها قول أبي نواس :

وذات خد موردْ قوهية المتجردْ

تأمل العين منها محاسناً ليس تنفد

فبعضها قد تناهى وبعضها يتولد

والحسن في كل عضو منها معادٌ مردد

وقوله : يا عاقد القلب مني هلا تذكرت حلاَّ

تركت قلبي قليلاً من القليل أقلاَّ

يكاد لا يتجزى أقل في اللفظ من لا (١)

واستعار آخرون معاني من أخبار اليونان كاقتباس أبي العتاهية ما قاله بعض حكماء اليونان في تأبين الاسكندر ونظمه في رثاء ابن له وهو :

كفى حزناً بدفنك ثم اني نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات فانت اليوم أوعظ منك حياً

ومن المعاني التي دخلت الشعر في هذا العصر أقوال بعض الأئمة ورجال الافكار اقتبسها الشعراء ونظموها كما نظم بشار الحكمة القائلة « انظر الى ما ينفعك ودع كلام الناس اذ لا سبيل الى النجاة من كلام الناس » فقال بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

وحضارة العباسيين أكثر عمالها من الفرس فدخل اللغة طائفة من المعاني الفارسية فضلاً عن الالفاظ . حتى لقد يقتبس الشعراء جملاً فارسية يدخلونها في أشعارهم كقول العماني من قصيدة مدح بها الرشيد :

من يلقه من بطل مسرندي في دغفة محكمة بالسرد
يجول بين راسه والكرد

يعني العنق . وقوله :

لما هوى بين غياض الاسد وصار في كف الهزبر الورد
آلى يذوق الدهر آب سرد

واقتبسوا أيضاً الفاظاً سريانية من لغة نبط السواد كقول ابرهيم الموصلي المغني في وصف خمار نبطي ــ وكأنه ينقل كلامه بلفظه اذ يقول :

فقال «ازل بشينا» حين ودّعني وقد لعمرك زلنا عنه بالشين (٢)

ومن المعاني الجديدة وصف ما استحدث من ثمار تلك المدنية من أسماء الآنية والابنية والقصور والرياش وسائر أسباب الحضارة ولا سيما الغلمان والخمر كما سيجيء

٤ ــ المبالغة في المدح

لم يخل الشعر من المدح في عصر من العصور لكنه كان في الجاهلية أقرب الى الواقع وأبعد عن المبالغة ثم أخذ يزداد مبالغة بازدياد الحضارة والاركان الى الرخاء واضطرار الشعراء الى التزلف والتملق ولا سيما بعد الاختلاط بالفرس . فبعد أن

---

(١) البيان والتبيين ٦١ ج ١ (٢) الاغاني ١٢ ج ٥

كان زهير بن ابي سلمى يقول في مدح كريم حازم :

تراه اذا ما جئته متهللاً   كأنك تعطيه الذي انت سائله

صار منصور النمري يقول في الرشيد :

ان المكارم والمعروف اودية   احلك الله منها حيث تجتمع

اذا رفعت امرأً فالله رافعه   ومن وضعت من الاقوام متضع

من لم يكن بامين الله معتصماً   فليس بالصلوات الخمس ينتفع

ان اخلف الغيث لم تخلف انامله   او ضاق امرٌ ذكرناه فيتسع

وقول رجل من ولد زهير بن ابي سلمى في مدحه « فكأنه بعد الرسول رسول »
وقول العكوك في مدح ابي دلف :

انت الذي تنزل الايام منزلها   وتنقل الدهر من حال الى حال

ومامددت مدى طرف الى احد   الا قضيت بارزاقٍ وآجال

على ان المبالغة زادت بعد هذا العصر من كل وجه بزيادة اسباب الزلفى والانغماس في الرخاء كما ستراه

٥ ـ وصف الخمر والغلمان

ذكرنا من مميزات الشعر في العصر الاموي ان الشعراء بدأوا بوصف الخمر على اثر انغماسهم في المسكر والقصف . ولكن وصفها لم ينضج الا في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده . وأشهر من نظم في وصفها من شعرائه أبو نواس فان له في ذلك بضعة آلاف بيت في مئات من القصائد والمقاطيع تجدها في ديوانه . ولذلك عدّوا أبا نواس أمام الوصافين للخمر

أما الغلمان فقد تقدمت الاشارة الى تعشقهم في هذا العصر ولم يبق شاعر من شعرائه المقيمين في بغداد لم يشتهر بغلام يعشقه ويتغزل به.وأقدم من فعل ذلك منهم حماد عجرد ثم حسين بن الضحاك ، واقتدى به أبو نواس وكان معاصراً له كما اقتدى به في وصف الخمر لكنه فاقه في كليهما . وقد زادهما تمكناً من هذه الرذيلة تقربهما من محمد الامين وهو كثير الاقتناء للغلمان فكانوا فتنة له و لشعرائه.ولحسين المذكور أقوال كثيرة في وصف الغلمان نشرها صاحب الاغاني في ترجمته (١٧٠ ج ٦)

أما أبو نواس ففي ديوانه باب خاص بوصف الغلمان يسمونه « غزل المذكر » فيه نحو الف بيت اكتفينا بالاشارة اليها تنزيهاً للقارىء عن مطالعتها . وقد اغضينا لذلك عن حوادث كثيرة تتعلق بغزل المذكر تدل على ما بلغ اليه القوم من التهتك

ولم يعصمهم علمهم ولا ادبهم ولا مقامهم في الدولة عن ارتكابه . وسيد هذه الرذائل المسكر وعلة انتشاره تساهل بعض الفقهاء بتحليل شرب النبيذ لانه غير الخمر الوارد النهي عنها . لكنه قد يسكر او يتحول اذا طال مكثه الى خمر مسكرة . كما يحللون بعض الالعاب اليوم لانها غير مبنية على المصادفة فقط فلا تعد من ألعاب القمار . ولكنهم قد يقامرون بها أو هي تجرهم الى المقامرة الفاحشة . وأصبح التغزل بالغلمان بعد هذا العصر باباً من أبواب الشعر

٦ — الشعر المجوني

ان استبحار عمران الدولة بعث كبراءها على الاستكثار من أسباب اللهو ولاسيما الخمور والجواري والغلمان مع ميلهم الى سماع الادب والشعر فتولدت طبقة من الشعراء أكثروا من المجون في منظومهم وعرفوا بالشعراء المجان وامامهم أبو نواس . وقد تهتكوا في مجونهم وتفننوا فيه وهم يمثلون الآداب الاجتماعية في تلك الطبقة من الناس في ذلك العصر — والشعراء عنوان آداب الامة أو مثال يدل عليها

٧ — وصف الرياض والازهار

توسعوا في هذا العصر بوصف الرياض والازهار . ومن وصافها فيه أبو نواس كقوله :

يوم تقاصر واستتب نعيمه ... في ظل ملتف الحدائق أخضرا
واذا الرياح تنسمت في روضة ... نثرت به مسكاً عليك وعنبرا

ولم يخل الشعر الجاهلي والاموي من وصفها ولا سيما في أقوال الشعراء الذين خالطوا الحضارة ورأوا بساتين الحيرة أو غوطة الشام أو غيرهما من مدن العراق أو الشام كالأعشى بكر القائل :

ما روضة من رياض الحسن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبلٌ هطلُ
يضاحك الشمس فيها كوكبٌ شرق ... مؤزر بعميم النبت مكتهلُ
يوماً بأطيب منها نشر رائحة ... ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

على أن أهل هذا العصر فاقوهم فيه كأبي نواس وابي تمام وفاقها فيه اهل العصور التالية

الشعراء

في العصر العباسي الاول

الفرق بينهم وبين من تقدمهم

قد رأيت في الكلام على شعراء الجاهلية انهم كانوا ينظمون لقبائلهم أو لانفسهم فخراً أو حماسة وقل فيهم المتكسبون بالشعر ثم تبين لك أن شعراء بني أمية كان القصد الرئيسي من تقديمهم عند الخلفاء الاستنصار بألسنتهم على اعدائهم لتعويل تلك الدولة على العصبيات بين القبائل . ثم قامت الدولة العباسية ونصراؤها خراسانيون فكانت في غنى عن تلك السياسة فلما استقرت اصولها أصبح تقريب الشعراء اكثره للتلذذ بالادب أو سماع المدح والاطراء . ويندر للخليفة أو الامير أن يقدم شاعراً لعصبية أو يستنصره على عدو . فاصبح الشاعر بتوالي الاعوام كالنديم يجالس الخليفة أو الامير في مجالس الانس أو الادب تبعاً لحال ذلك الخليفة أو الامير من حب العلم أو الخلاعة أو غيرها

١ ــ الاستجداء

وأصبح الشعراء في هذا العصر يفدون على بغداد كرسي العباسيين من الحجاز ونجد واليمامة ومن البصرة والكوفة والشام وغيرها في أوقات معينة أو غير معينة كما كانوا يفدون على دمشق كرسي الامويين واكثرهم من أهل البادية . وكان الامويون يفضلون بقاءهم على البداوة فلا يرغبونهم في الاقامة عندهم . أما العباسيون فكانوا اذا وفد الشاعر على أحدهم . واعجبه شعره استبقاه في حاشيته . فاصبح اكثر الشعراء يقيمون في بغداد وظل بعضهم يقيمون في بلادهم وانما يفدون في المواسم أو غيرها فينالون الجوائز وينصرفون . فكثر الشعراء المتحضرون وصار لهم مذهب في الشعر يختلف عن مذهب أهل البادية [1] وهم ينقطعون لمنادمة الخلفاء أو الامير أو الوزير أو الوجيه يمدحونه أو ينادمونه . واكثرهم يختصون بمنادمة الخليفة أو الوزراء ولاسيما البرامكة . وفيهم من انقطع لمنادمة الامراء من بني هاشم كابراهيم بن المهدي ومحمد بن سليمان . أو بعض رجال الدولة كابي دلف وابن طاهر

فلم يكن ينبغ شاعر من قبيلة أو بلد الا وفد على الخلفاء أو غيرهم بقصيدة مدح

(١) الاغاني ٣٥ ج ٢٠

يلتمس العطاء . ويندر فيهم من ينظم الشعر ولا يلتمس به جائزة أو كسباً . فاذا تحضر صار نديماً أو كالنديم . فقلّ الشعراء الفرسان وأصحاب السيادة وكانوا كثاراً في العصر الجاهلي ولم يبق منهم في العصر الاموي الا القليلون وهم في هذا العصر أقل كثيراً

٢ ــ التهتك والخلاعة

ومع رغبة الخلفاء والامراء والوزراء في الادب والعلم فانهم جروا مع تيار الحضارة فكانوا يعقدون مجالس الانس والشراب يحضرها الشعراء والمغنون فكثر في شعرائهم أهل الخلاعة والمجون والتهتك ولم يكن من هؤلاء في العصر الاموي الا القليل وأقل منهم في العصر الجاهلي . ومن أقبح اسباب التهتك في ذلك العصر تسري الغلمان كما تقدم . ونظراً لكثرة تردد الشعراء على مجالس الانس والطرب اصبحت تلك العادة اكثر شيوعاً فيهم مما بسائر الطبقات . فلم يخل من هذه الفاحشة منهم غير الذين ظلوا على بداوتهم بعيدين عن مفاسد المدنية

أما المتهتكون فبلغ من تهتكهم أن يشترك بضعة رجال منهم في عشق غلام [١] وقد يتوسط الشاعر في المصالحة بين عاشقين لاصلاح ذات البين ويفعلون أقبح من ذلك مما يخجل القلم من ذكره [٢] غير مجالسهم في أماكن اللهو على موائد الشرب التي يخالطها تهتك وخلاعة كما كانوا يفعلون في منزل اسماعيل القراطيسي الكوفي وكان يجتمع عنده أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وحسين الخليع يذاكرون الشعر وينظمون

واذا أعملت الفكرة فيما لحق بعض الخلفاء والامراء من الفساد رأيت أصله في الاكثر راجعاً الى من يتولى تربيتهم أو من يعاشرهم من الخاصة أو الشعراء فجعفر ابن المنصور أفسده مطيع بن اياس [٣] ومحمد الامين ساعد على افساده حسين بن الضحاك وأبو نواس

٣ ــ الشعراء الموالي

وكان الشعر العربي في الجاهلية منحصراً في العرب لم يكن فيهم من غير العرب الا عبد بني الحسحاس ثم تكاثر الشعراء الموالي في العصر الاموي لكنهم لم يزيدوا على عشرين في المائة . أما في العصر العباسي فزادوا على ستين في المائة . وبعد أن كان اكثر وفودهم من البادية صاروا يفدون أيضاً من البصرة والكوفة وغيرها من المدائن . واكثر فحول الشعراء في هذا العصر من الموالي كابي نواس وابي العتاهية وبشار بن

(١) الاغاني ١٠٥ ج ١٢ (٢) الاغاني ١٩٨ ج ٦ (٣) الاغاني ٨٥ ج ١١

برد وسلم الخاسر ومروان بن أبي حفصة . فامتاز أولئك الموالي الاعاجم على اسيادهم العرب كما امتاز هوراس وفرجيل من كبراء شعراء الرومان ـ وأولهما ابن مولى والآخر ابن حطاب[1] ولم يكن للشاعر العربي بدٌّ من رحلة الى بلاد العرب لاقتباس اساليبهم

٤ ـ الشكوك في الدين والزندقة

قد ذكرنا ما كان من الحركة الفكرية في هذا العصر على أثر الانقلاب السياسي وتجمع الحقائق العلمية والفلسفية والطبية واللاهوتية والرياضية والفلكية والادبية وتزاحمها في أذهان الناس ـ والفلسفة لم تدخل ديار قوم أهل دين الا شوشت اعتقادهم وتركتهم حيارى مذبذبين ريثما يرسخون في العلم فيستقر رأيهم على شيء يدينون به كما حدث في مثل هذه الحال لهذا العهد

على أن الشكوك في الدين شاعت في الادباء والشعراء قبل نقل الفلسفة الى العربية فلعلها تطرقت الى اذهانهم من معاشرة الامم المختلفة في بغداد والكوفة والبصرة ممن دخل منهم في الاسلام . ومن تقريب الموالي أهل تلك البلاد وفيهم من اطلع على الفلسفة فبثوها في سائرهم ـ فاتيح لطائفة المعتزلة أن تنشر تعاليمها واتقاداتها وانتحل بعضهم ديناً آخر وقامت المجادلات والمباحثات والمناظرات

وظهرت طائفة من الاحرار جاهروا بانتقاد الدين أو الذهاب الى انكاره وكلهم متهمون بدينهم . وفيهم جماعة كبيرة من الادباء والشعراء اشهرهم : حماد عجرد وحفص ابن أبي وردة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة وعلي بن الخليل وحماد الراوية وابن الزبرقان وبشار بن برد وصالح بن عبد القدوس وأبان اللاحقي وعمارة بن حمزة ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ . وكانوا يجتمعون على الشراب يتنادمون ويقولون الشعر ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضاً هزلا وجدًّا[2] وكثيراً ما كانوا يشتركون في أموالهم واحوالهم كما يفعل الاشتراكيون اليوم . فكان مطيع بن اياس ويحيى بن زياد الحارثي وابن المقفع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا يفترقون ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا ملك وكانوا جميعاً يرمون بالزندقة

وكان اولئك المتفلسفون ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود فلا يرون فيها حسناً ولا يعترفون لاحد بفضيلة نحو من يعبر عنهم الافرنج بالبسيمست (Pessimistes) ذكروا ان مطيع بن اياس مر بيحيى بن زياد وحماد الراوية وهما يتحادثان فقال لهما «فيما انتما ؟ » قالا « في قذف المحصنات » قال« او في الارض محصنة تقذفانها ؟»[3] ويدل هذا من جهة اخرى على رايهم في المرأة

(١) Litt. anc. 184 (٢) الاغاني ١٤٩ ج ١٦ و١٨١ و١٠٠ ج ١٢ وولكن ٣٧٤

٥ ـ اطلاق حرية الاقلام والالسنة

والفضل في اطلاق الاقلام والالسنة في أواخر ذلك العصر للمأمون الخليفة العالم الفيلسوف فكانت حرية القول في أيامه أشبه بحرية الصحافة في البلاد المتمدنة اليوم ومن أشهر الادلة على ذلك خبره مع دعبل الشاعر وكان متشيعاً للعلويين كثير الهجو لبني العباس وله فيهم قصائد هجوها شديدٌ واعداؤه يحرضون المأمون على قتله . ومن جملتهم أبو سعد المخزومي فقد كان يستعلي دعبل في أول أمره وكان يدخل على المأمون فينشده هجاء دعبل له وللخلفاء ويحرضه عليه فلم يجد عند المأمون ما أراده فيه.وكان المأمون يقول : « الحق في يدك والباطل في يد غيرك والقول لك ممكن فقل ما يكذبه فاما القتل فاني لست أستعمله الا فيمن عظم ذنبه »

ودخل أبو سعد مرة على المأمون وأنشده قول دعبل :

ويسومني المأمون خطة عاجزٍ أو ما رأى بالامس رأس محمد

واردفها بقصيدة رد بها على دعبل ثم قال « اتأذن لي يا أمير المؤمنين أن اجيئك برأسه ؟ » قال « لا . هذا رجل فخر علينا فافخر انت عليه فاما قتله بلا حجة فلا » وهل يقول اعدل من ذلك وزيرٌ من ارقى وزراء الامم الدستورية المتمدنة اليوم في صحافي طعن على أمير أو ملك ؟ فلا غرو اذا اطلقت حرية الدين في عهده

ومن هذا القبيل اطلاق حرية القول في انتقاد العنصر العربي وكان العرب في العصر الاموي مقدمين على سائر العناصر كأنهم من طينة غير طينة البشر . ولم يكن هؤلاء يستنكفون من تفضيلهم بل كانوا يعتقدون فضلهم في اقامة الدين وأنهم مادته واصله ولا كانوا يأنفون من أن يسموا العرب أسيادهم ويعترفوا بفضلهم عليهم في العقل والحزم . على أن اكثرهم كانوا يفعلون ذلك خوفا من الامويين وارضاء للعنصر العربي . فلما اطلقت الالسنة والاقلام في أيام المأمون تظاهر اعداء العرب بالطعن وظهرت طائفة الشعوبية القائلة بالمساواة بين بني الانسان ولذلك سموهم « أهل التسوية » وقامت المناظرة بينهم وبين المتعصبين للعرب . وظهرت الكتب في الطعن على العرب وفي الدفاع عنهم . وممن طعن على العرب سهل بن هرون قيم بيت الحكمة وأبو عبيدة الراوية وعلان الشعوبي . ولم يكن يجد المأمون بأساً في هؤلاء الطاعنين وقد جعلهم من بطانته . وممن دافع عن العرب ابن قتيبة فألف كتاباً في « تفضيل العرب » [1]

(١) اقرأ تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ٥٨ و ١٣٥ ج ٣

ومما لا يحسن الاغضاء عنه في هذا المقام ان شعراء العصر العباسي مثل شعراء العصر الاموي وشعراء معظم عصور التمدن الاسلامي الاولى أكثرهم من عرب الشام والعراق وعرب الشام أشعر من عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والاسلام. وقد علل ذلك أبو منصور الثعالبي بقربهم من خطوط العرب ولا سيما أهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة السنتهم من الفساد العارض لالسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم اياهم

واتفق أنهم كانوا يعنون برؤساء من أهل الادب ومحبيه كعبد الملك في زمن بني أمية والرشيد والمأمون في هذا العصر وغيرهم في غيره كما سيجيء

٦ — منزلة الشعراء عند الخلفاء والامراء

ان الخلفاء والامراء كانوا يقربون الشعراء في كل عصر . أما الامويون فكانوا يقربونهم في أول الامر لاغراض سياسية ثم فعلوا ذلك تلذذاً بالشعر وآدابه وربما استقدموا الراوية من العراق الى الشام ليسألوه عن معنى بيت أو من قاله كما فعل هشام بن عبد الملك باستقدام حماد الراوية [١]

أما في العصر العباسي فكان الغرض الغالب من تقريب الشعراء رغبة الخلفاء والامراء في الادب . وكثيراً ما كانت تعقد مجالس الشعراء لغرض أدبي كوصف منظر أو اداة كما فعل الهادي اذ استقدم الشعراء اليه واقترح عليهم ان يصفوا سيفاً أهداه اليه المهدي وهو سيف عمرو بن معدي كرب . فوضع السيف بين يديه وقال للشعراء صفوه فنال الجائزة ابن يامين المصري [٢]

وكان الرشيد من أكثر الخلفاء بحثاً في الشعر وقائليه فقد سأل أهل مجلسه مرة عن صدر هذا البيت « ومن يسأل الصعلوك اين مذاهبه » فلم يعرفه أحد وكان الاصمعي مريضاً لا يقدر على المجيء فأرسل اليه اسحق الموصلي وبعث معه الف دينار لنفقته فجاء الجواب ان البيت من قصيدة لابي النشناش النهشلي وهذا صدره :

وسائلة أين الرحيل وسائل ومن يسأل الصعلوك اين مذاهبه [٣]

وكثيراً ما كان الرشيد يعقد المجالس للبحث في معنى بيت . وقد سأل أهل مجلسه يوماً معنى هذا البيت :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ورعا فلم أر مثله مخذولا

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٢ ج ٣

(٢) المسعودي ١٨٧ ج ٢ (٣) المزهر ٨٣ ج ١

وكان في المجلس الكسائي والاصمعي فطال الجدال بينهما والخليفة يسمع [(١)] وأعطى الرشيد الفضل خاتماً قيمته ١٦٠٠ دينار مكافأة على أحسن بيت قالته العرب في الذئب [(٢)] والمأمون ولى ابن الجهم البرمكي ولاية من أجل بيت طلبه منه واشترط عليه ذلك [(٣)]

٧ — نفوذ الشعراء وثروتهم

وكان الخلفاء اذا قدموا الشعراء بذلوا لهم الاموال الطائلة حتى وقع الشك في صحة بعض ما ذكروه من الجوائز الكبرى . وقد بينا في تاريخ التمدن الاسلامي أنها صحيحة وان النقود لم يكن لها قيمة لكثرتها . وفي كل حال فان ما خلفه بعض الشعراء من الثروة ولا تكسب لهم من غير الشعر يدل على كثرة ما كان يصل الى أيديهم من المال

ذكروا ان سلم الخاسر المتوفى سنة ١٨٦ هـ خلف ثروة مقدارها ٥٠٠٠٠ دينار و١٥٠٠٠٠٠ درهم غير الضياع [(٤)] ومثله مروان بن أبي حفصة خلف ثروة طائلة وكانت جوائزه تبلغ ١٠٠٠٠٠ دينار مراراً [(٥)] وكان أبو نواس يكتسب أكثر من ذلك لكنه كان متلافاً سمحاً . وكان يتساجل في الانفاق هو وعباس بن الاحنف وصريع الغواني (مسلم بن الوليد) . وكان البحتري وهو من العصر العباسي الثاني قد فاض كسبه وكان يركب في موكب من عبيده . وأما أبو تمام فأنفق ماله في تجواله الارض

وقد تبسط شعراء ذلك العصر في العيش وتوسعوا في مظاهر الابهة فكان لابي تمام والبحتري قهارمة وكتاب [(٦)] وبلغ من دالة أبي نواس على الرشيد أنه كان يمرّ به بنو هاشم والقواد والكتاب يسلمون عليه وهو متكيء ممدود الرجل فلا يتحرك لاحد منهم [(٧)]

وكثيراً ما كان رجال الدولة يعولون على الشعراء في تبليغ بعض ما يخافون غضب الخليفة منه كما فعلوا بتبليغ الرشيد خبر نقفور ملك الروم اذ غدر وهمّ ان يغزو بلاد الاسلام ولم يجتريء يحيي بن خالد على ابلاغ الرشيد ذلك فاطمع بعض الشعراء بالمال حتى نظم الخبر في شعر قاله في حضرته [(٨)]

وكم من شعر وضع السيف في الرقاب كما فعل شعر سديف بالسفاح فحمله على قتل بني أميه . وكم من شعر رفع السيف عن الرقاب كما فعل مالك بن طوق وقد حكم عليه بالاعدام فقال للرشيد شعراً فعفا عنه [(٩)] وقد رفع الرشيد السيف عن ربيعة

(١) المزهر ٢٧٨ ج ١ (٢) النجوم الزاهرة ٤٦٢ ج ١ (٣) الاغاني ١٦ ج ١٣
(٤) الاغاني ٨١ ج ٢١ (٥) العمدة ١٥٠ ج ٢ (٦) العمدة ٧ ج ١ (٧) الاغاني ١٦١ ج ٣
(٨) الاغاني ٤٥ ج ١٧ (٩) فوات الوفيات ١٤٣ ج ٢

وأحسن اليهم بعد سماعه أبياتاً قالها منصور النمري استعطفه بها فأمر بكف السيف عن ربيعة لاجله

٨ — تأثير الشعر في الهيئة الاجتماعية

قد تقدم في صدر هذا الكتاب أن فطرة العرب شعرية ونفوسهم حساسة ولغتهم شعرية ولذلك كانوا أكثر الناس شعراً وشعراء فمن لم ينظم الشعر حفظه وتناقله أو تناشده أو تذاكر فيه . وكانوا يعقدون المجالس للمناشدة من زمن الجاهلية في عكاظ وأمثالها . ثم عقدوها في زمن الامويين بالمربد في البصرة. وأما في العصر العباسي فلولا اشتغال الناس بالعلوم القديمة ونقلها وتفهمها لاصبح كل منزل من منازل أهل الادب نادياً للمذاكرة والمناشدة . ومع ذلك فان الشعر كان عندهم فكاهة المجالس ومضرب الامثال وديوان العبر ومخزن الحكمة حتى كانوا لكثرة محفوظهم منه يرمزون باسم الشاعر الى بيت من أبياته مشهور بمعنى ويريدون ذلك المعنى كما اتفق للرجل الجالس على جسر بغداد والمرأة التي مرت به قادمة من الرصافة فاستقبلها بقوله « رحم الله علي بن الجهم » فقالت له المرأة « رحم الله أبا العلاء المعري » وما وقفا بل سارا مشرقاً ومغرباً — قال الراوي « فتبعت المرأة وقلت لها والله ان لم تقولي لي ما أراد وما أردت لأفضحنك . قالت أراد بعلي بن الجهم قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت بأبي العلاء قوله :

فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال[1]

والحادثة المذكورة جرت بعد العصر الاول الذي نحن في صدده لكنها يصح ان تكون مثالا عنه. لان أهل هذا العصر بلغ من شغفهم بالشعر أنهم نقشوه على جدران منازلهم وأنديتهم وعلى فصوص خواتمهم وكتبوه في صدور مجالسهم وعلى القباب والمستنظرات والابواب . وطرزوه على الستائر والطنافس والكلل والاسرة والوسائد والمرافق والمقاعد وعلى القناني والاقداح والكاسات والارطال والجامات وسائر آنية الفضة والذهب والصيني . ونقشوه على العيدان والمضارب والسرنايات والطبول والمعازف والدفوف وزينوا به الثياب فطرزوه على ذيول الاقمصة والاعلام وطراز الاردية والاكمام . وعلى العصائب ومشاد الطرر والزنانير والتكك والمناديل والمذاب والمراوح

(١) حلبة الكميت ٩٥

حتى النعال والخفاف . وزينوا به مظاهر ابدانهم فكتبوه بالحناء على الجبين والخد والاقدام والراح . ونقشوا به التفاح والاترج وغيرها . فكنت حيثما توجهت رأيت الشعر منقوشاً او مطرزا او مكتوباً او منسوجاً . وتجد امثلة من ذلك في كتاب الموشى الآتي ذكره

طبقات الشعراء

في العصر العباسي الاول

ان عدد الشعراء في هذا العصر اضعاف شعراء العصر الاموي لان مدة العصر العباسي اطول وقد اتسعت مساحة البلاد التي يقيم فيها العرب وكثر الشعراء من غير العرب وكانوا في زمن الامويين يفدون من جزيرة العرب وبعض ضواحيها فصاروا يأتون في زمن العباسيين من اكثر المدائن الاسلامية . وبعد ان كان الشعر منحصراً تقريباً في العرب شاركهم فيه الموالى وغيرهم رغم اشتغال القرائح بترجمة الكتب وانصراف طبقة من الناس اليها . ولو شئنا تعداد شعراء هذا العصر لضاق المقام بهم لانهم كثيرون يزيدون على بضع مئات أورد ابن النديم اسماءهم في الفهرست وذكر عدد ما خلفه كل منهم من الابيات [1] واكثر ذلك ضاع الآن ومن العبث أن نأتي باخبار كل هؤلاء الشعراء وفيهم من لا اهمية له وليس بين ايدينا شيء من نظمه

ويقال بالاجمال أن اكثر هؤلاء الشعراء من طلاب الرزق انقطع اكثرهم الى الخلفاء وتحضروا في بغداد أو البصرة وبعضهم انقطعوا الى البرامكة وآخرون انحازوا للشيعة العلوية . ومنهم من اختص ببعض الامراء والوزراء . وهناك جماعة منهم لم يتحضروا بل كانوا يقيمون في البادية وانما يفدون على بغداد في المواسم ينشدون ما ينظمونه في مدح الخليفة أو غيره ويعودون الى مضاربهم . ومنهم طائفة لم يفدوا على أحد فكانوا ينظمون الشعر لانفسهم وهم قليلون أو إن اكثرهم ظل في ثنايا الاهمال لبعدهم عن الدولة

الشعراء المتحضرون

وهذه اسماء أشهر شعراء ذلك العصر الذين نزلوا المدن وتحضروا واكثرهم من الموالي غير العرب اقام معظمهم في بغداد تحت ظل الخلفاء أو وزرائهم باعتبار اغراضهم

(١) الفهرست ١٥٧ وما بعدها

أو غرض من ينتمون اليه أو يعيشون في ظله . وفيهم من توفي بعد سنة ٢٣٢ هـ. ولكننا عددناه من شعراء هذا العصر لانه نبغ فيه :

شعراء الخلفاء	شعراء البرامكة	شعراء سائر الامراء	
ابو دلامة	ابان بن عبدالحميد	ابراهيم بن سيابة	مدح ابرهيم الموصلي
حماد عجرد	ابن مناذر	محمد بن امية واخوه	« ابرهيم بن المهدي
بشار بن برد	الرقاشي	العكوك	« ابا دلف
مروان بن ابي حفصة	مسلم بن الوليد	محمد بن صالح	« ابن المدبر
سلم الخاسر	اشجع السلمي	مطيع بن اياس	« جعفر بن المنصور
ابو نواس		ابو الشيص	« عقبة بن جعفر
منصور النمري			
ابو العتاهية			
ابو تمام			
علي بن الجهم			
حسين بن الضحاك			

شعراء الشيعة

السيد الحميري

دعبل

ديك الجن

شعراء لم يكتسبوا بالشعر

وهناك طائفة لم يتكسب اصحابها بالشعر اشهرهم :

صالح بن عبد القدوس

العباس بن الاحنف من عدي

محمد بن بشير مولي بني اياس (ويدخل في هؤلاء ايضاً السيد الحميري وديك الجن. وقد ذكرا بين شعراء الخلفاء وشعراء الشيعة)

شعراء لم يتحضروا

اما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم فكانوا يفدون على الخليفة او الامير فينالون. الجوائز ثم يعودون الى بلدهم فكلهم من العرب وهاك اشهرهم :

ربيعة الرقي من الرقة

كلثوم بن عمرو العتابي

عمارة بن عقيل من هوازن

ناهض بن ثومة الكلابي من عامر

ونبغت طائفة من الشعراء في ذلك العصر عرفت بطبقة المترفين وابناء النعم منهم عبد الله بن عباس الربيعي من نسل الفضل بن الربيع .وقد يشترك بعض شعراء احدى هذه الطبقات بخصائص طبقة أخرى وانما اردنا بهذا التقسيم سهولة التعليق بالذهن

هؤلاء هم اشهر الشعراء في العصر العباسي الاول وبهم قام ذلك الانقلاب الشعري فامتاز به شعر هذا العصر على سواه كما تقدم . واكثرهم تأثيراً في ذلك الانقلاب اكثرهم تقرباً من الخلفاء لتقدمهم في الشاعرية ولرفعة مقامهم قلدهم الناس في اساليبهم او استنباطاتهم . وفي مقدمتهم سبعة هم عمدة هذا الانقلاب هذه اسماؤهم مع سني وفاتهم

بشار بن برد توفي سنة	١٦٧ ھ	ابو العتاهية توفي سنة	٢١١
السيد الحميري « «	١٧٣	ابو تمام « «	٢٣١
ابو نواس « «	١٩٨	دعبل « «	٢٤٦
مسلم بن الوليد « «	٢٠٨		

واليك تراجمهم على هذا الترتيب بما يقتضيه المقام من الايجاز . والا فان كلا منهم يحتاج في بسط ترجمته ودرس شعره ونقده الى مجلد قائم بنفسه . فنترك ذلك الى من تفرغ للدرس والنقد من الادباء

عمدة الشعراء

في العصر العباسي الاول

١ ـ بشار بن برد

توفي سنة ١٦٧ ھ

هو فارسي أصل آبائه من طخارستان أخذ ابوه برد في سبي وقع في يدي المهلب ابن ابي صفرة فكان من فيء القشيرية امرأة المهلب . فاقامته في ضيعة لها بالبصرة مع عبيدها ثم زوجته واهدته الى امرأة عقيلية كانت صديقة لها فولد له بشار . وأعتقته العقيلية فصار مولى . ونشأ في البصرة ثم قدم بغداد بعد ان بناها المنصور

ولد بشار اعمى جاحظ الحدقتين يغشاها لحم احمر . وكان ضخماً طويلا عظيم الخلق والوجه مجدراً . وكان اطبع شعراء ذلك العصر على الشعر وقد قوّى العمى شاعريته لانصراف المخيلة الى التصور ـ ولذلك رأيت أكثر العميان من الشعراء يفوقون

معاصريهم في سعة الخيال مثل هوميروس اليوناني وملتن الانكليزي وبشار وابي العلاء وغيرهما عند العرب.

جاء بشار في اوائل العصر العباسي الاول فكان في مقدمة الذين نبغوا فيه فهو مقدم عليهم باجماع الرواة [1] ورئيسهم بلا خلاف . قال الجاحظ « المطبوعون على الشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن ابي عيينة ولكن بشاراً اطبعهم » [2] وقد عاصر اواخر الدولة الاموية واوائل العباسية . وقال الشعر وهو ابن عشر سنين وادرك جريراً والفرزدق . وهجا جريراً فاعرض جرير عنه استخفافا — قال بشار « ولو هاجاني لكنت أشعر الناس » فظل نحو ثمانين سنة وهو ينظم الشعر فمدح وهجا ونال الجوائز . وبلغ ما نظمه نحو ١٢٠٠٠ قصيدة ولذلك جاهر بين يدي أهل الادب أن له ١٢٠٠٠ بيت جيد . فقالوا له « هذا القدر لا يجتمع لكل الشعراء فقال « لي ١٢٠٠٠ قصيدة الا يكون لي بيت جيد من كل قصيدة ؟ » ولم يبق من هذه القصائد الى أيام ابن النديم صاحب الفهرست الا ٤٠٠٠٠ بيت وليس منها الآن الا نتف متفرقة في كتب الادب وليس لبشار ديوان شعر مجموع . ويقال إن اكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام ثلاثة بشار وابو العتاهية والسيد الحميري [3]

ويمتاز بشار بانه تصرف وتفنن في معاني الشعر شيئاً كثيراً . وراج شعره في ايامه بالبصرة حتى لم يبق غزل ولا غزلة الا ويروي من شعر بشارة ولا نائحة ولا مغنية الا تتكسب به ولا ذو شرف الا وهو يهابه ويخاف معرة لسانه . وبشار مثل امرىء القيس فهو عندهم امام الشعراء المحدثين وقد قالوا ذلك ايضاً في ابي نواس ولكن بشارا اسبق وكان عند قيام الدولة العباسية منحازاً للعلويين وكان ابرهيم بن عبد الله بن الحسن ناهضاً على المنصور فنظم بشار قصيدة حرض بها ابرهيم على الفتك بالمنصور مطلعها :

ابا جعفر ماطول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

ثم علم بفوز المنصور وقتله ابرهيم المذكور فقلب الكنية واظهر انه قال القصيدة في ابي مسلم الخراساني فقال :

أبا مسلم ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

وفي هذه القصيدة أبيات حكمية في غاية البلاغة منها :

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح أو نصيحة حازم

---

(١) الاغاني ٢٠ ج ٣ (٢) البيان والتبيين ٢٥ ج ١

(٣) الاغاني ٣ ج ٧

ولا تجعل الشورى عليك غضاضةً فان الخوافي قوةٌ للقوادم
وما خير كف امسك الغلُّ أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوماً فان الحزم ليس بنائم
وحارب اذا لم تعط الاظلامةً شبا الحرب خيرٌ من قبول المظالم

ثم انتقل الى بغداد ومدح العباسيين وعاصر المهدي . ومدح خالد بن برمك جد البرامكة وكان كلما وفد عليه اعطاه خمسة آلاف درهم ثم زادها له . ومن قوله بيتان أمر خالد أن يكتبا في صدر مجلسه وهما :

اخالد إن الحمد يبقى لاهله جمالا ولا تبقى الكنوز على الكدّ
فاطعم وكل من عارة مستردة ولا تبقها أن العواري للردّ

واخبار بشار كثيرة بسطها صاحب الاغاني في ٦٠ صفحة من الجزء الثالث من كتابه . ولم يدع بشار باباً من أبواب الشعر الا طرقه وأجاد فيه ومن قوله في الغزل

لم يطل ليلي ولكن لم انم ونفى عني الكرى طيف الم
واذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم
نفسي يا عبد عني واعلمي انني يا عبد من لحم ودم
إن في برديَّ جسما ناحلاً لو توكأت عليه لانهدم
ختم الحبُّ لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذمم

ومن قوله :

اذا كنت في كل الامور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أوصل أخاك فانه مقارف ذنب مرةً ومجانبه
اذا انت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربه

ومن الغزل قوله :

يزهدني في حب عبدة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وكان بشار من اصحاب الفلسفة المتحيرين في الدين ويعتقدون أن الانسان مسوق لا مخير يدلُّ على ذلك قوله :

طبعتُ على ما فيَّ غير مخيرٍ هواي ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى واعطى فلم ارد وقصر علمي أن أنال المغيبا

فاصرف عن قصدي وعلمي مقصر　　وامسي وما اعقبت الا التعجبا

وقد تقدم خبر انحرافه عن بني العباس ولم يغنه تغيير مطلع تلك القصيدة شيئاً فان المنصور سكت عنه وما زال يعتقد انحرافه عنهم قلبياً ولذلك ظل في خاطره شيء عليه وكان المهدي بعده يظهر له فتوراً فغضب بشار ومدح وزيره يعقوب بن داود فلم ينفعه . فهجاه ببيتين كانا سبب موته وهما :

بني امية هبوا طال نومكم　　ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا　　خليفة الله بين الزق والعود

فبعث المهدي اليه صاحب الزنادقة فضربه حتى مات ولم يخرج في دفنه احد لانه مات وخصمه الخليفة — وربما كان هذا هو السبب ايضاً في خمول اسمه مع تبرزه في الشعر

وتجد ترجمته في الاغاني ١٩ ج ٣ و ٤٧ ج ٦ وابن خلكان ٨٨ ج ١ والشعر والشعراء ٤٧٦ والفهرست ١٥٩

٣ — السيد الحميري

توفي سنة ١٧٣ هـ

اسمه يدلُّ على انه من حمير نزل البصرة وكان شاعراً متقدماً مطبوعاً وقد تقدم أنه هو وبشار وأبو العتاهية اكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام . وبلغ منظومه ٢٣٠٠ قصيدة ولم يصلنا منها ما يستحق الذكر : وقد خمل ذكره لانه كان يسبُّ الصحابة بتشيعه لعلي فتحومي شعره وتخوف الناس منه . أما من حيث الشاعرية فله طراز ومذهب قلما يلحق فيه . وكان اسمر اللون تام القامة اشنب ذا وفرة حسن الالفاظ جميل الخطاب . اذا تحدث في مجلس قوم اعطى كل رجل من المجلس نصيبه من حديثه ويعده بعضهم من طبقة بشار وانهما أشعر المحدثين . ويمتاز عن سائرهم انه كان يكره الاستجداء بالشعر وقد نظم في ذلك ابياتاً وهي :

أيها المادح العباد ليعطى　　إن لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم　　وارجُ نفع المنزّل العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه　　وتسمي البخيل باسم الجواد

فلما سمع بشار قوله قال « لولا أن هذا الرجل شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا ولو شاركنا في مذهبنا لتعبنا »[1] ومن شعره في مدح بني هاشم لما استقرّ الامر لابي العباس السفاح قوله :

دونكموها يا بني هاشم	فجددوا من عهدها الدارسا
دونكموها فالبسوا تاجها	لا تعدموا منكمْ له لابسا
لو خير المنبر فرسانه	ما اختار الا منكُم فارسا
قد ساسها قبلكم ساسة	لم يتركوا رطباً ولا يابسا
ولست من أن تملكوها الى	مهبط عيسى فيكم آيسا

ومن قوله في ذم الصحابة :

قل لابن عباس سَمِيّ محمد	لا تعطينّ بني عديّ درهما
احرم بني تيم بن مرة انهم	شرُّ البرية آخراً ومقدما
إن تعطهم لا يشكروا لك نعمة	ويكافئوك بان تذمّ وتشتما
وان ائتمنتهم أو استعملتهم	خانوك واتخذوا خراجك مغنما
ولئن منعتهم لقد بدءوكم	بالمنع اذ ملكوا وكانوا اظلما
منعوا تراث محمد اعمامه	وبنيه وابنته عديلة مريما

وله في مدح العلويين ما يدل على حرية في القول . ومن ادلة ترفعه عن الجوائز أن الرشيد اعطاه جائزة ففرقها . وتجد ترجمته واخباره في الاغاني ٢ ج ٧ وفوات الوفيات ١٩ ج ١

٣ ــ أبو نواس

توفي سنة ١٩٨ ﻫ

هو الحسن بن هانىء ولد في الاهواز سنة ١٤٥ ﻫ في خلافة ابي جعفر المنصور وكانت أمه اهوازية اسمها جلبان وكان أبوه دمشقيـًّا من جند مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية انفذه مروان الى الاهواز فلقي جلبان فاحبها وتزوجها فولدت له أولاداً منهم أبو نواس وابو معاذ . وقبل أن يتجاوز أبو نواس السنة الثانية من عمره انتقل والداه الى البصرة فنشأ فيها . ولم يكن والداه في سعة أو لعل والده مات وترك أولاده في كفالة امهم فأسلمت ابا نواس الى عطار يتخرّج عنده في مهنة العطارة ولكن نفسه

(١) الاغاني ٦ ج ٧

كانت تميل الى غير هذه الصناعة . وكان اذا قرأ شعراً ارتاحت نفسه الى معانيه وقامت فيه رغبة في النظم . فاذا اجتمع باديب او راوية او شاعر او حضر مجلس ادب وسمع شعراً احب ناظمه وتمنى ان يراه . وكان في جملة من سمع اشعارهم واحب الاجتماع بهم والبة بن الحباب وكان ظريفاً غزلا وصافاً للشراب . واتفق ان والبة قدم الاهواز ليمدح ابا بجير الاسدي عامل المنصور عليها فمر بذلك العطار فلقي ابا نواس وكان جميل الصورة ذكيا فتوسم فيه النباهة فجالسه وخاطبه فآنس فيه قريحة وقادة فقال له « ان فيك مخايل ارى ان لا تضيعها وستقول الشعر فهل تصحبني اخرّجك » ولم يكن ابو نواس يعرف مخاطبه فقال ومن انت قال « أنا ابو اسامة والبة بن الحباب » فقال « نعم . انا والله في طلبك ولقد اردت الخروج الى الكوفة بسببك لآخذ عنك واسمع منك » فسار ابو نواس معه الى الكوفة ثم قدما بغداد

وكان والبة وبعض شعراء تلك الايام وندماؤه يجتمعون كل ليلة على الشراب وقول الشعر لا يكادون يفترقون فيهجون بعضهم بعضاً هزلا وجدًّا ويصفون الخمر وغيرها . وكان ابو نواس يحضرهم فيسمع ويعي ويزداد كل يوم علما ودربة وكان يختلف الى أبي زيد الانصاري فتعلم منه غريب الالفاظ وتردد على ابي عبيدة معمر بن المثنى فتعلم منه أيام الناس ونظر في نحو سيبويه حتى اصبح في الطبقة الاولى من المولدين وشعره عشرة انواع اجاد فيها كلها . واحسن علم اللغة وفروعها حتى قال فيه الجاحظ « ما رأيت رجلاً اعلم باللغة من ابي نواس ولا افصح لهجة مع مجانبة الاستكراه » وقال معمر بن المثنى « كان أبو نواس للمحدثين كامرىء القيس للمتقدمين » وقد تقدم أن ذلك أولى أن يقال ببشار لانه اسبق

ويروى عن أبي نواس أنه قال « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال » وقال ابن السكيت « اذا رويت من اشعار الجاهليين فلامرىء القيس والاعشى ومن الاسلاميين فلجرير والفرزدق ومن المحدثين فلأبي نواس فحسبك » وهو يعدُّ ايضاً من الشعراء المجان

وقد قدمنا في كلامنا عن مزايا الشعر في العصر العباسي الاول ما كان لابي نواس من الفضل في تغيير طريقته والتوسع في معانيه فهم يعدّونه إمام هذه الطريقة . ولذلك فهو يمتاز بتصرفه في الشعر عن طريقة القدماء ــ كان عندهم للشعر الفاظ محدودة وأساليب معينة فتجاوزها كما تجاوزها الاعشى قبله [1] ولكن تقرب ابي

(١) العمدة ٨٣ ج ١

نواس من الخلفاء ونفوذه عندهم ساعد على نشر طريقته فصار الشعراء يتحدونه فيها شأنهم في تحدي كل وجيه نافذ الكلمة. ولذلك قالوا : الناس على دين ملوكهم . واذا تدبرت تاريخ الاجتماع رأيت ذلك قاعدة في سائر أحوال الحياة

ووصف شعر ابي نواس لايفي به صفحة أو بضع صفحات . وهو أول من توسع في وصف الخمر والتغزل بالغلمان . وفي ديوانه المطبوع بمصر صفحات عديدة من نظمه في هذين البابين فضلا عن تغزله بجارية احبها اسمها جنان . وقد اشرنا الى تهتكه في جملة متهتكي ذلك العصر ولعله اكثرهم انغماساً في اللهو على انواعه طمعاً منه بعفو الله على حد قوله :

تكثر ما استطعت من الخطايا فانك بالغ رباً غفورا
ستبصر إن وردت عليه عفواً وتلقى سيداً ملكاً كبيرا
تعضُّ ندامة كفيك مما تركت مخافة النار السرورا

ومن لطيف نظمه في مدح محمد الامين قوله يمدح ناقته :

وتجشمتْ بي هول كل تنوفة هوجاء فيها جرأة اقدام
تذر المطي وراءها فكأنها صفٌّ تقدمهن وهي امام
واذا المطي بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام

وعابوا عليه المبالغة في مدح الرشيد لقوله :

وأخفتَ اهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق

ومن قوله في وصف الخمر :

وندمان سقيت الراح صرفاً وستر الليل منسدل السجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها كمعنى دق في ذهن لطيف

وقوله : مدام تبدت من مقام مشرف تلوح لنا أنوارها ثم تختفي
ولما شربناها ودب دبيبها الى موضع الاسرار قلت لها قفي
مخافة أن يسطو عليَّ شعاعها فيطلع جلاسي على سري الخفي

وقوله : معتقة صاغ المزاج لرأسها اكاليل در ما لناظمها سلك
جرت حركات الدهر فوق سكونها فذابت كذوب التبر أخلصه السبك
وقد خفيت من لطفها فكأنها بقايا يقين كاد يذهبها الشكُّ

وهي كثيرة ويناسب ذلك وصفه للاقداح وما عليها من النقوش كقوله :

تدور علينا الراح في عسجدية حبتها بألوان التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهاً تدّريها بالقسيّ الفوارس
فللخمر ما زرّت عليه جيوبها وللماء ما حازت عليه القلانس

ويظهر أنه كان مطلعاً على أقوال الاوائل المنقولة الى العربية ولا سيما علم النجوم والطبيعيات بدليل قوله وفيه المام بالفلك :

الم ترَ الشمس حلت الحملا وقام وزن الزمان فاعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها واستوفت الخمرُ حولها كملا

ومما يدل على معرفته علم الطبائع قوله :

قل لزهير اذا حدا وشدا اقلل أو اكثر فانت مهذارُ
سخنت من شدة البرودة حـ تى صرت عندي كانك النار
لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج باردٌ حار

وفي ذلك اشارة الى نظر اهل الهند في الطبائع فهم يزعمون أن الشيء اذا زاد في البرد عاد حاراً.ومن اقوالهم: «إن الصندل الابيض اذا افرط في حكه عاد حاراً مؤذياً» ومما يدل على المامه بخرافات اليونان والفرس قوله من قصيدة يمدح بها يحيى بن خالد :

صورة المشتري لدى بيت الـ ليل والشمس انت عند انتصاب
ليس زاويش[1] حين سار امام الـ حوت والبدر اذ هوى لانصباب
منك اسخى بما تشحُّ به الا نفس عند انتقاص درّ الحلاب
لا وبهرام تستقلُّ به العقـ رب بالليل رائداً في الحساب
منك امضى لدى الحروب ولا اهو ل في العين عند ضرب الرقاب

واختلفوا في سنة وفاته والارجح انها سنة ١٩٨ هـ ولو اردنا الاتيان بامثلة من نظمه لضاق المقام مع شيوع ديوانه . وقد جمعه غير واحد [2] وهو مطبوع غير مرة في فينا ومصر وبيروت . وفي صدر طبعة مصر سنة ١٨٩٨ فصلٌ لجامع الديوان حمزة ابن الحسن الاصبهاني في شعر أبي نواس ونقده . والديوان نحو ٤٥٠ صفحة ويتضمن نحو ١٣٠٠٠ بيت مرتبة على ١٢ باباً (١) نقائضه مع الشعراء (٢) المديح (٣) المراثي (٤) العتاب (٥) الهجاء (٦) الزهد (٧) الطرد (٨) الخمريات (٩) الخمريات والمجون (١٠) غزل المؤنث (١١) غزل المذكر (١٢) المجون وقد أهمل الناشر باب المجون لتهتكه الزائد

(١) يراد بزاويش (زفس)أحد الهة اليونان (٢) فهرست ١٣٩

وتجد أخباره في الاغاني ٢ ج ١٨ و ١١٠ و ١٧٠ و ١٨٦ ج ٦ و ١٤٨ ج ١٦ وابن خلكان ١٣٥ ج ١وطبقات الادباء ٩٦ والشعر والشعراء ٥٠١ والفهرست ١٦٠ والعقد الفريد ٣٣٧ ج ٣

٤ ــ مسلم بن الوليد

توفي سنة ٢٠٨ هـ

ويعرف بصريع الغواني وهو من أبناء الانصار كان مداحاً محسناً وجل مدائحه في يزيد بن مزيد وداود بن يزيد المهلبي والبرامكة ومحمد بن منصور بن زياد كاتبهم . وولاه المأمون بريد جرجان فلم يزل بها حتى مات . وهو أول من الطف في المعاني ورقق في القول وعليه يعول أبو تمام في ذلك وعلى أبي نواس ومن قوله في الوداع :

واني واسماعيل يوم وداعه ... لكالغمد يوم الروع زايله النصلُ
فان أغشُ قوماً بعده أو أزرهمُ ... فكالوحش يدنيها من الأنس المحلُ

ومن بديعه الذي امتثله أبو تمام وغيره :

اذا ما نكحنا الحرب بالبيض والقنا ... جعلنا المنايا عند ذاك طلاقها

ومن مدحه قوله في الفضل بن يحيى :

تساقط يمناه الندى وشماله الـ ... ردى وعيون القول منطقه الفصلُ
عجول الى أن يودع الحمد ماله ... يعدّ الندى غنما اذا اغتنم البخلُ
له هضبة تأوي الى ظل برمك ... منوط بها الامال أطنابها السبلُ

ومن قوله في وصف سفينة :

أطلت بمجدافين يعتورانها ... يقوّمها كبح اللجام من الدبرِ
كان الصبا تحكي بها حين واجهت ... نسيم الصبا مشي العروس الى الخدر

ومن لطيف غزله :

اذا التقينا منعنا النوم أعيننا ... ولا نلائم يوماً حين نفترق
أقرّ بالذنب مني لست أعرفه ... كيما أقول كما قالت فنتفق

وله ديوان مطبوع في ليدن سنه ١٨٧٥ وتجد أخباره في الشعر والشعراء ٥٢٨ وفي الاغاني ٩ ج ١٣ والعقد الفريد ١٤٢ ج ١ وفي طبعة الديوان المذكورة

٥ — ابو العتاهية

توفي سنة ٢١١ هـ

هو مولى واسمه اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان . ولد بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ في الكوفة وكان في أول امره يتخنث فيحمل زاملة المخنثين . ثم اشتغل بصناعة ابيه فجعل يصطنع الجرار ويحملها في قفص على ظهره ويدور في الكوفة ويبيع منه . ولكنه احس من حداثته باقتداره على النظم . وكان الشعر يومئذ ديوان الناس وموضوع احاديثهم وحيثما اجتمعوا تناشدوه وتذاكروا فيه

فاتفق يوماً وهو يدور بقفص الجرار انه مر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه فسلم ووضع القفص عن ظهره ثم قال: «يا فتيان اراكم تتذاكرون الشعر فاقول شيئاً منه فتجيزونه ? فان فعلتم فلكم عشرة دراهم » فهزأوا منه وسخروا به لكنهم قالوا : « نعم » قال :« لا بد أن يشترى باحد القمرين رطب يؤكل فانه قمر حاصل » وجعل رهنه تحت ايديهم وقال اجيزوا :

ساكني الاجداث انتم

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع وعين نقطة اذا بلغتها الشمس ولم يجيزوا البيت غرموا الخطر . فلما اعياهم ذلك جعل يهزأ بهم وتممه :

ساكني الاجداث انتم مثلما بالامس كنتم
ليت شعري ما صنعتم اربحتم أم خسرتم

وهي قصيدة من شعره طويلة . فخجل الفتيان واذاعوا خبره في الكوفة فجعل ادباؤها وطلاب الشعر من فتيانها يأتونه الى معمله يستنشدونه فينشدهم اشعاره فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيه

ثم وفد على بغداد في أول خلافة المهدي وانشده قصيدة مطلعها :

الا ما لسيدتى مالها ادلت فاحمل ادلالها

وكان بشار بن برد حاضراً فاستخف بها حتى اذا وصل الى قوله :

اتته الخلافة منقادة اليه تجرر اذيالها
فلم تك تصلح الا له ولا يك يصلح الا لها
ولو رامها احد غيره لزلزلت الارض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلو ب لما قبل الله اعمالها

قال بشار لجار له : «انظر ويحك هل طار الخليفة عن فرشه» وصار ابو العتاهية من المقربين . وكان المهدي يراعي خاطره ويكرمه فأحرز نفوذاً عظيما عنده حتى كثيراً ما كان يتوسط بالعفو لديه . ولما توفي المهدي خلفه الهادي وكان واجداً عليه لانه كان يلازم اخاه الرشيد فهنأه أبو العتاهية بقصيدة يتقرب بها اليه مطلعها :

الا شافع عند الخليفة يشفع فيدفع عنا شرَّ ما يتوقع

فاذن بادخاله ولم تطل مدة الهادي فخلفه الرشيد وكان ابو العتاهية قد عاهد نفسه ان لا يقول شعراً فالزمه الرشيد على القول فاطاعه فحظي عنده حظوة كبيرة حتى كان لا يفارقه في حضر ولا سفر وعين له راتباً مقداره ٥٠٠٠٠ درهم سوى الجوائز منه ومن امرائه ووزرائه . وكان بعض هؤلاء يجرون عليه الرواتب الشهرية أو السنوية

وكان ابو العتاهية سوداوي المزاج كثير التردد في امر الدين فتقلب على اطوار شتى ـ شأن الذين يحلون انفسهم من قيود الدين وينظرون فيه نظر الناقد . فاستقر رأي ابي العتاهية اخيراً على التمسك بالاسلام والزهد عن الدنيا فامره الرشيد أن يقول الشعر فابى فحبسه وضربه ثم اطلقه شفقة عليه . وله غزل كثير في عتبة جارية المهدي

وهو من مؤسسي الانقلاب الشعري في هذا العصر وقد اطلق نفسه من التقليد بالمعاني والالفاظ فاتى بمعان جديدة ونظم على اوزان لا تدخل في العروض ولم يتقدمه فيها احد [1] ولم يتهيب مما يتهيب له كثيرون من شعرائنا خوفا من الرجوع عن التقليد قعد يوماً عند قصار فسمع صوت المدقة فحكى ذلك في ابيات شعره فقال :

للمنون دائرا ت يدرن صرفها
هن ينتقيننا واحداً فواحداً

ومن مخترعاته في المعاني قوله :

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

وقوله لاحمد بن يوسف :

الم تر ان الفقر يرجى له الغنى وان الغنى يخشى عليه من الفقر

وقوله في موسى الهادي :

ولما استقلوا باثقالهم وقد ازمعوا للذي ازمعوا
قرنت التفاتي بآثارهم واتبعتهم مقلة تدمع

(١) الاغاني ١٢٦ ج ٣ والشعر والشعراء ٤٩٧

وقوله :

هب الدنيا تصير اليك عفواً   اليس مصير ذاك الى زوال

ومن لطيف معانيه قوله :

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه   تملكه المال الذي هو مالكه

الا انما مالي الذي انا منفق   وليس لي المال الذي انا تاركه

وذكروا له ارجوزة حكمية في بضعة آلاف بيت منها :

حسبك مما تبتغيه القوت   ما اكثر القوت لمن يموت

الفقر فيما جاوز الكفافا   من اتقى الله رجا وخافا

ومع ذلك فالاصمعي يقول : « شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى »

وكان ابو العتاهية ابيض اللون اسود الشعر نظيف الثياب له وفرة جعدة وهيئة حسنة ولباقة وحصافة. وكان سيال القريحة سريع الخاطر لطيف المعاني سهل الالفاظ. فقد سأله بعضهم : « كيف تقول الشعر ؟ » قال : « ما اردته قط الا مثلاً لي فأقول ما أريد واترك مالا أريد »

وقد نظم في كل أبواب الشعر وامتاز منها بالزهد . ويؤخذ من سيرة حياته انه كان متردداً متقلباً ويغلب ذلك في طباع الشعراء لانهم اهل خيال واوهام وخصوصاً الذين يستجدون بشعرهم فانهم يتقلبون مع الاهواء ويسعون وراء النفع حيثما كان على أن تمنع ابي العتاهية عن قول الغزل بعد أن امره به الرشيد يخالف هذه القاعدة ولكن لعل له سبباً حمله على ذلك

واما تقلبه فظاهر من تذبذبه في الدين كما تقدم . وانه كان اذا اختص ببعض الامراء ادعى ولاء قبيلته ـ فقد كان طول حياة يزيد بن منصور يدعي أنه مولى لليمن وينتمي من عنزة . فلما مات يزيد رجع الى ولائه . وعاتبه بعضهم في ذلك وقال له: «الم تكن تزعم أن ولاءك لليمن؟ »قال:« ذلك شيء احتجنا اليه في ذلك الزمن . وما في واحد انتميت اليه خيرٌ ولكن الحق احق ان يتبع » . وكان مع ما جمعه من الاموال بخيلا وله حوادث كثيرة تدل على شدة بخله ذكرها صاحب الاغاني

وله ديوان مطبوع في بيروت سنة ١٨٨٧ . وتجد اخباره في الاغاني ١٢٦ ج ٣ و ١٨٦ ج ٦ و ٢٤ ج ٨ وابن خلّكان ٧١ ج ١ وطبقات الشعراء ٤٩٧ والفهرست ١٦٠ وفي الهلال ١٣٣ سنة ١٣

٦ ـ ابو تمّام

توفي سنة ٢٣١ هـ

هو عربي من طي واسمه حبيب بن اوس الطائي ولد في منبج في بلاد الشام وجاء مصر صغيراً . وكان يسقي الماء في الجامع ثم جالس الادباء واخذ عنهم وتعلم . وكان فطناً فهماً يحب الشعر فلم يزل يعانيه حتى اجاده . وسار شعره وشاع ذكره في بغداد بؤرة الادب في ذلك الحين وخليفتها المعتصم وقد التفت حوله حلقة من الشعراء . فبعث في طلب ابي تمام فنظم فيه القصائد فاجازه وقدمه على شعراء وقته . فلم يعد يقدر احد منهم ان يأخذ درهماً بالشعر في حياته . فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه . وقد امتاز بمذهب في المطابق سبق به الشعراء وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه فان له فضل الاكثار فيه والسلوك في جميع طرقه [١]

وهو من المقدمين بحسن الديباجة ورقة العبارة وفي اجادة الرثاء [٢] ومطلع قصيدته التي رثى بها محمد بن حميد الطوسي لا يزال الراثون والمؤبنون يتمثلون به الى اليوم وهو :

الا فليجلّ الخطب وليفدح الامر   وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وذكر صاحب الاغاني ان كثيراً من ابيات هذه القصيدة مسروق من قصيدة مكنف ابي سلمى من ولد زهير بن ابي سلمى هجا فيها ذفافة العبسي وذكر ابياتاً منها[٣]

ومن مراثيه قوله يرثي ابنين صغيرين لعبد الله بن طاهر ماتا معاً :

لهفي على تلك المخايل منهما   لو امهلت حتى تكون شمائلا
لغدا سكونهما حجى وصباهما   حلماً وتلك الاريحية نائلا
ان الهلال اذا رأيت نموّه   ايقنت ان سيكون بدراً كاملا

ومن مدائحه قوله :

سود اللباس كانما نسجت لهم   ايدي السموم مدارعاً من قار
بكروا واسروا في متون ضوامر   قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم   ابداً على سفر من الاسفار

ولابي تمام وصية في كيفية النظم اوصى بها ابا عبادة البحتري بين فيها احسن

---

(١) الاغاني ١٠٠ ج ١٥   (٢) العمدة ١١٩ ج ٢   (٣) الاغاني ١٠٧ ج ١٥

الوسائل لاجادة النظم قال « تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم . واعلم ان العادة في الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه في وقت السحر وذلك ان النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم فان اردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق واذا اخذت في مدح سيد ذي ايادٍ فاشهر مناقبه واظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقامه وتقاض المعاني واحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الزرية . وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وانت فارغ القلب . واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين . وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى »

ديوان الحماسة

وله فضل على معاصريه من الشعراء انه لم يكتف بما نظمه من ضروب الشعر لكنه جمع مختارات من اشعار العرب الجاهلية وغيرهم في كتاب سماه الحماسة وتعرف بحماسة ابي تمام تمييزاً لها عن حماسة البحتري . حمله على جمعها انه نزل عند صاحب له في همدان اسمه «ابن سلمة» فأكرمه فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج كثير قطع السابلة فغم ابو تمام وفرح «ابن سلمة» وقال «وطن نفسك على البقاء ان الثلج لا ينحسر الا بعد زمان» واحضر له خزانة كتب فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات وهي قصائد طوال . فبقي كتاب الحماسة في خزائن آل سلمة يضنون به ولا يكادون يبرزونه لاحد حتى تغيرت احوالهم وورد من همدان رجل من اهل دينور يعرف بأبي العواذل فظفر به وحمله الى اصبهان . فأقبل ادباؤها عليه ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة في معناه فشهر فيهم وقد شرحه كثيرون

ومن أحسن الشروح شرح الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٦ في اربعة اجزاء كبار بين فيها اشتقاق اسامي شعراء الحماسة وغيرهم وتفسير كل بيت وما فيه من الغريب والاعراب وايراد الاخبار في اماكنها . وطبعت الحماسة بلا شرح في الهند سنة ١٨٥٦ ولها شرح للمرزوقي وآخر لابي العلاء المعري وآخر لابن جني منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي غيرها

وقد عني في طبع الحماسة مع شرح التبريزي ايضاً «فريتاغ» في مجلدين مع ترجمة وشروح لاتينية . ظهر المجلد الاول سنة ١٨٢٨ والثاني ١٨٥١ في بون . وقد ترجمها

الى الالمانية فريدريك روكرت وطبعت مع الاصل في مجلدين في ستتغارت سنة ١٨٤٦ ولابي تمام حماسة أخرى هي كتاب الوحشيات منها نسخة في جملة كتب خطية نادرة استنسخها زكي باشا سكرتير مجلس النظار من مكاتب اوربا لتطبع بمصر

وكان ابو تمام اسمر طويلاً فصيحاً حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة. وله ديوان شرحه كثيرون شروحاً حسنة. منها شرح للصولي المتوفى سنة ٣٣٥ ﻫ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية. وقد طبع الديوان في مصر وفي بيروت سنة ١٣٢٣

وتجد اخبار ابي تمام في الاغاني ٩٩ ج ١٥ وابن خلكان ١٢١ ج ١ وطبقات الادباء ٢١٣ والفهرست ١٦٥

٧ ــ دِعبِل الخزاعي

توفي سنة ٢٤٦ ﻫ

هو عربي من اليمن شديد التعصب للقحطانية على النزارية لا يخشى بذلك لوماً ولا يخاف تهديداً. اسمه دعبل بن علي بن رزين من خزاعة. اصله من الكوفة وجاء بغداد بطلب من الرشيد. وهو شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه احد من الخلفاء ولا وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة احسن اليه أو لم يحسن ولا أفلت منه كبير ولا صغير. فكان الناس يخافونه ويتقونه حتى المأمون فانه هجاه هجاء شديداً واحتمل ذلك منه. ومن شديد هجائه الذي يحتاج الى جرأة قوله للمأمون:

أني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعدطول خموله واستنقذوك من الحضيض الاوهد

يشير الى طاهر بن الحسين الخزاعي وقتله الامين حتى تولى المأمون. ومن قوله في هجاء المعتصم:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتنا عن ثامن لهم كتبُ
كذلك اهل الكهف في الكهف سبعة خيار اذا عدُّوا وثامنهم كلب
واني لأعلي كلبهم عنك رفعة لانك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم وصيف واشناس وقد عظم الكرب

وهجا ايضاً ابراهيم بن المهدي وغيره حتى آل طاهر مع انه كان ميالاً اليهم. وكان مسلم بن الوليد المتقدم ذكره شاخ ودعبل شاب وهو يعترف باستاذيته فجفاه

مسلم فهجاه دعبل بقصيدة فيها عتاب شديد [1] ختمه بقوله :

فهبك يميني استأكلت فقطعتها وصبرت قلبي بعدها فتشجعا

وجرى له مع المطلب بن عبد الله أحد أمراء مصر حديث غاظ دعبلا فهجا المطلب بقصيدة قال فيها :

تعلق مصر بك المخزيات وتبصق في وجهك الموصل
وعاديت قوماً فما ضرهم وشرفت قوماً فلم ينبلوا
شعارك عند الحروب النجا وصاحبك الاخور الافشل
فأنت اذا ما التقوا آخر وانت اذا انهزموا أول

وله في مقابل ذلك مدائح بغاية البلاغة . وأكثر مدائحه في أهل البيت لانه كان شديد التعصب لعلي وأهله . على أنه كثيراً ماكان يتخذ هجوه للارهاب فيضطر الناس الى استرضائه ليكف عن هجائهم أو ليمدحهم . ومن قوله في مدح المطلب المذكور:

ابعد مصر وبعد مطلب ترجو الغنى ان ذا من العجب
ان كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطلب

ومن أشهر قصائده قوله يمدح أهل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :

وليس حي من الاحياء نعلمه من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
الا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك ايسار على جزر
قتل واسر وتحريق ومنهبة فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين ان قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
إربع بطوس على القبر الزكي اذا ماكنت تربع من دين الى وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر
ماينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امريء رهن بما كسبت له يداه فخذ ما شئت أو فذر

ومن أدلة اقتداره على انتقاء الالفاظ قوله في رثاء محمد بن يزيد الخزاعي :

كانت خزاعة ملء الارض ماا تسعت فقص مر الليالي من حواشيها
هذا أبو القاسم الثاوي ببلقعة تسفي الرياح عليه من سوافيها
هبت وقد علمت ان لا هبوب به وقد تكون حسيراً اذ يباريها

(١) الاغاني ٤٨ ج ١٨

اضحى قرى للمنايا اذ نزلن به   وكان في سالف الايام يقريها

ومن شعره في الغزل قوله :

لا تعجبي ياسلم من رجل   ضحك المشيب برأسه فبكى
لا تأخذوا بظلامتي أحداً   قلبي وطرفي في دمي اشتركا

فأنت ترى شاعرية هذا الرجل لكن ذكره خمل بسبب هجوه الخلفاء — والناس على دين ملوكهم . فلم يصل الينا من أشعاره الا شذرات مبعثرة مع أخباره في الاغاني ٢٩ ج ١٨ وابن خلكان ١٧٨ ج ١ والشعر والشعراء ٥٣٩ والفهرست ١٦١.

سائر الشعراء

في العصر العباسي الاول

شعراء الخلفاء

نريد بشعراء الخلفاء الذين انقطعوا للخلفاء أو كان أكثر منظومهم فيهم أو أنهم لم يختصوا بسواهم ولا يدخلون في طبقة من الطبقات الاخرى . وقد ترجمنا بعضهم فيما تقدم من فحول هذا العصر ونأتي الآن على خلاصة أخبار الباقين مراعاة للمقام ونرتبهم حسب سني وفاتهم

١ — أبو دُلامة

توفي سنة ١٦١ ﻫ

هو زند بن الجون وسمي أبا دلامة نسبة الى ابنه دلامة . وهو كوفي المنشأ اسود اللون مولى لبني اسد . وكان أبوه عبداً لرجل منهم فأعتقه . أدرك أبو دلامة أواخر الدولة الاموية ولكنه نبغ في الدولة العباسية وانقطع الى ابي العباس السفاح والمنصور والمهدي . وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبون محاسنه ونوادره وفيه دعابة وظرف لا يخلو حديثه من نكتة أو ملحة . وكان مع ذلك معدوداً في جملة المتهمين بالزندقة وفساد الدين وكان يشرب الخمر ولا يحضر صلاة ولا فروضاً . وله قصائد عديدة في مدح الخلفاء المذكورين منها قصيدة في قتل أبي مسلم الخراساني مطلعها :

أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى عليك بما خوفتني الاسد الورد

أنشدها المنصور في محفل من الناس فقال له « احتكم » فطلب عشرة آلاف درهم فقبضها . وله فيه مدائح كثيرة وكلما زاده عطاء زاده مدحاً حتى قال فيه :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس

ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم الى السماء فأنتم أطهر الناس

وقدموا القائم المنصور رأسكم فالعين والانف والاذنان في الراس

ومن مداعباته ومجونه ان أبا العباس السفاح قال له « سلني حاجتك » فقال أبو دلامة « كلب أتصيد به » فاستغرب طلبه لكنه أمر باعطائه فقال أبو دلامة «واعطني دابة أتصيد عليها» قال «اعطوه» قال «وغلام يصيد بالكلب ويقوده» قال «اعطوه غلاماً » قال « وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه » قال «اعطوه جارية » قال « هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها » قال « أعطوه داراً تجمعهم » قال « فان لم تكن لهم ضيعة فمن اين يعيشون ؟ » قال « قد أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة قال:«وما الغامرة ؟ » قال : « التي لا نبات فيها » فقال « قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة الف جريب غامرة من فيافي بني أسد » فضحك وقال « اجعلوها كلها عامرة »

ومن مجونه ان المنصور الزمه بالصلاة في مسجده ووكل به من يلاحظه فغاظه ذلك فكتب الى المنصور رقعة قال فيها :

ألم تعلموا ان الخليفة لزني بمسجده والقصر مالي وللقصر

أصلي به الاولى مع العصر دائماً فويلي من الاولى وويلي من العصر

ووالله ما لي نية في صلاتهم ولا البر والاحسان والخير من أمري

وما ضره والله يصلح أمره لو ان ذنوب العالمين على ظهري

فضحك المنصور وأعفاه . وأخباره في الاغاني ١٢٠ ج ٩ وابن خلكان ١٩٠ ج ١ والشعر والشعراء ٤٨٧ والدميري ١٣٢ ج ١ والمستطرف ٤٣ ج ٢

٢ ـ حماد عجرد

توفي سنة ١٦١ ه

هو مولى أيضاً نشأ في الكوفة ثم واسط وعاصر الدولتين لكنه نبغ في الدولة العباسية بعد أن نادم الوليد بن يزيد الاموي وجاء بغداد أيام المهدي ومعه مطيع ابن أياس ويحيى بن زياد وكلهم من المتهمين في دينهم. وحماد من الشعراء المجيدين وكان

ماجناً ظريفاً خليعاً وأدرك بشار بن برد وله معه اهاج فاحشة لولا فحشها لذكرنا أمثلة منها . ولم يكن يهاب كبيراً ولا صغيراً ولا عالماً كان أو خليفة .وقد عاصر الامام أبا حنيفة وكانت بينهما مودة ثم قاطعه أبو حنيفة وبلغ حماداً أنه يتنقصه فكتب اليه :

ان كان نسكك لا يتم بغير شتمي وانتقاصي
فاقعدوقم بي كيف شئت مع الاداني والاقاصي
فلطالما زكيتني وأنا المقيم على المعاصي
أيام نأخذها ونعطى في أباريق الرصاص

واهتم أدباء ذلك العصر بالمهاجاة بين بشار وحماد كما اهتموا في العصر الاموي بالمهاجاة بين جرير والفرزدق . وقد أجمع علماء البصرة أنه ليس في هجاء حماد لبشار شيء جيد الا ٤٠ بيتاً معدودة . أما بشار فله من الهجاء أكثر من الف بيت جيد وكل منهما هتك صاحبه بالزندقة . وكانا يجتمعان عليها فسقط عجرد وتهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه وبقي بشار على حاله لم يسقط

ومن ظريف أخباره أنه هجا حفص بن أبي بردة وكان صديقه وزنديقاً مثله وحفص أعمش أفطس أعضب مقبح الوجه . فاجتمعوا يوماً على شراب وجعلوا يتحدثون ويتناشدون فاخذ حفص بن أبي بردة يطعن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه فقال له حماد :

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل ... وأنف كمثيل العود عما تتبع
تتبع لحناً في كلام مرقش ... ووجهك مبني على اللحن أجمع
فاذناك أقواء وأنفك مكفأ ... وعيناك ايطاء فانت المرقع

وقد سبق أبا نواس بالتغزل في الغلمان. من ذلك قوله في غلام كان يهواه اسمه أبو بشر :

أخي ان دائي ليس عندي دواؤه ... ولكن دوائي عند قلب أبي بشر
دوائي ودائي عند من لو رأيته ... يقلب عينيه لا قصرت عن زجري
فاقسم لو أصبحت في لوعة الهوى ... لاقصرت عن لومي وأطنبت في عذري
ولكن بلائي منك أنك ناصح ... وانك لاتدري بانك لا تدري

وكان السبب في وفاة حماد عجرد أنه شبب بزينب أخت محمد بن سليمان بن علي وبلغه غضب محمد فهرب الى الاهواز فبعث محمد بطلبه ففر الى غيرها ومرض في تنقله حتى مات في شيراز ودفن فيها

وتجد ترجمته في الاغاني ٧٣ ج ١٣ وابن خلكان ١٦٥ ج ١ والشعر والشعراء ٤٩٠ والفهرست ٩١

٣ — مروان بن أبي حفصة

توفي سنة ١٨١ ه

هو من الشعراء الموالى أصل جده من سبي اصطخر وكان غلاماً اشتراه عثمان ابن عفان ووهبه لمروان بن الحكم وأقام بعدئذ باليمامة وولد له غلام سماه مروان. وقد اختلفوا في حقيقة نسبه. شب مروان على كره الشيعة لانه من موالي بني أمية وقد حارب معهم. وكان شجاعاً مجربا فلما نبغ في الشعر قدم بغداد ومدح المهدي ثم الرشيد وكان يتقرب اليه بهجاء العلويين. وهو من الفحول المقدمين أول من شهره ونوه به معن بن زائدة الجواد المشهور بقصيدة نونية مدحه بها مطلعها:

معن بن زائدة الذي زيدت به   شرفاً على شرف بنو شيبان

ولكنه اشتهر على الخصوص بقصيدة لامية مدح بها معناً مطلعها:

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم   اسود لهم في بطن خفان اشبل

فاجازه عليها بمال كثير فكان كلما زاده معن عطاء زاده مروان مدحاً حتى غار منه المهدي وعنفه مرة وقد دخل عليه في جملة الشعراء وأنشده قصيدة في مدحه فقال له المهدي «من أنت ؟» قال « شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة» فقال له المهدي « ألست أنت القائل » :

أقمنا باليمامة بعد معن   مقاماً لا نريد به زوالا

وقلنا أين نرحل بعد معن   وقد ذهب النوال ولا نوالا

قد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا . . جروا برجله» فجروه برجله حتى أخرج . فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء — وكانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة — فمثل بين يديه وأنشد قصيدة في مدحه حتى بلغ الى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها   بأكفكم أو تسترون هلالها

أو تجحدون مقالة عن ربكم   جبريل بلغها النبي فقالها

شهدت من الانفال آخر آية   بتراثهم فأردتم ابطالها

فطرب المهدي وسأل عن القصيدة كم بيت فقيل مائة بيت فامر له عن كل بيت بالف درهم فنال ١٠٠٠٠٠ درهم وهي أول مرة نال شاعر هذه العطية [1]

(١) الاغاني ٤٤ ج ٩

ولما تولى الرشيد جاءه مع الشعراء فاصابه معه كما اصابه مع المهدي . ثم مدحه بقصيدة بائية أعجبته فاعطاه عن كل بيت ألف درهم . ولم ينل أحد من شعراء ذلك العصر ما ناله مروان بشعره فجمع مالاً كثيراً لكنه كان مطبوعاً على البخل وظهر ذلك على الخصوص بالمقابلة مع سلم الخاسر الآتي ذكره لان هذا كان يتمتع بماله فيأتي باب المهدي على البرذون قيمته ١٠٠٠٠ درهم . ويلبس الخز والوشي ويتطيب ويتنعم بالاكل عكس مروان (١)

وتجد اخبار مروان في الاغاني ٣٦ ج ٩ وابن خلكان ٨٩ ج ٢ و ١٠٩ ج ٢ والشعر والشعراء ٤٨١ وخزانة الادب ٤٤٧ ج ١ والفهرست ١٦٠

٤ — سَلْم الخاسِر

توفي سنة ١٨٦ هـ

هو سلم (ويقال سالم) بن عمرو احد موالي ابي بكر الصديق. نشأ في البصرة وكان شاعراً مطبوعاً متصرفاً في فنون الشعر وكان متظاهراً بالخلاعة والفسوق والمجون وزاد شاعرية وتمرحاً بالشعر على يد بشار لانه كان راويته وتلميذه اخذ عنه واغترف من بحره ونسج على منواله وكثيراً ما كان يأخذ اقواله فيسلخها ويمسخها كما مسخ هذا البيت :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهجُ

فجعله :

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور

فبلغ بيته بشاراً فغضب واقسم الاّ يدخل عليه ولا يفيده مادام حيًّا فاستشفع اليه بكل صديق حتي رضي ووبخه وقنعه بمخصرة كانت بيده . وكان صديقاً لابرهيم الموصلي المغني المشهور ولابي العتاهية . وكان يمدح البرامكة وخصوصاً الفضل بن يحي. وكان أول اشتهاره انه حمل قصيدة بشار الى عمر بن العلاء فلما انشده اياها امر لبشار بمائة درهم فقال سلم: «ان خادمك (يعني نفسه) قد قال في طريقه فيك قصيدة» قال ما هي فانشده اياها ومطلعها :

قد عزني الداء فمالي دواء مما الاقي من حسان النساء

حتى تخلص الى المدح بقوله :

---

(١) الاغانى ٣٩ ج ٩

كم كربة قد مسّني ضرها ناديت فيها عمر بن العلاء

فامر له بعشرة آلاف درهم وهي اول عطية سنية نالها ثم توالت عليه الجوائز من الخلفاء والوزراء والامراء وكان يتبسط في المعيشة ويلبس أحسن الملابس كما تقدم . وظل الى آخر ايامه يعترف انه جزء من محاسن بشار

وتجد ترجمته في الاغاني ١١٠ ج ٢١ وابن خلكان ١٩٨ ج ١

٥ — منَصور النمرى

هو عربيٌّ من النمر بن قاسط نشأ في الجزيرة بين النهرين . وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي الآتي ذكره بين الشعراء الذين لم يتحضروا وراويته . وعنه اخذ ومن بحره استقى . وقدمه العتابي الى البرامكة فوصفه للفضل بن يحيي وقرظه عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه . ثم وصله بالرشيد وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا وسعى كل منهما في هلاك صاحبه

وكان مسكن النمري في الشام فطلب الى البرامكة ان يذكروه للرشيد فذكروه ووصفوه فاستحضره . وكان ذا حيلة سياسية فادرك ان الرشيد يسرُّه ان يمدح بنفي الامامة عن علي والطعن عليه لما كان يراه من تقديم مروان بن ابي حفصة بسبب ذلك فسلك مذهبه ونحا نحوه — والشعراء يومئذ انما يطلبون الكسب . لكنه لم يصرح بالهجاء والسب كما فعل مروان ومن قوله فيه قصيدة مطلعها :

امير المؤمنين اليك خضنا غمار الهول من بلد شطير
تخوّض كالاهلة خافقات تلين على السرى وعلى الهجير
حملن اليك احمالاً ثقالاً ومثل الصخرة الدر المثير
فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار الى المصير

ومما قاله في تفضيله على ابناء علي بالارث قوله :

فان شكروا فقد انعمت فيهم والا فالندامة للكفور
وان قالوا بنو بنت فحق وردوا مايناسب للذكور
وما لبني بنات من تراث مع الاعمام في ورق الزبور

وكان الرشيد يفضل مروان عليه بالعطاء ولو قليلاً . وقد ذكرنا الابيات التي قالها في مدح الرشيد من المبالغة [1] وناهيك بالقصيدة التي رفعت السيف عن ربيعة [2]

(١) الاغاني ٢٠ ج ١٢ والعمدة ١١٠ ج ٢ (٢) الاغاني ٢٣ ج ١٢

وقد مدح ايضاً يزيد بن مزيد بقصيدة مطلعها :

لو لم يكن لبني شيبان من حسب　　سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب

وتجد اخبار المنصور النمري في الاغاني ١٦ ج ١٢ و ٣٢ و ١٤١ ج ١٧

٦ — علي بن الجهم

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع وقد خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ثم ابغضه لانه كان كثير السعاية اليه بندمائه واذا خلا به عرفه انهم يعيبونه ويثلبونه فيكشف الخليفة عن ذلك فلا يجد له حقيقة فنفاه الى خراسان بعد ان حبسه مدة وكان مذهبه في الشعر مذهب مروان بن ابي حفصة في هجاء آل ابي طالب وذمهم والاغراء بهم وهجاء الشيعة كقوله :

ورافضة تقول بشعب رضوى　　امامٌ . خاب ذلك من امام
امامٌ من له عشرون الفاً　　من الاتراك مشرعة السهام

وهجا الخليفة المتوكل مرة فنفاه الى خراسان . وكتب الخليفة الى طاهر بن عبد الله صاحب خراسان ان يصلبه فقبض عليه وصابه في الشاذياخ يوماً الى الليل مجرداً فلما نزل قال في ذلك قصيدة فخرية مطلعها :

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية ا　　لاثنين مسبوقاً ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم　　شرفاً وملء صدورهم تبجيلا

ومما قاله عن حبسه بعد الخروج منه وفيه احسن ما قيل في مدح السجن :

قالوا حبستَ فقلت ليس بضائري　　حبسي واي مهند لا يغمدُ
او ما رأيت الليث يألف غيله　　كبرا واوباش السباع تردّد
والشمس لولا انها محجوبة　　عن ناظريك لما اضاء الفرقد
والبدر يدركه السرار فتنجلي　　ايامه وكانه متجدد
والغيث يحصره الغمام فما يرى　　الا وريقه يراع ويرعد
والزاعبية لايقوم كعوبها　　الا الثقاف وجذوة تتوقد
والنار في احجارها مخبوءة　　لا تصطلى ان لم تثرها الازند

وله اقوال في الغزل والعتاب وفي الوصف ومن أجمل ذلك قوله في وصف حفلة بعد صيد فرشوها واقاموا يشربون على الزعفران :

وطئنا رياض الزعفران وامسكت — علينا البزاة البيض حمر التدارج
ولم تحمنهـا الادغال منـا وانما — ابحنـا حماها بالـكلاب البوارج
بمستروحات سابحـات بطونها — على الارض امثال السهام الزوالج
ومستشرفات بالهوادي كأنهـا — وما عقفت منهـا رؤوس الصوالج
ومن دالعـات ألسناً فكـأنها — لحى من رجال خاضعين كواسج
فلينا بها الغيطان فلياً كأنهـا — انامل احدى الغانيـات الحوالج

وتجد اخباره في الاغاني ١٠٤ ج ٩ وابن خلـكان ٣٤٩ ج ١

٧ — حُسَين بن الضَحَّاك

توفي سنة ٢٥٠ هـ

هو مولى باهلة ولد في البصرة ونشأ فيها ونادم الخلفاء من بني العباس وكان خليعاً فاسداً وكان مع ذلك حسن التصرف في النظم ، لشعره قبول ورونق فهو من المتفننين وله معان جديدة في الخمر كان ابو نواس يأخذها عنه. ومع ان ابا نواس مات سنة ١٩٨ والضحاك مات سنة ٢٥٠ فقد تعاصرا لان مولدهما متقارب لـكن ابن الضحـاك عمر كثيراً

وهو اول من نادم الامين وله فيه مدائح كثيرة فلما رجع المأمون من خراسان بعد مقتل اخيه واستتب الامر له طلب قوماً من أهل الادب يجالسونه فذكروا له جماعة فيهم حسين بن الضحاك فقال « اليس هو القائل في محمد (الامين) :

هـلاّ بقيت لسـدّ فاقتنا — ابداً وكان لغيرك التلفُ
فلقـد خلفت خـلائفاً سلفوا — ولسوف يعوز بعدك الخلفُ

لا حاجة لي فيه والله لايراني ابداً الا في الطريق » ولم يعاقبه على ما كان من هجائه له وتعريضه به . وانحدر الحسين الى البصرة فاقام بها طول أيام المأمون

وله في الامين مراث جيدة . فلما تولى المعتصم سأل عن حسين بن الضحاك فقيل له انه في البصرة فاستقدمه فقدم وانشده قصيدة فيها من المديح قوله :

خـير الوفود مبشرٌ بخـلافة — خصت ببهجتهـا ابا اسحق
وافته في الشهر الحرام سليمة — من كل مشـكلة وكل شقاق
اعطته صفقتها الضمائر طاعـةً — قبـل الاكف بأوكد الميثاق
سكن الانام الى امام سلامةٍ — عفّ الضمير مهذب الاخلاق

فحمى رعيته ودافع دونها واجار مملقها من الاملاق

وله ابيات في التغزل بالغلمان اقتبس بعضها ابو نواس [١]

وتجد اخباره في الاغاني ١٧٠ ج ٦ وابن خلكان ١٥٤ ج ١

شعراء البرامكة

نريد بهم الشعراء الذين كان اكثر انقطاعهم للبرامكة او اختصوا بهم دون سواهم او كان لهم معهم شأن خاص وهاك اشهرهم :

١ — أبان بن عبد الحميد

هو من الشعراء الموالي واكثر شعره مزدوج ومسمط . نقل كتباً من الفارسية الى العربية. وله ذكر خاص في آداب اللغة العربية لانه نظم كتاب كليلة ودمنة شعراً باشارة البرامكة كما نظمه الفرس قبلاً ليسهل حفظه على الاذهان .وقد نقله ابن المقفع نثراً . وهاك مطلع الترجمة الشعرية :

هــذا كتاب أدب ومحنــهْ وهو الذي يدعى كليلة دمنهْ

فيــه احتيالاتٌ وفيه رشــدُ وهو كتابٌ وضعته الهندُ

فاعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار واعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ولم يعطه جعفر شيئاً وقال « الا يكفيك ان احفظه فاكون راويتك ؟ »

وهذا النقل من جملة افضال البرامكة على اللغة العربية لكن المنظومة ضاعت ولم يبق منها الا هذان البيتان.ونقله شعراً ايضاً آخرون سنذكرهم عند ذكر هذا الكتاب

وارتقى ابان في ايام البرامكة حتى جعل يحيى بن خالد امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز اليه فامتحنهم ورتبهم وفي جملتهم ابو نواس . فلم يرض ابو نواس المرتبة التي جعله فيها وهجاه بقصيدة اتهمه فيها بالزندقة ، واكثر اعدائه كانوا يتهمونه بذلك وفيهم المعذل بن غيلان فانه قال فيه :

رايت اباناً يوم فطر مصلياً فقسم فكري واستفزني الطربْ

وكيف يصلي مظلم القلب دينهُ على دين مانٍ ان ذاك من العجب

(١) الاغاني ١٧٥ ج ٦

واغتنم ابان تقربه من البرامكة ووسطهم بإيصاله الى الرشيد او ايصال مديحه لعله يحظى كما حظي مروان بن ابي حفصة فلم يفعلوا . ولما عاتبهم قالوا «ان مروان يتقرب اليهم بهجو آل ابي طالب فهل تفعل ؟ » فقال لا فقالوا « فماذا نصنع لاتأتي الدنيا الا بما لايحل » ثم غلب عليه التماس الرزق فقال :

نشدت بحق الله من كان مسلماً اعم بما قد قلته العجم والعربْ
اعمُّ رسول الله اقرب زلفـةً لديه ام ابن العم في رتبة النسب
وايهما اولى به وبعهـده ومن ذا له حق التراث بما وجب
فان كان عباسٌ احق بتلكم وكان عليٌّ بعـد ذاك على سبب
فابناء عبـاسٍ هم يرثونه كما العم لابن العم في الارث قد حجب

وهي طويلة فقدموها الى الرشيد فاجازه عليها واتصل به من ذلك الحين وتجد اخباره في الاغاني ٧٣ ج ٢٠ والفهرست ١٦٣

٢ — ابن مُنَاذر

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو مولى ويكنى ابا جعفر واسمه محمد بن مناذر شاعر فصيح مقدم في العلم باللغة وامام فيها حتى اخذ عنه اكابر اهلها وكان في أول امره يتعبد ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وخلع وقذف اعراض اهل البصرة حتى نفي عنها الى الحجاز فمات هناك

وكان ينحو نحو عدي بن زيد في شعره ويميل اليه ويقدمه. وقد مدح آل برمك وغيرهم.ولما نكب البرامكة وآلت الوزارة الى عدوهم الفضل بن الربيع اصبح شعراء البرامكة في خطر . فاراد ابن مناذر ان يتقرب الى الرشيـد طلباً للرزق فاغتنم ذهابه الى الحج وتقدم اليه يوم التروية بقصيدة فلاح البشر في وجه الرشيد فقال الفضل بن الربيع للرشيد .« هذا شاعر البرامكة » فعبس الرشيد فقال الفضل « مره ان ينشدك قوله فيهم » فامره فاعتذر فألح عليه فانشد القصيدة التي مطلعها :

اتانا بنو الامـلاك من آل برمك فيا طيب اخبار ويا حسن منظر [1]

وكلها اطراء في البرامكة ولمـا فرغ منها استدرك بقوله « كانوا اولياءك يا امير المؤمنين لما مدحتهم » فامر الرشيـد ان يلطم فلطموه وامر فحبسوه وخرج لا يلوي

(١) الاغاني ٢٥ ج ١٧

على شيء . فلقيه ابو نواس فدفع اليه صرة فيها ٣٠٠ دينار وقال له « استعن بهذه واعذرني » ولم يعد ابن مناذر يرى خيراً بعد البرامكة

وتجد اخباره في الاغاني ٩ ج ١٧ والشعر والشعراء ٥٥٣

٣ — الرُّقاشي

توفي سنة ٢٠٠ ه

هو مولى واسمه الفضل بن عبد الصمد الرقاشي من اهل البصرة كان سهل الشعر مطبوعاً وكان منقطعاً الى آل برمك مستغنياً بهم عن سواهم . وكانوا يصولون به على الشعراء ويروُّون اولادهم اشعاره ويدونونها القليل والكثير منها تعصباً له وحفظاً لخدمته وتنويهاً باسمه وتحريكاً لنشاطه لحفظ ذلك لهم. فلما نكبوا صار اليهم في حبسهم فاقام معهم مدة ايامهم ينشدهم ويسامرهم حتى ماتوا ثم رثاهم فاكثر من رثائهم. من ذلك قوله لما صلب الفضل بن يحي واجتاز به الرقاشي وهو مصلوب على الجذع فوقف يبكي ثم قال :

اما والله لولا خوف واشٍ وعين للخليفة لا تنامُ
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
فما ابصرت قبلك يا ابن يحي حساماً حتفه السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعاً ودولة آل برمكٍ السلام

وتجد ترجمته في الاغاني ٣٥ج١٥ وفوات الوفيات ١٢٥ج٢ والشعر والشعراء ٥١٥

٤ — أَشْجع السُّلَمي

هو أشجع بن عمرو السلمي من قيس . ولد باليمامة ومات ابوه فجاءت به أمه البصرة فماتت هناك . ونشأ اشجع بالبصرة وقال الشعر واجاد وعد من الفحول وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ولم يكن لقيس شاعر معدود فلما نجم اشجع افتخرت به قيس . ثم اتصل بالبرامكة واختص بجعفر واصفاه مدحه فاعجب به واوصله الى الرشيد فاعجب به فأثرى. ومن بليغ شعره قوله في ابراهيم بن عثمان بن نهيك صاحب شرطة الرشيد وكان جباراً عبوساً :

في سيف ابراهيم خوفٌ واقعٌ بذوى النفاق وفيه أمنٌ المسلمِ
ويبيت يكلأ والعيون هواجعٌ مال المضيع ومهجةَ المستسلمِ

جعل الخطام بأنف كل مخالف ... حتى استقام له الذي لم يخطم
لا يصلح السلطانَ الاشدةٌ ... تغشى البريَّ بفضل ذنب المجرم
ومن الولاة مقحمٌ لا يتقي ... والسيف تقطر شفرتاه من الدم
منعت مهابتك النفوس حديثها ... بالامر تكرههُ وان لم تعلم

وتجد اشعاره واخباره في الاغاني ٣٠ ج ١٧ والشعر والشعراء ٥٦٢

واكثر الشعراء مدحوا البرامكة وانتفعوا بهم وانما اتينا على اشهرهم في ذلك وبعضهم يدخل في الابواب الاخرى

شعراء الشيعة

نريد بشعراء الشيعة الذين كانوا يتشيعون لآل علي ويتعصبون لهم ولو مدحوا غيرهم وقد ترجمنا اثنين منهم هما السيد الحميري ودعبل في جملة عمدة شعراء هذا العصر . واليك ترجمة ثالثهم ديك الجن :

ديك الجنّ

توفي سنة ٢٣٥ هـ

اسمه عبد السلام بن رغبان وأصله من اهل مؤتة (وقيل سلمية) وقد اسلم جده في اول الاسلام. ولد في حمص وديك الجن لقب له وكان شديد التشعب والعصبية على العرب يرد على الذين يحتقرون غير العرب بقوله « ما للعرب علينا فضل جمعتنا واياهم ولادة ابراهيم واسلمنا كما اسلموا » وهو شاعر مجيد يذهب مذهب ابي تمام والشاميين في شعره وكان مقيماً في حمص ولم يبرح نواحي الشام ولا وفد الى العراق ولا الى غيره منتجعاً بشعره ولا متصدّياً لاحد وهذا نادر في شعراء ذلك العصر. وكان يتشيع لآل البيت وله مراثٍ كثيرة في الحسين بن علي كان بعضها مشهوراً عند الخاص والعام يناح به . وكان مع ذلك خليعاً ماجناً منعكفاً على القصف واللهو متلافاً لما ورث عن آبائه وما اكتسبه بشعره من احمد وجعفر ابني علي الهاشميين . ومن اقواله في الخلاعة والغزل قصيدة مطلعها :

مولاتنا ياغلام مبتكرة ... فباكر الكاس لي بلا نظرة

وعشق جارية نصرانية من اهل حمص اسمها وردة حملها على الاسلام وتزوجها وله فيها تشبيب منه قوله :

انظر الى شمس القصور وبدرها ... والى خزاماها وبهجة زهرها
لم تبك عينك ابيضاً في اسودٍ ... جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها ... من ريقها من لايحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من اردافها ... عجباً ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كاس مدامة من كفها ... وردية ومدامة من ثغرها

ودخل بعض اقربائه بينه وبينها واتهمها بحب رجل آخر واحتال حتى صدق ديك الجن التهمة وهي افتراء وقتلها على غضب ثم عرف انها بريئة فنظم في رثائها :

ياطاعة طلع الحمام عليها ... وجنى لها ثمر الردى بيديها
روَّيتُ من دمها الثرى ولطالما ... روى الهوى شفتيَّ من شفتيها
قد بات سيفي في مجال وشاحها ... ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وماوطىء الحصى ... شيءٌ اعزُّ عليَّ من نعليها
ما كان قتليها لاني لم اكن ... ابكي اذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها ... وانفت من نظر الحسود اليها

وبعضهم ينسب هذه الابيات لغير ديك الجن . واحسن نظمه بعد ذلك فيها وكله جيد على انه كان مجيداً في الرثاء حتى فضلوه فيهِ على ابي تمام [1] . وتجد اخباره في الاغاني ١٤١ ج ١٢ وابن خلكان ٢٩٣ ج ١ والدميري ٣١٦ ج ١

شعراء سائر الامراء

وهناك طبقة من شعراء العصر العباسي الاول انقطع كل منهم الى امير او وزير او كبير . اشهرهم علي بن جبلة المعروف بالعكوَّك انقطع لابي دلف. ومطيع بن اياس انقطع لجعفر بن المنصور . وابو الشيص لعقبة بن جعفر بن الاشعث وهذه تراجمهم :

١ — مُطيع بن أَياس

هو عربي الاصل يرجع نسبه الى كنانة وقد عاصر الدولتين الاموية والعباسية وكان ماجناً خليعاً ظريفاً مليح النادرة متهماً بالزندقة . ولد ونشأ في الكوفة

(١) العمدة ١١٩ ج ٢

وانقطع لجعفر بن ابي جعفر المنصور ومدح قليلين غيره.وهو من طبقة كانت في صدر الدولة العباسية قبل ابي نواس وابي العتاهية ادركوا المنصور وهو لا يقبـل الشعراء وكانوا ثلاثة:مطيع وحماد عجرد ويحيى بن زياد فكانوا يتذاكرون ايام بني امية وكثرة الخير فيها وما هم فيه ببغـداد من القحط ايام المنصور . وقد نظم مطيع في ذلك شعراً منهُ قوله :

حبذا عيشنا الذي زال عنا   حبذا ذاك لا حبـذا ذا
اين هذا من ذاك سقياً لذا   ك ولسنا نقول سقياً لهذا
زادهذا الزمان عسراً وشرًّا   عندنا اذ احلنا بغـداذا
بلدةٌ تمطر التراب على النـا   س كما تمطر السماء الرذاذا
خربت عاجلاً واخرب ذوالعر   ش باعمـال اهلها كلواذا

وكانوا يتهتكون في تعشق الغلمان ولعلهم اقدم من فعل ذلك من الشعراء . وفي الاغاني حديث عنهم نخجل من ذكره يدل على مقدار تهتكهم في ذلك العصر . ولمطيع قصيدة عامرة يمدح بها معن بن زائدة مطلعها :

اهلاً وسهلاً بسيـد العرب   ذي الغرر الواضحات والنجب
فتى نزار وكهلها واخي الجـ   ـود حوى عانيه من كثب

وترى اخباره في الاغاني ٧٨ ج ١٢ و٨٥ ج ١٣ و٨٦ ج ٢١

٢ — أَبو الشّيص

توفي سنة ١٩٦ هـ

هو ابو جعفر محمد بن رزين من اليمنية.وهو عم دعبل الشاعر المشهور وقد تقدمت ترجمته .وكان ابو الشيص من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد واشجع وابي نواس فخمل وانقطع الى عقبة بن جعفر بن الاشعث الخزاعي وكان اميراً على الرقة فمدحه باكثر شعره وقلما يروى له في غـيره . وكان عقبة جواداً فاغناه عن غيره لانه كان يعطيه عن كل بيت الف درهم . وكان من وصاف الخمر وله مقـدرة على الغزل . واصيب آخر عمره بالعمى فنظم الشعر في بكاء عينيه فمن ذلك قوله :

يا نفس ابـكي بادمع هتن   ووا كف كالجمان في سنن
على دليلي وقائدي ويدي   ونور وجهي وسايس البدن

ابكي عليها بها مخافة ان يقرنني والظلام في قرن

ومن اقواله في الغزل :

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخرٌ عنه ولا متقدمُ
اجد الملامة في هواك لذيذة حباً بذكرك فليلمني اللوَّم
اشبهت اعدائي فصرتُ احبهم اذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني فاهنتُ نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن يكرم

وهو مما يتغنى به . وقد سرق ابو نواس معنى البيت الاول فنظمه في قوله :

فما جازه جودٌ ولا حل دونهُ ولكن يسير الجود حيث يسير

وسرق آخرون معنى البيت الثاني فقال بعض المغاربة :

هددت بالسلطان فيك وانما أخشى صدودك لامن السلطان
اجد اللذاذة في الملام فلو درى أخذ الرشا مني الذي يلحاني

وتجد اخباره في الاغاني ١٠٨ ج ١٥ وفوات الوفيات ٢٢٥ ج ٢ والشعر والشعراء ٥٣٥ والفهرست ١٦١

٣ — العَكَوَّك

توفي سنة ٢١٣ هـ

اسمه علي بن جبلة الانباري والعكوَّك لقبه وهو من الموالي ابناء الشيعة الخراسانية من اهل بغداد ولد في الحربية منها ونشأ فيها وكان ضريراً منذ ولادته مثل بشار بن برد . وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله لطيف المعاني مداح حسن التصرف.وقد استنفد شعره في مدح ابي دلف العجلي وابي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي وزاد في تفضيلها وتفضيل ابي دلف خاصة حتى فضل ربيعة على مضر فاستاء المأمون من ذلك وبلغه ابيات قالها العكوك في ابي دلف منها :

كل من في الارض من عرب بين باديه الى حضره
مستعير منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

فغضب المأمون وطلبه وسل لسانه من قفاه . ويقال بل هرب ولم يزل متوارياً حتى مات . وسبب معرفة العكوك بابي دلف طلب الرزق فقد بلغه ان الناس يقصدونه لجوده فقصده بقصيدة مدحه بها وهي اربعون بيتاً في جملتها البيتان المتقدمان

وهو ابرص اسود . وله في الغزل قوله :

بابي من زارني مكتتماً — خائفاً من كل شيء جزعا
زائراً نمَّ عليه حسنهُ — كيف يخفي الليل بدراً طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت — ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاهوال في زورته — ثم ما سلم حتى ودعا

واخبار العكوك كثيرة وقد ذكرنا مدحه ابا دلف من امثلة المبالغة صفحة ٤٧ وتجد اكثر اخباره في الاغاني ١٠٠ ج ١٨ وابن خلكان ٣٤٨ ج ١ والشعر والشعراء ٥٥٠

وهاك اهم الذين انقطعوا لمدح الامراء غير من تقدم ذكرهم . وبجانب اسم كل منهم المأخذ الذي يرجع اليه في مطالعة اخبارهِ :

٤ ابراهيم بن سيابة	مدح ابراهيم الموصلي المغني	اخباره بالاغاني	٦ ج ١١
٥ محمد بن امية واخوه علي	» ابراهيم بن المهدي	»	٣٢ ج ١١ و ٦٣ ج ٢٠
٦ محمد بن صالح	» ابن المدبر	»	٨٨ ج ١٥ و ٢٢٠ فوات ٢

شعراء لم يتكسبوا بالشعر

كل من تقدم ذكرهم انما كانوا يرتزقون بالشعر مدحاً او هجاء او نحو ذلك مثل سائر شعراء ذلك العصر وغيره وقليل فيهم من لم يتكسب بالشعر اي يجعله باباً للرزق . ومن هذا القليل في العصر العباسي الاول صالح بن عبد القدوس والعباس ابن الاحنف ومحمد بن بشير الرياشي

١ — صالح بن عبد القُدُّوس

توفي سنة ١٦٧ هـ

هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس من حكماء الشعراء متهم بالزندقة قوي الحجة له منزلة كبرى عند اهل مذهبه . نشأ في البصرة وكان يقصُّ على الناس ويعظهم . وبلغ الى المهدي خبر زندقته فبعث اليه يستقدمه من دمشق وكان قد رحل اليها وهو شيخ طاعن في السن . فلما جاء بغداد ومثل بين يدي المهدي قال له المهدي ألست القائل ؟ :

والشيخ لا يترك اخلاقه — حتى يوارى في ثرى رمسه

قال « بلى يا امير المؤمنين » قال « وانت لاتترك اخلاقك حتى تموت » فامر به فقتل وصلب على جسر بغداد سنة ١٦٧ ﻫ واكثر اشعاره في الحكم الفلسفية . ومن احاسن اقواله القصيدة التي منها ذلك البيت . وهو يقول فيها :

لايبلغ الاعداء من جاهلٍ ما يبلغ الجاهل من نفسهِ
والشيخ لايترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى جهله كذي الضنى عاد الى نكسه
وانَّ من ادبته في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً بعد الذي ابصرت من يبسه

وقوله :

لا يعجبنك من يصون ثيابه حذر الغبار وعرضهُ مبذول
ولربما افتقر الفتى فرأيته دنس الثياب وعرضه مغسول

وكان فيه ميل الى العزلة والانقطاع عن الناس شأن الفلاسفة ومن قوله :

انستُ بوحدتي ولزمت بيتي فتم العزُّ لي ونما السرور
وأدّبني الزمان فليت اني هجرت فلا ازَارُ ولا ازور
ولست بقائلٍ ما دمت حيًّا اقام الجند ام نزل الامير

وهو القائل :

اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

وله قصيدة حكمية اخلاقية بديعة مطلعها :

المرء يجمع والزمان يفرّق ويظلُّ يرقع والخطوب تمزّق

وترى اكثر اخباره في فوات الوفيات ١٩١ ج ١ والدميري ٢٦ ج ١

٣ — اُلْعبَّاسُ بن الْأَحْنَف

توفي سنة ١٩٢ ﻫ

هو عربي شريف النسب لم يتكسب بالشعر وانما كان ينظم ما يجيش في خاطره واكثره في الغزل ولم يتجاوزه الى مديح او هجاء. وله مذهب حسن ولديباجة شعره رونق ولمعانيه عذوبة ولطف . ولولا حذقه وسعة خياله لم يقدر ان يكثر من النظم في مذهب واحد لا يتجاوزه . ويندر ذلك في الشعراء قديماً وحديثاً وله ديوان طبع

مع ديوان ابن مطروح بالآستانة سنة ١٢٩٨ ه ولشعره الغزلي وقع في النفس فانهم كانوا يغنون كثيراً منه كقوله :

لاجزى الله دمع عيني خيراً ... وجزى الله كلَّ خيرٍ لساني
نمَّ دمعي فليس يكتمُ شيئاً ... ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب اخفاه طيٌّ ... فاستدلوا عليه بالعنوان

وقوله :

لو كنت عاتبة لسكن روعتي ... املي رضاك وزرت غير مراقبِ
لكن مللت فلم تكن لي حيلة ... صدُّ الملول خلاف صدّ العاتب

وقوله :

اتأذنون لصب في زيارتكم ... فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طال الجلوس به ... عف الضمير ولكن فاسق النظر

وتجد اخباره واشعاره في الاغاني ١٥ ج ٨ وابن خلكان ٢٤٥ ج ١ والشعر والشعراء ٥٢٥

٣ — محمد بن بَشير الرّياشي

هو من الشعراء الموالي غير محمد بن بشير الخارجي . اما الرياشي فانه شاعر ظريف من أهل البصرة لم يفارقها ولا وفد على خليفة ولا شريف منتجعاً ولا تجاوز بلده. وكان ماجناً هجاء خبيثاً . وله في الهجاء قصيدة وصفية هجا بها شاة دخلت بستانه وفيه بقلٌ من غرسه فأكلته ثم دخلت داره فلم تجد فيها غير القراطيس وفيها شعره فاكلتها وخرجت فنظم في ذلك قصيدة طويلة[1] مطلعها :

لي بستانٌ انيق زاهر ... ناضر الخضرة ريان ترف

واحسن في وصف الشاة وحركاتها ويتخلل ذلك مجون لطيف. واكثر قصائده على هذا الاسلوب منها قصيدة وصف بها فراخاً[2] مطلعها :

يارب رب الرائحين عشية ... بالقوم بين منى وبين ثبير

وهي طويلة وفيها مجون واكثر نظمه من هذا النوع

وتجد اخباره في الاغاني ١٢٩ ج ١٢

(١) الاغاني ١٣٠ ج ١٢ (٢) الاغاني ١٣٥ ج ١٢

شعراء لم يتحضروا

اما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم أو لم يقيموا في بغداد بل كانوا يفدون على الخلفاء او الامراء ثم يرجعون الى البادية فهم اقل كثيراً من الذين تحضروا اشهرهم :

١ — كُلْثُوم بن عمرو العتَّابي

توفي سنة ٢٢٠ هـ

اصله من قنسرين مدح البرامكة وطاهر بن الحسين وكان حسن الاعتذار في شعره ورسائله وله مصنفات في المنطق والادب واللغة وكان يقيم في رأس عين بعيداً عن دور الخلفاء والامراء . وبلغ الرشيد قصيدة قالها فاعجب بها فطلب اشخاصه اليه فجاء وعليه قميص غليظ وفروة وخف وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل . فلما رفع الخبر بقدومه الى الرشيد أمر بان تفرش له حجرة وتقام له وظيفة ففعلوا. فكانت المائدة اذا قدمت اليه اخذ منها رقاقة وملحاً وخلط الملح بالتراب فاكله بها . فاذا كان وقت النوم نام على الارض والخدم يتفقدونه ويتعجبون من فعله ، وسأل الرشيد عنه فاخبروه بامره فأمر بطرده فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلي وهو في منزله فسلم عليه وانتسب له فرحب به وقال له « ارتفع » فقال « لم آتك للجلوس » قال « فما حاجتك ؟ » قال « دابة ابلغ عليها الى رأس عين » فقال « ياغلام اعطه الفرس الفلاني » فقال « لاحاجة لي في ذلك ولكن تأمر أن تشترى لي دابة أتبلغ عليها » فقال لغلامه « امض معه فابتع له ما يريد » فمضى معه فعدل به العتابي الى سوق الحمير فقال الغلام « انما امرني ان ابتاع لك دابة » فقال له « انه ارسلك معي ولم يرسلني معك فان عملت ما أريد والا انصرف » فمضى معه فاشترى حماراً بمائة وخمسين درهماً وقال « ادفع اليه ثمنه » فدفع اليه فركب الحمار عرياً بمرشحة عليه وبرذعة وساقاه مكشوفتان فقال له يحيى بن سعيد « فضحتني أمثلي يحمل مثلك على هذا ؟ » فضحك وقال « ما رأيت قدرك يستوجب اكثر من ذلك » ومضى الى رأس عين . وكانت امرأته من باهلة فلامته وقالت « هذا منصور النمري (تلميذك وراويتك) قد اخذ الاموال فحلى نساءه وبنى داره واشترى ضياعاً وانت ههنا كما ترى » فانشد يقول :

تلوم على ترك الغنى باهلية ... ذوى الفقر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الثرى ... مقلدة اعناقها بالقلائد

أسركِ اني نلتُ ما نال جعفرٌ من العيش اوما نال يحيى بن خالد
وان امير المؤمنين اغصني بغصهما بالمشرفات النوارد ؟
دعيني تجيئني منيتي مطمئـنة ولم اتجشم هول تلك الموارد

ويرى صاحب الاغاني اضطراباً في هذا الخبر . على انه كان يفد على الخلفاء والامراء وينال جوائزهم . وهو أستاذ المنصور النمري

أخباره في الاغاني ٢ ج ١٢ وفوات الوفيات ١٣٩ ج ٢

٢ — ربيعة الرّقي

هو ربيعة بن ثابت الانصاري ولد في الرقة ونشأ بها وكان شاعراً مطبوعاً . وهو ضرير مثل بشار وكان منقطعاً عن الحضارة بعيداً عن مجالسة الخلفاء فاخمل ذكره بسبب ذلك . لكنهم كانوا يستقدمونه اليهم واول من فعل ذلك المهدي فمدحه ونال جوائزه. وكان ابن المعتز يرى ربيعة اشعر غزلاً من ابي نواس لان في غزل ابي نواس برداً كثيراً وغزل هذا سليم عذب سهل ولذلك فان شهرته بلغت إلى بلاط الخليفة . وكان يمدح غير الخلفاء وينال جوائزهم ويعود الى بلده. وان قصر احد في عطائه هجاه وله في ذلك حديث مع العباس بن محمد بن علي من امراء بني العباس — وذلك ان الرقي مدحه بقصيدة مطلعها :

لو قيل للعباس يا ابن محمد قلْ «لا» وانت مخلدٌ ما قالها
ما ان اعدّ من المكارم خصلة الا وجدتك عمها او خالها
واذا الملوك تسايروا في بلدة كانوا كواكبها وكنت هلالها
ان المكارم لم تزل معقولة حتى حللت براحتيك عقالها

فبعث اليه العباس دينارين وهو يتوقع ان يعطيه الفي دينار فاعطى الدينارين الى الرسول على ان يوصل اليه رقعة كتب فيها :

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهبت ضياعاً كذبت عليك فيها وافتريت
فانت المرء ليس له وفاءٌ كأني ان مدحتك قد زنيت

فغضب العباس وشكاه الى الرشيد فاحضره الرشيد وهمّ بقصاصه فقص عليه الحديث . فلما اطلع الرشيد على الحقيقة احتقر العباس وكان ينوي ان يزوجه ابنته فتغير عليه وامر للرقيّ بثلاثين ألف درهم وبغلة واوصاه ان لا يذكر العباس تعريضاً

ولا تصريحاً . واتفق للرقي ايضاً مثل ذلك مع معن بن زائدة وقد لقيه في بعض قدماته الى العراق فدحه فلم يهش له فهجاه بقصيدة مطلعها :

معن يامعن يا ابن زائدة الكلا ب الذي في الذراع لافي البنان
لا تفاخر اذا فخرت بآبا ئك وافخر بعمك الحوفزان

ومن غزله ابيات يغنّى بها وهي :

وتزعم اني قد تبدّلت خلة سواها وهذا الباطل المتقوَّلُ
لحى اللهّمن باع الصديق بغيره فقالت نعم حاشاك ان تلك تفعل
ستصرم انساناً اذا ما صرمتني يحبك فانظر بعده من تبدل

وتجد اخباره في الاغاني ٣٨ ج ١٥ وخزانة الادب ٥٥ ج ٣

٣ — عمارة بن عقيل : هو من الشعراء البدو في هذا العصر حفيد جرير الشاعر المشهور . وهو شاعر مقدم فصيح كان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء العباسيين فيجزلون صلته ويمدح قوادهم فيحظى بكل فائدة وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه . وتجد اخباره في الاغاني ١٣٨ ج ٢٠ وطبقات الادباء ٢٣٣

٤ — ناهض بن ثومة: هو من عامر شاعر بدوي فارس فصيح كان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة . واخباره في الاغاني ٣٣ ج ١٢

وهناك شعراء كثيرون لم تبلغ اخبارهم الينا لانهم قضوا حياتهم في البادية ولم يفدوا على احد . ناهيك بمن نظم الشعر من غير الشعراء وفيهم طائفة من اللغويين والنحاة والفقهاء والمحدثين حتى الوزراء والخلفاء والولاة والخدم والنساء وغيرهم ممن جمعت اشعارهم في ذلك العصر وبقي كثير منها الى اواسط القرن الرابع. فقد ذكر ابن النديم في الفهرست مئات من أولئك الشعراء . فيهم من الشعراء الكتاب بضع مئات وعدة عائلات تسلسل الشعر في اعقابها كآل ابي أمية وآل اللاحقي وآل ابي عيينة المهلبي وآل المعدّل وآل ابي العتاهية . وطائفة من النساء الشواعر

وذكر ابن النديم لبعض الشعراء مقدار ما خلفوه من الشعر بعدد الورق بتقدير الورقة صفحتين في كل منهما عشرون سطراً . فذكر نحومائة شاعر منهم بشار له الف ورقة وابو نواس ٨٠٠ ورقة وابن هرمة ٥٠٠ ورقة وغيرهم ٣٠٠ واقل الى ٥٠ او ٢٠ ورقة على ماكان معروفاً في عصره باواسط القرن الرابع . ولم يبق من ذلك الى اليوم الا القليل فمن أراد مراجعة قائمة ابن النديم فهي تبدا بصفحة ١٥٩ من الفهرست

العلوم اللسانية

الادب والادباء وعلم الادب

اختلف العلماء في تعريف الادب وتحديده. اما علم الادب فيشتمل في اصطلاحهم على اكثر علوم العربية كالنحو واللغة والتصريف والعروض والقوافي وصنعة الشعر واخبار العرب وانسابهم. وصاحب هذه العلوم او احدها كانوا يسمونه «اديب» [(١)] وقالوا الفرق بين الاديب والعالم ان الاديب يأخذ من كل شيء احسنه فيألفه والعالم من يقصد لفن من العلم فيتقنه [(٢)]. ولكن التعريف الاول اقرب الى المراد ولذلك جعلوا الغاية من علم الادب الاجادة في فني المنثور والمنظوم — وقد شاعت هذه التسمية قبل ان تتميز هذه العلوم ويستقل بعضها عن بعض. وكانت في أول امرها مختلطة متشابهة ثم استقلت بالتدريج وتفرعت وصار كلٌّ منها علماً له احكام مستقلة جرياً على سنة النشوء والارتقاء

فكان المراد بالادب في اول الاسلام جمع اقوال العرب واشعارهم واخبارهم وامثالهم للاستعانة بها على تفسير القرآن وضبط الفاظه وتفهم اساليبه — اخذوا بذلك من القرن الاول للهجرة. وكان ابن عباس يقول « اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب لان الشعر ديوان العرب » [(٣)]

ثم وضع ابو الاسود الدؤلي النحو لضبط المعاني كما تقدم فزادت الحاجة الى جمع اقوال العرب واشعارهم للاستشهاد بها في الاعراب والتصريف. واهتمت الدولة الاموية في احياء لغة العرب وآدابها واخذ خلفاؤها في حفظ الآداب الجاهلية فجعلوا يقربون الذين يحفظونها أو ينقلونها او يروونها ويبذلون لهم الاعطية

الادباء في الدولة العباسية

وظلت الرغبة في اللغة وأدبها متصلة بالدولة العباسية ولا سيما في عصرها الاول لرغبة خلفائها الاولين ووزرائها البرامكة في العلم والادب والشعر. ولم تكن رغبتهم قاصرة على الشعر ولكنهم نشطوا الادب على الاجمال واستقدموا الادباء من الكوفة والبصرة للسماع منهم أو لتعليم ابنائهم اللغة والنحو والشعر. فالمنصور استقدم شرقيَّ القطامي ليعلم ابنه المهدي الادب والنسب [(٤)] فشب المهدي على حب الادب والادباء.

---

(١) طبقات الادباء ١١٧ (٣) معجم الادباء ١٧ج١ (٣) العمدة ١١ج١
(٤) طبقات الادباء ٤٢

فألَّفَ لهُ المفضل الضبي المفضليات . وكثيراً ماكان يعقد المجالس للمناظرة بين الادباء في النحو او اللغة يحضرها الكسائي واليزيدي وغيرهما [١] ثم عهد الى الكسائي بتعليم ابنه هرون (الرشيد) في حديث لطيف يدل على عناية المهدي في اللغة [٢]

فلما صارت الخلافة الى الرشيد نشأ على احترام استاذه حتى كان يجلسه على كرسي في حضرته ويأمره ان لا ينزعج لنهضته [٣] وعهد اليه بتعليم ابنه الامين . وكان الرشيد شديد الرغبة في سماع مناظرات الادباء فكان يعقد المجالس للمناظرة بين الاصمعي وابي عبيدة [٤] او يدعو احد الرواة اذا ارق اوضجر ليقص عليه اخبار العرب فاذا سرَّه حديثه اجزل عطاءه الى مائة الف درهم او حواليها فضلاً عن الهدايا وغيرها [٥] وقد يجادله او ينتقده مما يشف عن علم ومعرفة [٦] . وكان الرشيد يحب ان يكون محاطاً بالادباء والشعراء حتى في دار النساء . فكان يؤثر الجواري المتعلمات ويعرضهن على الاصمعي او غيره ليمتحنهن ويعلم درجة معارفهن [٧] واعتبر ذلك ايضاً في الوزراء والامراء فالبرامكة تنشيطهم للادب اشهر من ان يذكر . والفضل بن الربيع فاضلَ بين الاصمعي وابي عبيدة [٨] أما الامراء فكانوا يقتدون بالخلفاء في تقريب اهل الادب

رواة الادب من غير العرب

وكان العرب في الصدر الاول مشتغلين عن الادب بالسياسة او الشعر او الخطابة وهم في غنى عن الاستشهاد في ضبط كلامهم او قراءتهم لاستغنائهم بملكتهم الفطرية عن تعلم القواعد وحفظ الالفاظ . وكان الاعاجم الذين دخلوا الاسلام من اهل فارس والعراق وخراسان بالولاء او بالخدمة يفتقرون في تعلم العربية الى قواعد وشواهد لانها ليست لغتهم . واكثرهم مع ذلك اهل فاقة يلتمسون الرزق . فتوافدوا للاشتغال بالادب الى البصرة والكوفة لانهما على حدود البادية او هما واسطة الاتصال بين الحضارة والبداوة . وزاد توافدهم في الدولة العباسية لانها جعلت قصبتها في العراق على مقربة من هذين البلدين وفيهما جماعة كبيرة من قبائل العرب نزلوهما في صدر الاسلام وانزلوا مواليهم معهم فنبغ من هؤلاء الموالي طائفة من الادباء كان لهم فضل كبير على آداب اللغة واكثرهم من موالي بني اسد النازلين بجوار الكوفة وغيرهم بجوار البصرة

(١) الاغاني ٧٦ ج ١٨ (٢) طبقات الادباء ٨٧ (٣) المزهر ٢١١ ج ٢
(٤) طبقات الادباء ١٤٥ (٥) طبقات الادباء ١٦٢ (٦) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١
(٧) طبقات الادباء ١٥٧ (٨) طبقات الادباء ١٦٦

فمن اولئك الادباء جماعة اشتغلوا بجمع الاشعار والاخبار والامثال ونحوها وسموا الرواة لانهم يروون ماسمعوه . وكانوا يأخذون ذلك عن عرب البادية الذين لم يخالط لسانهم العجمة ممن كانت قريش تتخير الفاظهم واساليبهم . واكثر مانقلوه عن قبائل قيس وتميم واسد وعمدة الثقات من الرواة . ثم قبيلة هذيل وبعض كنانة وبعض طي. ولم يأخذوا شيئاً عن الحضر ولا من البدو المجاورين — فلم يأخذوا من لخم وجذام لمجاورتهما اهل مصر ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون العبرانية والسريانية . ولا من بكر لمجاورتهم النبط والفرس ولا من عبد القيس والازد وعمان لانهم كانوا بالبحرين يخالطون الهند والفرس ولا من اهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن. ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب وقد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السنتهم

فاهل البصرة والكوفة هم رواة اللغة وواضعو اساس آدابها وعلومها . وكانوا يركبون في طلب ذلك الى البادية يحادثون العرب ويستطلعون اخبارهم واشعارهم ويعودون بها الى البصرة . وكان اولئك العرب في أول الامر لايرون بأساً من املاء ما يعرفونه ولا يطلبون عن ذلك اجراً. ثم علموا أن الرواة يرتزقون بما يأخذونه عنهم فصاروا يطلبون به مالاً . ثم صار الفصحاء من العرب يتوافدون هم انفسهم الى البصرة يقيمون فيها أو في ضواحيها تخفيفاً لمشاق الرحلة على الرواة وتسابقاً الى التكسب من املاء ما يعرفونه من اللغة أو الشعر . وربما كان الراوي لا يكتفي بالاخذ عن الوافدين فيرحل الى البادية ليأخذ عن اهلها—بدأوا بذلك من أواخر العصر الاموي وتكاثر الرواة والوافدون في الدولة العباسية الى البصرة وبغداد وكان اكثر وفودهم في العصر العباسي الاول اولاً الى البصرة فاصبحت غاصة بالادباء والرواة والشعراء والفصحاء وغيرهم

الفصحاء الذين نقل الرواة عنهم

فمن الفصحاء الذين اخذ عنهم الرواة في ذلك العصر او حواليه :

١ ابو البيداء الرباحي : اعرابي نزل البصرة وكان يعلم الصبيان باجرة واقام بها عمره يؤخذ عنه العلم

٢ ابو مالك عمرو بن كركرة : اعرابي كان يعلم في البادية ويورق في الحضر وكان يحفظ اللغة كلها على مذهب اهل البصرة

٣ ابو عرار : اعرابي من بني عجل فصيح يقرب من ابي مالك في معرفة اللغة

٤ ابو زياد الكلابي : اعرابي بدوي قدم بغداد ايام المهدي

٥ ابو سوّار الغنوي : كان فصيحاً واخذ عنه ابو عبيدة

٦ ابو الجاموس ثور بن يزيد : اعرابي كان يفد على آل سليمان بن علي وعنه اخذ ابن المقفع الفصاحة

٧ ابو الشمخ : اعرابي بدوي نزل الحيرة

٨ شبيل بن عرعرة الضبعي : من خطباء الخوارج وعلمائهم مات بالبصرة

٩ ابو عدنان : وهو ابو عبد الرحمن عبد الاعلى كان راوية ابي البيداء الرباحي

١٠ ابو ثوابة الاسدي : اعرابي روى عنه الاموي

١١ ابو خيرة نهشل بن زيد : اعرابي بدوي من بني عدي نزل الحيرة

١٢ ابو شبل العقيلي : اعرابي فصيح وفد على الرشيد واتصل بالبرامكة

١٣ نصر بن مضر : من بني اسد

١٤ ابو محلم الشيباني : اعرابي من اعلم الناس بالشعر واللغة كان يغلظ طبعه ويفخم كلامه ويعرب منطقه

١٥ ابو مهدية : اعرابي صاحب غريب يروي عنه البصريون

١٦ ابو مسحل : اعرابي حضر بغداد وافداً على الحسن بن سهل

١٧ الوحشي العكلي : اعرابي فصيح كان يعلم في البادية

١٨ ابو ضمضم الكلابي : وفد على الحسن بن سهل

١٩ البهدلي : كان راجزاً فصيحاً راوية وعنه اخذ الاصمعي

٢٠ جهم بن خلف المازني : عاصر خلف والاصمعي

٢١ الحرمازي : اعرابي بدوي قدم البصرة

٢٢ ابو العميثل : اعرابي كان يؤدب ولد عبد الله بن طاهر في خراسان

٢٣ الفقعسي : راوية بني أسد وصاحب مآثرها وأخبارها أدرك المنصور ومن بعده وعنه اخذ العلماء مآثر بني أسد

٢٤ ابن ابي صبح : اعرابي بدوي نزل بغداد وبها مات اخذ عنه العلماء

٢٥ ربيعة البصري : بدوي يحضر وكان راوية

وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات من الفصحاء لا فائدة من ايراد أسمائهم (١)

(١) الفهرست ٤٧

ولبعض من تحضر من هؤلاء الاعرابيين كتب الفوها في اللغة اكثرها في النوادر والغريب والفروق وكتب الخيل والابل والحشرات وخلق الانسان لم يصلنا منها شيء

الرواة الذين نقلوا عنهم

اما الرواة الذين اخذوا عن اولئك الفصحاء بالبصرة او رحلوا في طلب اللغة الى البادية فاكثرهم من الموالي منهم :

١ اللحياني غلام الكسائي : لقي العلماء الفصحاء من الاعراب وعنه اخذ ابو عبيد القاسم بن سلاّم

٢ الاموي : هو عبد الله بن سعيد ليس من الاعراب لقي العلماء ودخل البادية واخذ عن الفصحاء من الاعراب

٣ ابو المنهال : احد الرواة

٤ خلف الاحمر : مولى ابي موسى الاشعري وسنعود اليه

٥ اليزيديون : هم اسرة تنسب الى كبير منها سمي اليزيدي لانه صحب يزيد بن منصور خال المهدي. ولهم مؤلفات كثيرة في اللغة والشعر لم يصل الينا منها شيء ولكن استفاد منها الرواة الذين وصلتنا كتبهم او اخبارهم. ولم يصلنا الا اخبار الرواة المقربين من الخلفاء او الوزراء في بغداد كالاصمعي وابي عبيدة وغيرهما وربما كان بين الذين ضاعت اخبارهم جماعة اولى بالبقاء

عمدة الرواة

أو مرجع الناس في علوم العرب

قد رأيت كثرة المشتغلين في علوم العرب واخبارها بين قادم من البادية ونازل من العراق وفارس وخراسان يلتقون في البصرة أو الكوفة أو الحيرة فيتبادلون اخبار العرب وآدابهم واشعارهم على غير نظام . وقد انتهى ذلك في العصر العباسي الاول الى ثلاثة هم عمدة الرواة وأئمة الناس في تلك العلوم وعنهم روى الرواة واخذ الآخذون وهم ابو زيد الانصاري وابو عبيدة والاصمعي وكلهم اخذوا عن ابي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة اللغة والنحو والشعر ورووا عنه القراءة . واشتهر بصدق الرواية قبل هؤلاء قتادة السدوسي وجاء بعدهم القاسم بن سلام ـ واليك تراجمهم حسب سني الوفاة :

١ — قَتَادة بن دِعَامة

توفي سنة ١١٧ هـ

قتادة بن دعامة السدوسي الاكمه من أهل البصرة كان عالماً كبيراً مقصداً للطلاب والباحثين لم يكن يمر يوم لا تأتيه راحلة من بني اميـة تنيخ ببابه لسؤال عن خبر او نسب أو شعر . وكان يدور البصرة اعلاها واسفلها بغير قائد وبلغ من اشتهاره بالعلم وصحة الرواية حتى قالوا لم يأتنا من علم العرب اصح من شيء اتانا من قتادة(١) لكنه لم يخلف اثراً . وهو من اهـل العصر الاموي لـكننا وضعناه هنا لمواصـلة سياق الموضوع . وترجمته في ابن خلـكان ٤٢٧ ج ١

٢ — ابو عمْرو بن العَلَاء

توفي سنة ١٥٤ هـ

هو زبان بن العلاء بن عمار بن عبـد الله بن الحصين التميمي المازني أحد القراء السبعة . وكان من اشراف العرب ووجوهها مدحه الفرزدق وغيره وكان اعلم الناس بالقراءات والعربية وايام العرب وكانت دفاتره الى السقف ثم تنسك فاحرقها (٢) . وكان له شغف بالرواية وجمع علوم العرب واشعارهم . وعامة اخباره عن اعراب ادركوا الجاهلية ومع ذلك فقد قال : «ما انتهى اليكم مما قاله العرب الا اقله » (٣) وعنه اخذ اكثر نحاة ذلك العصر فضلاً عن رواته وادبائه لكنه لم يخلف اثراً مكتوباً . وتجد اخباره في ابن خلكان ٣٨٦ ج ١ وطبقات الادباء ٣١ وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١ والفهرست ٢٨

٣ — ابو عُبيدَة معمَر بن المُثنَّى

توفي سنة ٢٠٩ هـ

هو معمر بن المثني التيمي مولى بني تيم من قريش . ولد سنـة ١١٠ وهو اجمع سائر الرواة لعلوم العرب واخبارهم وانسابهم . كان في البصرة ويفـد على الخلفاء في بغداد وله حكايات في مجلس الرشيد مع الاصمعي للمناظرة والمناقشة . ثم انتقل الى بغداد سنة ١٨٨ استقدمه اليها الفضل بن الربيع في خلافة الامين.واخذ عنه جماعة من

---

(١) ابن خلـكان ٤٢٧ ج ١ والمزهر ١٧١ ج ٢ (٢) فوات الوفيات ١٦٤ ج ١
(٣) طبقات الادباء ٣٣

علمائها اشهرهم ابو عبيد القاسم بن سلام وابو عثمان المازني وابو حاتم السجستاني. وكان ابو عبيدة يقول ما التقى فرسان في جاهلية او اسلام الا عرفتها وعرفت فارسيها (١) وهو الذي روى اخبار ايام العرب التي يتناقلها المؤرخون الى الآن (٢) وروى اشعار كثيرين من الشعراء . وكان ابنه عبد الله يتكسب باملاء الاشعار على الطلاب فكان يملي شعر كثير بثلاثين دينار(٣) وكان ابو عبيدة شعوبياً أي متعصباً على العرب ويرى رأي الخوارج . ومع سعة معرفته في اللغة كان اذا انشد بيتاً لم يقم اعرابه . وكان شديد الطعن حاد اللسان فلم يسلم شريف من طعنه والف كتاباً في المثالب . وكان غليظ الشفة وسخاً مدخول الدين والنسب لكنه كان كثير الاشتغال بالتأليف . فذكر له صاحب الفهرست مئة وخمسة مؤلفات في مواضيع شتى في القرآن واللغة والامثال والفتوح والانساب والمثالب وبيوتات العرب وايامهم والتراجم وغيرها لم يصلنا منها الا :

١ كتاب نقائض جرير والفرزدق : منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد طبعت النقائض في ليدن سنة ١٩٠٥ رواية ابي عبد الله اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠ ﻫ عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابي عبيدة (٤) ولم يذكره صاحب الفهرست بين كتبه

٢ كتاب طبقات الشعراء : منه نسخة خطية في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت ويسميه الفهرست الشعر والشعراء

وتجد اخباره في ابن خلكان ١٠٥ ج ٢ وطبقات الادباء ١٣٧ والفهرست ٥٣

٤ — الأَصْمَعِي

توفي سنة ٢١٤ ﻫ

هو عبد الملك بن قريب من قيس وقد اشتهر بكنيته « الاصمعي » ولكثرة ما يروى عنه اصبحت هذه الكنية مرادفة للفظ « الراوي » . وكان اتقن القوم واعلمهم بالشعر واحضرهم حفظاً تعلم نقد الشعر من خلف الاحمر وقد روى عنه كثيرون . وهو من اهل البصرة وقدم بغداد في ايام الرشيد مع ابي عبيدة فقيل لابي نواس ذلك فقال : « اما ابو عبيدة فاذا امكنوه قرأ عليهم اخبار الاولين والآخرين واما الاصمعي فبلبل يطربهم بنغماته » وكان الاصمعي شديد الحفظ يحفظ

(١) المزهر ٢٠٣ ج ٢ (٢) العقد الفريد ٤٧ — ٩٣ ج ٣ (٣) الاغاني ٢٨ ج ٨
(٤) المشرق ٦٣٨ سنة ١٠

١٢٠٠٠ ارجوزة واذا انتقل حمل كتبه في ١٨ صندوقاً (١) . ولما تولى المأمون كان الاصمعي قدعاد الى البصرة فاستقدمه فاعتذر بضعفه وشيخوخته فكان يجمع المشكل من المسائل ويسيرها اليه فيجيب عنها . واخباره كثيرة

اما مؤلفاته فقد ذكر منها ابن النديم نيفاً واربعين كتاباً في مواضيع مختلفة ذهب معظمها على ان حظه من البقاء خير من حظ اسلافه من الرواة . اما كتبه الباقية مما بلغ خبره الينا فبعضها شعرية والبعض الآخر كتب لغوية لدلالات الالفاظ . اكثرها موضوع في مجاميع كل كتاب في باب خاص من الاسماء بعضها لاسماء الوحوش والآخر للابل وغيرها وهي :

١ الاصمعيات: هي مجموع مختارات الاصمعي للشعراء طبعت في ليبسك سنة ١٩٠٢
٢ رجز العجاج : رواية الاصمعي منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

٣	كتاب اسماء الوحوش	طبع سنة ١٨٨٨
٤	« الابل	« في بيروت سنة ١٣٢٢
٥	« خلق الانسان	« « « « (٢)
٦	« الخيل	« « فينا سنة ١٨٩٥ مع ترجمة نمساوية
٧	« الشاء	« سنة ١٨٩٦
٨	« الدارات	« في بيروت
٩	« الفرق	« « فينا
١٠	« النبات والشجر	« « بيروت
١١	« النخل والكرم	« « « سنة ١٩٠٢
١٢	« الغريب	منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

وتجد ترجمة الاصمعي في ابن خلكان ٢٨٨ ج ١ وطبقات الادباء ١٥٠ والفهرست ٥٥ والدميري ٣١٠ ج ٢

٥ — أبو زيد الأنصاري

توفي سنة ٢١٥ هـ

هو ابو زيد سعيد بن أوس الانصاري من أهل البصرة أخذ عن ابي عمرو بن العلاء . وكان عالماً ثقة بالنحو واللغة وكان سيبويه اذا قال « سمعت الثقة » فانه

(١) الاغاني ٦٨ ج ٥ (٢) هذان الكتابان طبعاً معاً باسم الكنز اللغوي

بريد ابا زيد الانصاري وعنه اخذ كثيرون من علماء البصرة . وكان لفرط رغبته في استيعاب العلم يأخذ عن أهل الكوفة ايضاً ولم يرو من البصريين عن أهل الكوفة الا ابو زيد (١) فقد روى عن المفضل الضبي اكثر كتابه « النوادر في اللغة» على ان اكثر رواياته عن العرب البحت (٢) وقد غلب عليه اللغة والنوادر والغريب . وكان يمتاز عن رفيقيه ابي عبيدة والاصمعي بالثقة فانه كان اوثقهم كما كان الاصمعي احفظهم وابو عبيدة اجمعهم (٣) وجاء أبو زيد بغداد حين قيام المهدي (٤)

وقد الف كتباً كثيرة في علوم الادب لم يصلنا منها الا :

١ كتاب النوادر في اللغة : طبع في بيروت سنة ١٨٩٤

٢ كتاب المطر : منه نسخة خطية في المكتبة الاهلية بباريس وطبع في بيروت

٣ كتاب اللبن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وتجد اخباره في ابن خلكان ٢٠٧ ج ١ وطبقات الادباء ١٧٣ والفهرست ٥٤

٦ — ابو عُبَيد القَاسِم بن سَلاَّم

توفي سنة ٢٢٣ ه

كان ابوه عبداً رومياً لرجل من اهل هراة . اشتغل ابو عبيد بالحديث والادب والفقه وكان ديناً ورعاً متفنناً في اصناف علوم الاسلام والقراءات والفقه والعربية والاخبار حسن الرواية صحيح النقل لم يطعن احد في شيء من دينه.وهو يصح ان يعد من رجال الحديث لولا ان كتبه كان لها شأن لغوي . تولى القضاء في طرسوس ١٨ سنة وروى عن ابي زيد والاصمعي وابي عبيدة وابن الاعرابي والكسائي والفراء وغيرهم . والف بضعة وعشرين كتاباً في القرآن والحديث وغريبه والفقه وهو اول من الف غريب الحديث . وانقطع الى عبد الله بن طاهر وكان كلما الف كتاباً اهداه اليه فيحمل له مالاً كثيراً . فلما عمل كتاب غريب الحديث استحسنه ابن طاهر وقال : « ان عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق ان لا يخرج عنا الى طلب المعاش » فاجرى له عشرة الاف درهم في كل شهر . وذكر له صاحب الفهرست بضعة وعشرين كتاباً في غريب الحديث ومعاني القرآن وفي الادب والشعر واللغة والنحو ونحوها لم يصلنا منها الا ما يأتي :

---

(١) طبقات الادباء ١٧٥ (٢) المزهر ٧٥ ج ١ (٣) ابن خلكان ٢٠٨ ج ١

(٤) الفهرست ٥٤

١ كتاب غريب الحديث : منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالاستانة

٢ غريب المصنف : تكلم به على نعوت الانسان والطعام والشراب والابنية والمراكب والسلاح والطير والحشرات والنار والشمس والقمر وغير ذلك . اشتغل في تأليفه ٤٠ سنة وفيه الف فصل و١٢٠٠ شاهد . منه نسخة خطية في مكتبة اياصوفيا بالاستانة وفي المكتبة الخديوية

٣ كتاب الامثال : منه نسخة خطية في مكتبة باريس وكوبرلي بالاستانة وطبع مع ترجمة لاتينية في غوتنجن سنة ١٨٣٦ وقد شرحه البكري

٤ كتاب فضائل القرآن وادبه : في مكتبة برلين

٥ « المواعظ : منه نسخة خطية في مكتبة ليبسك

وتجد اخباره في ابن خلكان ٤١٨ ج ١ وطبقات الادباء ١٨٨ والفهرست ٧١

رواة الشعر

وهناك طبقة من الرواة غلبت عليهم رواية الشعر على سواه من علوم العربية فاشتغلوا بجمع شعر عرب الجاهلية وغيرهم ودونوه او حفظوه — وهم غير الذين يختص كل راو منهم بشاعر فيكون راويته — وقد علمت من كلامنا عن شعراء الجاهلية انهم كانوا كثاراً عددنا منهم مئة وبعض المئة وهم اكثر من ذلك لضياع اخبار الباقين منهم في أثناء ظهور الاسلام لكثرة من قتل منهم ومن رواتهم في الحرب والغزو على عهد النبي والراشدين

فلما احتاج المسلمون في صدر الاسلام الى معرفة معاني الالفاظ في التفسير والقراءة عمدوا الى جمع اشعار العرب وأمثالهم واقوالهم بلا تخصيص . ثم غلب على بعضهم جمع الشعر وعلى البعض الاخر شواهد النحو وعلى غيرهم الامثال وغيرهم اللغة . فأخذوا يطلبونها في اماكنها وينقلونها عن اصحابها او من سمع عنهم . والمشهور ان اخبار الجاهلية لم يدون منها شيء قبل الاسلام . ثم ظهر ان بعض ذلك كان مدوناً في صحف عند عباد الحيرة من ايام المناذرة

وأول من اشتغل بجمع الشعر بعد الاسلام ممن بلغ الينا خبره حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٦ هـ وقد عاصر الدولتين الاموية والعباسية وعاصر ابا عمرو بن العلاء المتقدم ذكره . ثم ظهر خلف الاحمر والمفضل الضبي وغيرهما وهذه تراجمهم :

١ — حَمَّاد الرَّاوية

توفي سنة ١٥٦ ﻫ

هو حماد بن ميسرة اصله ديلمي من موالي بني بكر بن وائل . نشأ في الكوفة وكان في اول امره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص . فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الانصار فقرأه حماد فاستحلاه وحفظه ثم طلب الادب والشعر وايام الناس ولغات العرب بعد ذلك وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ حتى عرف بحماد الراوية تمييزاً له عن بضعة آخرين بهذا الاسم

وكان قوي الحافظة بما يفوق المألوف ومن اعلم الناس بايام العرب واشعارها واخبارها لكنه اختص بجمع الشعر وكان ضعيفاً بالعربية يلحن بكلامه وكان بنو أمية يقدّمونه ويستزيرونه على البريد وينال منهم الجوائز ويسألونه عن ايام العرب واشعارها وعلومها . وسأله الوليد بن يزيد يوماً : « بما استحققت ان تدعى الراوية ؟ » فقال : « باني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين أو سمعت به ثم اروي لاكثر منهم ممن تعترف انك لاتعرفه ولا سمعت به ثم لاينشدني احد شعراً قديماً ولا محدثاً الا ميزت القديم من المحدث» فقال له : «فكم مقدار ماتحفظ من الشعر» قال : «كثير ولكنني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام » قال : «سأمتحنك في هذا» ثم امره بالانشاد فانشده حتى ضجر الوليد فوكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه فانشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فامر له بمائة الف درهم

وكان حماد هذا وحماد عجرد الشاعر المتقدم ذكره وحماد بن الزبرقان يتنادمون على الشراب في الكوفة وكانوا متهمين بالزندقة جميعاً . فلما آل الامر الى بني العباس كان حماد هذا قد اشتهر بالرواية فسمع به المنصور وكان حزيناً على موت اخيه ابي العباس واراد أن يرثيه بابيات كان يعلم انهفان بن همام قالها في رثاء ابيه وقد ذهبت عن خاطر المنصور فبعث في طلب حماد ليرويها له فجاءه وانشده اياها فبكى وقال : «هكذا كان اخي رضي الله عنه(١)» . وظل حماد حياً الى ايام المهدي وكان يستدعيه اليه ويستنشده كما يستنشد المفضل الضبي . وكان يؤثر المفضل عليه لانه اصدق منه فيما يرويه . وكان حماد يزيد

(١) الاغاني ٦٩١ ج ٥

في اشعار الناس ما ليس منها وينسبه اليهم وسيأتي خبر ذلك

وهو الذي جمع المعلقات التي بين ايدينا وجمع اشعارا كثر القبائل واكثر شعراء بني أمية وجعل شعر كل قبيلة أو شاعر في كتاب ـ فكان عنده كتاب لشعر قريش وآخر لشعر ثقيف وآخر لغيرهم (١) لكنها ضاعت كلها ولم يذكر منها صاحب الفهرست شيئاً وانما روى الناس عنه وصنفت الكتب بعده

وتجد اخباره في الاغاني ١٦٤ ج ٥ وابن خلكان ١٦٤ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣

٢ — المُفضَّل الضبّي

توفي سنة ١٦٨ هـ

هو المفضل بن محمد الضبي كان ثقة من اكابر الكوفيين اخذ عنه ابو زيد الانصاري من البصريين لثقته . وقد ادرك المهدي العباسي فقربه وأدناه فجمع له الاشعار المختارة التي سماها المفضليات كما جمع ابو تمام ديوان الحماسة . لكن هذا جمع الحماسة من كتب مدونة واما المفضل فاخذ اكثرها عن الالسنة — وهو غير المفضل بن سلمة اللغوي الآتي ذكره . وهذه مؤلفاته الباقية :

١ المفضليات وتسمى الاختيارات : وهي عبارة عن مائة وعشرين قصيدة وقد تزيد أو تنقص حسب الروايات . طبعت في ليبسك سنة ١٨٨٥ وفي مصر . ولها شرح خطي في المكتبة الخديوية لابي بكر بن الانباري

٢ كتاب الامثال : طبع في الآستانة سنة ١٨٨٢

وتجد اخباره في طبقات الادباء ٦٧ والفهرست ٦٨ والعقد الفريد ١٣١ ج ٣

٣ — خلَف الأَحْمر

توفي سنة ١٨٠ هـ

هو خلف بن حيان كان مولى ابي بردة وأصله من فرغانة لكنه حفظه كلام عرب الجاهلية وأشعارهم حتى صار يقول الشعر فيجيده وينحله الشعراء المتقدمين فلا يتميز من شعرهم لمشاكلة كلامه كلامهم . وكان من اهل البصرة وقد اخذ الاصمعي وسائر أهل البصرة عنه . وله قوة عجيبة على تمييز الاشعار وتعيين اصحابها . وهو أول من أحدث السماع بالبصرة وذلك أنه جاء الى حماد الراوية فسمع منه (٢) . وكان ضنيناً

(١) الاغاني ١٧٤ ج ٥ (٢) طبقات الادباء ٧٠

بادبه . وهو معدود ايضاً بين الشعراء . وذكر له صاحب الفهرست كتاباً واحداً عن العرب وما قيل فيها من الشعر

وتجد اخباره في طبقات الادباء ٦٩ والفهرست ٥٠ والشعر والشعراء ٤٩٦ والعقد الفريد ١٠٧ ج ٣

٤ — ابو عمرو الشيباني

توفي سنة ٢٠٦ ﻫ

هو من الموالي واسمه اسحق بن مرار كان يؤدب في احياء بني شيبان بالكوفة فنسب اليهم . وكان راوية واسع العلم باللغة ثقة بالحديث كثير السماع. وقدجمع دواوين اشعار القبائل وعنه اخذت . وكان له بنون وبنو بنين يروون عنه كتبه . وذكر أحد أولاده ان اباه جمع اشعار نيف وثمانين قبيلة وكان كلما جمع أشعار قبيلة واخرجها للناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة . وعاش اكثر من مائةسنة وكان يكتب بيده الى أن مات . وخلف بضعة مؤلفات في الخيل والحديث والنوادر وخلق الانسان والحروف ذكرها صاحب الفهرست ولم يصلنا منها الا :

كتاب الجيم في اللغة منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال في عشرة اجزاء

وتجد اخباره في ابن خلكان ٦٥ ج ١ ومعجم الادباء ٢٣٣ ج ٢ والفهرست ٦٨

هؤلاء هم عمدة رواة الاشعار في ذلك العصر — وان لم يقتصروا عليها . وعنهم أخذ من الف في طبقات الشعراء او دون اشعار الافراد أو القبائل . فضلاً عن ابي عبيدة والاصمعي وابي عمرو بن العلاء المتقدم ذكرهم . وغير من اشتغل برواية الشعر بعدهم من النحاة واللغويين كمحمد بن حبيب وخالد بن كلثوم وابن الاعرابي وغيرهم. وقد يجمع اشعار الشاعر أو القبيلة غير واحد ويختلفون في الرواية أو الاشعار أو الاخبار فيأتي من يجمع بين الروايات وينقح ويضبط . كما حدث في شعر امرىء القيس فقد رواه ابو عمرو بن العلاء والاصمعي وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب ثم صنعه من جميع هذه الروايات ابو سعيد السكري وصنعه ايضاً ابو العباس الاحول وابن السكيت

فظهر بعد هذه الطبقة من الرواة طبقة من الجامعين الذين ينظرون في الروايات ويجمعون بينها ويعدلونها . نخص منهم بالذكر اثنين من اهل العصر العباسي الاول هما محمد بن سلام وابن ابي الخطاب القرشي

٥ — محمد بن سلاّم

توفي سنة ٢٣٢ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي البصري كان عالماً بالشعر والاخبار فألف كتاباً في طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الاسلاميين هو اقدم ما وصل الينا من كتب الطبقات وظل مرجع طلاب الشعر الى عهد غير بعيد . وقد ذكره صاحب الفهرست فجعله كتابين احدهما في الشعراء الجاهليين والآخر في الاسلاميين. وذكره صاحب الاغاني مراراً كثيرة واستشهد باقواله ورجع اليه في تعيين طبقات كثيرين من الشعراء وكذلك فعل القالي والزجاج فقد ذكراه في اماليهما مراراً . وعول عليه السيوطي في كتابه «المزهر» ونقل عنه اقوالاً تدخل في بضع صفحات . وذكره صاحب كشف الظنون في مقدمة الذين الفوا في طبقات الشعراء . وهو أول من فعل ذلك ثم قلده غيره . وقد ذكرنا في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ٧٦ انه ضاع لاننا لم نجده في مكاتب اوربا ولا الاستانة ولا المكتبة الخديوية ولا غيرها من المكاتب الكبرى التي تيسر لنا الوقوف على فهارسها، ثم علمنا بوجود نسخة خطية منه بين كتب وقفها المرحوم الشيخ الشنقيطي للمكتبة الخديوية ولها فهرس خاص[١] وتصفحناها فاذا هي منقولة بخط جميل عن نسخة في مكتبة شيخ الاسلام في المدينة وتدخل في ٢١٠ صفحات ، تبدأ بنقد الشعر ثم في أول من وضع النحو في البصرة وتاريخ ذلك . ثم قسم المؤلف الشعراء الى الجاهليين والاسلاميين وقسم كل طائفة منها الى عشر طبقات في كل طبقة اربعة من الفحول يشتركون في بعض الاحوال . وقدم الكلام في الشعر وتاريخه وأشار الى ما أدخله الرواة من الشعر المصنوع . ثم ذكر طبقات الشعراء الجاهليين وهي :

الطبقة الاولى : امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير والاعشى

الثانية : سقط بعضها في النسخ ولعل من شعرائها كعب بن زهير والحطيئة

الثالثة : نابغة بني جعدة وابو ذؤيب الهذلي والشماخ بن ضرار ولبيد بن ربيعة

الرابعة : طرفة بن العبد وعبيد بن الابرص وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد

الخامسة : خداش بن زهير والاسود بن يعفر وابو زيد المخبل وتميم بن مقبل

السادسة : عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وسويد بن ابي كاهل (وسقط الرابع)

(١) نبهنا الى وجودها هناك مصطفى افندي الرافعي الشاعر فنشكره على صدق رغبته في خدمة آداب اللغة

السابعة : سلامة بن جندل وحصين بن الحمام والمتلمس والمسيب بن علس
الثامنة : عمرو بن قميئة والنمر بن تولب واوس بن ٠٠٠٠ وعوف بن عطية
التاسعة : ضابىء بن الحارث وسويد بن كراع والخويدرة الذبياني ؟ وسحيم عبد بني الحسحاس
العاشرة: أمية بن حرثان وحريث بن محفص والكميت بن معروف وعمرو بن شاس

واضاف الى ذلك اصحاب المراثي وجعلهم طبقة حادية عشرة وهم متمم بن نويرة والخنساء واعشى باهلة وكعب بن سهل . ثم تكلم عن شعراء القرى وهي المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين وذكر فحول كل قرية

وتقدم الى الشعراء الاسلاميين في عشر طبقات :
الاولى : جرير والفرزدق والراعي والاخطل وغيرهم
الثانية : البعيث والقطامي وكثير وذو الرمة
الثالثة : كعب بن جعيل وعمر ابن احمد وسحيم بن وثيل واوس بن مغراء
الرابعة : نهشل وحميد بن ثور والاشهب وعمرو بن لجاء
الخامسة : ابو زبيد الطائي والعجير السلولي وعبد الله بن همام ونفيع بن لقيط
السادسة : ابن قيس الرقيات والاحوص وجميل ونصيب
السابعة : المتوكل الليثي ويزيد بن ربيعة وزياد الاعجم وعدي بن الرقاع
الثامنة : عقيل بن علفة المري وبشامة بن العذير وشبيب بن البرصاء وقراد بن حنش
التاسعة : كلهم رجاز وهم الاغلب العجلي وابو النجم والعجاج ورؤبة ابنه
العاشرة : مزاحم بن الحارث ويزيد بن الطثرية وأبو داود الرواسي ؟ والقحيف

وقد قابل في كل طبقة بين شعرائها وفاضل بينهم

وذكر صاحب الفهرست لابن سلام كتاباً في بيوتات العرب وآخر في ملح الاشعار وتجد اخباره في طبقات الادباء ٢١٦ والفهرست ١١٣

٦ — ابن ابي الخطّاب

صاحب جمهرة أشعار العرب

اسمه ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي لم نقف على ترجمته ولكن يظهر انه نبغ في أواسط القرن الثالث للهجرة وانما عمدنا الى ذكره لانه جمع خيرة اشعار الجاهلية وصدر الاسلام في كتاب سماه «جمهرة اشعار العرب» في سبعة مجاميع فصلناها في كلامنا

عن طبقات الشعراء في الجزء الاول صفحة ٧٤ والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٨ وفي صدره مقدمة انتقادية في الشعر واللغة والمقابلة بين لغة القرآن واقوال الشعراء وفي الشعر والشعراء واقدمهم وغير ذلك في ٣٩ صفحة كبيرة

ما هو مبلغ صدق الرواة
واصطناع الاشعار

ان ما بين ايدينا من اخبار العرب واشعارهم في الجاهلية انما وصل الينا على ايدي الرواة الذين ذكرناهم فهم رووا تلك الاشعار والاخبار ورواها الناس عنهم — فهل نقلوها عن ثقة ؟ وهل هم صادقون في رواياتها ؟

والجواب على ذلك ان رواياتهم على اجمالها صادقة وان كان ما وصل الينا من اشعار الجاهلية لايخلو من المنسوب لغير اصحابه . ولذلك سببان يتصل احدهما بالعرب الذين تلوا تلك الاشعار على الرواة ، والثاني يتصل بالرواة انفسهم . فالعرب لما قام الاسلام شغلوا به عن مفاخراتهم ومناشداتهم فلما انقضت دولة الراشدين وقام الامويون واقتضت سياستهم إحياء عصبية الجاهلية عادت القبائل الى مفاخراتهم كل قبيلة تفاخر سواها بمن نبغ فيها من الشعراء وما قالوه . وكان قد ذهب معظمه فاخذ ابناء الشعراء او بعض اهلهم يزيدون في الاشعار التي قيلت ولم يكن يخفى ذلك على اهل العلم . كما اتفق لابن داود بن متمم بن نويرة وقد قدم البصرة لما يقدم له البدوي من الجلب والميرة فاتاه بعض الرواة وسألوه عن شعر ابيه فلم يرو بعضه حتى ادركوا المصنوع منه(١)

لكن كثيراً من الاشعار تنسب لغير اصحابها اعتباطاً لتشابه القافية والوزن والمعنى فكثير من اشعار كثيّر تنسب لمجنون ليلى . وكذلك سائر العشاق تتشابه اشعارهم لتشابه معانيها . فاذا اتحدت قوافيها واوزانها اختلطت وصعب تفريقها كقصيدة ابن الحدادية اليائية التي مطلعها :

سقى الله اطلالاً بنعم ترادفت   بهنّ النوى حتى حللنا المطاليا

فان بعضهم يدخل ابياتاً منها في قصيدة مجنون ليلى (٢) التي مطلعها :

تذكرت ليلى والسنين الخواليا   وايام لا أعدي على الدهر عاديا

وقس على ذلك امثاله وهو كثير ، وقد ينسبون القصيدة الى غير واحد . وبعض القصائد تنسب الى عشرين شاعراً أو اربعين

---

(١) المزهر ٨٧ ج ١ (٢) الاغاني ٨ ج ١٣

تعمد التزوير

والرواة يتفاوتون ثقةً فمنهم الثقة المحقق ومنهم من يتعجل في التصديق وبعضهم يتقلب في رواياته مع الاهواء فينظم الابيات على لسان بعض الجاهليين وينسبها اليهم لمطمع مالي أو غرض آخر . وأشهر من فعل ذلك حماد وخلف المتقدم ذكرها وهما مرجع رواة الاشعار كما رأيت . فكان حماد كثيراً ما يصنع الابيات أو القصيدة ينسبها الى شاعر من قوم يريد أن يتزلف الى رجل منهم صاحب نفوذ أو سيادة في عصره . كما فعل في ولاية خالد بن عبد الله القسري وكان خالد شديد العصبية لقومه اليمنية على القيسية. فنظم حماد ابياتاً نسبها الى ابن الحدادية يمدح بها اسد بن كرز من بجيلة قبيلة خالد القسري المذكور واسد بن كرز أبو جدّه. فاورد حماد حكاية جرت لابن الحدادية مع ناس من قومه اصابوا دماً في قوم من خزاعة فهربوا حتى نزلوا في بجيلة على اسد بن كرز فآواهم واحسن اليهم وان ابن الحدادية نظم فيه قصيدة يمدحه بها — الى آخر الحديث(١) ولكن الرواة المحققين يقولون انها من نظم حماد للغرض الذي تقدم . وكذلك كانوا يفعلون في وضع الانساب طمعاً بالمال — قال ابن الكلبي: « أول كذبة كذبتها في النسب ان خالد بن عبد الله سألني عن جدته أم كرز وكانت امة بغياً لبني أسد يقال لها زينب فقلت له هي زينب بنت عرعرة بن خذيمة بن نصر بن قعين فسرّ بذلك ووصلني » (٢)

وقد شهد المفضل الضبي وهو معاصر لحماد ايضاً قال: « قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما افسده فلا يصلح أبداً » فقيل له: « وكيف ذلك أيخطىء في روايته ام يلحن » قال: « ليته كان كذلك فان أهل العلم يردُّون من اخطأ الى الصواب ولكنه رجل عالم بلغات العرب واشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط اشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد واين ذلك »

وقد بلغ قول الضبي الى الخليفة المهدي فاكده له بالامتحان بين يديه فاعترف حماد بابيات زادها في اشعار زهير بن ابي سلمى . فامر المهدي بابطال روايته لانه يدخل باشعار الناس ما ليس منها ووصل المفضل لصدقه وصحة روايته (٣)

وخلف الاحمر كان يفعل فعل حماد وقد قال عن نفسه انه كان ينظم الاشعار وينحلها لغير اصحابها . وانه كان يأخذ من حماد الصحيح من اشعار العرب ويعطيه المنحول فيقبله . وكان خلف شاعراً مجيداً فينظم القصائد الغر ويدخلها في دواوين

(١) الاغاني ٥ ج ١٣ (٢) الاغاني ٥٨ ج ١٩ (٣) الاغاني ١٧٢ ج ٥

الشعراء ويقال ان القصيدة المنسوبة للشنفرى التي اولها :

اقيموا بني امي صدور مطيكم فاني الى اهل سواكم لاميلُ

هي له . وقال ابو حاتم كان خلف الاحمر شاعراً وقد وضع على عبد القيس شعراً مصنوعاً عبثاً منه. وأدخل أيضاً على غيرهم من القبائل ابياتاً وقصائد وكان أهل البصرة والكوفة يأخذون ذلك عنه لانه كان لتمكنه من الشعر والشعراء اذا نظم على السنة الناس أشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه له . وتنسك في أواخر ايامه وندم على ذلك وكف عن النظم . ثم خرج يوماً الى أهل الكوفة واعترف لهم بما كان يعمله وعرفهم الاشعار التي قد أدخلها في أشعار الناس فقالوا: «انت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة » ولم يستطيعوا اخراج ذلك من دواوينهم (١)

وممن كان يفعل فعل حماد وخلف ابن دأب والشرقي بن القطامي سئل القطامي : «ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتاها » فقال: «لا أدري» فقيل له: «اكذب » فقال «كانوا يقولون رويدك حتى تبعث الخلق باعثة » فشاع ذلك وتحدثوا به .(٢) حتى الرواة الثقات كالاصمعي وابي عبيدة وابي زيد فقد كانوا يتطاعنون ويضعف كل منهم رواية الآخرين ولكن المحققين ينزهون هؤلاء عن الكذب. وقد قال محمد بن سلام الجمحي « في الشعر موضوع مفتعل مصنوع لا خير فيه ولا حجة باعرابه (٣) »

على أن المحققين في العصر العباسي الثاني كابي الفرج الاصبهاني وابن قتيبة وابن عبد ربه وغيرهم ممن عانى الادب وانتقد الشعر بينوا اماكن الضعف في كثير من المواضع وجعلوا للرواية شروطاً(٤) في الاسناد والاخذ والتحقيق لا محل لها هنا. وانتقد محمد بن سلام شيئاً من ذلك في مقدمة طبقاته

ولابي القاسم عمر بن حمزة البصري المتوفى سنة (٣٧٥ هـ) كتاب في انتقاد الرواة سماه « التنبيهات على اغاليط الرواة » ضمنه التنبيه على الاغاليط التي وقعت في نوادر ابي زياد الكلابي ونوادر ابي عمرو الشيباني وكتاب النبات لابي حنيفة الدينوري والكامل للمبرد والفصيح لثعلب والغريب للقاسم بن سلام واصلاح المنطق لابن السكيت وغيرهم . وفي المكتبة الخديوية نسخة خطية من هذا الكتاب

واذ فرغنا من الكلام على الرواية بانواعها وهي أصل علم الادب فانأت الى ما يتفرع اليه الادب من العلوم وأهمها النحو واللغة فان اصحابهما كانوا في الاصل من جملة الرواة ثم اختص بعضهم بهذا العلم والبعض الآخر بذاك

(١) المزهر ٢٠٣ ج ٢ (٢) المزهر ٢١٠ ج ٢
(٣) المزهر ٨٥ ج ١ (٤) المزهر ٧١ ج ١

النحو

في العصر العباسي الاول

البصريون والكوفيون

النحو باعتبار ما تقدم فرع من الادب لكنه ولد قبله لاحتياج المسلمين الى ضبط القراءة فوضعه ابو الاسود الدؤلي كما تقدم في العصر الاموي وقد نضج وصار علماً في ايام العباسيين على ايدي أدباء البصرة والكوفة. وأهل البصرة أسبق الى ذلك وهم الذين ضبطوا النحو وألفوا فيه . ومنهم ابوالاسود واضعه . وابن أبي اسحق الحضرمي أول من علله. وعيسى بن عمر الثقفي أول من الف فيه. وهارون بن موسى أول من ضبطه وسيبويه أول من اجاد في تأليفه. ثم قلدهم الكوفيون وخالفوهم ببعض قوانينه وقامت المناظرة بين البلدين وصار لكل منهم مذهب في النحو كما هو مشهور . وأهل البصرة أرسخ قدماً وأوسع علماً وأولى بالثقة . ولكن السياسة اقتضت ظهور الكوفيين بعد قيام الدولة العباسية فقدمهم خلفاؤها لانهم كانوا من انصارهم . فكانوا يقربونهم دون نحويي البصرة ويختارون منهم اساتذة لاولادهم — فالكسائي والفراء والمفضل الضبي والشرقي بن القطامي كلهم من أهل الكوفة وقد علموا ابناء الخلفاء، ولولا الغرض السياسي لم يكن لهم ذكر. وتحامل الامين على سيبويه في المناظرة التي عقدها بينه وبين الكسائي بشأن النحلة والزنبور وهي اشهر من أن تذكر (١)

اول من علله

فالبصريون اصحاب الفضل في وضع النحو وترقيته وتنسيقه ، بدأ بذلك ابوالاسود فوضع بعض قواعده وأخذ يلقيها ويعلمها لمن شاء من الادباء أو القراء فكان ابرع تلامذته عنبسة بن معدان المهري فتكاتف الناس يطلبون النحو على يده فتفقه عليه جماعة كان ابرعهم ميمون الاقرن (٢) فجعل الناس يأخذون النحو عنه تلقيناً بلا تعليل ولا ضبط . ويقال ان أول من علله أي ذكر أسباب اعرابه عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ والغالب في اعتقادنا أن تعليل الاعراب لم ينضج الا بعد نقل كتب الفلسفة اليونانية الى العربية في العصر العباسي الذي نحن في صدده

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٧٩ ج ٣ (٢) طبقات الادباء ١٦

اول من ضبط قواعده والف فيه

أما ضبط قواعده فاول من أقدم عليه هرون بن موسى وهو يهودي من أهل البصرة أسلم واشتغل بالادب وضبط النحو لكنه لم يؤلف فيه . وأول من الف فيه عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ وكان فصيحاً يتقعر في كلامه فيقال انه الف كتابين احدهما الجامع والآخر الاكمال ذكرهما الخليل في شعره ولم يرهما أحد (١)

وقد عانى النحو وقواعده كل من ظهر في البصرة من الادباء في ذلك العصر لانه من علم الادب الا أن بعضهم كان يميل الى النحو اكثر من سواه وربما دخل في جملة مايكتبه في الادب أو اللغة كما فعل الخليل بن احمد واضع علم العروض فقد اتى على اشياء من قبيل النحو في كتاب العين الآتي ذكره . وهكذا يقال في امثاله الذين اشتغلوا بفنون الادب كابي عمرو بن العلاء . ومنهم من اختص بالنحو ونصب نفسه للافادة وان لم يؤلف فيه كيونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٣ وكان معاصراً لهؤلاء جميعاً وأخذ عن ابي عمرو ابن العلاء وتمكن من النحو حتى صار له فيه مذاهب وأقيسة تفرد بها . وعقد لنفسه حلقة في البصرة يلقي فيها هذا العلم . وكان يقصده طلبة العربية وفصحاء الاعراب فكان يعلم النحو واللغة وهما لم يفترقا بعد . ولم يستقل النحو بنفسه استقلالاً تاماً حتى الف فيه سيبويه كتابه المشهور — وهاك اشهر نحاة هذا العصر حسب سني الوفاة :

علماء النحو

في العصر العباسي الاول

١ — سيبَوَيْه

توفي سنة ١٨٣ هـ

هو من الموالي واسمه ابو بشر عمرو بن عثمان مولى بني الحارث بن كعب . ولقب سيبويه بالفارسية ومعناها رائحة التفاح . نشأ في البصرة وطلب الآثار والفقه ثم طلب النحو وأخذه عن الخليل ويونس وعيسى بن عمر حتى برع فيه والف كتابه الذي لم يسبقه أحد الى مثله ونسب فيه الى كل من اساتذته اقواله واعتمد على ابي

(١) طبقات الادباء ٢٨

زيد الانصاري وكان يسميه الثقة فكان لذلك وقع جميـل عند اهل البصرة وصـار كتابه تحفة يتسابق الفضلاء الى مهاداتها . واشتهر حتى اصبح قائلهم اذا قال « قرأ فلان الكتاب » علم انه يعني كتاب سيبويه. وكان ابو العباس المبرد اذا أراد أحد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له : « هل ركبت البحر » تعظيماً للكتاب واستصعاباً لما فيه . وقال ابو عثمان المازني : « من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ » وأخـذ العلم عنه جماعة من المشاهـير أشهرهم ابو الحسن الاخفش وكان اكبر سناً منه ، وقطرب وكانت له معهما ومع سواهما مناظرات

وكان أهل الـكوفة في أثناء ذلك قـد هموا بالنحو فاخذوه عن أهـل البصرة واشتغلوا فيه فنبغ معاذ الهراء المتوفى سـنة ١٨٧ وأبو جعفر الرواسي ابن أخي معاذ فوضع كتاباً في النحو وهو أول من فعل ذلك من الكوفيين والـكتاب ضاع

كتاب سيبويه

اما كتاب سيبويه فانه باق ومنه عدة نسخ خطية في المكتبة الخديوية وغـيرها وقد طبع في باريس سنـة ١٨٨٣ — ١٨٨٩ بعناية المستشرق ديرنبورج في مجلدين كبيرين في ١٠٠٠ صفحة كبيرة عليها تعاليق مفيدة ومقدمة باللغـة الفرنسوية عن مسودات هذا الـكتاب ومظانها وما قيل فيها . وطبع بمصر سنة ١٨٩٦ وفي كلكته ١٨٨٧ وقد نقله الى الالمانية الدكتور ياهن وطبع في برلين سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٨ وفي الـكتاب ٧٢٠ فصلا ، يحتوي الجزء الاول منه على الكلم واقسامه والفاعل والمفعول فالفعل وما يعمل عمله واحـكام المصدر والحال والظرف والجر والبـدل والمعرفة والنكرة والصفة والمبتدأ والخبر والاسماء التي بمنزلة الفعل والاحرف المشبهة به والنداء والترخيم والنفي بلا والاستثناء وباب لكل من أحرف الجر. وفي الجزء الثاني ما ينصرف وما لا ينصرف والنسبة والاضافة والتثنية والتصغير والمقصور والممدود والجمع وفعلت وافعلت وما يليها من المزيدات وفي الوقف وشروطه وما يكون عليه الكلم وما أبدل من الفارسية وغير ذلك مما يطول شرحه . على غير الترتيب المألوف عندنا لكنه جامع كل ما يحتاج اليـه طالب النحو . وفيه ٣٠٠ مثـال للابنية حتى قالوا أصل الـكتب المؤلفة في النحو كتاب سيبويه وكتاب العين للخليل . ولذلك تعرض جماعة لا نتقاد كتاب سيبويه منهم المبرد (١) . وقـد الف ابو بكر الزبيدي كتاباً سماه كتـاب

(١) المزهر ٥٨ ج ١

الاستدراك على كتاب سيبويه انتقد فيه مواد هامة طبع في رومية سنة ١٨٩٠ بعناية الاستاذ جويدي المستشرق الايطالي . وقد شرح الكتاب سعيد بن المرزبان ومن هذا الشرح بضع نسخ في المكتبة الخديوية احداها بخط عبد اللطيف البغدادي الرحالة الشهير

واخبار سيبويه في ابن خلكان ٣٨٥ ج ١ وطبقات الادباء ٧١ والفهرست ٥١ والدميري ١٢٤ ج ٢

٢ — معاذ الهرّاء

توفي سنة ١٨٧ هـ

هو ابو مسلم عم ابي جعفر الرواسي من اساتذة الكسائي الآتي ذكره ولم يخلف مؤلفاً وانما ذكرناه لانه أول من وضع التصريف (١)

وترجمته في ابن خلكان ٩٩ ج ٢ وطبقات الادباء ٦٤ والفهرست ٦٥

٣ — الكسائي

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو اشهر نحاة الكوفة واسمه علي بن حمزة مولى بني أسد وأصله من فارس . أخذ النحو عن ابي جعفر الرواسي ومعاذ الهراء المتقدم ذكرهما . وخرج الى البصرة ولقي الخليل بن أحمد فأخذ عنه وعشق النحو . وهو من القراء السبعة . واستقدمه الخلفاء العباسيون الى بغداد ليعلم ابناءهم وقدمه البرامكة فارتفعت منزلته وأخذ يعرّض بسيبويه وكتابه حتى كانت مسألة الزنبور والنحلة . فتعصب الخليفة الامين لمعلمه الكسائي وجمع الرجلين فتناظرا في حضرته وشهد بدويٌّ بصحة رأي سيبويه لكن الامين تعصب لمعلمه حتى اضطر سيبويه الى الفرار في حديث طويل . والف الكسائي عدة كتب في النحو والقراءات والادب والنوادر وغيرها لم يصلنا منها الا رسالة في لحن العامة منها نسخة خطية في مكتبة برلين وقد طبعت في برسلاو

واخباره في ابن خلكان ٣٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٨١ والفهرست ٢٩ و ٦٥

واشتهر من النحاة في العصر العباسي الاول آل اليزيدي وهم كثار وابو الحسن الاخفش وابو عمر الجرمي وغيرهم من أهل البصرة . وجماعة كبيرة من أهل الكوفة نبغوا بعد فوز الكسائي لان انتصاره كان انتصاراً لبلده ، واشتهر جماعة منهم في بغداد كالفراء وابن الاعرابي وهشام بن معاوية الضرير وابن السكيت وهاك اشهرهم :

(١) المزهر ٢٠٢ ج ٢

٤ — الفرّاء

المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

هو ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء الديلمي من موالي بني أسد في الكوفة وأخذ عن الكسائي وكان اماماً ثقة له شأن عظيم في اللغة ومذهب وأتباع ومريدون . قال ابو العباس ثعلب : « لولا الفراء لما كانت اللغة لانه حصلها وضبطها ، ولولا الفراء لسقطت العربية لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب » وقال ابوبكر بن الانباري: « لولم يكن لاهل بغدادوالكوفة من علماء العربية الا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس »

ومما رفع قدره وجمع الادباء حوله حظوته عند المأمون الخليفة فانه كان يقدمه وعهد اليه تعليم ابنيه النحو واقترح عليه ان يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العربية . وأمر أن تفرد له حجرة من الدار ووكل بها جواري وخدماً للقيام بما يحتاج اليه وصير اليه الوراقين يكتبون ما يمليه حتى صنف كتاب «الحدود» في سنتين ثم خرج للناس واملى كتاب « المعاني » نخزنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا بنسخه كل خمس أوراق بدرهم فشكاهم الناس اليه . فلما ابوا اخراج كتابه أخذ يملي كتاباً آخر في المعاني أطول وأوسع نخاف الوراقون فرضوا أن ينسخوا كل عشر أوراق بدرهم

وعظم قدر الفراء في الدولة حتى تسابق تلميذاه ابنا المأمون الى تقديم نعله اليه لما نهض للخروج ثم اصطلحا على ان يقدم كل منهما فردة . وبلغ المأمون ذلك فاستدعاه وقال له بذلك فقال : « لقد أردت منعهما ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا اليها أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها » (١) ففرح المأمون وقال : « لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوماً »

ولم يكن الفراء مقتصراً في معرفته على النحو فانه كان ماهراً في النجوم والطب وأيام العرب وأخبارها . وله مؤلفات كثيرة تدخل في ثلاثة آلاف ورقة أي ٦٠٠٠ صفحة كان يمليها على تلامذته بدون كتاب لأنه كان قوي الحافظة . وكان أكثر مقامه في بغداد يجمع طوال دهره فاذا كان آخر السنة خرج الى الكوفة أقام بها ٤٠ يوماً

(١) طبقات الادباء ١٣١ وابن خلكان ٢٢٨ ج ٢

يفرق ما جمعه حتى توفي سنة ٢٠٧ هـ وذكر له صاحب الفهرست عدة مؤلفات في النحو واللغة لم يصلنا منها الا :

١ كتاب معاني القرآن منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية

٢ بلغنا أن في المكتبة الاحمدية بحلب نسخة من كتاب المذكر والمؤنث تنسب اليه

وكان له أصحاب ومريدون أشهرهم أبو جعفر محمد بن قادم معلم المعتز وسلمة بن عاصم أحد علماء الكوفة الثقات وغيرهما . وأكثرهم ألفوا في النحو وضاعت كتبهم

وتجد أخبار الفراء في ابن خلكان ٢٢٨ ج ٢ وطبقات الادباء ١٢٦ والفهرست ٦٦

٥ — ابن السِّكِّيت

توفي سنة ٢٤٤ هـ

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت آخر نحاة الكوفة في هذا العصر أصله من الاهواز . وكان يؤدب ولد جعفر المتوكل . أخذ النحو عن أبي عمرو الشيباني والفراء وابن الاعرابي الآتي ذكره بين اللغويين . ولقي الاعراب وأخذ عنهم وعلم عبد الله بن طاهر وغيره وغضب عليه المتوكل في آخر أيامه لجرأته في الدفاع عن علي ابن أبي طالب وآله . وذلك أن المتوكل سأله يوماً وهو يعلم ابنيه : «يا يعقوب أيهما أحب اليك ابناي هذان أم الحسن والحسين » فأجابه : « ان قنبراً خادم علي خير منك ومن ابنيك » فأمر المتوكل فسلوا لسانه من قفاه فمات ، وقد خلف بضعة وعشرين مؤلفاً في النحو واللغة والمنطق والشعر ذكرها صاحب الفهرست وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ كتاب اصلاح المنطق : منه نسخ خطية في اكثر مكاتب أوربا والاستانة وفي المكتبة الخديوية ، وقد طبع في بيروت سنة ١٨٩٨ بعناية الاب شيخو اليسوعي وفي مصر سنة ١٩٠٧

٢ كتاب الالفاظ أو تهذيب الالفاظ : في اللغة وليس في النحو يبحث في أحوال الالفاظ ومعانيها ، منه نسخة خطية في مكتبتي باريس وليدن . وقد طبع في بيروت بعناية الاب شيخو عن تينك النسختين سنة ١٨٩٦ مع شروح للتبريزي وطبعوا منه طبعة مختصرة سنة ١٨٩٧ سموها مختصر تهذيب الالفاظ

وتجد أخباره في ابن خلكان ٣٠٩ ج ٢ وطبقات الادباء ٢٣٨ والفهرست ٧٢

فالنحو نضج في هذا العصر ووضعت فيه الكتب الوافية بخلاف الادب فانه كان لا يزال مشتتاً مضطرباً وسينضج في الاعصر الآتية. وكذلك علم اللغة كما سنبينه في مكانه

علم اللغة

في العصر العباسي الاول

نريد بعلم اللغة الاشتغال بألفاظ اللغة من حيث معانيها وأصولها واشتقاقها وهو ينتهي بتأليف المعاجم اللغوية ولم يتم نضجها الا في العصر العباسي الثالث كما سيجيء . لكن السبيل تمهدت لها في هذا العصر وما يليه بما ألفه الأدباء من الكتب في ألفاظ المواضيع الخاصة . وقد جاء ذكر بعضها في مؤلفات الاصمعي وغيرها من كتب الادب ككتاب الخيل وأسماء الوحوش وكتب الشاء وخلق الانسان . وقد يتبادر الى الاذهان من قراءة أسمائها أنها كتب في علم الحيوان أو التشريح ولكنها كتب لغوية يحوي كل منها أسماء الحيوانات وأعضائها ومن الانسان أسماء أعضائه وأحواله . وكانت للعرب همة عالية في استقصاء ذلك في صدر دولتهم يتبارون في التنقيب عنه من أماكنه اما بالسفر الى البادية أو بالسؤال ممن يفد على البصرة والكوفة من فصحاء العرب كما تقدم

وكان الامويون يستحثون الادباء على ذلك بمناقشات يثيرونها بين أيديهم في هذه المواضيع كما فعل عبد الملك في مجلس من مجالسه ضم جماعة من خواصه ومساميره فقال : « أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله علي ما يتمناه ؟ » فقام اليه سويد بن غفلة فقال : « أنا لها يا أمير المؤمنين » فقال : « ما عندك : » قال : « أنف . بطن . ترقوة . ثغر . جمجمة . حلق . خد . دماغ . ذكر . رقبة . زند . ساق . شفة . صدر . ضلع . طحال . ظهر . عين . غببة . فم . قفا . كتف . لسان . منخر . نغنغ . هامة . وجه . يد . فهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين »

فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال : « يا أمير المؤمنين أنا أقولها في جسد الانسان مرتين ، فضحك عبد الملك وقال لسويد : « أما سمعت ما قال ؟ » قال : « نعم أنا أقولها ثلاثاً » فقال له : « لك ما تتمنى » فقال : « أنف . أسنان . اذن . بطن . بصر . بز . ترقوة . تمرة تينة . ثغر . ثنايا . ثدي . جمجمة . جنب . جبهة . حلق . حنك . حاجب . خد . خصر . خاصرة . دبر . دماغ . دردر . ذكر . ذقن . ذراع . رقبة . رأس . ركبة . زند . زردمة . زغب . ساق . سرة . سبابة . شفة . شعر . شارب . صدر . صدغ . صلعة . ضلع . ضفيرة . ضرس . طحال . طرة . طرف . ظهر . ظفر . ظلم . عين . عنق عاتق . غبة . غلصمة . غنة . فم . فك . فؤاد . قلب . قدم . قفا .

كف . كتف . كعب . لسان . لحية . لوح . مرفق . منكب . منخر . نغنوغ . ناب . نن . هامة . هيف . هيئة . وجه . وجنة . ورك . يمين . يسار . يا فوخ ، ثم نهض مسرعاً وقبل الارض بين يدي عبد الملك . فقال : « والله ما نزيد عليها اعطوه ما تمنى » ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ في الاحسان اليه

أوليات كتب اللغة

فهذا وأمثاله بعث الناس على العناية بحفظ ألفاظ اللغة وحمل الآخرين على التأليف فيها بشكل مجاميع كل مجموع في موضوع . فكتاب النخل والكرم مثلا لا يبحث في طبائع النخل والكرم ومعالجتها أو زراعتها وانما هو يبحث في أسماء أنواعها وأغصانها وما يتعلق بها من اسم أو فعل . وهاك قطعة من أول هذا الكتاب على سبيل المثال :

« من صغار النخل الجثيث وهو أول ما يطلع من أمه ، وهو الودي والهراء والفسيل واذا كانت الفسيلة في الجذع ولم تكن مستأرضة فيه فهو من خسيس النخل والعرب تسميها الراكب . فاذا قلعت الودية من أمها بكربها قيل ودية منعلة . فاذا غرسها حفر لها بئراً فغرسها ثم كبس حولها بترنوق المسيل والدمن فتلك البئر هي الفقير يقال : فقرنا للودية تفقيراً . والاشأ من صغار النخل

« ومن نعوت سعفها وكونها وقلبها يقال للفسيلة اذا أخرجت قلبها قد انسغت . ويقال للسعفات اللواتي يلين القلبة « العواهن » في لغة أهل الحجاز . أما أهل نجد فيسمونها «الخوافي » وأصول السعف الغلاظ الكرانيف الواحدة كرنافة . والعريضة التي تيبس فتصير مثل الكتف هي الكربة وشحمة النخلة هي الجمار فاذا صار للفسيلة جذع قيل قد قعدت وفي أرض بني فلان من القاعد كذا وكذا . والسعف هو الجريد عند أهل الحجاز واحدته جريدة وهو الخرص وجمعه خرصان والخلب الليف واحدته خلبة ... » (١)

وقس على ذلك كتب خلق الانسان والابل وغيرها . فكل منها يشتمل على أسماء وأفعال تجمعها صفة مشتركة بينها في المعنى فهي من قبيل المعاجم المعنوية التي تجمع مفردات اللغة فيها حسب معانيها تمييزاً لها عن المعجمات اللفظية التي تجتمع بها الالفاظ بحسب هجائها على ترتيب الابجدية . وأشهر المعجمات المعنوية فقه اللغة للثعالبي والمخصص لابن سيده وهي أتم مما فعله الاصمعي وأترابه ولكنها تشبهها من حيث المراد بها وسيأتي ذكرها في مكانه . وعلى كتب الخيل والشاء والابل والشجر والكرم

(١) كتاب النخل والكرم طبعة الأب شيخو

وخلق الانسان وأشباهها من كتب النوادر والامثال والاضداد واللغات والفروق وغريب القرآن والحديث وكتب المياه والجبال ونحوها عول واضعو المعجمات في ضبط الالفاظ ومعانيها فضلا عن تحريهم المفردات عن فصحاء الاعراب

علماء اللغة

في العصر العباسي الاول

١ ـ الخَليل بن أَحْمَد

توفي سنة ١٨٠ هـ

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد البصري الفراهيدي الازدي سيد أهل الادب في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله . وكان من تلامذة أبي عمرو بن العلاء . وعنه أخذ سيبويه . وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل وكلما قال سيبويه « سألته » أو « قال » من غير أن يذكر قائله فهو يعني الخليل . وأخذ عنه أيضاً النضر بن شميل ومؤرج السدوسي وعلي بن نصر وغيرهم

وقد علمت أنه أول من ضبط اللغة وهو أيضاً أول من استخرج علم العروض الى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها ١٥ بحراً . ثم زاد فيه الاخفش بحراً سماه الخبب . وقد ضبط أوزان الشعر ووقعها على المقاطع والحركات واستغرق في درس ذلك حتى كان يقضي الساعات في حجرته وهو يوقع بأصابعه ويحركها ـ رووا ان ابنه دخل عليه مرة وهو في هذه الحال فظنه جن فقال له الخليل:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني ... او كنت تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت انك جاهل فعذرتكا

وكان الخليل في فاقة وزهد لا يبالي بالدنيا وذكروا ان سليمان بن علي وجه اليه من الأهواز لتأديب ولده فأخرج الخليل الى رسول سليمان خبزاً يابساً وقال : « كل فما عندي غيره وما دمت أجده فلا حاجة لي الى سليمان » فقال الرسول : « فما أبلغه » فقال :

ابلغ سليمان اني عنه في سعة ... وفي غنى غير اني لست ذا مال

شحاً بنفسي اني لا ارى احداً ... يموت هزلا ولا يبقى على حال

والفقر في النفس لا في المال تعرفه ... ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال

وأهم مؤلفاته كتاب العين :

كتاب العين

الخليل أسبق العرب الى تدوين اللغة وترتيب الفاظها على حروف المعجم قبل الاصمعى وسيبويه وسواهما من الأدباء والنحاة في كتاب سماه كتاب العين جمع فيه ما كان معروفاً في أيامه من ألفاظ اللغة وأحكامها وقواعدها وشروطها ورتب ذلك على احرف الهجاء . لكنه رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالاسنان فالشفتين وبدأ بحرف العين وجعل حروف العلة في الآخر . وهاك ترتيبه : ع ح ه خ غ ق ك ج ش ص ض س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي فكأن الخليل حذا بذلك حذو الهنود في ترتيب حروف لغتهم السنسكريتية فانهم يبدأون بأحرف الحلق وينتهون بالاحرف الشفوية (١)

وكان من عادة العرب أن يسموا الكتاب بأول لفظ من ألفاظه ككتاب الجيم للهروي وهو كتاب رتبه على حروف المعجم بدأ به بحرف الجيم (٢) وكتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ومثلها كتاب الغين وكتاب الميم ويستفاد من ترتيب الحروف في كتاب العين ان الجيم كانت تلفظ كالكاف الفارسية

ومن أبحاث كتاب العين احصاء ألفاظ اللغة في أيامه فقد نقل عنه السيوطي انه أحصى فيه عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل فبلغ ٤١٢ ٣٠٥ ١٢ كلمة . ولعله أراد ما يمكن تكوينه بتركيب أحرف الهجاء على كل شكل من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي . ولم يذكر عدد الكلام المستعمل منها . على أن أبا بكر الزبيدي الذي اختصر كتاب العين وجه نظره الى هذه المسألة ودرسها فكانت نتيجة درسه أن عدد الالفاظ العربية ٤٠٠ ٦٦٩٩ ٦ لفظ لا يستعمل منها الا ٦٢٠ ٥ لفظاً والباقي وهو ٧٨٠ ٦٦٥٣ ٦ لفظاً مهملا . وقد قسمها من حيث عدد أحرفها على هذه الصورة :

عدد الالفاظ		المستعمل منها	المهمل
٧٥٠	الثنائي	٤٨٩	٢٦١
١٩٦٥٠	الثلاثي	٤٢٦٩	١٥٣٨١
٣٣٤٠٠	الرباعي	٨٢٠	٣٠٢٥٨٠
٦٣٧٥٦٠٠	الخماسي	٤٢	٦٣٧٥٥٥٨
٦٦٢٩٤٠٠		٥٦٢٠	٦٦٩٣٧٨٠

(١) William's Sanskrit Grammar 15 (٢) طبقات الادباء ٢٦٠

ومن النظر الى هذا الجدول يتبين لك أن الزبيدي عني بعدد ألفاظ اللغة ما عناه الخليل وان كان قد جعل عددها نصف ما قاله ذاك فانك تجد أكثرها مهملا فهو يريد بالمهمل الألفاظ التي يمكن أن تتركب من الاحرف الهجائية كما تقدم لا التي تركبت واستخدمها الناس زماناً ثم أهملت لسبب من الاسباب

ولم يصل الينا من كتاب العين الا ما نقل عنه في كتب اللغة كالمزهر للسيوطي وكتاب النحو لسيبويه . ولم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا أديب في عصر الخليل وما يليه إلا استفاد من كتابه . ولكن الثقات الباحثين مختلفون في حقيقة نسبته اليه وفي صحة ما جاء فيه من الروايات والاقوال . من ذلك ما رواه ابن النديم في الفهرست عن ابن دريد قال : « وقع في البصرة كتاب العين سنة ثماني واربعين (ومائتين) قدم به وراق من خراسان وكان في ثمانية واربعين جزءاً فباعه بخمسين ديناراً وكان قد سمع بهذا الكتاب أنه في خراسان بخزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق . وقيل أن الخليل عمل كتاب العين وحج وخلف الكتاب بخراسان فوجه به الى العراق من خزائن الطاهرية . ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل ولا روى في شيء من الاخبار أنه عمل هذا البتة . وقيل ان الليث من ولد نصر بن سيار صحب الخليل مدة يسيرة وان الخليل عمله له وأخذ طريقته وعاجلت المنية الخليل فتممه الليث » (١)

وذكر السيوطي آراء القوم في أصله وحجج القادحين فلتراجع في المزهر (٣٩ ج ١ وما بعدها) ولكن الغالب في سبب تلك الحملة على الخليل انهم حسدوه لما أتاه من السبق الى ذلك العمل الجليل – وكل سباق محسود . فلا خلاف في فضله على الاطلاق وهب أنه لم يتم الكتاب في حياته فله الفضل في تبويبه والشروع فيه

وقد جاء في ذلك الكتاب على قواعد النحو وأكثرها على مذهب الكوفيين مع انه بصريّ فخالف ما جاء في كتاب سيبويه مما رواه سيبويه عنه . وقد جعلوا هذا حجة للطعن في الكتاب وانه ليس للخليل . ويرى الاكثرون انه له وذلك لم يمنع انتقاده والاستدراك عليه . فألف في انتقاده جماعة منهم المفضل بن سلمة وعبد اللّه بن محمد الكرماني وابن دريد وغيرهم . وقد اختصره ابو بكر الزبيدي المتوفي سنة ٣٧٩هـ اختصاراً لطيفاً وشاع مختصره وأقبل عليه الناس وتحدثوا به فاستعملوه وفضلوه على الكتاب نفسه لكونه حذف ما أورده المؤلف من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلة . وفضلوه أيضاً على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتب اللغة

(١) الفهرست ٤٢

يومئذ لاجل صغر حجمه . وألحق به بعضهم ما زاده ابو علي القالي في البارع على كتاب العين فكثرت الفائدة . على أن بعضهم انتقد على الزبيدي حذفه الشواهد

وبالجملة فان كتاب العين تحفة من تحف الادب وللخليل فضل كبير في وضعه وللأسف انه ضاع وقد كان موجوداً الى القرن الرابع عشر للميلاد . ولا يبعد أن يعثر الباحثون على نسخة منه في بعض المكاتب الخصوصية

أما مختصره للزبيدي فمنه نسخة خطية في مكتبة برلين وأخرى في الاسكوريال باسبانيا وكذلك في مدريد وفي مكتبة كوبرلي بالاستانة

وذكر له ابن النديم من المؤلفات أيضاً كتاب النغم وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل وكتاب الايقاع . وفي المكاتب الكبرى في اوربا مما ينسب الى الخليل :

٢ كتاب في معنى الحروف في مكتبة ليدن ومكتبة برلين
٣ شرح حرف الخليل « « برلين قطعة منه
٤ جملة آلات العرب « « ايا صوفيا بالاستانة
٥ قطعة من كلام على أصل الفعل « « اكسفورد (بودليان)

وتجد ترجمته في ابن خلكان ١٧٢ ج ١ وطبقات الادباء ٥٤ والفهرست ٤٢ وابن خلدون ٤٨٢ ج ١ .

٢ ـ مُورِّج السَّدُوسي

توفي سنة ١٩٥ هـ

هو أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي كان من أكابر أهل اللغة وأخذ عن أبي زيد الانصاري وصحب الخليل بن احمد وكان من كبار أصحابه . أصله من البادية قدم البصرة ولا معرفة له بالقياس في العربية وأول ما تعلم ذلك في حلقة أبي زيد وكان يحفظ ثلثي اللغة وكان شاعراً . وصحب المأمون من العراق الى خراسان وسكن مرو مدة ثم قدم الى نيسابور وأقام فيها وكتب عنه مشائخها

وله من المؤلفات كتاب الانواء وكتاب غريب القرآن وكتاب جماهير القبائل وكتاب المعاني وغيرها لم يصلنا منها شيء

وتجد أخباره في ابن خلكان ١٣٠ ج ٢ طبقات الادباء ١٧٩

٣ ـ النَّضْر بن شُمَيل

توفي سنة ٢٠٢ هـ

هو ابو الحسن النضر بن شميل التميمي البصري من تلامذة الخليل أخذ عنه وعن فصحاء العرب كأبي خيرة الاعرابي وابى الدقيش وأقام في البادية أربعين سنة في هذا السبيل . وعنه أخذ ابو عبيد القاسم بن سلام الآتي ذكره . وبعد أن أقام في البصرة مدة ضاق به الرزق فنزح عنها الى خراسان فأصاب بها مالا عظيما وكانت اقامته في مرو وله مع المأمون في اثناء اقامته هناك حكايات ونوادر لأنه كان يجالسه وله عدة كتب ذهب خبرها الا كتاب غريب الحديث أخذ الثعالبي عنه

وأخباره في ابن خلكان ١٦١ ج ٢ وطبقات الادباء ١١٠ وفهرست ٥٢

٤ ـ قُطْرُب

توفي سنة ٢٠٦ هـ

هو أبو علي محمد بن المستنير البصري من الموالي كان من كبار علماء اللغة أخذ عن سيبويه وجماعة من أهل البصرة وكان يذهب مذهب المعتزلة وله عدة مؤلفات منها :

١ كتاب الاضداد : مرتب على الابجدية منه نسخة خطية في مكتبة برلين

٢ ما خالف فيه الانسان البهيمة : منه نسخة في مكتبة فينا

٣ كتاب الازمنة : في المتحف البريطاني

٤ مثلث قطرب : هو منظومة في بضعة وستين بيتاً تحتوي على الالفاظ التي يختلف معناها باختلاف حركاتها مثل : سِهام وسَهام وسُهام ولكل منها معنى وهو اول من فعل ذلك . ومنه نسخ في مكاتب ليدن وباريس والاسكوريال والمكتبة الخديوية . وقد طبع في مابرج سنة ١٨٥٧ مع ترجمة لاتينية . وله شروح منها شرح ابراهيم اللخمي وغيره . ومن هذه الشروح نسخ في أكثر مكاتب اوربا الكبرى

٥ ـ ابن الأعرابي

المتوفي سنة ٢٣١ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن زياد من موالي بني هاشم وكان من أكابر أئمة اللغة بالكوفة ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين من روايته وكان ربيباً للمفضل الضبي وسمع منه الدواوين وصححها . وكان أحفظ الناس للغات والانساب وطريقته طريقة الفقهاء

والعلماء وله من الكتب الباقية الى الآن :

١ كتاب أسماء البئر وصفاتها : منه نسخة في المكتبة الخديوية وقد نشرته مجلة المقتبس (مجلد ٦ ج ١) في سبع صفحات بتصحيح السيد محمود شكري الالوسي

٢ كتاب أسماء الخيل وأنسابها : منه نسخة خطية بين كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية

وأخباره في ابن خلكان ٤٩٢ ج ١ وطبقات الادباء ٢٠٧ والفهرست ٦٩

الانشاء والمنشئون

الانشاء

الانشاء من فنون الادب وقد تقدم تاريخه في الجاهلية وعصر الراشدين والامويين ورأيت أنه اختلف في هذه العصور باختلاف أحوالها من المدنيــة أو الجاهلية ومن الحضارة أو البداوة . وللعرب اقتدار عليه مثل اقتدارهم على الشعر واللغة أكبر مساعد على ذلك

كان الانشاء في صدر الاسلام مقصوراً على مكاتبة الخلفاء وأمرائهم وقوادهم أو مع سواهم في طلب حرب أو صلح أو حث أو تحريض . فلما صار الاسلام دولة تفرعت الكتابة الى أقسام اقتضاها تعدد مصالح الدولة وتفرع احتياجاتها فصارت الكتابة خمسة أنواع ذكرناها في الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي — وأهمها بالنظر الى الانشاء والبلاغة كتابة الرسائل وصاحبها يسمى كاتب السر وهو يد الخليفــه ومستودع أسراره . وقد نبغت طائفة من كتاب الرسائل في الدولة الاموية آخرهم وأبلغهم عبد الحميد كما تقدم (١)

فلما صارت الدولة الى العباسيين على أثر ذلك الانقلاب الذي تبدلت فيه رجال الدولة وانتقل كرسي الخلافة وتنوعت أغراض الخلفاء — كما بينا ذلك في مكانه أصاب الانشاء تغيير يلائم ذلك الانقلاب . وأهم ظواهره الاستبحار في المدنية والاغراق في الحضارة بالنظر الى الدولة الاموية . وظهر أثر ذلك على أقلام المنشئين كما ظهر في قرائح الشعراء

(١) الجزء الاول ٣١٤

أول ثمار الرخاء

فالانشاء في صدر الدولة العباسية أخذ في النزوع الى ثمار الرخاء والترف وأهمها التطويل والاطراء . وزادهم الاختلاط بالفرس وما ترجم من آدابهم تأنقاً في العبارة نزوعاً عن أسلوب البلغاء في صدر الاسلام وفي العصر الاموي من تحدي الايجاز والاعجاز . وأخذوا يضمنون رسائلهم الاشعار والامثال . وخالط ذلك في العصر العباسي الاول شيء من الاطراء والتفخيم وخصوصاً في ما كانوا يكتبونه الى الامراء يستعطفونهم أو يستعطونهم كما فعل ابراهيم بن سيابة في رسالة كتبها الى يحيى بن خالد ابن برمك توخى فيها التسجيع فضلا عن الاطراء فقال في مطلعها :

« للاصيد الجواد الواري الزناد الماجد الاجداد الوزير الفاضل الاشم الباذل اللباب الحلاحل من المستكين المستجير اليائس الضرير فاني أحمد الله ذا العزة القدير اليك والى الصغير والكبير بالرحمة العامة والبركة التامة أما بعد فاغنم واسلم واعلم ان كنت تعلم انه من يرحم يرحم ومن يحرم يحرم ومن يحسن يغنم ومن يصنع المعروف لا يعدم وقد سبق الي تغضبك علي واطراحك لي وغفلتك عني بما لا أقوم له ولا أقعد ولا أنتبه ولا أرقد فلست بحي صحيح ولا بميت مستريح فررت بعد الله منك اليك وتحامات بك عليك » — الى آخر الرسالة

وهي كما ترى أشبه بما صار اليه الانشاء في أواسط الدولة العباسية . ولولا ثقتنا بصدق راويها وهو الجاحظ (١) مع قرب عهده من ذلك العصر لشككنا في صحتها. فالظاهر ان ابن سيابة بالغ في تنميق عبارته حتى خرج عن الاسلوب المألوف في عصره فاعظم الناس اقتداره وعملوا على حفظ أقواله . وذكر الجاحظ ان البغداديين حتى عامتهم كانوا يحفظون هذه الرسالة في تلك الايام . ولا يصح أن تعد مثالا لاسلوب ذلك العصر وانما أمام الانشاء فيه ابن المقفع وأسلوبه مشهور وسنعود الى ذلك

وتنوعت أساليب الانشاء ومذاهب المنشئين في الدولة العباسية بتنوع العلوم فاصبح للفقه أسلوب والفاظ وتراكيب ومثل ذلك للجندي أو المحدث أو الفيلسوف أو الطبيب لتعود كل منهم مصطلحات علمه وفنه كما هو شأننا لهذا العهد فان للصحافي أسلوباً خاصاً ومثله للمؤلف والروائي والطبيعي والمحامي وغيرهم تظهر فيه صبغة مهنته . ولكن هذه الاساليب كانت ولا تزال تتشابه وتتقارب لاضطرار أصحابها الى تحدي أساليب القرآن والفاظ العرب العرباء

---

(١) البيان والتبيين ١١٤ ج ٢

التوقيعات

وظل الميل الى الايجاز والاعجاز متغلباً في نفوس الادباء ولا سيما في التوقيع ويراد به ما يعلقه الخليفة على القصص أو الرقاع (العرضحالات) . وكان الخلفاء في صدر الاسلام وهم الذين يوقعون بأنفسهم أو يأمرون كتابهم بتدوينه . والغالب في توقيعهم أن يكون اقتباساً من آية أو حديثاً أو حكمة مشهورة أو من الشعر حكمي . ومن أمثلة ذلك أن سعد بن ابي وقاص عامل العراق كتب الى عمر الخطاب كتاباً يستأذنه فيه ببناء دار فوقع عمر في أسفل الكتاب : « ابن ما يكنك من الهواجر وأذى المطر » ووقع أيضاً لعمرو بن العاص عامله على مصر جواباً على كتاب كتبه اليه : « كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك اميرك » وتشكى قوم لعثمان بن عفان من مروان بن الحكم وذكروا انه أمر بوجء أعناقهم فوقع في ذلك الكتاب : « فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون » وأرسله اليه

وقس على ذلك توقيعات بني العباس فقد وقع السفاح الى قوم من أهل الانبار شكوا اليه أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في بناء أمر به ولم يعطوا أثمانها فوقع : « هذا بناء أسس على غير تقوى» وأمر باعطائهم الاثمان .وشكا أهل الكوفة الى أبي جعفر المنصور سوء معاملة عاملهم فوقع على كتابهم : « كما تكونون يؤمر عليكم » ووقع على قصة رجل شكا عيلة : « سل الله من رزقه » وجاء من عامله على حمص كتاب فيه خطأ فوقع في أسفله : « استبدل بكتابك والا استبدل بك » وكتب صاحب أرمينيا الى المهدي يشكو سوء طاعة رعاياه فوقع في الكتاب : «خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » وشكا بعضهم اليه اهمال عامله على خراسان فوقع على شكواهم : « أنا ساهر وأنت نائم » وأرسله اليه . ومن توقيعات هرون الرشيد الى عامله في خراسان : « داوِ جرحك لا يتسع » والى عامله على مصر : « احذر أن تخرب خزانتي وخزانة أخي يوسف فيأتيك منه ما لا قِبل لك به ومن الله أكثرَ منه » . وكتب ابن هشام الى المأمون يتظلم من أمر فوقع على كتابه : « من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فأي الرجلين أنت ؟ »

ولم تكن التوقيعات خاصة بالخلفاء . فمن توقيعات الامراء والوزراء توقيع جعفر البرمكي لمحبوس : « ولكل أجل كتاب » ووقع في كتاب جاءه في شكوى بعض عماله : « لقد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت »

الانشاء المرسل أو أسلوب المؤلفين

هذا كله من انشاء الرسائل في المخاطبات والمكاتبات . ولكن هناك ضرباً من الانشاء نضج في العصر العباسي الاول نعني الانشاء المرسل في تأليف الكتب أو كتابة المقالات الطويلة في الوصف أو الموعظة أو الفلسفة — وهو غير أسلوب المراسلات . فان هذا أقرب الى الخطابة أو الشعر منه الى الاسلوب المتناسق الذي يقتضيه الاسترسال في وصف موضوع طويل متسلسل

ولم ينضج الاسلوب المرسل الا في العصر العباسي الاول لاضطرار الناس الى التأليف من عند أنفسهم بأن يدونوا أفكارهم أو ينقلوا أفكار سواهم من اللغات الأخرى . وأشهر من فعل ذلك في العصر المذكور عبد الله بن المقفع في نقل كتاب كليلة ودمنة وغيره من الفارسية القديمة (الفهلوية) الى العربية

وكان ابن المقفع عريقاً في الفارسية عالماً بآدابها متمكناً من أساليبها لأنها لغته ولغة آبائه . وكان يعرف اللغة اليونانية جيداً . وقد نشأ في البصرة في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة وهي حافلة بالادباء والشعراء فبرع في اللغة العربية وآدابها وكان سليم الذوق ذا قريحة انشائية . ولما نقل كتاب كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية جاءت عبارته شاملة للبلاغة والسهولة . وقد تحداها من جاء بعده لأنه أقدم من حفظ انشاؤه في المواضيع الادبية باللغة العربية

وكتاب كليلة ودمنة أقدم ما وصل الينا من الانشاء المرسل من قلم رجل واحد هو من علماء الفرس وقد نقل الكتاب عن لغة الفرس . ونظراً لما يمتاز به الكتاب المذكور من السهولة والرشاقة عن سائر ما كتب في عصره أو ما بعده من كتب الأدب يغلب على ظننا أنه اكتسب ذلك من تأثير أساليب اللغات الاخرى التي كان يعرفها ابن المقفع مع اقتدار خاص فيه على مثل ذلك الاسلوب . وقد قل من جاء بمثله بعده ولم يأت أحد بأحسن منه في بابه مع ما بلغ اليه العلم من الرقي في العصر العباسي وما نبغ فيه من علية الكتاب المشاهير — مما يدلك على أن الانشاء قريحة خاصة مثل قريحة الشعر

ويقسم المنشئون في العصر العباسي الاول الى طبقتين : الاول منشئو الرسائل والثانية مؤلفو الكتب

منشئو الرسائل

والمنشئون للرسائل كثيرون مثل كثرة الشعراء للأسباب التي قدمناها . ومنهم طائفة حسنة من كبار الرجال حتى الخلفاء والامراء والوزراء والشعراء . واشتهر بانشاء الرسائل في هـذا العصر من الامراء والوزراء ونحوهم ابراهيم بن المهدي أخو الرشيد وله رسائل وشعر جيد . ومنهم ابو دلف والفتح بن خاقان وآل طاهر ـ وخصوصاً طاهر بن الحسين

طاهر بن الحسين

وهو رئيس هذه الأسرة توفي سنة ٢٠٧ هـ وكان من نوابغ المنشئين وله مجموع مراسلات ضاع خبره الا رسالة بليغة كتبها لابنه عبدالله لما ولاه المأمون الراقة ومصر وما بينهما أوصاه فيها بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسية ومكارم الأخلاق . وهي منشورة في مقدمة ابن خلدون بباب : « ان العمران لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره » تدخل في ثماني صفحات

وتجد ترجمة طاهر في ابن خلكان ٢٣٥ ج ١

عمرو بن مسعدة

ومنهم عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول المتوفي سنة ٢١٧ هـ وزير المأمون كان كان كاتباً بليغاً جزل العبارة وجيزها سديد المقاصد والمعاني وكان يوقع بين يدي جعفر بن يحيي البرمكي في أيام الرشيد . وقد أثرى في خدمة المأمون حتى قيل أنه خلف بعد موته ٨٠ ٠٠٠ ٠٠٠ درهم فقيل ذلك للمأمون فقال : «هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيما خلف وأحسن لهم النظر فيما ترك »

وتجد مثالا من انشائه في ترجمته في ابن خلكان ٣٩٠ ج ١

ومنهم ابن الليث كاتب يحيي بن خالد . وذكر ابن النديم أسماء جماعة خلفوا رسائل مجموعة في كتاب منهم غيلان بن مرارة جمعت رسائله في ألف ورقة وخالد بن ربيعة الافريقي نشأ في الدواوين ورسائله ٢٠٠ ورقة . وغيرهم كثيرون لا فائدة من ذكرهم لأن آثارهم ضاعت . ثم أن كتاب ديوان الرسائل أكثرهم في صدر الدولة العباسية من المنشئين البلغاء كابن عبد الملك الزيات الوزير وابي علي البصير واليوسفي كاتب المأمون وحميد بن مهران كتب البرامكة وابن يزداد وزير المأمون وموسى بن عبد الملك وميمون بن ابراهيم وغيرهم (١)

(١) الفهرست ١١٥ ـ ١٢٥

الكتاب المؤلفون

١ — عبد الله ابن المقفع

توفي سنة ١٤٣ هـ

هو امام هذه الطبقة وقد تقدم ذكره وكان في بادىء أمره مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح ثم اختص بالمنصور وكتب له حتى قتل وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز ٣٦ سنة لكنه خلف آثاراً حفظت ذكره قروناً ولا تزال — أهمها :

١ — كتاب كليلة ودمنة

هو كتاب في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس وضعه فيلسوف هندي اسمه بيدبا منذ نيف وعشرين قرناً لملك من ملوك الهند اسمه دبشليم ذكروا أنه تولى الهند بعد فتح الاسكندر وطغى وبغى فأراد بيدبا اصلاحه وتدريبه فألف هذا الكتاب وجعل النصح فيه على السنة البهائم والطيور على عادة الهنود البراهمة في عصورهم القديمة فانهم كانوا يروون الحكمة على السنة الحيوانات لاعتقادهم بتناسخ الارواح . والمظنون ان معظم ما يتناقله الناس من أمثال هذه الاقاصيص أصله من الهند . وقد صنف في هذا الموضوع وعلى هذه الكيفية غير واحد من الحكماء . ويقال ان بيدبا أول فاتح لهذا الباب وكل من صنف بعده في نوادر الحكايات مقتبس من ضيائه

وترجع مواضيع النصح في هذا الكتاب الى ما يحتاج الناس في معاملاتهم كوجوب الابتعاد عن سماع كلام الساعي والنمام ووخامة عاقبة الاشرار ومنافع الاصحاب وعدم جواز الامن من كيد العدو ومضار الاهمال والغفلة وآفة التعجيل وفائدة الحزم وعدم الاعتماد على أرباب الحقد ونحو ذلك مما يهذب النفوس ويرقي العواطف في حكايات يتفرع بعضها عن بعض

وقد كتب أولا باللغة الهندية السنسكريتية في ١٢ باباً ونقل الى لغة التيبت فاللغة السريانية ثم الى الفهلوية أي الفارسية القديمة وعنها نقل ابن المقفع الترجمة العربية وصدرها بمقدمة سماها « عرض الكتاب » وصف بها الكتاب وأفاض في التحريض على مطالعته . فلما اطلع العرب على فوائده أعجبوا به وأخذوا يتدارسونه ويتناقلونه وكأن علماء اللغة وأدباءها حسدوا ابن المقفع على سبقه في ترجمته فأقدم بعضهم على نقله ثانية واشتغل غيره بنظمه شعراً تسهيلا لحفظه وتصدى آخرون لمعارضته كما سيجيء

على ان الترجمات ذهبت كلها الا ترجمة ابن المقفع التي هي بين أيدينا وقد تعدلت بتوالي الازمان بين تنقيح وتصدير وتذييل فبلغت أبوابها ٢١ باباً بعضها هندي الاصل والآخر فارسي والآخر عربي

فالابواب الهندية ١٢ وهي : باب الاسد والثور . الحمامة المطوقة . البوم والغربان القرد والغيلم . الناسك وابن عرس . الجرذ والسنور . الملك والطائر فنزة . الاسد وابن آوى . اللبوءة وبلاذ وابرخت . السائح والصائغ . ابن الملك وأصحابه

والفارسية ثلاثة : مقدمة برزويه وباب بعثة برزويه وباب ملك الجرذان . وهناك ستة أبواب لم تكن معروفة قبل الترجمة العربية نعني مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلي بن الشاه الفارسي وباب عرض الكتاب لابن المقفع وباب الفحص عن امر دمنة وباب الناسك والضيف وباب مالك الحزين والبطة وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين . وبعض هذه الفصول لا يوجد الآن في النسخ المطبوعة من الترجمة العربية

ثم فقد الاصل الهندي والترجمة الفهلوية ولم يبق غير العربية وعنها أخذت الامم هذا الكتاب ونقلته الى ألسنتها . فنقل الى اللغة السريانية مرة ثانية والى اليونانية والايطالية والفارسية الحديثة والتركية والعبرانية واللاتينية والاسبانية والملقية والانكليزية والروسية . ونقل عن بعض هذه التراجم الى لغات أخرى . وقد عقدنا لتاريخ هذا الكتاب فصلا ضافياً في الهلال سنة ١٤ ج ٧

طبع كتاب كليلة ودمنة في العربية مراراً من أواخر القرن الثامن عشر الى الآن . وبعض طبعاته مزدانة بالرسوم . وقد ضبطه بالشكل الكامل المرحوم الشيخ خليل اليازجي . وهو لا يزال الى الآن من خيرة الكتب في الانشاء وقد شغف العرب بمعانيه فنقلوها الى الشعر

نظم كليلة ودمنة

أقدم من نظم هذا الكتاب في العربية أبو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي من خدم المنصور العباسي وابنه المهدي في صدر الدولة العباسية . وكان له الفضل في خزانة الحكمة بأيام الرشيد وله عدة كتب نقلها من الفارسية الى العربية ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ٢٧٤) ليس بينها نظم كليلة ودمنة . ولكن كشف الظنون ذكر ذلك في عرض كلامه عن هذا الكتاب فقال : « نقله أيضاً عبد الله بن هلال الاهوازي ليحيي بن خالد البرمكي في خلافة المهدي سنة ١٦٥ هـ ونظمه أبو سهل بن نوبخت الحكيم ليحيي بن خالد وزير المهدي والرشيد . فلما وقف عليه أجازه بألف

دينار » وقد ذكرنا في ترجمة ابان اللاحقي الشاعر انه نظم كليلة ودمنة شعراً لم يبق منه الا بيتان ذكرناهما (صفحة ٨٢)

ثم نظمه علي بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد . ونظم بعضه بشر بن المعتمد . وكل هذه المنظومات ضاعت

ثم نظمه ابن الهبارية المتوفي سنة ٥٠٤ ﻫ في كتاب سماه « كتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة ، كان منه نسخ مشتتة في الاستانة ولندن والهند . فنشرت نسخة الهند في بمباي سنة ١٣٠٤ ﻫ على الحجر . ثم طبع الكتاب طبعة اخرى عن نسخة اخرى في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠١ بعناية الخوري نعمة الله الاسمر . وقد نقحها ونظم منها قطعاً لم ينظمها ابن الهبارية منها باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين [١]

ثم نظمه ابن مماتي المصري المتوفي سنة ٦٠٦ ﻫ وضاع نظمه . وجاء بعده عبدالمؤمن بن الحسن من اهل القرن السابع للهجرة فنظمه او شيئاً منه او كتاباً على مثاله سماه « درر الحكم في امثال الهنود والعجم » منها نسخ خطية في فينا ومونيخ ثم نظمه جلال الدين النقاش من اهل القرن التاسع ومن نظمه نسخة في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت واخرى في المتحف البريطاني

وعارض كليلة ودمنة سهل بن هارون الكاتب الآتي ذكره فنظم كتاباً على مثاله سماه « كتاب ثعلة وعفرة » وقد ضاع [٢] ومن مؤلفات ابن المقفع المنقولة عن الفارسية ايضاً :

سائر مؤلفاته

٢ كتاب الادب الصغير : في الاخلاق والمواعظ وفلسفة والاجتماع . طبعته جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية سنة ١٩١١ مضبوطاً بالشكل الكامل بتحقيق احمد زكي باشا كاتب اسرار مجلس النظار وقد صدره بمقدمة انتقادية في اسلوب الكتاب ونسبته الى كليلة ودمنة

٣ كتاب الدرّة اليتيمة ويسمى ايضاً كتاب الادب الكبير : هي رسائل في النصح والارشاد . قال ابن المقفع في الغرض منها يخاطب : القاريء « وانا واعظك في اشياء من الاخلاق اللطيفة والامور الغامضة التي لو حنكتك سن كنت خليقاً ان تعلمها وان لم تخبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولاً لتروض نفسك على محاسنها قبل ان تجري على عادة مساويها فان الانسان قد تبتدر اليه شبيبته المساوي وقد يغلب عليه ما يبدر اليه منها »

---

(١) المشرق ٩٨١ سنة ٤ (٢) الفهرست ١٢٠ والبيان ٢٤ ج ١

وقد طبعت الدرة اليتيمة مراراً في نحو ٥٠ صفحة منها طبعة بيروت سنة ١٨٩٧ مع مقدمة وشروح للامير شكيب ارسلان . وهي تحت الطبع الآن مضبوطة بالشكل الكامل باسم « الادب الكبير » بتحقيق زكي باشا . ولها تتمة لابن العربي سماها : « عظة الالباب وذخيرة الاكتساب » منها نسخة في مكتبة باريس

٤ رسالة في الاخلاق : منها نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالاستانة

وله كتب اخرى ادبية واخلاقية نقلها عن الفارسية منها كتاب التاج في سيرة انوشروان وكتاب سير ملوك العجم لم نقف عليها . لكن منها نتفاً نقلها ابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار . وتجد اخبار ابن المقفع في ابن خلكان ١٤٩ ج ١ وتراجم الحكماء لابن القفطي ١٤٨ والفهرست ١١٨

٣ - سهل بن هارون

هو سهل بن هارون بن رامنوي الدستميساني . فارسي الاصل انتقل الى البصرة ثم اقام في بغداد وكان متحققاً في خدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة له . وكان حكيما فصيحاً شاعراً شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب . وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل . وكان الجاحظ يفضله ويصف براعته وفصاحته ويحكي عنه . وله من الكتب ديوان الرسائل وكتاب ثعلة وعفرة المتقدم ذكره وكتاب الهذلية والمخزومي وكتاب النمر والثعلب وغيرها كثير لم نقف عليها . واخباره في الفهرست ١٢٠ والدميري ٣١٣ ج ١

ومنهم علي بن عبيد الريحاني له اختصاص بالمأمون وكان يرمى بالزندقة وذكر له صاحب الفهرست (صفحة ١١٩) نحو خمسين مؤلفاً ضاعت كلها . والمستشرق الروسي اينوسترانسيف كلام عن مؤلفاته في كتابه عن تأثير آداب الفرس في اللغة العربية طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩

الموسيقى او الغناء

الموسيقى من الفنون الجميلة مثل الشعر . وفي العرب استعداد لها فطري لحساسة نفوسهم وشدة تأثرهم .وكان لهم في جاهليتهم الحان توافق خشونتهم فلما ظهر الاسلام واختلطوا بالروم والفرس اقتبسوا الموسيقى عن تلك الامم قبل سائر العلوم الدخيلة لان اقتباسها لا يحتاج الى نقل او ترجمة . واول من فعل ذلك عبدٌ مكي اسمه سعيد ابن مسجح كان حسن الصوت مغرماً بالموسيقى . وكان في مكة عند حصار الامويين لها

على عهد عبد الله بن الزبير في الثلث الاخير من القرن الاول للهجرة . واستخدم ابن الزبير رجالا من الفرس في ترميم الكعبة فسمع ابن مسجح بعضهم يغني بالفارسية فطرب والتقط النغم منه . ثم رحل الى الشام وفارس وأخذ الالحان الرومية والفارسية وألقى منها ما استقبحه من النبرات والنغم مما لا يألفه الذوق العربي وغنى على هذا المذهب وهو أول من فعل ذلك . وأخذ عنه من جاء بعده من مغني المسلمين فنبغ منهم جماعة كبيرة . وكان الغناء يزداد اتقاناً ويزداد نبوغ المغنين كلما قربت الدولة من الترف والقصف . ولذلك كثروا في أواخر الدولة الاموية وأواسط الدولة العباسية . ومن أشهر المغنين ابن سريج والغريض ومعبد وحكم الوادي وفليح بن أبي العوراء وسياط ونشيط وعمر الوادي وابراهيم الموصلي وابنه اسحق وغيرهم . ومن المغنيات جميلة وحبابه وسلامة وعقيلة وغيرهن

ولما اشتغل المسلمون في نقل العلوم الدخيلة كان من جملتها كتب الموسيقى لليونان والهند فتناولها المسلمون ودرسوها وأصبحت الموسيقى عندهم علماً بأصول . وقد جمعوا بين ألحان اليونان والهنود والفرس والعرب فألفوا من ذلك علماً خاصاً بالتمدن الاسلامي بلغ درجة حسنة من الاتقان فألفوا فيه المؤلفات المسهبة فضلا عما استنبطوه من الألحان أو اخترعوه من الآلات

ففي العصر العباسي الاول صار للعرب مذاهب في الغناء خاصة بهم . وأصبح الغناء علماً قائماً بنفسه فعمدوا الى تدوينه . وأول من دونه يونس بن سليمان الكاتب أصله فارسي وصار مولى لعمرو بن الزبير . نشأ في المدينة وكان أبوه فقيهاً اسلمه الى الديوان فكان من كتابه وأخذ الغناء عن معبد ولم يكن في أصحاب معبد أحذق ولا أقوم منه. وله غناء حسن فوضع كتاباً في الاغاني وهو أول من فعل ذلك (١) وقد ضاع كتابه. وللخليل بن احمد كتاب في الموسيقى زم فيه أصناف النغم وحصر به أنواع اللحون وحدد ذلك كله ولخصه وذكر مبالغ أقسامه ونهايات أعداده وقد ضاع هذا أيضاً

وممن اشتغل بفن الموسيقى يحيي بن ابي منصور الموصلي فألف كتاباً في الاغاني على الحروف وآخر في العود والملاهي لم نقف على خبرهما . ووضع المغنون كتباً ضبط كل منهم فيها الالحان التي حدثت فضلا عن الاصوات القديمة . لان المغني كان اذا برع واشتهر استنبط ألحاناً من عند نفسه حتى انتهى ذلك الى اسحق بن ابراهيم الموصلي فأصبح هو امام المغنين وينسبون اليه كتاباً في الاغاني كبير يشك الناقدون

---

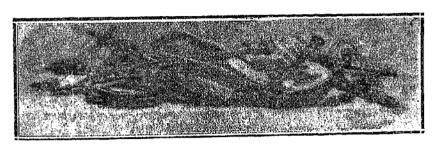
(١) الاغاني ١١٤ ج ٤

في نسبته اليه . وألف يحي بن مرزوق المكي كتاباً فيه ١٢٠٠٠ صوت أهداه الى محمد بن عبد الله بن طاهر فوصله بثلاثين الف درهم . وشاع هذا الكتاب لكن اسحق الموصلي صححه

الغناء القديم والغناء الحديث

ولما زها العصر العباسي الاول في زمن الرشيد والمأمون وأطلقت الالسنة والافكار أخذ المغنون يفكرون في تعديل الالحان واستنباط أسلوب جديد . وأول من تجرأ على ذلك ابراهيم المهدي أخو الرشيد – وكان من الطامعين في الخلافة فلما استتب الأمر لابن أخيه المأمون انصرف هو الى الغناء كما انصرف خالد بن يزيد الاموي الى الكيمياء لما يئس من الخلافة . وكان ابراهيم من أعلم الناس بالنغم والوتر والايقاعات وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً وهو يعد من الطبقة الأولى في عصره لكنه كان مقصراً عن اداء الغناء القديم على طريقة الموصلي . فكان يحذف نغم الاغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً أو يخففها على قدر طاقته – وانما تجرأ على ذلك بما ناله من المنزلة عند الناس . فكان اذا عوتب قال : « أنا ملك أغني كما أشتهي » وصارت له طريقة يسمونها الغناء الحديث . وسموا طريقة اسحق الطريقة القديمة . وانقسم المغنون في ذلك الى قسمين وأصحاب فن الغناء يعدون عمل ابراهيم بن المهدي افساداً في هذه الصناعة لانهم يفضلون القديم فأخذوا في الرجوع اليه

على أن ذلك بعثهم على اعمال الفكرة والتعمق بهذا الفن وانتهى ذلك الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر من أهل العصر العباسي الثاني وكان من كبار العلماء المفكرين ولا سيما في علوم الاوائل والموسيقى والهندسة فوضع كتاباً في النغم وعلل الاغاني سماه « الآداب الرفيعة » نال شهرة واسعة ونأسف لضياعه مثل ضياع أكثر ما وضعه العرب في الموسيقى أو الغناء قبل كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني وسيأتي ذكره (١)



ش ٩ : الآلات الموسيقية العربية

(١) راجع تاريخ الغناء في الجاهلية والاسلام في تاريخ التمدن الاسلامي ١٩٧ ج٣ و٣٢ ج ٥

العلوم الاسلامية الشرعية

في العصر العباسي الاول

الفقه

في هذا العصر ضبط الفقه ودونت أحكامه بعد أن أفضت الخلافة الى بني العباس. وكان أئمة الفقه في المدينة فأراد المنصور تصغير أمر العرب واعظام الفرس لانهم أنصارهم وأهل دولتهم فكان من جملة مساعيه في ذلك تحويل أنظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناء سماه القبة الخضراء حجاً للناس وقطع الميرة عن المدينة (١) وفقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه أهلها في امر المنصور فافتى بخلع بيعته فخلعوها وبايعوا محمد بن عبدالله من آل علي. وعظم أمر محمد هذا وحاربه المنصور ولم يتغلب عليه الا بعد العناء الشديد. فرجع أهل المدينة الى بيعة المنصور قهراً وظل مالك مع ذلك ينكر حق البيعة لبني العباس. فعلم أمير المدينة يومئذ وهو جعفر بن سليمان عم المنصور بذلك فغضب ودعا بمالك وجرده من ثيابه وضربه بالسياط وخلع كتفه(٢)

الرأي والقياس

وكانت علوم القرآن قد انتشرت في العراق وفارس ونبغ من ابنائها من درس الفقه والفتيا ولكنهم ما زالوا عيالا فيهما على أهل المدينة لانهم أوثق الناس بحفظ الحديث وقراءة القرآن. وكان الحديث قليلا في العراق على الخصوص. والمسلمون غير العرب هناك اكثرهم من الفرس وهم أهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج أحكام الفقه من القرآن والحديث. فخالفوا بذلك أهل المدينة لانهم كانوا شديدي التمسك بالتقليد — فكان من جملة مساعي المنصور في تصغير أمر المدينة وفقهائها وخصوصاً مالك بعد أن أفتى بخلع بيعته أنه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ أبو حنيفة النعمان في الكوفة فاستقدمه الى بغداد وأكرمه وعزز مذهبه. وكان أبو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالي به (٣) ولذلك كان الربيع حاجب المنصور يقاومه لأن الربيع ينتسب الى العرب وكان يكره الفرس وابنه الفضل هو الذى سعى في قتل البرامكة

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ٣٠ ج ٢ (٢) ابن خلكان ٤٣٩ ج ١
(٣) ابن خلكان ١٦٥ ج ٢

فلما نصر المنصور أبا حنيفة وأصحابه وهم المعروفون بأهل الرأي أو القياس ازداد مالك تمسكاً برأيه وتبعه فقهاء الحجاز وهم أهل الحديث . وانقسم الفقهاء كافة الى قسمين اهل الحديث وأهل الرأي ، وزعيم الاول مالك وأنصاره من اهل الحجاز وأصحاب الشافعي وأصحاب سفيان الثوري واصحاب احمد بن حنبل وغيرهم من أهل التقليد وعرفوا بأصحاب الحديث لان عنايتهم مبذولة في تحصيل الاحاديث ونقل الاخبار وبناء الاحكام على النصوص ولا يرجعون الى القياس الجلي أو الخفي ماوجدوا خبراً أو أثراً . ويدلك على شدة تمسكهم بذلك قول الشافعي : « اذا وجدتم لي مذهباً ووجدتم خبراً على خلاف مذهبي فاعلموا ان مذهبي ذلك الخبر »

وزعيم أصحاب الرأي أبو حنيفة النعمان وأصحابه فقهاء العراق ومنهم محمد بن الحسن الشيباني وأبو يوسف القاضي وزفر بن الهذيل المتوفى سنة ١٥٨ واللؤلؤي وابن سماعة المتوفى سنة ٢٣٣ ه وابو مطيع البلخي وعافية القاضي وغيرهم . وقد سموا أهل الرأي لأن عنايتهم بتحصيل وجه من القياس والمعنى المستنبط من الاحكام وبناء الحوادث عليها وربما يقدمون القياس الجلي على احاد الاخبار [١]

وجاء بعد مالك من أصحاب مذهبه محمد بن ادريس المطلبي الشافعي فرحل الى العراق وخالط أصحاب أبي حنيفة وأخذ عنهم ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق واختص بمذهب خالف فيه مالكا في كثير من مذهبه . ثم جاء بعده احمد ابن حنبل وكان من علية المحدثين وقرأ أصحابه على أصحاب الامام أبي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب آخر . ووقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاربعة وتولدت منهم مذاهب الاسلام الاربعة : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي

واليك خلاصة تراجمهم حسب سني وفاتهم مع ما خلفوه من الكتب :

الائمة الاربعة

١ ـ أبو حَنيفة النُّعمان

توفي سنة ١٥٠ ه

هو النعمان بن ثابت مولى بني تيم من أهل الكوفة . ولد سنة ٨٠ ه وكان خزازاً يبيع الخز وكان عالماً عاملا زاهداً عابداً كثير الخشوع دائم التضرع فاتصل خبره بالخليفة أبي جعفر المنصور فبعث اليه فلما جاءه أراد أن يوليه القضاء فحلف انه لا يفعل وقال

(١) الشهرستاني ١٢٢ ج ١

« لن اصلح الى قضاء » وكان حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه . وكان ربعة في الرجال وقيل كان طويلا تعلوه سمرة ومن أحسن الناس منطقاً واحلاهم نغمة . وكان قوي الحجة حتى قال عنه الامام مالك : « انه رجل لو كلمته في هذه السارية ان يجعلها ذهباً لقام بحجته » وكان طلق اللسان جهوري الصوت اذا سألته عن الفقه تفجر وسال كالوادي وسمعت له دوياً وجهارة

وهو الذي بوب الفقه وفرع له فروعا وعمدته فيما قاله القيـاس . وكان بعيداً عن الغيبة لا يذكر احداً بسوء ولو كان عدواً له . وكان واسع العلم في كل العلوم الاسلامية الى ذلك العهد الا انهم عابوه بالعربية . وكان مذهبه في النحو كوفياً لانه من اهل الكوفة وتوفي في السجن . وذكر المسعودي انه مات وهو ساجد في صلاته ومن مؤلفاته الباقية :

١ الفقه الاكبر : منه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا وفي المكتبة الخديوية وقد طبع في لكناو الهند مع ترجمة هندستانية . وهو من قبيل اصول الدين وفيه دفاع ضد المرجئة . وله شروح ومختصرات في المكتبة الخديوية وغيرها . طبع بمصر وعليه شرح ملا علي القاري

٢ مسند ابي حنيفة : جمعه تلامذته ومنه نسخ خطية عديدة بالمكتبة الخديوية

٣ وصيته لاصحابه : في الاصول منها نسخ خطية في غوطا وباريس وعليها شروح في مكاتب غوطا وايا صوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية والاسكوريال

٤ وصيته لابنه : منها نسخة في باريس

٥ المخارج في الحيل : في الفقه رواها تلميذه ابو يوسف منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية

تجد اخباره في ابن خلكان ١٦٣ ج ٢ والفهرست ٢٠١ وغيرها

٣ ـ مالك بن أنس

توفي سنة ١٧٩ هـ

هو ابو عبدالله مالك بن أنس الاصبحي امام دار الهجرة وصاحب المذهب المالكي ولد سنة ٩٥ هـ اخذ الفقه عن ربيعة الرأي فقيه اهل المدينة المتوفى سنة ١٣٦ هـ بالهاشمية وكان مالك بن أنس ورعاً تقياً اذا اراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث . وكان يأتي المسجد ويشهد

الصلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضى ويقضي الحقوق وهناك يجتمع اليه اصحابه ويأخذون عنه الفقه والفتوى وهم الذين نشروا مذهبه وكتبوا فيه . وعنه اخذ الامام الشافعي . وكان مالك بن أنس شديد البياض مع ميل الى الشقرة طويلا عظيم الهامة أصلع يلبس الثياب العدنية الجياد ويكره حلق الشارب ويعيبه وله من الكتب:

١ كتاب الموطأ : اساس المذهب المالكي وهو كالحديث رواه عنه ابو محمد الليثي ومنه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا . وقد طبع في دهلي بالهند سنة ١٢١٦ هـ وفي لاهون بالهند سنة ١٨٨٩ وله شروح للبطليوسي ولابن العربي والقرطبي والزرقاني وقد طبع هذا الاخير بمصر سنة ١٢٨٠ هـ وغيرها في ٤ مجلدات . وقد رواه الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ هـ وورد فيه على ما يخالف مذهب مالك وطبع في لكناو الهند سنة ١٢٩٧ وفي لودهيانا الهند سنة ١٨٩٢ . وله شروح اخرى لافائدة من ذكرها

٢ رسالة في الوعظ : بشأن الرشيد ويحيى البرمكي منها نسخة في الاسكوريال وطبعت في بولاق سنة ١٣١١

٣ كتاب المسائل عن لسان تلميذه ابن عبد الحكم منها نسخة في غوطا وترجمته في ابن خلكان ٤٣٩ ج ١ والفهرست ١٩٨

٣ ـ الامام الشافعي

توفي سنة ٢٠٤ هـ

هو الامام ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي وينتهي نسبه الى هاشم بن عبدالمطلب بن عبد مناف القرشي . ولد بغزة من بلاد الشام سنة ١٥٠ هـ وتوفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ في زمن المأمون بن الرشيد . ودفن في القرافة بمصر ومقامه مشهور وبجواره الآن مدفن العائلة الخديوية . وقدم بغداد سنة ١٨٥ وبعد سنتين خرج الى مكة ثم عاد الى بغداد بعد سنة فاقام بها شهراً . ثم قدم مصر فاقام فيها ومازال الى ان توفاه الله . وكان الامام الشافعي كثير المناقب جم المفاخر حاز من العلوم الاسلامية اقصاها وادناها من العلم في الكتاب والسنة وكلام الصحابة وآثارهم واختلاف اقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والشعر حتى اقر له بالسبق الاصمعي الراوي الشهير واحمد بن حنبل الامام . وقال ابو عبيد : « ما رأيت رجلا قط اكمل من الشافعي » وسأل عبد الله بن احمد بن حنبل والده عنه فقال : « يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للبدن » وهو اول من تكلم باصول الفقه وهو الذي

استنبطه . وقد ذكر له الفهرست نيفاً ومائة مؤلف لم يصل الينا منها إلا :

١ كتاب الام . رواه عنه الربيع بن سليمان فانه يبدا هكذا :« أخبرنا أبوعلي الحسين بن حبيب بن عبدالملك في دمشق سنة٣٣٧ قال أخبرنا الربيع بن سليمان قال أخبرنا محمد بن ادريس الخ » وهو كتاب ضخم منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وطبع بمصر في ٧ مجلدات

٢ السنن المأثورة . في مكتبة كوبرلي بالآستانة

٣ أصول الفقه . هي رسالة في الاصول طبعت بمصر

٤ مسند الشافعي بالحديث . منه نسخة خطية في ينى جامع وكوبرلي وقد رواه النيسابوري وشرحه ابن الاثير

٥ قصيدة تنسب اليه : في ليدن . وترجمته في ابن خلكان ٤٤٧ ج ١ والدميري ٢٥ ج ١ وسير الملوك ١٥٠ والفهرست ٢٠٩

٤ ـ الامام احمد بن حنبل

توفي ٢٤١ سنة هـ

هو الامام أبو عبد الله احمد بن حنبل يتصل بنسبه بشيبان من ربيعة . ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ وكان من أصحاب الامام الشافعي وشهد الشافعي عند خروجه الى مصر بقوله :«خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل» وظهر في أيامه القائلون بخلق القرآن فدعي للقول بقولهم فلم يجب فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع . وكان حسن الوجه ربعة يخضب بالحناء خضباً ليس بالقاني . في لحيته شعيرات سود ودفن في بغداد بمقبرة باب حرب . وهو صاحب المذهب الحنبلي وأهم مؤلفاته الباقية

١ المسند في الحديث رواه ابنه عبد الله وهو موجود خطاً في أكثر مكاتب أوربا والآستانة والمكتبة الخديوية وقد طبع بمصر وهو مرتب حسب الرواة فيقسم الى مسانيد أولها مسند أبي بكر فعمر فعثمان الى غيرهم من الصحابة

٢ كتاب السنة موصل المعتقد الى الجنة : في مكتبة برلين

٣ « الزهد : في برلين

وترجمته في ابن خلكان ١٧ ج ١ والفهرست ٢٢٩

أصحاب الأئمة

ونبغ طائفة من تلامذة أولئك الائمة وأصحابهم وقد ذكرنا بعضهم وليس منهم في هذا العصر من خلف آثاراً تستحق الذكر إلا ثلاثة: اثنان من أصحاب أبي حنيفة والثالث من أصحاب مالك وهم

١ ـ القاضي ابو يوسف

توفي سنة ١٨٢ هـ

هو القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري . ولد سنة ١١٣ هـ وهو من أهل الكوفة وكان صاحباً للامام أبي حنيفة وقد أخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وكان فقيهاً عالماً أخذ عن كثيرين من الفقهاء ولكن غلب عليه مذهب أبي حنيفة وان يكن خالفه في بعض المواضع . وذاع صيته حتى تولى القضاء في بغداد على عهد ثلاثة من خلفاء بني العباس : المهدي والهادي والرشيد . وهو أول من دعي بقاضي القضاة وميز العلماء بلباس خاص وكانوا لا يميزهم شيء من ذلك عن سائر العامة . وقد ذكر أبو أحمد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن أبا يوسف تكلم عن نفسه قائلا:

« كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال فجاءني أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه فقال «يابني لاتمد رجلك مع أبي حنيفة فان أبا حنيفة خبزه مشوي وأنت تحتاج الى المعاش » فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني فجعلت أتعهد مجلسه . فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي « ما شغلك عنا ؟» قلت « الشغل بالمعاش وطاعة والدي» فجلست فلما انصرف الناس دفع إلي صرة وقال « استمتع بها » فنظرت فاذا فيها مائة درهم وقال لي : « الزم الحلقة وإذا فرغت هذه فاعلمني » فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الي مائة أخرى ثم كان يتعهدني وما أعلمته بخلة قط ولا أخبرته بنفاد شيء وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت » اه والباقي من مؤلفاته

كتاب الخراج . فيه مقدمة يخاطب بها الرشيد رواه تلميذه الشيباني . منه نسخ خطية في برلين وباريس وأياصوفيا ونور عثمانية وكوبرلي . وطبع بمصر سنة ١٣٠٢ هـ

وترجمته في ابن خلكان ٣٠٣ ج ٢ والدميري ١٢٩ ج ١

٢ ـ محمد بن الحسن الشيباني

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء الفقيه الحنفي ولد سنة ١٣٥ هـ وهو ابن خالة الفراء النحوي الشهير . وكان مولده في واسط بالعراق وأصله من قرية عند باب دمشق في وسط غوطتها . ونشأ بالكوفة وحضر مجلس أبي حنيفة وتفقه على أبي يوسف المتقدم ذكره وألف كتباً كثيرة في الفقه وغيره وهو الذي نشر مذهب أبي حنيفة . وكان فصيح اللسان حتى قالوا إنه « اذا تكلم خيل الى سامعه ان القرآن نزل بلغته » وقد عاصر الامام الشافعي صاحب المذهب الشافعي وجرت بينهما أحاديث ومجالس بحضرة الخليفة هرون الرشيد . وقال الامام الشافعي « ما رأيت أحداً يسأل عن مسألة فيها نظر الا تبينت الكراهة في وجهه الا محمد بن الحسن » وخلف مؤلفات جمة أشهرها :

١ كتاب المبسوط : وهو كتاب الاصل في الفروع منه نسخ خطية في أياصوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية . وهو غير المبسوط للسرخسي

٢ كتاب الزيادات : منه نسخة في المكتبة الخديوية ونسخة مشروحة

٣ الجامع الكبير : في الفروع منه نسخة في المكتبة الخديوية ويني جامع ولها شروح وتلخيص متفرقة في مكاتب أوربا والآستانة والخديوية

٤ الجامع الصغير : مطبوع بمصر على هامش كتاب الخراج المتقدم ذكره

٥ كتاب الآثار : في المكتبة الخديوية

٦ كتاب السير الكبير : وفيه أحكام الحرب ومنه نسخ خطية فى أكثر مكاتب أوربا وفي المكتبة الخديوية . وترجمة الشيباني في ابن خلكان ٤٥٣ ج ١

٣ ـ عبد الرحمن بن القاسم

توفي سنة ١٩١ هـ

هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زبيد بن الحارث العتقي تفقه بالامام مالك فصحبه عشرين سنة وانتفع به أصحاب مالك بعد موته وقد اشتهر على الخصوص بالمدونة الكبرى في مذهبهم وهي كتاب ضخم على سبيل السؤال والجواب ولها شأن كبير لدى المالكين طبعت بمصر ولها شروح منها شرح على موادها

المشكلة،منها نسخة فى المكتبة الخديوية وغيرها. وتجد ترجمته في ابن خلكان٢٧٦ ج١

ومن الفقهاء في هذا العصر فقهاء الشيعة لم ينبغ منهم من يستحق الذكر . ومنهم من لا ينسب الى امام أشهرهم يحيى بن آدم بن سليمان المتوفى سنة ٢٠٣ هـ له كتاب الخراج طبعه جونبول في ليدن سنة ١٨٩٦

فترى مما تقدم ان المسلمين دونوا فقهم وأقروه واستنبطوا الاحكام والشرائع قبل انقضاء القرن الثاني من تأسيس دولتهم ولم يتفق ذلك لدولة من الدول قبلهم . فان الشريعة الرومانية لم يستقر أمرها وتضبط الا في زمن يوستنيان وذلك بعد تأسيس الدولة الرومانية بأكثر من عشرة قرون

الحديث

لم ينضج علم الحديث ويتم تكونه الا في آخر هذا العصر وفي العصر العباسي الثاني وكان في العصر الاول مختلطاً بالفقه وقد اشتغل الأئمة الاربعة المتقدم ذكرهم بالحديث في جملة اشتغالهم بالفقه واختلفوا في عدد الصحيح منه . فالامام أبو حنيفة زعيم أصحاب الرأي لم يصح عنده الا ١٧ حديثاً ومالك صح عنده ٣٠٠ حديث وروى ابن حنبل ٥٠٠٠٠٠ حديث أو أكثر وقد دونوا ذلك في كتبهم . فأبو حنيفة ألف كتاباً في الحديث خاصة . وأما مالك بن أنس فقد دون الاحاديث في الموطأ وقد تقدم ذكره . وكذلك الشافعي قد ذكرنا له السنن . وكان الامام ابن حنبل يحفظ نحو مليون حديث لكنه دون منها في مسنده نحو نصفها ومسنده المذكور يعرف باسمه وقد ذكرناه

واشتغل بالحديث في هذا العصر جماعة كبيرة في أنحاء المملكة الاسلامية أكثرهم في المدينة ومصر وبغداد والكوفة والبصرة هاك أشهرهم حسب سني الوفاة ومكانها :

ابن جريج	من الموالي	١٤٩ بغداد	الواقدي	مولى	٢٠٧ بغداد
الاوزاعي	عربي	١٥٧ بيروت	ابن نافع الصنعاني	مولى	٢١١ اليمن
سفيان الثوري	عربي	١٦١ البصرة	عبد الله بن عبد الحكم		٢١٤ مصر
زياد البكائي	«	١٨٣ الكوفة	«	« مسلمة عربي	٢٢١ البصرة
ابن عياش	«	١٩٣ «	كاتب الواقدي		٢٣٠ بغداد
سفيان بن عينة	مولى	١٩٨ مكة	يحيى بن معين الحافظ		٢٣٣ المدينة
السمان	فارسي	٢٠٣ البصرة			

وبعض هؤلاء سيأتي ذكرهم في الابواب الاخرى ويذكر ما لهم في الحديث في جملة مؤلفاتهم الاخرى . وانما نذكر هنا الأوزاعي فان له كتاباً في الحديث منه نسخة خطية في جملة كتب الشنقيطي في المكتبة الخديوية . ويلي هؤلاء الأئمة في الحديث أصحاب الكتب الستة عمدة المحدثين وسيأتي الكلام عليها في العصر الآتي

التفسير والقراءة

قلما اشتغل القوم بالتفسير في هذا العصر ولم يدونوا ما يستحق الذكر منه . وقد ذكرنا تفسير ابن عباس في الجزء الاول وهو يبدأ هكذا : « أخبرنا عبدالله الثقة بن المأمون الهروي قال أخبرنا أبي قال أخبرنا أبو عبد الله قال أخبرنا أبو عبدالله محمود ابن محمد الرازي قال أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي قال أخبرنا علي بن اسحاق السمرقندي عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال . . » وسيأتي ذكر بعض كتب التفسير في اثناء الكلام عن المواضيع الاخرى لاشتغال الادباء والمؤرخين والنسابين به . والتفسير لم ينضج وتظهر فيه المؤلفات الوافية إلا في العصر الآتي . ولم يحدث في القراءة ما يستحق الذكر في هذا العصر

التاريخ

في العصر العباسي الاول

بدأ التاريخ يتكون في العصر الاموي كما تقدم لكنهم لم يشتغلوا إلا فيما دعتهم اليه دولتهم وأغراضها من الاطراء بمشاهيرهم أو تحقيق الانساب لأجل العطاء ونحوه . ولم يصل الينا منه شيء لذهاب ذلك في اثناء الفتن أو لتعمد العباسيين محو آثار عدوتهم اللدود أو لاهمال الناس تلك الكتب مراعاة لرأي العباسيين

على أن التاريخ بمعناه الحقيقي لم يتم تكونه ولا في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده . وانما تمهد فيه السبيل لتأليف التواريخ العامة أو الخاصة . ثم ظهر التاريخ في العصر الذي يليه بعد نقل العلم والادب عن غير العرب واستقرار الاحوال السياسية والاجتماعية . فأهل المائة الاولى من العصر العباسي كان اشتغالهم على سبيل التمهيد

مثل اشتغالهم في الادب والتفسير والحديث . وفي كتب الادب كثير من مواد التاريخ عن العرب وبلادهم

على انهم لما أخذوا في جمع القرآن وتفسيره وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق الاماكن التي كتبت بها الآيات أو قيلت فيها الاحاديث فعمدوا الى جمع السيرة النبوية لأنها شاملة لكل ذلك . ولما اشتغل المسلمون بضرب الخراج اختلفوا في البلاد هل فتحت عنوة أو صلحاً أو اماناً فاضطروا الى تحقيق ذلك وتدوين أخبار الفتوح

مؤرخو الفتوح

١ ـ الشيخ ابو اسماعيل

أقدم كتب الفتوح التي وصلت الينا كتاب فتوح الشام للشيخ ابي اسماعيل محمد ابن عبد الله الازدي البصري من أهل أواسط القرن الثاني للهجرة طبع في كلكتة الهند سنة ١٨٥٤ وهو عظيم الاهمية وقد ذكرناه مفصلا في باب الانشاء من عصر الراشدين (صفحة ١٩٩) والكتاب نحو ٢٦٠ صفحة غير الفهارس والمقدمات مع خلاصة ترجمته بالانكليزية

٢ ـ الواقدي

توفي سنة ٢٠٧ هـ

يليه الواقدي وهو مولى من موالي بني هاشم في المدينة واسمه ابو عبد الله محمد ابن عمر بن واقد كاتب جليل القدر . كان عالماً بالحديث والمغازي والفتوح وقد قربه المأمون وولاه القضاء بشرقي بغداد في عسكر المهدي وتوفي هناك . وكان المأمون يراعي جانبه ويبالغ في اكرامه، لكن المحققين يستضعفون حديثه وله مؤلفات عديدة ذكر منها ابن النديم ٢٨ كتاباً هاك ما وصلنا منها :

١ كتاب المغازي : يشتمل على غزوات النبي، طبعه كرامر في كلكتة سنة ١٧٥٦ في ٤٠٠ صفحة وله خلاصة انكليزية طبعها ولهاوزن في برلين سنة ١٨٨٢

٢ كتاب فتوح الشام : وهو أشبه بالقصص منه بالتاريخ لما حواه من التفاصيل والمبالغات لكنه مؤسس على الحقيقة . وفيه حقائق لا توجد في سواه من كتب الفتوح وقد طبع مراراً احداها في الهند سنة ١٨٥٤ – ١٨٦٠ في ثلاثة مجلدات مع ملاحظات وتعاليق بقلم المستشرق نساو . وطبع أيضاً في مصر سنة ١٨٨٢ هـ وغيرها

٣ فتح افريقيا : طبع في تونس سنة ١٣١٥ في مجلدين
٤ فتح العجم : طبع في الهند سنة ١٢٨٧
٥ فتح مصر والاسكندرية : طبع في ليدن سنة ١٨٢٥
٦ تفسير القرآن : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني
٧ عدة كتب في الفتوح تنسب اليه كفتح منف والجزيرة والبهنسا طبعت بمصر وغيرها. وكان له كتاب يسمى فتوح الامصار لم نقف عليه ولكن المؤرخين نقلوا عنه. واكثر كتبه محشوة بالمبالغات لا يعول عليها . وفي مجلة المشرق البيروتية مقالة انتقادية في الواقدي ومؤلفاته (صفحة ٩٣٦ سنة ١٠) جزيلة الفائدة

وترجمة الواقدي في ابن خلكان ٥٠٦ ج ١ والفهرست ٩٨

ومن كتب الفتح كتاب فتوح مصر واعمالها على عهد عمر بن الخطاب لابن اسحق الاموي طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٥ هـ وهو كالقصة داخل في كتاب فتوح الشام للواقدي وسنذكر سائر كتب الفتوح في أماكنها حسب العصور

كتب الطبقات

قد رأيت فيما تقدم من كلامنا عن القرآن والحديث والنحو والادب ان العلماء اضطروا لتحقيق مسائل هذه العلوم الى البحث في اسانيدها والتفريق بين ضعيفها ومتينها فجرهم ذلك الى النظر في رواة تلك الاسانيد وتراجمهم وسائر احوالهم حتى اصبح من شروط الاجتهاد في الفقه معرفة الاخبار بمتونها واسانيدها والاحاطة باحوال النقلة والرواة عدولها وثقاتها ومطعونها ومردودها والاحاطة بالوقائع الخاصة بها فقسموا رواة كل فن الى طبقات فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات . ومنها طبقات الشعراء وطبقات الادباء وطبقات النحاة وطبقات الفقهاء وطبقات الصحابة والتابعين وطبقات الفرسان والمحدثين واللغويين والمفسرين والحفاظ والمتكلمين والنسابين والاطباء حتى الندماء والمغنين وغيرهم وألفوا في كل باب غير كتاب . ولذلك كان المسلمون اكثر امم الارض كتباً في التراجم لافراد الرجال

واقدم كتب الطبقات التي وصلت الينا غير طبقات الشعراء لابن سلام الذي تقدم ذكره كتاب طبقات الصحابة لابن سعد المعروف بكاتب الواقدي

ابن سعد صاحب الطبقات

توفي سنة ٢٣٠ ﻫ

هو ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري . كان من الفضلاء النبلاء كثير العلم صادقاً ثقة . صحب الواقدي وكتب له فعرف به . ولم يذكر له صاحب الفهرست الا كتاب اخبار النبي لم يصل الينا . ولكننا عرفنا كتاباً ينسب اليه اسمه طبقات الصحابة والتابعين او كتاب الطبقات الكبير يدخل في بضعة عشر مجلداً طبع في ليدن سنة ١٣٢٠ ـ ١٣٢٥ ﻫ وهو كتاب نفيس جزيل الفائدة اشترك في الوقوف على طبعه وتصحيحه المستشرقون سخاو وهو روفتش وليبرت وسترستين وبروكلمن.ويقسم الى عدة اقسام في ثمانية اجزاء : الجزء الاول في السيرة النبوية (١٦١ صفحة) والثاني في المغازي (١٣٧ صفحة) والثالث في تراجم البدريين من الصحابة (٤٥٦ صفحة) والرابع في تراجم الانصار والمهاجرين ممن لم يشهد بدراً واسلموا قبل فتح مكة (٢٨٤ صفحة) والخامس تراجم اهل المدينة من التابعين ومن كان منهم ومن الصحابة في مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين (٤١٢ صفحة) والسادس تراجم الصحابة من الكوفيين (٢٩١ صفحة) والسابع عن الصحابة البصريين (لم يطبع بعد) والثامن تراجم الصحابة من النساء (٣٦٥ صفحة) . فصفحات الكتاب كله نيف والفا صفحة كبيرة غير التعاليق والفهارس ونحوها وهي نحو الف صفحة اخرى . والطبقات تحتوي على سيرة النبي ومغازيه وتراجم نحو ٣٠٠٠ من الصحابة والتابعين . وروايتها في صدرها متسلسلة من ابن سعد الى عدة رواة آخرهم شرف الدين بن محمد عبد المؤمن بن خلف بن ابي الحسين الدمياطي . واسانيد ابن سعد في كل ترجمة على حدة . واكثر روايته عن محمد بن عمر بن واقد (الواقدي) ومحمد بن اسحق وهشام الكلبي وعبد الملك بن هشام . وفي الكتاب فوائد كثيرة عن تاريخ الجاهلية وآدابها ومنه نسخ خطية في مكاتب لندن وغوطا وبرلين والاستانة وغيرها

وترجمة ابن سعد في ابن خلكان ٥٠٧ ج ١ والفهرست ٩٩

الانساب وكتابها

ونعد الانساب من قبيل التاريخ دعا الى وضعها حاجة الناس الى العطاء على الانساب حسب ديوان عمر . وقد ذكرنا في الجزء الاول ماكان منها في الجاهلية (صفحة ١٧١) وفي العصر الاموي (صفحة ٢٣١) وقد نبغ من علماء النسب في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده جماعة اشهرهم :

١ ـ هشام الكلبي

المتوفى سنة ٢٠٦ هـ

هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي . نشأ في الكوفة وكان نسابة عالماً بأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها . أخذ عن أبيه محمد بن السائب . وكان محمد هذا من علماء الكوفة بالتفسير والاخبار وأيام الناس معدوداً بين المفسرين والنسابين.توفي بالكوفة سنة ١٤٦ هـ ولم يخلف الا كتاباً في تفسير القرآن . أما هشام فخلف نحو مائة كتاب ذكرها صاحب الفهرست مفصلا صفحة (٩٦ ـ ٩٨)وقسمها إلى أبواب بعضها في الاحلاف والبعض الآخر في المآثر والبيوتات والمنافرات والموؤدات وبعضها في أخبار الاوائل . وبعضها فيما قارب الاسلام من امر الجاهلية وغيرها في أخبار الاسلام وأخبار البلدان وأخبار الشعر وأيام العرب وفي الاخبار والاسمار والانساب . وأهم كتبه في الانساب كتاب النسب الكبير ويحتوي على أنساب أهم قبائل العرب من العدنانية والقحطانية فضلاً عن الانساب المفردة لاشهر القبائل على حدة مما يضيق المقام عن وصفه ولا فائدة منه لان هذه الكتب ضاعت منذ أزمان ولم يبق منها إلا الروايات المنقولة في كتب النسب ونحوها منسوبة اليه وقطع محفوظة في بعض المكاتب منها :

١ جزء من كتاب النسب الكبير أو جمهرة الانساب منه نسخ خطية في مكاتب باريس والاسكوريال واكسفورد ولندن وغيرها

٢ نسب فحول الخيل في الجاهلية والاسلام: منه نسخ في غوطا والاسكوريال وفينا

٣ كتاب الاصنام : أو كتاب تنكيس الاصنام نقل معظمه ياقوت فيمعجم البلدان وهو يشير هناك الى مأخذه ومنه نسخة في جملة كتب زكي باشا في ٢٩ ورقة

وتجد ترجمة هشام الكلبي في ابن خلكان ١٩٥ ج ٢ وطبقات الادباء ١١٦ والفهرست ٩٥

ومن النسابين في هذا العصر ٢ : الهيثم بن عدي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ذكر له صاحب الفهرست عشرات من الكتب ٣ : المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ ذكر له أيضاً كثيراً من المؤلفات تزيد على ما ذكره لهشام الكلبي ٤ : ابن عبدة ٥ : علان الشعوبي وغيرهم . ولو جمعت كتبهم في النسب وغيره لزادت على بضع مئات لم يصلنا منها غير ما

يرد ذكره عرضاً منقولا عنهم في كتب الادب أو التاريخ أو الفتوح كالطبري والبلاذري وياقوت وأبي الفرج صاحب الاغاني وغيرهم

السيرة النبوية

وقد يسمونها « المغازي » وذكروا أسماء كثيرين اشتغلوا بجمعها في أواخر القرن الاول وفي النصف الاول من القرن الثاني للهجرة . لم يصح منها الا كتاب المغازي لابن مسلم الزهري المتوفى سنة١٢٤ وقد ضاع . وكتاب المغازي لموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ هـ وفي مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل على الغزوات النبوية ومنها قطع منتخبة طبعت في أوربا سنة ١٩٠٤

سيرة ابن هشام

وأما سيرة النبي كاملة فأقدم ما وصل الينا منها سيرة محمد بن اسحق رواية عبد الملك بن هشام . وقد اتفقوا على صحتها وفيها أيضاً نسب النبي وكثير من أخبار الجاهلية وأنسابهم وعاداتهم وأديانهم ونحوها . ويرى الناقد فيها كثيراً من القصائد يغلب على الظن أنها دخيلة ، وذكر صاحب الفهرست أنهم كانوا يعملون الاشعار ويأتون بها الى ابن اسحق ويسألونه ان يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل . أما السيرة أو المغازي فهي أقدم المصادر التى بين أيدينا وأوثقها

عبد الملك بن هشام توفي سنة ٢١٣ هـ

وقد قدمنا ان السيرة المذكورة هي رواية ابن هشام وهو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري كان مشهوراً بعلم النسب والنحو أصله من البصرة وأقام في مصر وألف كتباً في الانساب ضاعت وتوفي بمصر سنة ٢١٣ هـ وهو الذي روى سيرة النبي من المغازي والسير لابن اسحق وهذبها ولخصها وهى الموجودة في أيدي الناس . وترجمته في ابن خلكان ٢٩٠ ج ١

محمد بن اسحق توفي سنة ١٥١ هـ

أما ابن اسحاق صاحب السيرة الاصلي فهو ابو بكر محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني بالمقام . كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف . سباه خالد بن الوليد في عين التمر وكان ابن اسحق ثبتاً في الحديث والمغازي

فسمع عن أكثر العلماء أتى الى المنصور وهو في الحيرة فكتب له المغازي فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب وتوفي ببغداد سنة ١٥١ هـ ومن كتبه في المغازي أخذ عبد الملك بن هشام السيرة التي نحن في صددها . وترجمته في ابن خلكان ٤٨٣ ج ١

وقد طبعت السيرة مراراً أضبطها طبعة غوتنجن سنة ١٨٦٠ بعناية ووستنفيلد المستشرق الالماني في مجلدين مضبوطة بالشكل اللازم . وألحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس . وفي صدره ترجمة ابن اسحق نقلا عن ابن قتيبة وابن خلكان وابن النجار . ونقل عن كتاب عيون الاثر لابن سيد الناس اليعفري من أهل القرن الثامن للهجرة ما قيل في ابن اسحق ومناقبه وما قيل من الطعن فيه والرد على الطعن وغير ذلك من الفوائد الكثيرة . وقد طبعت السيرة أيضاً في بولاق في ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ . ومنها نسخ خطية في أكثر مكاتب اوربا . وترجمها وايل المستشرق الى الالمانية ونشرت الترجمة في ستتجارت سنة ١٨٦٤

وأما النسخة الاصلية رواية ابن اسحق فالمظنون ان منها نسخة في مكتبة كوبرلي بالآستانة . ووقفنا على كتاب خاص بتراجم الرجال الذين روى محمد بن اسحق عنهم طبع في ليدن سنة ١٨٩٠

الخلاصة

وبالجملة لم يبق أديب من أدباء ذلك العصر إلا وأتى في كتبه على شيء من التاريخ كما فعل الاصمعي وأصحابه . وكذلك المترجمون فانهم كتبوا كثيراً من الحوادث وذهبت كتبهم . ولبيان ذلك راجع مقدمة مروج الذهب للمسعودي فتجد أسماء عشرات من خيرة المؤلفين الذين استعان بهم المسعودي في تأليف كتابه وأكثر مؤلفيها من أبناء العصر العباسي الاول لم يبق من مؤلفاتهم شيء الى اليوم . ولعلنا نقف على شيء منها بالبحث كما اتفق للدكتور كيلر الالماني منذ عامين فانه عثر على الجزء السادس من كتاب تاريخ بغداد لاحمد بن ابي طاهر المعروف بطيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ وسنعود اليه . . وكما وقفنا على طبقات ابن سلام الجمحي بعد ان ظل المستشرقون دهراً يأسفون لضياعها وألفوا في ذلك الكتب والرسائل

نظرة عامة

في العصر العباسي الاول

انقضى العصر العباسي الاول وهو فاتحة العصور العباسية . وفيه نضج النحو ووضع علم العروض وظهر أئمة الفقه ووضعوا أساس المذاهب الاربعة الباقية الى الآن . وتكاثر الادباء والشعراء وتميز الشعر بالحضارة وتبدلت طريقته وتلطف أسلوبه وتولدت فيه أبواب جديدة

وفيه دخل اللغة العربية طائفة من العلوم القديمة نعني علوم اليونان والفرس والهند وغيرهم . وظهرت المؤلفات فيها فضلا عن الترجمات

وكان أكثر اشتغال أدباء البصرة والكوفة في اللغة العربية وجمع ألفاظهاوأخبار أصحابها وأمثالهم وأشعارهم وأنسابهم . وفيه وضعت السيرة النبوية وكتب المغازي والفتوح . وأكثر المشتغلين في هذه النهضة الموالي وأهل الذمة وبعض العرب

وهناك علوم أخرى ستولد أو تنشأ في الاعصر الآتية . وبعض العلوم التي ولدت في هذا العصر ستنضج فيما يلي وسيأتي الكلام على كل شيء في مكانه

ومما يستلفت الانتباه من أخبار هذا العصر كثرة ما وضع فيه من كتب الادب واللغة والنحو والنسب ومجاميع الاشعار والاخبار والامثال مما يعد بالمئات أو الالوف ولم يبق منها الا بضع عشرات . وقد تقرأ لاحدهم مئات من أسماء الكتب التي ألفها ثم لا تجد منها إلا كتاباً أو بضعة كتب كما رأيت في أخبار المدائني وهشام الكلبي وأبي عبيدة والاصمعي وغيرهم وبعضهم لم يبق من آثارهم شيء

على أن هذا العصر أحسن حظاً من العصر الاموي الذي سبقه . وستكون الاعصر الآتية أحسن حظاً منه

العصر العباسي الثاني

او المائة الثانية من العصر العباسي الثاني

من سنة ٢٣٢ — ٣٣٤ هـ

تاريخه

يبدأ هذا العصر بخلافة المتوكل على الله العباسي سنة ٢٣٢ هـ وينتهي بظهور الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ وقد يسمى العصر التركي لتسلط الاتراك فيه على أمور الدولة تمييزاً له عن العصر الماضي وهو فارسي لتغلب العنصر الفارسي فيه . وأما الاتراك فأول من استكثر منهم وقدمهم في الدولة المعتصم (١) وبدأ استبدادهم في أيام المتوكل على الله لأنه كان يكره الشيعة العلوية وهم من الفرس فاستبد فيهم وزاد في رعاية الأتراك لينصروه عليهم فزاد طمعهم في الدولة . ثم أغراهم ابنه المنتصر (أوهم اغروه) على قتله فقتلوه وكان ذلك أول جرأتهم على الخلفاء . وولوا المنتصر بعده ولم تطل مدة حكمه أكثر من بضعة أشهر فمات وضميره يخزه . وتولى بعده المستعين بالله سنة ٢٤٨ هـ ثم المعتز بالله سنة ٢٥١ هـ وقد استفحل أمر الاتراك استفحالا عظيما — ومما يحكى عن استبدادهم في الخلفاء أنه لما تولى المعتز قعد خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم : « انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى في الخلافة » وكان في المجلس بعض الظرفاء فقال : « أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته » فقالوا له : « فكم تقول إنه يعيش وكم يملك » قال : « مهما أراد الأتراك » فلم يبق في المجلس الا من ضحك (٢)

وقد قتلوا المعتز هذا شرّ قتلة فانهم جروه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس بالدار فكان يرفع رجلا ويضع أخرى لشدة الحر وبعضهم يلطمه بيده (٣) والمستكفي سملوا عينيه ثم حبسوه حتى مات في الحبس (٤) . وبلغ من فقر القاهر بالله انهم حبسوه وهو ملتف بقطن جبة وفي رجله

(١) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ١٥٥ ج ٤ (٢) الفخري ٢٢٠
(٣) ابن الاثير ٧٧ ج ٧ (٤) ابن الاثير ١٧٧ ج ٨

قبقاب خشب – فلا غرو اذا أصبح الخلفاء آلة في أيدي الاتراك . واذا تنازع هؤلاء على السلطة كان الخليفة مع الغالب . وبعد ان كان القواد يحلفون للخليفة بالطاعة صار الخليفة يحلف لهم

نفوذ الخدم في هذا العصر

وفي هذا العصر عظم نفوذ الخدم في الدولة العباسية ولم يكن لهم شأن قبله . وسبب ذلك أن الاتراك لما استبدوا وصاروا يولون الخلفاء ويعزلونهم كان في جملة ما استعانوا به على الاستبداد بهم أن يحجروا عليهم قبل الخلافة ويحبسوهم في القصور ليزيدوهم ضعفاً . وكان الخلفاء من الجهة الاخرى يميلون الى حبس أولادهم وأقاربهم خوفاً من تواطئهم مع بعض الاتراك على خلعهم أو قتلهم . ولا عشير لهم في اثناء الحجر الا الخدم والخصيان فألفوا أخلاقهم . وتحققوا بالاختبار أن حياتهم تتوقف بالاكثر على أمانة أولئك الخدم لما آنسوه من غيرتهم عليهم وخصوصاً الخصيان اذ لا عصبية فيهم تمنعهم من التفاني في خدمة أسيادهم ولا مطمع لهم بالملك لأولادهم وأهلهم . فأصبح ولاة العهد اذا أفضت الخلافة اليهم بالغوا في تقريب الخدم بالعطايا والاكرام التماساً لحمايتهم اذا أراد الاتراك الفتك بهم . فعمدوا الى الاستكثار من الخدم وكانوا يقدمونهم ويكرمونهم ويستشيرونهم في أمورهم

واستكثروا منهم حتى ألفوا منهم الفرق . وأول من استكثر منهم ورفع منزلتهم المقتدر بالله فقد تولى سنة ٢٩٥ هـ وعنده من الخدم والخصيان ١١٠٠٠ خادم من الروم والسودان وكثير من المال والجوهر فتمكن من الحكم ٢٥ سنة . وكان يقدم الخدم ويستعين بهم وقد ولاهم قيادة الجند وغيرها . وفي أيامه نبغ مؤنس الخادم فقدمه وكان يستشيره في أموره فتصرف مؤنس في مصالح الدولة كما يشاء وتولى رئاسة الجيش وامارة الامراء وبيوت الاموال واستبد في كل شيء لكنه على الاجمال خدم الخليفة المقتدر خدماً ذات بال . ثم كانت بينهما وحشة تكررت حتى أدت الى حروب انتهت بقتل المقتدر

فتكاثر الفساد بسبب ذلك وعمت الرشوة والمصادرة والفتك فأصبح الناس يخافون على أموالهم وأرواحهم لانها طوع ارادة الخليفة أو الوزير أو القائد أو تابعة لهواهم ومطامعهم . وكانت المصادرة متبادلة بين الخليفة ووزرائه وقواده(١) ناهيك بالجاسوسية وسوء الاحكام . فآل ذلك الى طمع العمال والولاة بأعمالهم فأخذوا يستقلون فتشعبت

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٦٧ ج ٤

المملكة العباسية الى امارات وممالك . وانقضى العصر الذي نحن في صدده بدخول الديلم بغداد في أيام المستكفي سنة ٣٣٤ هـ وانشئوا هناك دولة عرفت بدول آل بويه وبها يبدأ العصر العباسي الثالث

فالفساد الذي تقدم ذكره اثر في آداب اللغة ولا سيما في الآداب التي هي من آثار النفس أو اعمالها كالشعر والخطابة والانشاء وقل النابغون فيها كما سترى . وفيه قيدت الافكار بمطاردة المتوكل للمعتزلة والشيعة فضعفت الحرية وعمد الناس الى التستر بافكارهم خوفاً على حياتهم خلافاً لما كانوا عليه في اواخر العصر الماضي

مميزات هذا العصر

ويمتاز العصر العباسي الثاني بالنظر الى آداب اللغة بأمور تمت فيه وهي:

١ ان فيه استقر الخط العربي على القاعدة التي وصلت الينا وقد وضعها أو ضبطها ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

٢ فيه ظهر اثر الانقلاب الادبي في الفاظ اللغة العربية فتنوعت معاني بعضها حتى خرجت عما وضعت له في المعاجم وشق ذلك على أدباء اللغة فوضعوا المقالات أو الكتب في انتقاد ذلك واصلاحه . ولكنه قلما افاد لان ذلك التنوع حدث بطبيعة العمران . وممن انتقده ابن قتيبة في كتابه ادب الكاتب وسنبين ذلك في مكانه - وراجع كتابنا تاريخ اللغة العربية صفحة ٣٧

٣ وفي هذا العصر ترجمت التوراة الى اللغة العربية ترجمة لا تزال باقية الى الآن . ويغلب على الظن انها ترجمت كلها أو بعضها الى اللغة العربية قبل الاسلام وشاعت بين ادباء العرب وضاعت في صدر الاسلام . ثم ترجمت ترجمة أخرى في زمن المأمون على يد احمد بن عبد الله بن سلام (١) ورأينا بعض ادباء ذلك العصر ينقلون عنها فصولاً من أخبار الخليقة (٢) وربما ترجمها سواه أيضاً ولم يبق من تلك الترجمات شيء الى الآن . واقدم ما وصل الينا من ذلك ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومي ويقال له سعديا

سعيد الفيومي وترجمة التوراة

ولد سعيد هذا في الفيوم نحو سنة ٢٨٢ هـ في ولاية خمارويه بن احمد بن طولون على مصر وكان اسرائيليا من الطائفة الربانية وكان بين هذه الطائفة وطائفة القرائين مناظرة وجدال وكان سعيد من كبار رجال الدين والعلم فيهم فكتب كتباً كثيرة جدلية

(١) الفهرست ٢٢ (٢) كتاب المعارف ٤

في العبرانية وأخيراً ترجم كتب موسى الخمسة وسفري اشعيا وايوب من الاصل العبراني للتوراة الى العربية توسيعاً لدائرة احزابه الربانيين . وقد طبعت الاسفار الخمسة من ترجمته في الآستانة بالاحرف العبرانية سنة ١٥٤٦ مع ترجمات أخرى وعرفت هذه الطبعة باسم «تتراغلوت» . ثم ظهرت في طبعة البوليغلوت بباريس بعد قرن . وطبعت ترجمته لاشعيا في جينا سنة ١٧٩١ واما سفر ايوب فمنه نسخة خطية في مكتبة اوكسفورد وقد طبعت على حدة مع ترجمة فرنسوية بعناية دير نبورج بباريس سنة ١٨٩٣

الشعر والشعراء

في العصر العباسي الثاني

مميزات الشعر في هذا العصر

١ ظهرت فيه شكوى الشعراء من ذهاب دولة الشعر وانقضاء العصر الذي كان الشعر يثير فيه النفوس ويستنهض الهمم بذهاب الخلفاء والامراء الذين كانوا يعرفون قدر الشعر ويقدمون اصحابه بالسخاء . وقد عبر ابن الرومي عن ذلك (وهو من اهل ذلك العصر) بقوله :

ذهب الذين تهزّهم مداحهم هزّ الكماة عوالي المران
كانوا اذا امتدحوا رأوا مافيهم مالأريحية منهم بمكان [(١)]

٢ كثر فيه ذكر المعاني الفلسفية وتعابيرها لتفشي علوم الاقدمين بين المسلمين على اثر ترجمة الكتب في العصر الماضي وفي هذا : وظهر جماعة من الشعراء عدوا بين الفلاسفة لتغلب العلوم الطبيعية على نفوسهم . على ان الآراء الفلسفية ظهرت ناضجة في شعراء العصر العباسي الآتي ذكره

٣ ظهر فيه البديع ولم يكن منه قبلاً الا نزر يسير . على ان البديع قديم في العربية حتى في النثر فضلاً عن الشعر . لان هذه اللغة تمتاز بقبولها للاستعارات والكنايات [(٢)] . ولكن المشهور ان اول من فتق البديع بشار بن برد وابن هرمة ثم اتبعهما مقتدياً بهما كلثوم بن عمرو العتابي ومنصور النمري ومسلم بن الوليد وابو نواس

(١) يتيمة الدهر ٩ ج ١ (٢) البيان ١٧٥ ج ١

واتبع هؤلاء ابو تمام والبحتري . ثم ابن المعتز فانتهى البديع اليه وختم به (١) فانه الطف اصحابه شعراً واكثرهم بديعاً وهو من شعراء العصر العباسي الثاني

٤ نبغت طبقة من الكتاب انتقدوا الشعر وروايته وكانوا ينقلونه في العصر السابق بلا تمحيص فصاروا في هذا العصر ينظرون فيه ويتدبرون معانيه وأساليبه بعين النقد . ولا سيا بعد اطلاعهم على ترجمة كتاب ارسطو في نقد الشعر الذي نقله ابو بشر من السريانية الى العربية.واكثر الذين اشتغلوا في ذلك من الادباء.وسيأتي ذكرهم في باب الأدب . أما النقد التاريخي فلم يجرأوا عليه في هذا العصر لاضطرار المؤرخين الى مصانعة رجال الدولة الا ماكان من الطعن في أعداء الخلفاء والامراء

٥ وفيه تقدم الشعراء خطوة أخرى في الزهريات والتغزل بها كقول ابن المعتز يصف قضيبا من الريحان

قضيب من الريحان شابه لونه اذا ما بدا للعين لون الزمرد
وشبهته لما تأملت حسنه عذاراتدلى فيعوارض أمرد

وقول البحتري :

ورق تغني على خضر مهدلة تسمو بها وتمس الارض أحياناً
تخال طائرها نشوان من طرب والغصن من هزه عطفيه نشوانا

أشهر شعراء هذا العصر

قد رأيت كثرة الشعراء في عصر بني أمية للاغراض السياسية التي اقتضاها مسلك الامويين في السياسة بين العصبيات والاحزاب مع تغلب البداوة على نفوسهم. ورأيت كثرة الشعراء في العصر العباسي الاول بانتقال الدولة من البداوة الى الحضارة مع رغبة الخلفاء ورجال الدولة في الشعر وسائر فنون الادب — وهو الباعث الاقوى على ظهور قرائح الشعراء في كل عصر

أما في العصر العباسي الثاني الذي نحن في صدده فقد ضعفت تلك الاسباب واشتغل الخلفاء بأنفسهم ورجالهم فلم ينبغ من فحول الشعراء فيه الا الذين قويت شاعريتهم . وهم نفر لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين ولشعرهم صبغة تلائم ذلك العصر وهم :

---

(١) العمدة ٨٥ ج ١

١ — ابن الرومي

توفي سنة ٢٨٣ هـ

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج أوجورجيس ويعرف بابن الرومى نسبة الى أصله وهو من موالى بنى العباس . اشتهر بالتوليد في الشعر لانه أتي بكثير من المعاني لم يسبق اليها . ومن مميزاته أنه لا يترك المعنى حتى يستوفيه ويمثله للقارىء تمثيلا ولد في بغداد سنه ٢٢١ هـ وتوفي سنة ٢٨٣ هـ وكان شديد الهجاء جريئاً فيه حتى مات بسببه لانه هجا القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد فدس اليه ابن فراش فأطعمه خشكنانجة مسمومة وهو في مجلسه فلما أحس بالسم نهض فقال له الوزير: « الى أين » فقال :« الى الموضع الذي بعثتني اليه» فقال له :«سلم على والدي » فقال :« ماطريقى على النار » وأتي منزله أقام فيه أياما ومات . ومن بديع شعره في المديح قوله

المنعمون وما منوا على أحد ... يوم العطاء ولو منوا لما مانوا
كم ضن بالمال أقوام وعندهم ... وفر وأعطى العطايا وهو يدّان

وله أيضاً وقال ما سبقني أحد الى هذا المعنى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات اذا بدون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح ... تجلو الدجى والاخريات رجوم

ومن معانيه البديعة قوله

واذا امرؤ مدح امرأً لنواله ... وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى ... عند الورود لما اطال رشاءه

وكذلك قوله في ذم الخضاب وهو مما لم يسبق اليه

اذا دام للمرء السواد واخلقت ... شبيبته ظن السواد خضابا
فكيف يظن الشيخ ان خضابه ... يظن سواداً او يخال شبابا

وله في بعض الرؤساء وقد سأله حاجة فقضاها له وكان لا يتوقع منه خيراً

سألتك في امر فجدت ببذله ... على أنني ما خلت انك تفعل
والزمتني بالبذل شكراً وانه ... عليّ من الحرمان ادهى واعضل
لئن سرني ما نلت منك فانه ... لقد ساءني اذ انت ممن يؤمل

ومن نظمه في الحكم

ارى فضل مال المرء داء لعرضه ... كما ان فضل الزاد داء لجسمه
فليس لداء العرض شيء كبذله ... وليس لداء الجسم شيء كحسمه

ومن بديع معانيه

دهر علا قدر الوضيع به وترى الشريف يحطه شرفه

كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا وتعلو فوقه جيفه

ويمتاز ابن الرومي بتفضيله المعنى على اللفظ كالمتنبي فيطلب صحة المعنى ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته (١) ومع ذلك فانك تجد في نظمه سهولة ومتانة

وكان شعره غير مرتب رواه عنه المتنبي ثم جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على الحروف . وجمعه ابو الطيب وراق بن عبدوس وزاد في جميع النسخ نحو الف بيت . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٤٠٠ ورقة صفحاتها مزدوجة كبيرة بخط قديم كتبت فيها الابيات في نهرين كل نهر في شطرين . واكثر شعره في علي بن يحيى بن ابي منصور والحسن بن عبيد الله بن سليمان وابي القاسم التوزي الشطرنجي والمعتضد والقاسم بن عبيد الله وابن المدبر وغيرهم ممن عاصروه . وله اهاج شديدة ومدائح بليغة وقد ابدع في وصف الاخلاق والعواطف وفي العتاب وله مراث مؤثرة بعضها في ابنه وامه . وله قصائد طويلة بعضها يزيد على ٣٠٠ بيت اكثرها في المدح . ومن هذا الديوان نسخة في مكتبة الاسكوريال واخرى فيمكتبة طوب قبو وفي نور عثمانيةبالاستانة . ومن الغريبان هذا الديوان النفيسلم ينشر بعد

واخبار ابن الرومي في ابن خلكان ٣٥٠ ج ١ والفهرست ١٦٥

٢ — البحتري

توفي سنة ٢٨٤ هـ

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ولد بمنبج من أعمال الشام وتخرج بها . ثم خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله وخلقاً كثيراً من الاكابر والرؤساء . وأقام في بغداد دهراً طويلا ثم عاد الى الشام . وله أشعار كثيرة يذكر فيها حلب وكان يتغزل بها . وقد أدرك أبا تمام بحمص وعرض عليه شعره في جملة من كان يأتيه لهذا الغرض . فلما سمع أبو تمام قوله أقبل عليه وترك سائر الناس فلما تفرقوا قال له : «أنت أشعر من أنشدني » وأوصى به أهل معرة النعمان فصار اليهم فاكرموه ووظفوا له ٤٠٠٠ درهم . واشتهر بعد ذلك حتى صار من الطبقة الاولى

(١) العمدة ٨٢ ج ١

ويشبهون شعره بسلاسل الذهب لتناسبه . وصار بعضهم يفضله على أبي تمام . وسئل هو مرة: «من أشعر أنت أم ابو تمام» فقال: «جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه» وسئل ابو العلاء المعري : «أي الثلاثة أشعر ابو تمام ام البحتري ام المتنبي» فقال : « المتنبي وابو تمام حكيمان وانما الشاعر البحتري » على انه امتاز بقوة التصور فانه كان يصور اخلاق الممدوح تصويراً لم يسبقه احد الى مثله . ومن احاسن شعره في المتوكل قصيدة مطلعها

أخفي هوى لك في الضلوع وأظهر	وألام في كمد عليك وأعذر

ويقول منها

بالبر صمت وأنت أفضل صائم	وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بيوم الفطر عينا انه	يوم أغر من الزمان مشهر
اظهرت عز الملك فيه بجحفل	لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت	عدداً يسير بها العديد الاكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعي	والبيض تلمع والاسنة تزهر
والارض خاشعة تميد بثقلها	والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس طالعة توقد في الضحى	طوراً ويطفيها العجاج الاكدر
حتى طلعت بنور وجهك فانجلى	ذاك الدجى وانجاب ذاك العثير
فافتن فيك الناظرون فأصبع	يومى اليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التي فازوا بها	من أنعم الله التي لا تكفر
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا	لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت الى المصلى لابساً	نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع	لله لا يزهى ولا يتكبر
فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما	في وسعه لمشى اليك المنبر

ظل البحتري في العراق في خدمة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان وله الحرمة التامة حتى قتلا فرجع الى منبج وقد تحدى أبا تمام في البديع ويعده أماماً له ويقدمه على نفسه كما رأيت . ثم صارت له طريقة في الجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة خاصة به تحداها معاصروه ومن جاء بعدهم من الشعراء وعرفت بطريقة أهل الشام، وكان الصاحب بن عباد يعجب بها ويحرض على حفظ أشعار اصحابها ويستملي الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه منها حتى كتب دفتراً ضخم الحجم عليها كان لا يفارق

بجاسه ولا يملأ أحد منه عينه غيره . وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه وفي سن قلمه.فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته وتارة يحله أو يورده في مراسلاته كما هو

وكان البحتري بخيلا وسخ الثوب ومن أبغض الناس انشاداً يتشادق ويتزاور في مشيه مرة جانباً ومرة القهقرى يهزّ رأسه مرة وكتفه أخرى ويشير بكمه . ويقف عند كل بيت ويقول:«أحسنت والله ما لكم لا تقولون أحسنت؟» فضجر المتوكل منه

وما زال شعر البحتري غير مرتب حتى جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على الحروف . وجمعه أيضاً علي بن حمزة الاصبهاني ورتبه على الانواع . وقد طبع في الاستانة سنة ١٣٠٠ وفي بيروت سنة ١٩١١ مضبوطاً بالشكل الكامل في جزءين كبيرين . أكثره في مدح المتوكل والمعتز والمستعين والمعتمد ورجال دولتهم . ولا تكاد تخلو قصيدة من استهلال بالغزل

حماسة البحتري

وللبحتري حماسة مثل حماسة ابي تمام طبعت في بيروت سنة ١٩١٠ بعناية الاب شيخو وقد ذيلها بالفهارس.وهي تمتاز على حماسة أبي تمام من أوجه كثيرة: منها كثرة الابواب لان حماسة ابي تمام مؤلفة من عشرة ابواب وحماسة البحتري من ١٧٤ باباً تتضمن معظم المعاني الشعرية. وقد رواها عن نحو ٦٠٠ شاعر أكثرهم من الجاهليين والمخضرمين . وتمتاز على الخصوص بخلوها مما تنبو عنه الاسماع من الالفاظ البذيئة حتى الغزل والنسيب فقد تحاشاها . كأن البحتري جمعها لشبيبة هذه الايام . واطلعنا في المكتبة الخديوية على نسخة من الحماسة المذكورة منقولة بالفوتوغراف في ٤٠٠ صفحة عن نسخة خطية محفوظة في مكتبة ليدن

وللبحتري أيضاً كتاب معاني الشعر.وألف الحسن بن بشر الآمدي المتوفى سنة ٣٧١ كتابا انتقاديا في الموازنة بين أبي تمام والبحتري تعصب فيه على أبي تمام وجدَّ في طمس محاسنه وتزيين مرذول البحتري . طبع في الاستانة سنة ١٢٨٧ ه

وأخبار البحتري في ابن خلكان ١٧٥ج ٢ والاغاني ١٦٧ج ١٨ والفهرست١٦٥

٤ — ابن المُعتزّ

توفي سنة ٢٩٦ ه

هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل من أبناء الخلفاء العباسيين.تحزب له جماعة من الجند الاتراك على العادة الجارية في ذلك العهد وخلعوا المقتدر سنة ٢٩٦ وبايعوا لابن المعتز وسموه المرتضي بالله أقام يوما وليلة . ثم تحزب اصحاب المقتدر

وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم وأعادوا المقتدر الى دسته . واختفى ابن المعتز في بيت ابن الجصاص التاجر الجوهري الشهير يومئذ. فاخذه المقتدر وسلمه الى مؤنس الخادم فقتله ودفعه الى أهله ملفوفاً في كساء . وكان ابن المعتز منحرفاً عن العلويين وله فيهم قصيدة بائية يطعن عليهم فيها ويجعل للعباسيين الفضل عليهم بالخلافة مطالعها :

الا من لعينٍ وتسكابها تشكي القذاة وتبكا بها

الى أن يقول :

ونحن ورثنا ثياب النبي فلم تجذبون باهدابها
لكم رحمٌ يا بني بنته ولكن أرى العمّ أولى بها
به نصر الله أهل الحجاز وأبرأها بعد أوصابها

وعارضه صفي الدين الحلي بقصيدة من وزنها وقافيتها مطالعها :

ألا قل لشرِّ عباد الاله وطاغي قريش وكذابها

ومن شعره قصيدة تاريخية من نوع الشعر القصصي مدح بها الخليفة المعتضد .
ومزيته على الخصوص بما في شعره من أنواع البديع كقوله في وصف مليح :

وجاءني في قميص الليل مستتراً يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
فقمت أفرش خدي في الطريق له ذلاً وأسحب أذيالي على الاثر
ولاح ضوء هلالٍ كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر

ومن قوله وقد ذكره ابن خلكان :

ومقرطق يسعى الى الندماء بعقيقة في درة بيضاء
والبدر في أفق السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء
كم ليلة قد سرني بمبيته عندي بلا خوف من الرقباء

ومن تشابيهه قوله :

خليلي قد طاب الشراب المورَّدُ وقد عدت بعد النسك والعود احمدُ
فهاتا عقاراً في قميص زجاجة كياقوتة في درة تتوقد
يصوغ عليها الماء شباك فضة له حلق بيض تحلُّ وتعقد
وقتنيَ من نار الجحيم بنفسها وذلك من احسانها ليس يجحد

وكان ابن المعتز شاعراً مطبوعاً مقتدراً على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة ومن مزاياه الابداع للمعاني. وكان أيضاً من الادباء والعلماء تثقف على

المبرد وثعلب وغيرهما . واشتغل بالعلم والادب فألف فيهما بضعة عشر مؤلفاً وصلنا منها :

١ كتاب الادب : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٢ كتاب مختصر طبقات الشعراء : في مكتبة الاسكوريال

٣ كتاب البديع : وهو أهم كتبه بالنظر الى اختصاصه في هذا الفن . منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٤ كتاب أشعار الملوك : منه نسخة في مكتبة المستشرق اهلوارت

وباسمه في مكتبة باريس « كتاب الشراب » شعر ونثر . وفي مكتبة برلين كتاب فصول التماثيل في تباشير السرور ولم يذكره له مؤرخوه . وعني لانغ الالماني بترجمة بعض شعره وتاريخه الى الالمانية وطبعه في المجلة الالمانية الشرقية سنة ١٨٨٦ وفعل ذلك أيضاً لوث وطبعه في ليبسك سنة ١٨٨٢

وقد جمعت أشعاره في ديوان مرتب على الانواع كالفخر والغزل وغيرها . وكل منها مرتب على الابجدية . منه نسخ خطية في مكاتب باريس والقاهرة وغيرها وطبع بمصر سنة ١٨٩١ وله قصائد متفرقة في مكاتب برلين وغوطا

وتجد أخباره في ابن خلكان ٢٥٨ ج ١ وطبقات الادباء ٢٩٩ وفوات الوفيات ٢٤١ ج ١ والاغاني ١٤٠ ج ٩ والفهرست ١١٦

٥ ـ البسّامي البغدادي

توفي سنة ٣٠٢ ﻫ

هو أبو الحسن علي بن محمد بن نصر بن منصور ويعرف بابن بسام أيضاً. وهو غير ابن بسام الشانتمريني المتوفى سنة ٥٤٢ ﻫ وأما البسامي فامه بنت حمدون النديم. وكان شاعراً هجاء لم يسلم من لسانه أمير ولا وزير ولا صغير ولا كبير. وقد هجا أباه واخوته وسائر أهل بيته فمن ذلك قوله في أبيه :

هبكَ عمرتِ عمر عشرين نسراً أترى انني أموت وتبقى
فلئن عشتُ بعد موتك يوما لأشقنَّ جيب مالك شقاً

وقال في هدم المتوكل قبر الحسين :

تالله ان كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

وليس له ديوان معروف . وله مؤلفات في مناقضات الشعراء وأخبار الاحوص وعمر بن أبي ربيعة لم يصلنا خبرها

وأخباره في ابن خلكان ٣٥٢ ج ١ والفهرست ١٥٠ وفوات الوفيات ٨٣ ج ٢

٦ - الخبز أرزّي

توفي سنة ٣١٧ هـ

هو أبو القاسم نصر بن أحمد من أهل البصرة وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وكان يخبز خبز الارز بمربد البصرة ومنه اسمه . لكنه كان مطبوعاً على الشعر وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه لسماع شعره ويعجبون من حاله . ثم ذاع خبره وتناقل الناس أشعاره . فمن غزله قوله :

خليليّ هل أبصرتما أو سمعتما ... بأكرم من مولى تمشى الى عبدِ

أتى زائراً من غير وعد وقال لي ... أجلك عن تعليق قلبك بالوجد

فما زال نجم الوصل بيني وبينه ... يدور بافلاك السعادة والسعد

فطوراً على تقبيل نرجس ناظر ... وطوراً على تعضيض تفاحة الخد

وله أيضاً :

رأيت الهلال ووجه الحبيب ... فكانا هلالين عند النظر

فلم أدر من حيرتي فيهما ... هلال الدجى من هلال البشر

ولولا التورد في الوجنتين ... وما راعني من سواد الشعر

لكنت أظن الهلال الحبيب ... وكنت أظن الحبيبَ القمر

وذكر له ابن خلكان كثيراً من الاخبار وأمثلة من الشعر في ترجمته ١٥٣ ج٢ وفي يتيمة الدهر ١٣٢ ج ٢

٧ - ابن العلاف

توفي سنة ٣١٨ هـ

اسمه أبو بكر الحسن بن علي كان ضريراً من أهل النهروان جيد الشعر واشتهر بقصيدة رثى بها هرّاً والمقصود بالرثاء غلام كان له قتله علي بن الحسين. والقصيدة من أحسن شعره مطلعها :

يا هرُّ فارقتنا ولم تعدِ ... وكنت عندي بمنزل الولدِ

فكيف تنفك عن هواك وقد كنت لنا عدةً من العدد
تطرد عنا الاذى وتحرسنا بالغيب من حية ومن جرد
وتخرج الفأر من مكامنها ما بين مفتوحها الى السدد
يلقاك في البيت منهم مددٌ وأنت تلقاهم بلا مـدد

وهي طويلة نشر ابن خلكان أكثرها في صفحة ١٣٨ ج١ والدميري ٣٣٧ج٢

ومن نوابغ شعراء هذا العصر فضل جارية المتوكل العباسي المتوفاة سنة ٢٦٠ هـ وكانت تهاجي الشعراء ويجتمع عندها الادباء ولها في الخلفاء والملوك مدائح وكانت في أول أمرها تتشيع وتتعصب لاهل مذهبها وتقضي حوائجهم بجاهها عندالملوك. وعشقت سعيد بن حميد وكان منحرفا عن اهل البيت فانتقلت الى مذهبه . ولها أشعار نفيسة منها أمثلة في فوات الوفيات ١٢٦ ج ٢ والاغاني ١١٤ ج ٢١

الادب والادباء

في العصر العباسي الثاني

خطا الادب في هذا العصر خطوة أخرى نحو النشوء والتفرع فبدأت علومه بالاستقلال بعضها عن بعض . وكانت في العصر الماضي مختلطة يدرس الاديب النحو واللغة والاخبار والامثال معاً. وقل من تفرغ لواحد منها — الا النحو فانه أستقل في ذلك العصر كما رأيت . وظلت سائر علوم الادب مختلطة. ففي هذا العصر اخذ علم اللغة بالاستقلال وظهر علماء اشتغلوا بتعريف الالفاظ واشتقاقها ومعانيها وترتيبها على الابجدية تمهيداً لوضع المعاجم التي لم تظهر ناضجة الا في العصر العباسي الثالث

فالادب هنا ينقسم الى ثلاثة أقسام : (١) الادب كما هو ويدخل فيه الاخبار والامثال والاشعار وغيرها (٢) النحو (٣) اللغة فنتكلم عن كل منها على حدة

وقبل التقدم الى ذلك لابدّ لنا من التنبيه الى أمرين مهمين في تاريخ آداب اللغة : الاول ان الاغراض السياسية التي ذكرناها في صدر العصر العباسي الاول من تفضيل أهل الكوفة على أهل البصرة واثارة المنافسة بين البلدين ضعفت في هذا العصر وفرغ البصريون والكوفيون من الغرض الذي أحيا ذينك البلدين لقربهما من البادية وسطاً بين الحضارة والبداوة. واستبحر عمران بغداد وغلبت الحضارة على نفوس المسلمين

فاخذ الادباء وطلاب العلم في الانتقال الى بغداد وخصوصاً بعد أن سطا صاحب الزنج على البصرة وأخربها . والامر الثاني أن نقل العلوم الى اللغة العربية اكسبها ميلا الى تأليف الكتب وغيرها. على مثال ماشاهدوه هناك من الكتب الجامعة لمواضيع مختلفة والتوسع في الموضوع الواحد . فالكتب التي جاء ذكرها لاصحاب العصر الاول أوفاها ما كتب في الفقه والسيرة النبوية والطبقات والفتوح والنحو. أما في هذا العصر فعمدوا الى التأليف في سائر المواضيع العلمية والادبية والفلسفية والتاريخية وغيرها . وان لم ينضج التأليف على الاجمال الا في العصر الآتي

مميزات الادب

يمتاز الادب في هذا العصر باشياء أهمها :

١ انه كان في العصر الماضي مقصوراً على النقل بلا تصرف وانما كان همّ الاديب أن يروي ما سمعه بالاسناد الى الراوي أو سرد ما عاينه كما كان يفعل حماد والاصمعي وأبو عبيدة . فاصبح يتدبر تلك المرويات ويبني عليها أو يستنتج منها حكمة أو عظة كما فعل الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما . والسبب في ذلك اتساع اختبارهم وتعودهم النظر والتدبر بما اطلعوا عليه من كتب الادب التي نقلت الى العربية من الفارسية والهندية وكتب المنطق وتحليل القياس ونحوها عن اليونانية (١)

٢ ان ما ألم بالامة من تغير الحال لفساد الحكومة وتوالي النكبات على الخلفاء حوّل همّ المفكرين الى نشر الحكم واخبار الزهد والزهاد وأقوال الحكماء وسير رجال العدل والحزم التي يترتب عليها العظة والاعتبار مع الحث على الاقتداء بهم لرد الناس عن غيهم وتعزية المصابين والمظلومين فاخذوا يجمعون ذلك في كتب الادب

٣ أخذوا يجمعون شتات أخبار العرب على اختلاف مواضيعها ومآخذها في كتاب واحد أو بضعة كتب وترتيبها في أبواب مبنية على الحكمة المستفادة منها للاسباب التي قدمناها . كما في الموشى والعقد الفريد

٤ تغيرت وجهة الادب في نظر الادباء فقد كان الغرض منه بالاكثر طلب الرزق في دور الخلفاء بما كان لهؤلاء من الرغبة في الاطلاع على أخبار العرب وأشعارها وأمثالها . فاصبح في هذا العصر صناعة علمية في الانشاء والتأليف وقل المقتصرون عليها منهم . وانصرفت القرائح بالاكثر الى الاشتغال في النحو واللغة ولم

---

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ١٥٢ ج ٣ وبعدها

ينقطع للاشتغال بالادب بالمعنى الذي قدمناه الا قليلون . وقد اخترنا بضعة منهم غلب عليهم الاشتغال بالادب مع اشتغالهم بفنون أخرى من التاريخ أو السياسة أو الشعر وهذه تراجمهم حسب سني الوفاة :

ادباء العصر العباسي الثاني

١ ـ الجَاحِظ

توفي سنة ٢٥٥ ﻫ

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي بالولاء من أهل البصرة ويعرف بالجاحظ لجحوظ عينيه . واشتهر بقبح خلقته وكان جده أسود اللون جمالا لعمرو بن قلع الكناني . وبلغ الجاحظ من الذكاء وجودة القريحة وقوة العارضة والتفكير ماجعله من كبار أئمة الادب. نشأ في البصرة وهي آهلة بالادباء والنحاة وأصحاب اللغة ونبغ في كل ذلك . وبلغ خبره الى المتوكل وكان عازما على اختيار من يؤدب ولده فاستقدمه اليه في سرَّ من رأى . فلما رآه استبشع منظره فامر له بعشرة آلاف درهم وصرفه. وله أخبار كثيرة تتعلق بقبح منظره . وأصيب في اواخر أيامه بالفالج النصفي فكان يطلي نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما أحس به من شدة برده في اصطلاحهم . وكان قد اشتهر وذاع صيته في العالم الاسلامي فتقاطر الناس لمشاهدته والسماع منه فلا يمرُّ أديب أو عالم بالبصرة إلا طلب ان يرى الجاحظ ويكلمه. وكان اذا طلب أحد أن يراه يقول: «وما تصنع بشقٍّ مائل ولعابٍ سائل ولون حائل » وتوفي بالبصرة سنة ٢٥٥

وهو امام الادباء في العصر العباسي الثاني وله اساليب ومذاهب وآراء في الادب واللغة خاصة به واشتهر بطريقة في الانشاء تنسب اليه تحداه بها الناس وعرفت باسمه. فهو قدوة المنشئين وامامهم في هذا العصر كما كان ابن المقفع امامهم في العصر الاول — وسنعود الى ذلك

الجاحظية

وكان الجاحظ من فضلاء المعتزلة جماعة المفكرين في ذلك العهد تلقى العلم على ابي اسحق ابراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور وكان علم الكلام قد نشأ على أثر نقل الفلسفة والتبحر فيها . وطالع الجاحظ كثيراً من كتب الفلاسفة

وانفرد عن سائر المعتزلة بمسائل تابعه بها جماعة عرفوا بالجاحظية . ومن مذهبه أن المعارف كلها ضرورية وليس فيها شيء من أفعال العباد وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الارادة . وان العباد لا يخلدون في النار بل يعبرون من طبيعتها . وان الله لا يدخل أحداً النار وانما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها وان القرآن المنزل من قبيل الاجساد ويمكن أن يصير مرة رجلا ومرة حيواناً . وان الله لا يريد المعاصي وانه لا يرى . وأن الله لا يريد بمعنى انه لا يغلط ولا يصح في حقه السهو فقط . وانه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام وانما الاعراض تتبدل والجوهر باقٍ . ونحو ذلك [1]

مؤلفاته

خلف الجاحظ مؤلفات عديدة طبع كثير منها ونشر هالك أهمها :

١ كتاب البيان والتبيين : (ويقال التبين والتبيان) في الادب والانشاء والخطابة وابحاث في البيان والخطابة والخطباء والسجع والشعر والشعراء والنساك والزهاد وأمثلة من خطب النبي والخلفاء . وفي اللحن واللحانين وأحاديث ونوادر وغير ذلك وهو أصدق مثال للانشاء في أواسط القرن الثالث للهجرة. وقد طبع بمصر سنة ١٣١٣ وغيرها في مجلدين

٢ كتاب الحيوان : هو أقدم كتاب في علم الحيوان بالعربية . ويختلف عن كتب الحيوان المعروفة بانه يشتمل على وصف طبائع الحيوانات من حيث علاقتها بالناس . ويتخلل ذلك فوائد أدبية واجتماعية وتاريخية . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ٤ مجلدات

٣ كتاب المحاسن والاضداد والعجائب والغرائب : في اللغة طبعه المستشرق فان فلوتن في ليدن سنة ١٨٩٧ في ٤٠٠ صفحة ثم طبع بمصر سنة ١٩٠٦

٤ كتاب أخلاق الملوك : في الادب منه نسخة خطية بمكتبة ايا صوفيا

٥ « تنبيه الملوك والمكائد : « « « « كوبرلي

٦ « البخلاء : في الادب طبع غير مرة في أوربا ومصر

٧ « سحر البيان : في كوبرلي

٨ « فضائل الاتراك: في ايا صوفيا وطبع بمصر مضبوطاً بالشكل سنة ١٨٩٨

٩ « سلوة الحريف في المناظرة بين الربيع والخريف: طبع بالاستانة سنة

(١) الشهرستاني ٤٠ ج ١

١٣٠٢ وفي مصر ٤٤ صفحة

١٠ كتاب العرافة والزجر والفراسة: على مذاهب الفرس خط في مكتبة ليدن

١١ المختار من كلام الجاحظ : وحكم علي : بمكتبة برلين

١٢ رسالة في بني أمية : في المكتبة الخديوية

١٣ ثلاث رسائل : طبعت في ليدن . و١١ رسالة طبعت بمصر

١٤ كتاب طبقات المغنين : ذكرته مجلة المقتبس (مجلد ٢ ج ٨)

١٥ كتاب التاج : في جملة كتب زكي باشا تحت الطبع بمصر

وترجمة الجاحظ في ابن خلكان ٣٨٨ ج ١ وطبقات الادباء ٢٥٤

٢ ـ السُّكَّري

توفي سنة ٢٧٥ هـ

هو أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن العلاء السكري النحوي . وقد ذكرناه بين الرواة والادباء لاشتغاله بجمع الاشعار وكان راوية البصريين وهو الذي جمع أهم ما بين أيدينا من أشعار الجاهليين وصدر الاسلام الى ايامه من القبائل والافراد . فمن الافراد الذين عمل السكري أشعارهم أي جمعها في دواوين امرؤ القيس وزهير والنابغة والحطيئة ولبيد ودريد بن الصمة وعمرو بن معديكرب والاعشى والمهلهل ومتمم بن نويرة واعشى باهلة وبشر بن أبي حازم والمتلمس والمسيب وحميد بن ثور وحميد الارقط وعدي بن زيد وعدي بن الرقاع وغيرهم مما يطول بنا بسطه . وقد ذكرهم ابن النديم في الفهرست مطولا (صفحة ١٥٧) وذكر بجانب كل شاعر من عمل شعره غير السكري ايضاً . ومن القبائل التي جمع السكري أشعارها بنو ذهل وبنو شيبان وبنو أبي ربيعة وبنو يربوع وغيرها كثير

فدواوين الشعراء الافراد لا يزال بين ايدينا منها جانب ذكرناه في مواضعه وان لم يذكر في صدور الدواوين من جمعها. ومما ينسب الى السكري شرح ديوان امرىء القيس . وقد جاء ذكر بعض دواوين الافراد التي جمعها السكري في كتب الادب عرضاً . أما اشعار القبائل فلم يبق منها الا ديوان الهذليين وقد وصل الينا مقتضباً مع شرح قليل . ومنه نسخة خطية في مكتبتي باريس وليدن. وقد طبع القسم الاول منه في لندن سنة ١٨٥٤ في نحو ٣٠٠ صفحة كبيرة تحتوي على اشعار نحو ثلاثين شاعراً من الهذليين واخبارهم وعنوان هذا الجزء « كتاب شرح أشعار الهذليين صنعه أبو

سعيد الحسن بن الحسين السكري رواية ابي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوى عن أبي بكر احمد بن محمد الحلواني عنه » وفي صدر هذه الطبعة مقدمة انكليزية عن تاريخ هذا الكتاب والمفضليات والحماسة . وهناك كتاب لما بقي من أشعار الهذليين غير ما جمعه السكري طبع في برلين سنة ١٨٨٤

وللسكري ـ ٢ : كتاب اخبار اللصوص : فيه اخبار بعض لصوص الاعراب نشرت قطعة منه في ليدن سنة ١٨٥٩ وله ـ ٣ : شرح ديوان جران العود النميري منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية وله ـ ٤ : كتاب النبات ضاع . وترجمة السكري في طبقات الادباء ٢٧٤ ومعجم الادباء ٦٢ ج ٣ والفهرست ٧٨ و١٥٧ و١٥٩

٣ ـ ابن قُتَيْبة

توفي سنة ٢٧٦ هـ

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري . ولد في الكوفة سنة ٢١٣ وتثقف على اهلها وسكن بغداد وتولى قضاء الدينور فنسب اليها . وكان عالماً في اللغة والنحو والشرع متفنناً بالعلوم صادقاً فيما يرويه مستقل الفكر جريئاً في قول الحق . وهو اول من تجرأ على النقد الادبي فألف في أكثر فنون الادب المعروفة . والباقي من مؤلفاته الى اليوم حسن وشائع وبعضها من امهات كتب التاريخ والادب وهاك ما وصل الينا خبره منها :

١ عيون الاخبار : في عشرة كتب ١ كتاب السلطان ٢ كتاب الحرب ٣ كتاب السؤدد ٤ كتاب الطبائع والاخلاق ٥ كتاب العلم باخبار العلم والعلماء ٦ كتاب الزهد ٧ كتاب الاخوان ٨ كتاب الحوائج ٩ كتاب الطعام ١٠ كتاب النساء . طبع في ويمار سنة ١٨٩٨ بعناية بروكلمن وفي مصر سنة ١٩٠٧ في مجلدين كل مجلد يدخل في مائة صفحة . ومنه نسخ خطية في مكاتب بطرسبرج والاستانة وهو أول كتاب فى نوعه من امهات كتب الادب

٢ كتاب المعارف : هو من قبيل كتب التاريخ العام ومن اقدمها . فيه خلاصة تاريخ الخلق والانبياء وانساب العرب وسيرة النبي ومغازيه واخبار الصحابة والتابعين والقراء ورواة الشعر وصناعات الاشراف واهل العاهات ونوادر الحوادث والاديان واخبار ملوك العرب والعجم وقد طبع في غوتنجن بعناية ووستنفيلد سنة ١٨٥٠ وفي مصر سنة ١٣٠٠

٣ كتاب الشعر والشعراء : ويسميه بعضهم طبقات الشعراء أو كتاب الشعراء أو اخبار الشعراء وكلها واحد.وهو يحتوي على تراجم «المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل اهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله » ويدخل في ذلك أخبار اشهر شعراء الجاهلية وصدر الاسلام الى ايام المؤلف وامثلة من اشعارهم وفيه نظرٌ وانتقاد. وقد وطبع في ليدن بعناية دي غويه سنة ١٩٠٤ وفي مصر سنة ١٩٠٥

٤ ادب الكاتب: يبحث فيما يحتاج اليه الاديب في صناعة الكتابة من الآداب والعلوم واصلاح ما كان يقع فيه الكتاب بايامه من الخطأ او الوهم في معاني الالفاظ او الاشتقاقات والتراكيب مما نحن في حاجة اليه حتى اليوم. وقد قسم ذلك الى ابواب في اقامة الهجاء وتقويم اللسان والابنية . وقد لخص هذا الكتاب وشرح غير مرة ومنه نسخ خطية في المتحف البريطاني ومكاتب فينا وبطرسبرج وقد طبع في ليبسك سنة ١٨٧٧ مع خلاصة انكليزية لسيرول وطبع ايضاً في مصر مراراً . وله شروح عديدة أشهرها شرح البطليوسي المتوفي سنة ٥٣٩ ﻫ طبع في بيروت سنة ١٩٠١ ويعرف بالاقتضاب

٥ الامامة والسياسة: هو تاريخ الخلافة وشروطها بالنظر الى طلابها من وفاة النبي الى عهد الامين والمأمون . طبع بمصر سنة ١٩٠٠ ومنه نسخ خطية في مكاتب باريس ولندن ومصر

٦ كتاب الشراب او الاشربة : في اختلاف العلماء فيما يحل من الاشربة أو يحرم . منه نسخة خطية في لندن وفي المكتبة الخديوية وطبع بمصر سنة ١٩٠٧

٧ كتاب التسوية بين العرب والعجم وتفضيل العرب : هو ضد الشعوبية نقل منه صاحب العقد الفريد فصلا في صفحة ٧١ ج ٢ ونشرت له مجلة المقتبس رسالة في الرد على الشعوبية (مجلد ٤)

٨ تأويل مختلف الحديث : منه نسخ خطية في مكتبتي برلين وليدن

٩ كتاب مشكل القرآن : « « « ليدن وكوبرلي

١٠ المشتبه من الحديث والقرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

١١ كتاب المسائل والجوابات : اكثره في الحديث منه نسخة في مكتبة غوطا

وقد ذكر صاحب الفهرست كتباً اخرى لابن قتيبة اهمها كتاب « معاني الشعر الكبير » في ١٢ كتابا . وفي مكتبة ايا صوفيا بالاستانة نسخة من كتاب اسمه

« الشعر الـكبير » لابن قتيبة لعله هو او بعضه . وكتاب « عيون الشعر » في عشرة كتب وغير ذلك من كتب النحو والادب والحديث واللغة.ووقف الاب شيخو على كتاب ينسب الى ابن قتيبة لم يذكره صاحب الفهرست ولا غيره نعني كتاب «الرجل والمنزل » وجده في مكتبة الظاهر بدمشق ونشره في السنة ١١ من المشرق . وهو من قبيل مفردات اللغة التي ذكرناها للاصمعي وابي عبيدة . وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية نسخة من كتاب خطي اسمه «كتاب العرب وعلومها» لابن قتيبة
وترجمة ابن قتيبة في ابن خلكان ٢٥١ ج١ وطبقات الادباء ٢٧٢ والفهرست٧٧

٤ — ابن أبي الدُّنيا

توفي سنة ٢٨١ هـ

هو ابو بكر عبيد الله بن محمد بن عبيد مولى قريش كان يؤدب المكتفي بالله.وله علم بالاخبار وذكر له الفهرست مؤلفات كثيرة في الادب والاخبار لم يصلنا منها الاَّ :

١ الفرج بعد الشدة: مجموع اخبار اتفقت لاناس اصابهم فيها بعد الشدة فرج. منه نسخ في برلين وليدن وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ نحا فيه منحى المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ أول من ألف في هذا الموضوع . ثم تحداها سواها حتى انتهى ذلك الى القاضي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ فألف كتابه الفرج بعد الشدة طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في مجلدين وفي مقدمته تاريخ التأليف في هذا الموضوع

٢ مكارم الاخلاق : و٣ ذم الملاهي : منهما نسختان خطيتان في برلين
٤ فضائل عشر ذي الحجة : في ليدن
٥ كتاب من عاش بعد الموت : في منشن
٦ اليقين : في كوبرلي بالاستانة ٧ الشكر : في نور عثمانية
٨ قرى الضيف : في مكتبة لاندبرج

وترجمة ابن ابي الدنيا في فوات الوفيات ٢٣٦ ج ١ والفهرست ١٨٥

٥ — قُدامَة بن جعفر

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

هو قدامة بن جعفر بن قدامة الـكاتب البغدادي كان ابوه نصرانيا واسلم في ايام المكتفي (سنة ٢٨٩ـ٢٩٥) وتولى منصباً كبيراً في الدولة العباسية . وكان اديبا شاعر ألف كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٠) لم يصلنا منها الا :

١ كتاب نقد الشعر : وهو اول كتاب مستقل في هذا الموضوع. وسنعود اليه. طبع في الاستانة سنة ١٣٠١

٢ كتاب نقد النثر : ويعرف بكتاب البيان منه نسخة خطية في الاسكوريال

٣ كتاب الخراج : سيأتي ذكره في الكلام على الجغرافية

٦ — الوشّاء

في القرن الثالث

هو أبو الطيب محمد بن احمد بن اسحق الاعرابي الوشاء أحد الادباء الظرفاء في اواخر القرن الثالث للهجرة . غلب عليه تصنيف كتب الاشعار والاخبار ذكر له صاحب الفهرست نحو ٢٠ كتاباً في النحو والادب لم يصلنا منها الاّ كتابان :

١ كتاب الموشى : وهو فريد في بابه يمثل آداب ذلك العصر ويتخلله كثير من المواعظ والحث على المصادقة والاخلاص والتعفف . وفيه وصف الازياء التي كانت شائعة يومئذ على اختلاف الطبقات . وما اختير من الالفاظ للمكاتبات . وفيه فصول ضافية فيما كانوا يكتبونه من الاشعار على الثياب والاعلام والعصائب والزنانير والمناديل والستور والوسائد حتى النعال، وعلى المجالس وآنية الشراب والعيدان. فهو فريد ببابه ومنه نسخة خطية في ليدن وقد طبع فيها سنة ١٨٨٧ وفي مصر سنة ١٣٢٤ وسموه كتاب الظرف والظرفاء

٢ كتاب تفريج المهج وسبب الوصول الى الفرج : منه نسخة خطية مختصرة في مكتبة برلين . وتجد اخبار الوشاء في الفهرست ٨٥ وطبقات الادباء ٣٧٤

٧ — ابن عَبد ربِّه

توفي سنة ٣٢٨ هـ

هو ابو عمر احمد بن محمد عبد ربه القرطبي صاحب العقد الفريد. أصله من موالي بني امية في الاندلس توفي سنة ٣٢٨ (وقيل ٣٤٨) وكان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس . وكان شاعراً مطبوعا . وانما اشتهر بكتابه العقد الفريد . وفي شعره ميل الى الشعر القصصي اي سرد القصة شعراً وهو قليل في العربية . له فيه ارجوزة قص فيها تاريخ عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس حسب السنين وكان معاصراً له وهي منشورة في الجزء الثاني من العقد الفريد

العقد الفريد . أما العقد الفريد فانه من أجل كتب الادب واحواها أو هو كالخزانة حوت خلاصة علوم ذلك العصر حتى الطب والموسيقى فضلا عن الاخبار والانساب واللغة والامثال والشعر والعروض وقواعده . في ثلاثة مجلدات تزيد صفحاتها على الف صفحة كبيرة وهو مقسوم حسب المواضيع . وقد تأنق صاحبه في تقسيمه وتسمية ابوابه فسماها باسماء الحجارة الكريمة تطبيقاً لاسم الكتاب «العقد الفريد» ويشتمل الجزء الاول على السلطان والحروب والاجواد والاصفاد والوفود والعلم والادب والامثال والمواعظ. والثاني في التعازي والمراثي والنسب وفضائل العرب وكلام الاعراب والاجوبة والخطب والتوقيعات وأخبار الكتبة . والثالث في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة وأيام العرب ووقائعها وفضائل الشعر وعلم الالحان والنساء والمتنبئين والممردين والبخلاء وطبائع الانسان وفي الطعام والشراب

وفي بعض هذه الابواب فصول تاريخية لا تجد مثلها في كتب التاريخ. فاخبار زياد والحجاج والطالبيين فيها حقائق يعز العثور عليها في كتاب آخر . وناهيك بايام العرب واعاريض الشعر وما هناك من أخبار الخوارج والازارقة فضلا عن كثير من الاقوال المأثورة عن عظماء الملوك نقلا عن كتب ضاعت اصولها . فالعقد الفريد خزانة فوائد وهو من أمهات كتب الادب الثقة . ويؤخذ من مطالعته انه حوى خلاصة ما في الكتب السالفة يومئذ للاصمعي وابي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة وابن الكلبي وغيرهم غير القرآن والحديث والتوراة والانجيل . ولم يقتصر فيما جمعه على ما عرفه العرب بل نقل عن الكتب التي ترجمت الى العربية في ذلك الزمن عن اليونانية والهندية والفارسية وهو يشير الى ذلك في كلامه . وقد طبع العقد الفريد مراراً في ثلاثة مجلدات وهو شائع . ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب اوربا . وليس له سواه

وترجمة ابن عبد ربه في ابن خلكان ٣٢ ج ١ ومعجم الادباء ٦٧ ج ٢ ويتيمة الدهر ٣٦٠ و٤١٢ ج ١

٨ — أبو بكر الصولي

المتوفى سنة ٣٣٥ هـ

هو محمد بن يحيي الصولي ويعرف بالشطرنجي ويتصل نسبه بملوك جرجان . كان عالماً بفنون الادب حسن المعرفة باداب الملوك حاذقا بتصنيف الكتب وألعب أهل زمانه في الشطرنج وكان نديماً لجماعة من الخلفاء وجمع اشعار كثيرين كما فعل السكري

باشعار القدماء وقد اشرنا الى شيء من ذلك في اماكنه كديوان ابن المعتز وديوان ابي تمام وابي نواس والبحتري . والف في اخبار الخلفاء واشعارهم كتابا سماه « الاوراق في اخبار آل العباس واشعارهم» قال ابن النديم: «انه لم يتمه والذي خرج منه اخبار الخلفاء وأشعار اولاد الخلفاء من السفاح الى أيام المعتز». ولكن في المكتبة الخديوية نسخة بهذا الاسم للصولي هي من قبيل اخبار الشعراء رتب أسماءهم على أحرف الهجاء وأكثره في اخبار ابان اللاحقي شاعر البرامكة وابنائه الشعراء كحمد بن ابان وابان ابن حمدان بن ابان وغيرهما. واخبار اشجع بن عمرو السلمي واشعاره مرتبة في ابواب واحمد بن يوسف وزير المأمون وآله . وابن صبيح كاتب دولة بني العباس وتوقيعات احمد المذكور وكلامه فضلا عن اشعاره . وجاء في آخر الكتاب انه شرع بترجمة اسحق بن ابراهيم الموصلي وتوفي قبل ان يتمها . وذلك يختلف عما ذكره ابن النديم

وله كتب اخرى هامة ذكرها كشف الظنون ولم نقف عليها . واخباره في طبقات الادباء ٣٤٣ والفهرست ١٥٠ و١٥٦

أدباء آخرون

ومن الادباء والرواة في هذا العصر أيضاً ابو العيناء المتوفى سنة ٢٨٢ هـ وجحظة البرمكي (٣٢٦ هـ) وابو بكر بن مروان الدينوري المالكي المتوفى سنة ٣١٠ له كتاب المجالسة وفيه اخبار وآداب منه نسخة في باريس . وابراهيم بن ابي عون الكاتب توفي سنة ٣٢٢ وله كتاب لب اللباب في جوابات ذوي الالباب منه نسخة في برلين. وابو الازهر بن مزيد النحوي (٣٢٥) له اخبار عقلاء المجانين في الاسكوزيال . (ولابي القاسم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٦ كتاب بهذا الاسم في مكتبة برلين) وابو بكر الخرائطي السامري المتوفى سنة ٣٢٧ له كتاب اعتلال القلوب في المكتبة الخديوية ومكارم الاخلاق في ليدن



الانشاء

في العصر العباسي الثاني

رأيت ما كان من اسلوب الانشاء فى صدر الاسلام من البلاغة والايجاز حتى انتهى فى العصر الاموي الى عبدالحميد الكاتب فاطال الرسائل وأدخل التحميدات فى فصول الكتب . فلما كان العصر العباسي الاول نبغ ابن المقفع . وهو امام المنشئين فى ذلك العصر كما يظهر فى ترجمة كليلة ودمنة وهو انشاء مرسل بلا تسجيع ولا تقطيع

أسلوب ابن المقفع

لكنه كان اذا اراد التأنق فى الانشاء فى معرض الخطابة او التهديد او التنبيه عمد الى السجع ونوع عبارته تنويعاً خاصاً كما فعل فى كتبه الاخرى ولا سيما اليتيمة والادب الصغير . فمن ذلك قوله فى اليتيمة :

« اذا كان سلطانك عند جدة دولة . فرأيت امرأ استقام بغير رأي . واعواناً جزوا بغير نبل . وعملا انجح بغير حزم . فلا يغرنك ذلك ولا تستنم اليه فان الامر الجديد مما تكون له مهابة فى انفس اقوام وحلاوة فى انفس آخرين »

وقد يتفنن فى تقطيعه كقوله : «وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم اجساداً ، واوفر مع اجسادهم احلاما . واشد قوة واحسن بقوتهم للامور اتقانا . واطول اعماراً وافضل باعمارهم للاشياء اختباراً »

وفى كل حال لا بد من التمييز بين انشاء الكتب وانشاء الرسائل اوالمقالات الادبية ونحوها. فانشاء الكتب لايزال مرسلا بلا سجع اوتقطيع مثل كتاب كليلة ودمنة. واما الرسائل او المقالات الادبية او الفصول التي يصدرون بها الكتب فهي من قبيل الخطب . فالكاتب يتأنق بها ويبذل جهده فى تنميقها كما فعل ابن المقفع فى كتابه الدرة اليتيمة التي أتينا بالمثالين المذكورين منها ـ فالتنويع الذي يصيب الانشاء بتوالي الاعصر انما يقع على هذا الانشاء فى الغالب وما يصدق عليه يصدق على الخطب

أسلوب الجاحظ

فلما دخل العصر العباسي الثاني نبغت طبقة من الكتاب المنشئين لا يشقّ لهم غبار إمامهم الجاحظ وضع اسلوباً فى الانشاء تحدوه فيه. وذلك انه جعل الجملة قطعاً صغيرة كالشعر لكن بدون وزن ولاقافية .او هوسجعٌ لاتشترط فيه القافية كقوله« جنبك الله الشبهة. وعصمك من الحيرة.وجعل بينك وبين المعرفة سببا وبين الصدق نسبا.وحبب اليك التثبت . وزين فى عينك الانصاف . واذاقك حلاوة التقوى . واشعر قلبك عز

الحق وأودع صدرك برد اليقين وطرد عنك ذل اليأس . . الخ »

وقد أدخل الدعاء حشواً معترضاً يوجه الى المخاطب بصيغة المفرد كقوله :

«وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة . وسقطات الخطل يوم اطالة الخطبة . باعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجة . وعن الحصر من فوات درك الحاجة . والناس لا يعيرون الخرس . ولا يلومون من استولى على بيانه العجز . وهم يذمون الحصر ويؤنبون العي . . الخ »

وهذا الاسلوب في الانشاء ينسب الى الجاحظ وقد توخاه معاصروه فنسجوا على منواله كابن قتيبة والمبرد وابن ثوابة وغيرهم . ومن أمثلة ذلك قول حمزة الاصفاني جامع ديوان أبي نواس فانه من أهل العصر الثاني وأسلوبه كاسلوب الجاحظ ـ قال في مقدمة الديوان المذكور :

« سألتني ابقاك الله وأعلى قدرك وبلغك أقصى أملك . وزادك من أفضل ما خولك . وأحسن ما منحك . ولا أعدمك جميل ما عودك . أن أصرف لك عنايتي الى عمل مجموع من شعر أبي نواس . يشتمل على كل أشعاره . وجل أخباره . وقد أسعفتك أيدك الله بطلبتك وأجبتك الى ملتمسك . . الخ »

وهم يرون النزوع الى هذا التكرار أكثر ابلاغاً للمعنى وأشد تأثيراً في النفس حتى رأيناهم ينتقدون ما كان شائعاً من الايجاز في صدر الاسلام كقول يزيد لما كتب الى مروان حين بلغه تلكؤه في بيعته: «أما بعد فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت » قال ابن قتيبة في أدب الكاتب : « ان هذا لو قيل الآن لم يأت بالتأثير المطلوب . والصواب أن يطيل ويكرر ويعيد ويبدىء ويحذر وينذر ..»

ولا يؤخذ من ذلك أن تكون أساليب الكتاب في ذلك العصر واحدة من كل وجه فان ذلك غير طبيعي . والطبيعي أن يكون لكل كاتب اسلوب يعرف به . ولكن ابناء العصر الواحد تتشابه اساليبهم ويغلب ان يكون احدهم مقداماً يسيرون على خطواته فيقلدونه في اسلوبه كل منهم جهد طاقته . والجاحظ في هذا العصر امام اهل الادب وقدوة المنشئين

كساد البضاعة وفساد العقيدة

وأصاب صناعة الادب في هذا العصر كسادٌ كما اصاب الشعر للاسباب التي قدمناها من فساد الدولة واشتغال الملوك والامراء عن التنشيط . وانصراف الناس الى الفلسفة والطبيعيات والمنطق من العلوم الحادثة عندهم . وشيوع الشعوبية واحتقار العرب

والطعن على كفاءتهم وعلومهم . فاصبح الادباء يشكون كساد بضاعة الادب وفساد عقيدة الناس بالفلسفة وتقاعد الادباء عن اتقان صناعة الانشاء

قال ابن قتيبة في ادب الكاتب: « رأيت كثيراً من كتاب زماننا كسائر أهله.قد استطابوا الدعة . واستوطأوا مركب العجز . واعفوا انفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب الفكر . حين نالوا الدرك بغير سبب . وبلغوا البغية بغير آلة . ولعمري كان ذاك . فأين همة النفس واين الانفة من مجانسة البهائم . وأي موقف اخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه . وارتضاه لسره فقرأ عليه يوماً كتاباً — وفي الكتاب (ومطرنا مطراً كثر عنه الكلأ) فقال له الخليفة ممتحناً (وما الكلأ ؟) فتردد في الجواب وتعثر لسانه ثم قال (لا ادري) فقال له (سل عنه) ومن مقام آخر في مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتاباً ذكر فيه (حاضر طي) فصحفه تصحيفاً أضحك منه الحاضرين »

ذلك مابعث ابن قتيبة على وضع كتابه المشار اليه وذكر الشروط اللازمة لطالب هذه الصناعة . ولا سيما سعة الاطلاع في العلوم الاسلامية والادبية فضلا عن اللغوية كاقامة الهجاء وتقويم اللسان وضبط الابنية

ومن انتقاده فساد عقيدة الادباء في عصره قوله :

« رأيت اكثر اهل زماننا هذا عن سبيل الادب ناكبين . ومن اسمه متطيرين ولا له كارهين . اما الناشيء منهم فراغب عن التعليم . والشادي تارك للازدياد . والمتادب في عنفوان الشباب ناس او متناس ليدخل في جملة المجدودين ويخرج عن جملة المحدودين . فالعلماء مغمورون وبكثرة الجهل مقموعون . حين خوى نجم الخير وكسدت سوق البر . وبارت بضائع اهله . وصار العلم عاراً على صاحبه . والفضل نقصاً . واموال الملوك وقفاً على النفوس . والجاه الذي هو زكاة الشرف . يباع بيع الخلق . وآضت المروآت في زخارف النجد وتشييد البنيان . ولذات النفوس في اصطفاق المزاهر . ومعاطاة الندمان . ونبذت الصنائع وجهل قدر المعروف . وماتت الخواطر . وسقطت همم النفوس . وزهد في لسان الصدق وعقد الملكوت . فابعد غايات كاتبنا في كتابته . ان يكون حسن الخط . قويم الحروف . واعلى منازل اديبنا ان يقول من الشعر ابياتاً في مدح قينة او وصف كاس وارفع درجات لطيفنا . ان يطالع شيئاً من تقويم الكواكب . وينظر في شيء من القضاء وحدّ المنطق . ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه . وعلى حديث رسول الله صلى

الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدري من نقله .. الخ »

وتكاثر دعاة الانشاء في ذلك العصر عن غير معرفة وتوهموا انه يحلو بالاكثار من اللفظ الغريب فاحى عليهم ابن قتيبة بالائمة . واتى مثلا على ذلك بقول يحي بن يعمر لرجل خاصمته امرأته فقال له: «أن سألتك ثمن شكرها وشبرك انشأت تطاها وتضهلها » وكقول عيسى بن عمر ويوسف بن عمر بن هبيرة يضربه بالسياط : « والله ان كانت الا أثيابا في اسيفاط قبضها عشاروك » قال ابن قتيبة : « فهذا واشباهه كان يستثقل والادب غض. والزمان زمان. واهله يتحلون فيه بالفصاحة. ويتنافسون في العلم . ويرونه تلو المقدار في درك ما يطلبون وبلوغ ما يؤملون . فكيف به اليوم مع انقلاب الحال ؟ »

والمشهور ان عمدة كتب الادب والانشاء ادب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ والنوادر لابي علي القالي . ونزيد عليها العقد الفريد لابن عبد ربه والاغاني لابي الفرج الاصفهاني واذا اريد الانشاء خاصة فكليلة ودمنة وسائر كتب ابن المقفع . وكلها مطبوع

ذلك كان شأن الانشاء في العصر العباسي الثاني واكثر ادبائه من المنشئين . وسيخطو خطوة اخرى في العصر الآتي

النحو والنحاة

في العصر العباسي الثاني

قد تقدم ان ادباء هذا العصر يجوز عدهم من النحاة لأنهم اشتغلوا في النحو وانما جعلنا اكثرهم من الادباء واللغويين لانهم اكتفوا من النحو بكتاب سيبويه ولم يتصدوا لتأليف كتاب يقوم مقامه . فانصرفت قرائحهم الى ما دعت اليه المدنية من الاشتغال في الادب واللغة واصبح تأليفهم في النحو من قبيل الكماليات . وان كان قد الف بعضهم فيه بين مختصر فيه او في بعض ابوابه او تعليقاً على كتاب سيبويه — فان اصحاب هذه المختصرات او التعليقات وغيرهم من الادباء صرفوا عنايتهم الى الادب واللغة

على ان بعضهم غلب عليه الاشتغال في النحو فنتكلم عنهم في هذا الباب ونذكر ما وصل الينا من مؤلفاتهم وهم :

أشهر النحاة في هذا العصر

١ — أبو عثمان المازني

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو ابو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني من أهل البصرة . أخذ عن ابي عبيدة والاصمعي واليه انتهى النحو في عصره فكان هو شيخ اهله . وله مؤلفات كثيرة في النحو والعروض لم يصلنا منها شيء . وهو الذي امتنع عن تعليم الذمي كتاب سيبويه مع ما بذله له من المال لئلا يمكنه مما حواه من الآيات . وقد عاصر الواثق بالله والمتوكل على الله وجالسهما ونال جوائزهما ومن جملتها جائزة على اعراب « أظلوم ان مصابكم رجلا * اهدى السلام تحية ظلم » في حديث طويل . وكان المازني معاصراً لابي عمر الجرمي المتوفى سنة ٢٢٥ هـ وهما عمدة النحو في البصرة يومئذ . والمازني أول من دون علم التصريف وكان قبل ذلك مندرجاً في علم النحو

وترجمته في ابن خلكان ٩٢ ج ١ ومعجم الادباء ٣٨٠ ج٢ وطبقات الادباء ٢٤٢

٢ — أبو العباس ثعلب

توفي سنة ٢٩١ هـ

هو ابو العباس احمد بن زيد بن سيار النحوي مولى بني شيبان ويعرف بثعلب ولد سنة ٢٠٠ هـ وتلقى العلم على ابن الاعرابي . وكان حجة مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم . فضلا عن النحو واللغة . وكان امام الكوفيين والبصريين في زمانه اقام في بغداد وتوفي فيها سنة ٢٩١ هـ وألف في اكثر فنون الادب نحو ٢٢ كتاباً ذهب معظمها واليك ما وصل الينا خبره منها :

١ كتاب الفصيح : ويعرف بفصيح ثعلب اختار فيه الفصيح من كلام العرب مما يجري في كلام الناس طبع ليبسك سنة ١٨٧٦ في نحو ٧٠ صفحة. وقد ألف انتقاداً عليه ابو القاسم علي بن حمزة البصري سماه كتاب التنبيه على ما في الفصيح من الغلط. منه نسخة خطية في الاسكوريال . وللشيخ ابي سهل الهروي شرح على الفصيح سماه التلويح في شرح الفصيح طبع بمصر سنة ١٢٨٩ ومعه ذيل على الفصيح لموفق الدين البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ وشرحه ايضاً ابو العباس الترمذي شرحاً سماه شرح غريب

الفصيح منه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالاستانة . وقد كتب الزجاج نقداً عليه منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية

٢ كتاب قواعد الشعر : جاء في أوله ان قواعد الشعر اربع أمرٌ ونهيٌ وخبر واستخبارٌ وأتى بامثلة عليها من أقوال الشعراء الفحول. منه نسخة خطية في الفاتيكان وقد طبع في ليدن سنة ١٨٩٠ في ٤٢ صفحة

٣ شرح ديوان زهير : منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٤ « « الاعشى : في تلك المكتبة أيضاً

٥ كتاب الامالي : ذكره صاحب المزهر وخزانة الادب. منه نسخة خطية في مكتبة برلين . وفي المكتبة الخديوية نسخة منه باسم مجالس ثعلب في ١٣٢ ورقة

أخباره في ابن خلكان ٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٢٩٣ ومعجم الادباء ١٣٣ ج ٢ والفهرست ٧٤

٣ — أبو اسحق الزجاج

توفي سنة ٣١١ ﻫ

هو ابو اسحق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج . سمي بذلك لانه كان يخرط الزجاج . تلقى العلم على المبرد وكان يدفع له الاجرة بمشقة لقلة ذات يده . ثم طلب بعضهم معلماً من المبرد فدلهم عليه وصار مؤدباً للقاسم بن عبيد الله بن سليمان فكان ذلك سبب غناه . وله مؤلفات كثيرة هاك ما بقي منها :

١ كتاب سر النحو : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط قديم جد تشتمل على باب ما ينصرف وما لا ينصرف . وفي آخره مانصه: «قرأه علي أبو جعفر احمد بن محمد مسمار في صفر سنة ٣٥١ الخ . . » ولم يرد ذكر هذا الكتاب بين مؤلفات الزجاج في الفهرست

٢ كتاب الابانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم: منه نسخة في غوطا

٣ « خلق الانسان في اللغة : وفيه اسماء أعضاء الانسان ومنه نسخ خطية في المتحف البريطاني وفي المكتبة الخديوية

٤ كتاب معاني القرآن : منه نسخ في نور عثمانية بالاستانة وفي المكتبة الخديوية

وتجد اخبار الزجاج في ابن خلكان ١١ ج ١ ومعجم الادباء ٤٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٠٨ والفهرست ٦٠

٤ — ابن الانباري

توفي سنة ٣٢٨ هـ

هو ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري من أهل الانبار. وهو غير كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ. كان ابوه ابو محمد الانباري من أهل الاخبار والنحو فتلقى ابنه العلم عنه وعن ثعلب. وكان يضرب به المثل بسرعه الخاطر وحضور البديهة. وكان قوي الذاكرة يملي علمه مما حفظه في ناحية وأبوه في ناحية أخرى من المسجد في بغداد. وكان ابن الانباري يحفظ ٣٠٠٠٠٠ بيت شعر وشاهد في القرآن وقيل كان يحفظ ١٢٠ تفسيراً للقرآن باسانيدها وذلك من غرائب الحفظ. والف في النحو واللغة والادب والقرآن والحديث. وكان يطيل التأليف فمن كتبه كتاب غريب الحديث قالوا انه ٤٥٠٠٠ ورقة وشرح الكافي ١٠٠٠ ورقة وقس عليهما. واليك ما وصلنا من كتبه :

١ كتاب الاضداد في النحو : طبع في ليدن سنة ١٨٨١ وفي مصر سنة ١٩٠٧
٢ « الزاهر : في معاني كلمات الناس. منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالاستانة وسيأتي ذكره في كلامنا عن الزاهر للزجاجي
٣ شرح المفضليات: منه نسخ خطية في ايا صوفيا ويني جامع والمكتبة الخديوية
٤ كتاب الايضاح في الوقف والابتداء: منه نسخة في المتحف البريطاني وكوبرلي
٥ كتاب الهاءات في كتاب الله : منه نسخة في باريس
وترجمته في ابن خلكان ٥٠٣ ج ١ والفهرست ٧٥

٥ — ابن ولاد

توفي سنة ٣٣٢ هـ

هو من تلاميذ الزجّاج واسمه ابو العباس احمد بن محمد بن ولاّد من اهل مصر وقد توفي فيها. وخلف كتاباً في النحو اسمه المقصور والممدود منه نسخ خطية في برلين وباريس وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٨ وهو جزيل الفائدة مرتب على حروف الهجاء

٦ — أبو جعفر النحاس

توفي سنة ٣٣٨ هـ

هو احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس من تلاميذ الزجاج. وقد يسمى الصفار. وهو غير ابن النحاس النحوي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ. اصله من مصر ورحل الى بغداد

فاخذ عن المبرد والاخفش والزجاج وغيرهم ثم عاد الى مصر فاقام بها حتى مات . وكان صاحب فضل كثير وعلم واسع وخلف مؤلفات كثيرة في اللغة والادب والقرآن لم يصلنا منها الا :

١ شرح المعلقات السبع : منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية

٢ كتاب اعراب القرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط جميل في ٢٧٧ ورقة كبيرة الحجم

٣ كتاب معاني القرآن : منه الجزء الاول فيها أيضاً

٤ ناسخ القرآن ومنسوخه : في المتحف البريطاني

وتجد ترجمة النحاس في معجم الادباء ٧٢ ج ٢ وابن خلكان ٢٩ ج ١ وطبقات الادباء ٣٦٣

٧ — أبو القاسم الزجاجي

توفي سنة ٣٣٩ هـ

هو عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي من افاضل النحاة من اهل نهاوند. أخذ عن الزجاج فنسب اليه وتولى التعليم في دمشق وطبرية ومات فيها ولم يذكر له الفهرست الا كتاباً في القوافي لم نقف عليه . وقد وصل الينا مما ينسب اليه :

١ كتاب الجمل في النحو : هو أهم مؤلفاته منه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا . وله شروح منها شرح ابن العريف منه نسخة في المكتبة الخديوية . وقد شرحه البطليوسي وانتقده هو وغيره : ومنها شرح لابن الضائع منه نسخة في المكتبة الخديوية قديمة الخط

٢ الزاهر : جمع فيه الفاظ الزاهر للانباري المتقدم ذكره والفاخر للمفضل ابن سلمة الآتي ذكره مع تنقيح وتهذيب . منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية في ١٧٩ ورقة

٣ الامالي في اللغة : طبع بمصر سنة ١٣٢٤

وترجمته في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ وطبقات الادباء ٣٧٩ والفهرست ٨٠

وهناك طائفة من النحاة نبغوا في هذا العصر اغضينا عن تراجمهم لانهم لم يصلنا من كتبهم مايستحق الذكر كابن الحائك وابي عمرو الزاهد والحامض واليزيدي وابن السراج ونفطويه والمنذري والاخفش الاصغر وابن المرزبان وعمر الجرمي وغيرهم

مذاهب البصريين والكوفيين

في النحو

وفي هذا العصر وما بعده احتدم الجدال بين البصريين والكوفيين في قواعد النحو واختلفوا في كثير من احكامه وشروطه. وقد الف في ذلك الاختلاف كثيرون اشهرهم كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ ه الف كتابا في « الانصاف في مسائل الخلاف » وابو البقاء العكبري الف كتاب « التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » وقد لخص جلال الدين السيوطي ذلك عن هذين الكتابين في الجزء الثاني من كتابه الاشباه والنظائر . وهو مطبوع في حيدر اباد الهند سنة ١٣١٧ ه في أربعة مجلدات . وبلغ ما جمعه من مسائل الخلاف فيه مائة مسئلة ومسألتين — هذه أمثلة منها :

عند البصريين	عند الكوفيين
الاسم مشتق من السمو	الاسم مشتق من الوسم
الاسماء الستة معربة في مكان واحد	معربة في مكانين
الفعل مشتق من المصدر	المصدر مشتق من الفعل
الاسم المنتهي بتاء التأنيث كطلحة لا يجمع بالواو والنون	يجمع
فعل الامر مبني	معرب
المبتدا مرتفع بالابتداء	المبتدا يرفعه الخبر
الخبر اذا كان اسماً مختصاً لا يتضمن ضميراً	يتضمن
يجوز تقديم الخبر على المبتدا	لا يجوز
لا يقام مقام الفاعل الظرف والمجرور مع وجود المفعول	يقام
نعم وبئس فعلان مبنيان	اسمان
لا يبنى فعل التعجب من الالوان	يبنى من السواد والبياض
يجوز تقديم خبر ليس عليها	لا يجوز
لا يجوز دخول نون التوكيد على خبر لكن	يجوز
لا يجوز تقديم الاستثناء في اول الكلام	يجوز
يقال قبضت الخمسة عشر درهما ولا يقال الخمسة العشر درهما	يجوز

اللغة واللغويون

في العصر العباسي الثاني

وقد يعدُّ لغويو هذا العصر أيضاً من النحاة أو الادباء لكننا افردناهم لاشتغالهم على الاكثر في اللغة . نعني الالفاظ من قبيل المعاجم أو ما هو في سبيلها . ويقال بالاجمال ان المعاجم اللغوية لم تنضج الا في العصر الآتي . على ان علماء هذا العصر مهدوا السبيل لذلك أكثر ممن تقدمهم من أهل العصور السابقة . فألف بعضهم كتباً تشبه المعاجم كما سترى في تراجمهم وآثارهم وهم :

١ — أبو عمرو الهروى

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو ابو عمرو شمر بن حمدوية الهروي كان ثقة عالماً حافظاً للغريب راوية للاشعار والاخبار . ولم يصلنا من كتبه شيء وانما ذكرناه لانه الف معجما في اللغة بدأ فيه بحرف الجيم على ترتيب الخليل لم يسبقه أحد الى مثله . ولكنه ضاع ولم يبق الا خبره وقد ذكره صاحب طبقات الادباء (صفحة ٢٦٠) في ترجمة المؤلف

٢ — أبو حاتم السجستاني

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني كان عالماً باللغة والشعر . أخذ عن ابي زيد وابي عبيدة والاصمعي ولم يكن حاذقا في النحو لكنه كثير التأليف للكتب . ذكر له صاحب الفهرست ٣٢ مؤلفاً اكثرها في اللغة من باب المعاني المجتمعة في أصل مشترك تدخل في باب واحد ككتاب الحشرات وكتاب خلق الانسان وكتب الوحوش والسيوف والابل والجراد والكرم ونحوها . وليست هي من قبيل وصف هذه الموجودات الطبيعي أو الطبي أو الزراعي وانما يراد بها الوجهة اللغوية لتمييز المسميات باسمائها — واليك ما وصل الينا من كتبه :

١ كتاب المعمرين : هو من كتب التاريخ فيه تراجم الذين عمروا من الرجال في الجاهلية مع طرف مما قالوه في منتهى اعمارهم . وبلغ عددهم مئة وعشرة رجال في

جملتهم طائفة من الشعراء كعبيد بن الابرص ولبيد وعمرو بن قميئة وجماعة من السادة والفرسان كاكثم بن صيفي وعامر بن الظرب ودريد بن الصمة وزهير بن جناب وغيرهم . والكتاب رواية ابي روق الهمداني . لم يذكره صاحب الفهرست بين مؤلفات السجستاني . طبع ليدن سنة ١٨٩٩ بعناية المستشرق غولتزير في ٢٨١ صفحة منها ١٠٣ صفحات للاصل والباقي للمقدمة والتعاليق . وطبع أيضاً بمصر سنة ١٩٠٥

٢ كتاب النخلة : طبع في بالرمو بايطاليا سنة ١٨٣٧ وفي رومية سنة ١٨٩١ ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وتجد ترجمة ابي حاتم السجستاني في طبقات الادباء ٢٥١ والفهرست ٥٨ وابن خلكان ٢١٨ ج ١

٣ ـ أبو العباس المبرد

توفي سنة ٢٨٥ ﻫ

هو ابو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالي نسبة الى ثمالة قبيلة من الازد ويعرف بالمبرد ولد سنة ٢١٠ ﻫ في البصرة وانتقل الى بغداد وكان شيخ أهل النحو والعربية . واليه انتهى علمهما بعد طبقة عمر الجرمي وابى عثمان المازني . واخذ النحو عنهما وعن غيرهما

وكان قوي الذاكرة كثير الحفظ معاصراً لثعلب المتقدم ذكره . وجرت بينهما منازعات ومعارضات . وبهما ختم تاريخ الادباء [1] وكان المبرّد يحب الاجتماع بثعلب وهذا يكره ذلك لان المبرد كان حسن العبارة فصيح اللسان وثعلب مذهبه مذهب المعلمين فاذا اجتمعا في محفل حكم للمبرّد . وكان المبرد كثير الامالي يملي علمه على الطلبة أو على من يدوّنه — ومنها سميت الامالي. وقد ذكر له صاحب الفهرست ٤٤ مؤلفاً في الادب واللغة والنحو والعروض والبلاغة والقرآن وغير ذلك وهاك ما وصلنا منها :

١ الكامل : هو كتاب في الادب وصفه المبرد بقوله «هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب بين منثور ومنظوم وشعر ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار خطبة شريفة ورسالة بليغة . والنية ان يفسر كل ما يقع فيه من كلام غريب أو

(١) ابن خلكان ٥٩٥ ج ١

معنى مغلق » فهو يعدُّ من كتب اللغـة الممهدة للمعاجم . وفيـه كثير من الفوائد التاريخية . أهمها فصل في الخوارج يحوي حقائق هامة من تاريخ بني امية. وقد طبع الكامل في ليبسك سنة ١٨٦٤ وفي الاستانة سنة ١٢٨٦ هـ وفي مصر سنة ١٣٠٨

٢ كتاب المقتضب : عليـه شرح لسعد الله الفارقي المتوفى سنة ٣٩١ هـ منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٣ كتاب التعازي والمراثي : منه نسخة خطية فى الاسكوريال

٤ رسالة في الجواب على سؤال وجهه اليـه الواثق بشأن الشعر والنثر . منه نسخة خطية في مكتبة مونيخ واخرى في برلين

وترجمته في ابن خلـكان ٤٩٥ ج ١ وطبقات الادباء ٢٧٩ الفهرست ٥٩

٤ ــ المفضل بن سلمة

في أواخر القرن الثالث

هو أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم اللغوي . وكثيراً ما يقع الالتباس بينه وبين المفضل بن محمد الضبي الاديب المتقدم ذكره. ولعل السبب في ذلك ما يجدونه في ترجمة ابنه محمد في ابن خلـكان اذ زاد في نسبه هناك لفظ «الضبي» ونظن ذلك سهواً من ابن خلـكان أو من النساخ . لان نسبه في الفهرست وفي طبقات الادباء ليس فيه لفظ «الضبي» ويؤيد ذلك أن ابن خلـكان لم يترجم المفضل الضبي الاديب. ووقع في ما نقله ابن خلـكان من ترجمة المفضل بن سلمة تشويش في اسماء مؤلفاته فجاء اسم كتاب الفاخر «المفاخر» وكتاب البارع «التاريخ» وهو خطأ في النسخ أو الطبع . والمفضل بن سلمة من لغويي العصر العباسي الثاني على مذهب اهل الكوفة. وقد استدرك على الخليل وخطأه فى كتابه. وذكر له صاحب الفهرست نحو عشرين مؤلفاً لم يصلنا منها الا:

١ كتاب الفاخر : فى اللغـة وموضوعه معانى ما يجري على السنة العـامة فى امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معناه . فيأتي بالمثل ويشرحه نحو ما فى كتاب مجمع الامثال للميداني. منه نسخة فى كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية فى ١٤٦ صفحة كبيرة . ونسخة أخرى من جملة كتب زكي باشا فى ١٣٥ ورقة

٢ كتاب العود والملاهي : فى آلات الطرب وهل تعاطيها يخالف التقوى. وهو يرى انه جائز واتى بالادلة على ذلك . منها نسخة فى جملة كتب زكي باشا

وترجمة المفضل فى الفهرست ٧٣ وطبقات الادباء ٢٦٥ وابن خلكان ٤٦٠ ج ١

٥ ـ ابن دريد

توفي سنة ٣٢١ هـ

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى . ولد فى البصرة سنة ٢٢٣ ونشأ وتعلم فيها . وأخذ النحو عن السجستاني والرياشي وابن أخي الاصمعي . وانتقل عند ظهور الزنج الى عمان أقام فيها ١٢ سنة وعاد الى البصرة . ثم رحل الى نواحي فارس وصحب ابني ميكال وهما يومئذ على عمالة فارس وألف لهما كتاب الجمهرة الآتي ذكره . فقلداه الديوان وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ أمرٌ الا بعد توقيعه. ثم انتقل الى بغداد سنة ٣٠٨ هـ بعد عزل ابني ميكال عن فارس. فاجرى عليه الخليفة المقتدر خمسين ديناراً فى الشهر الى وفاته سنة ٣٢١

وقد نبغ ابن دريد فى اللغة وكان من أكابرها مقدماً بها وبالانساب والاشعار. وكان شاعراً كثير الشعر وله المقصورة المشهورة التي مدح بها الشاه ابن ميكال وولديه مطلعها :

أما ترى رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

واشتعل المبيضُّ فى مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضى

عدد أبياتها ٢٢٩ بيتاً وفيها كثير من آداب العرب واخبارهم وحكمهم وامثالهم

وعارضه بها جماعة من الشعراء وشرحها كثيرون. وله قصائد اخري وانما اخترنا وضعه بين علماء اللغة لان اكثر كتبه فيها حتى قالوا انه قام مقام الخليل بن احمد فيها وأورد أشياء منها لم توجد في كتب المتقدمين.وقد ذكر له صاحب الفهرست١٩ مؤلفاً هاك ما بلغنا خبره منها :

١ المقصورة : أو كتاب المقصور والممدود قد تقدم ذكرها . طبعت مع ترجمة وشرح باللاتينية في فرانكيري سنة ١٧٧٣ وفي هردوفيكى سنة ١٧٨٦ وفي غيرها . ومنها نسخ خطية وشروح في معظم مكاتب اوربا أهمها شرح ابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وابن هشام اللخمي السبتي . وفي المكتبة الخديوية شرح المقصورة خطاً للسيد عبد القادر بن مكرم المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ واسمها الآيات المقصورات . وفي مكاتب اوربا وغيرها نسخ خطية من أشعاره الاخرى

٢ الجمهرة في اللغة : وهي أهم مؤلفاته بالنظر الى اللغة لانها معجم مرتب على أحرف الهجاء اتبع في ترتيبه ترتيب كتاب العين للخليل . فبدا بالثنائى ثم

الثلاثي فالرباعي فملحق الرباعي فالخماسي والسداسي وملحقاتهما . وجمع الالفاظ النادرة في باب مفرد. ورتب كل طائفة من تلك الالفاظ على ابجدية الخليل.وطريقة التفتيش فيه غير مألوفة عندنا فانه يأتي في باب الثلاثي مثلا في فصل العين بالاحرف الثلاثة التي أولها عين مثل « ع ل ن » ويأتي بمعانيها على اختلاف وضع أحرفها . فيقول « علن الامر يعلنه عاناً ... واللعن أصله الابعاد .. والنعل معروف ... ونعل الفرس ما أصاب الارض من حافره الخ» . وقد سماه الجمهرة لانه اختار فيه الجمهور من كلام العرب . ومنها نسخ خطية في مكاتب لندن وباريس وكوبرلي ويني جامع ونور عثمانية وايا صوفيا بالاستانة . ونسخة ناقصة في المكتبة الخديوية

٣ كتاب الاشتقاق : في أسماء القبائل والعمائر وأفخاذها وبطونها وساداتها وشعرائها وفرسانها على شكل المعاجم.وفيه فوائد لغوية.طبع في غوتنجن سنة ١٨٥٤

٤ كتاب صفة السرج واللجام : طبع في ليدن سنة ١٨٥٩

٥ كتاب الملاحن : طبع في هيدلبرج سنة ١٨٨٢ وفي مصر قريباً

٦ « المجتبى : فيه أقوال النبي موجود في المتحف البريطاني واكسفورد

٧ « السحاب والغيث وأخبار الرواد:طبع في ليدن مع كتاب السرج واللجام

وأخباره في ابن خلكان ٤٩٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٢٢ والفهرست ٦١

٦ ـ عبد الرحمن الهمذاني

توفي سنة ٣٢٧ هـ

هو عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني كان اماماً في اللغة والنحو وكاتباً لبكر بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي. له مؤلفات جزيلة الفائدة لم يصلنا منها الا:

كتاب الالفاظ الكتابية : وهو مما يستعان به في تنميق العبارة وضبط معناها لاحتوائه على مترادفات من الجمل الفصيحة كل منها مجموع في باب خاص من قبيل فقه اللغة ولكنه سابق له . وقد طبع الكتاب في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي غيرها

ومن كتب اللغة في هذا العصر كتاب المنجد لابي الحسن الهنائي المعروف بكراع في أوائل القرن الرابع للهجرة رتبه على ستة أبواب في أعضاء البدن وأصناف الحيوان والطيور والسلاح والارض منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وكتاب المنضد له أيضاً مرتب على الهجاء في المتحف البريطاني

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثاني

قد رأيت في كلامنا عن التاريخ فى العصر الماضي أن الحاجة دعت يومئذ الى وضع السيرة النبوية والانساب وأخبار الفتوح والطبقات وذكرنا أشهر من الف فيها. ويمتاز هذا العصر بكتابة التاريخ العام الشامل لاخبار القدماء والمحدثين مما لم يتعرض له أهل العصر الماضي . وانما عمد أهل هذا العصر الى التأليف فيه بعد أن اطلعوا على ما نقل من نوعه الى العربية من كتب الفرس [1] وبعد اتساع معارف القوم على أثر ترجمة كتب العلم القديمة عن أهم الامم. وقد تقررت أحكام الشرع فلم تبق حاجة الى الخوض فى الفتوح وأسبابها فاقتصروا على تلخيص اخبارها وتبويبها وتحقيقها وضبطها. وضعفت العصبية العربية لتسلط الاتراك وغيرهم واستقرت الانساب . فلم تبق حاجة الى الخوض فى النسب وعلومه . وشاعت عصبية الوطن بعد ذهاب عصبية النسب على أثر المنافسات بين البصرة والكوفة وبغداد والشام فاتجهت الافكار الى تأليف الكتب الخاصة في أحوال المدن وأحوال الامم

وهناك ضرب من التاريخ تخلف عن علم الادب أو تفرع عنه نعني أخبار العرب وأيامهم وأشعارهم وشعراءهم وسائر أحوالهم. فهذه كانت داخلة في علم الادب لعلاقتها باللغة والشعر فلما اتسعت معارف الناس وتولدت العلوم اللسانية بالتفرع عن الادب كما تقدم كان من جملة فروعه ما تخلف عن الاخبار التي كانوا يأتون بها لاثبات معنى كلمة أو تعبير أو شعر او نحو ذلك . وتوسعوا فيه فصار تاريخاً لكنه مقصور على أخبار العرب وبلادهم . وكتاب هذا التاريخ يجوز ادخالهم فى جملة علماء الادب كالاصمعي وأبي عبيدة وانما جعلناهم فى جملة المؤرخين لبيان عمل ناموس الارتقاء في التفرع والتنوع

فالمؤرخون في هذا العصر ينقسمون الى أربعة أقسام ١ مؤرخو الفتوح ٢ أخبار العرب وأحوالهم وشعرائهم والانساب والطبقات وغيرها ٣ تاريخ البلدان والامم أي تاريخ كل بلد أو أمة على حدة — أو التاريخ الخاص ٤ التاريخ العام . واليك أشهر من الف في كل قسم من هذه الاقسام على هذا الترتيب حسب سنة الوفاة

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٥٦ ج ٣

أولاً — مؤرخو الفتوح

في هذا العصر ختم تاريخ الفتح الاسلامي لذهاب الحاجة اليه بالفراغ من الفتوح الا ما كتبوه في فتح بعض المدن او الممالك بعد فتح بيت المقدس او نحوه او نقل ما مضى . وهاك اشهر مؤرخي الفتوح

١ — ابن عبد الحكم

توفي سنة ٢٥٧ هـ

هو آخر من دون الفتوح الاسلامية الخاصة في صدر الاسلام . واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم من اهل مصر . كان ابوه المتوفى سنة ٢١٤ فقيهاً من اصحاب مالك وأفضت اليه رئاسة المالكية وكان غنياً وجيهاً . وفي ايامه اتى الامام الشافعي الى مصر فدفع اليه الف دينار واخذ له من ابن عسامة التاجر . الف دينار ومن رجلين آخرين الف دينار . وكان لعبد الله هذا ولدان محمد صحب الامام الشافعي . والاخر عبدالرحمن الذي نحن في صدده وله مؤلف واحد كبير اسمه «فتوح مصر والمغرب والاندلس » منه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد نشرت منه قطعة عن فتح افريقية طبعت في غوتنجن سنة ١٨٥٦ وقطعة اخرى عن فتح الاندلس طبعت في لندن سنة ١٨٥٨ مع ترجمة انكليزية . وهو تحت الطبع كله الآن بادراة لجنة تذكار جيب الانكليزية في لندن . واخباره في ابن خلكان ٢٤٨ ج ١

٢ — البلاذري

توفي سنة ٢٧٩ هـ

اسمه أبو جعفر احمد بن يحي بن جابر البلاذري . وهو خاتمة مؤرخي الفتح ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة ونشأ في بغداد وتقرب من المتوكل والمستعين والمعتز . وعهد اليه هذا بتثقيف ابنه عبد الله الشاعر المشهور . وكان شاعراً وكاتباً ومترجماً ينقل من الفارسية الى العربية . ومن شعره بيتان مدح بهما المستعين هما :

ولو أن برد المصطفى اذ حويته يظنُّ لظنَّ البرد انك صاحبه
وقال وقد أعطيته فلبسته نعم هذه أعطافه ومناكبه

وذكر صاحب الفهرست انه وسوس في آخر أيامه فاخذ الى البيمارستان لانه شرب ثمر البلاذر على غير معرفة ومنه اسمه . ومات على الاغلب سنة ٢٧٩ أول أيام المعتضد وله مؤلفات أهمها :

١ فتوح البلدان : هو أشهر كتبه ويظهر انه مختصر من كتاب أطول منه كان قد أخذ في تأليفه وسماه «كتاب البلدان الكبير» لم يتمه فاكتفى بهذا المختصر. وهو يدخل في ٥٠ صفحة ذكر فيها أخبار الفتوح الاسلامية من أيام النبي الى آخرها بلداً بلداً لم يفرط في شيء منها مع التحقيق اللازم واعتدال الخطة. وضمنه فضلا عن الفتوح ابحاثاً عمرانية أو سياسية يندر العثور عليها في كتب التاريخ كاحكام الخراج أو العطاء وأمر الخاتم والنقود والخط ونحو ذلك . وقد طبع الكتاب في ليدن سنة ١٨٧٠ بعناية المستشرق ذي غويه . ونشرته في مصر شركة طبع الكتب العربية سنة ١٩٠١ وهو أجمع كتب الفتوح وأصحها

٢ أنساب الاشراف : ويسمى أيضاً الاخبار والانساب وهو مطول في ٢٠ مجلداً لم يتم . وكان ضائعاً فعثر المستشرق الالماني اهلوارت في مكتبة شيفر المستشرق على الجزء الحادي عشر من كتاب في التاريخ ليس عليه اسم فرجح انه من أجزاء كتاب البلاذري الذي نحن في صدده . فطبعه في غريزوالد سنة ١٨٨٣ على الحجر بخطه في ٤٥٠ صفحة. وفيه كثير من أخبار بني أمية في زمن عبد الملك والوليد . ويدخل في ذلك تفاصيل وقائع مصعب بن الزبير واخيه عبد الله واخبار الخوارج

وترجمة البلاذري في الفهرست ١١٣ وفي صدر طبعة فتوح البلدان

ثانياً ـ مؤرخو جزيرة العرب

يدخل في هذا الباب من انصرف من الرواة والادباء الى التاريخ فكتب فيه . والغالب في هؤلاء أن يكون ما يكتبوبه مقصوراً على أخبار العرب وأيامهم وقبائلهم وسائر احوالهم ويدخل في ذلك ايضاً أنساب العرب . لان الانساب بعد ذهاب دولة العرب وتغير وجه العطاء على القبائل لم يبق لها شأن سياسي حيوي. وبعد أن كان ثبوت نسب الرجل في قبيلة يدرّ عليه المال أصبح مقصوراً على التفاخر بالاجداد . فصارت الكتابة فيه من قبيل العلم ولم ينقطع له كاتب كما حدث في أوائل الدولة فاصبح من جملة أخبار العرب . ويدخل في هذا الباب أيضاً اخبار القبائل وحروبها وأيامها وتراجم المشاهير من الشعراء والنحاة أو ما يتألف من ذلك كالطبقات ونحوها وهاك أشهرهم :

١ — محمد بن حبيب

توفي سنة ٢٤٥هـ

هو ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية مولى بني العباس . كان من علماء بغداد بالانساب والاخبار واللغة والشعر والقبائل . روى عن ابن الاعرابي وقطرب وابي عبيدة وكان مؤدبا . وقد الف كتباً كثيرة ذكر منها ابن النديم ٣٣ كتابا في الامثال والقبائل والانساب والتاريخ واللغة وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ كتاب القبائل والايام الكبير : هو اهم كتبه الفه للفتح بن خاقان وقد رآه ابن النديم صاحب الفهرست وقال في وصفه : « رأيت النسخة بعينها عند ابي القاسم ابن أبي الخطاب بن الفرات في طاحي نيف وعشرين جزءاً وكانت تدل على انها نحو من اربعين جزءاً في كل جزء ٢٠٠ ورقة واكثر . ولهذه النسخة فهرست لما تحتوي عليه من القبائل والايام بخط التستري بن علي الوراق في طلحي نحو ١٥ ورقة» لكن هذا الكتاب فقد وانما ذكرناه لاهميته لعل أحدا يعرف وجود شيء منه في بعض المكاتب

٢ مختلف القبائل ومؤتلفها : أو المؤتلف والمختلف في النسب . الغرض منه بيان اسماء القبائل المتشابهة لفظا المختلفة نسباً وضبط لفظها جيدا . وهو جزيل الفائدة مع صغره . طبعه وروستنفيلد في غوتنجن سنة ١٨٥٠

٣ كتاب من نسب الى امه من الشعراء : لم يذكره صاحب الفهرست بهذا الاسم . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية رواية عثمان بن جني

٤ كتاب المحبر : وهو يشتمل على خلاصات تاريخية عن النبي والصحابة والخلفاء منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٥ كتاب المغتالين : منه نسخة خطية في جملة كتب زكي باشا . ويسمى ايضاً كتاب من قتل غيلة . وترجمة محمد بن حبيب في الفهرست ١٠٦

٢ — الزبير بن بكار

توفي سنة ٢٥٦ هـ

هو ابو عبد الله الزبير بن بكار ويتصل نسبه بعبد الله بن الزبير بن العوام . كان من أعيان العلماء في المدينة ولد سنه ١٧٢هـ وتولى القضاء في مكة ودخل بغداد مراراً

آخرها سنة ٢٥٣ هـ وتوفي في مكة وهو قاض عليها سنة ٢٥٦ هـ وكان شاعراً أديباً جليل القدر . بعث المتوكل في طلبه لتأديب ولده وامر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت وعشرة ابغل يحمل عليها رحله الى سر من رأى

ذكر له صاحب الفهرست ٣٣مؤلفا في النسب والوفود والنوادر واخبار الشعراء ونحو ذلك — واليك ما وصل الينا منها :

١ كتاب نسب قريش واخبارهم : منه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد (بودليان) وفي كوبرلي بالاستانة

٢ الموفقيات : هي قطع تاريخية ألفها لتلميذه الموفق بن المتوكل في ١٩ جزءاً لم تصلنا منها الا اربعة اجزاء من١٦—١٩ طبعها ووستنفيلد في غوتنجن سنة ١٨٧٨

وترجمة ابن بكار في ابن خلكان ١٨٩ ج ١ والفهرست ١١٠

٣— عمر بن شبة

توفي سنة ٢٦٢ هـ

هو ابو زيد عمر بن شبة ويقال له ابن ربطة النميري لانه كان مولى لبني نمير ولد سنة ١٧٣ هـ ونشأ في البصرة شاعراً اخباريا راوية صادق اللهجة . وتوفي في سر من راى سنة ٢٦٢ هـ وقد الف كتبا كثيرة ذكر منها صاحب الفهرست ٢٢ كتابا في وصف البصرة والكوفة ومكة وامرائها وغير ذلك ضاعت كلها الا كتابا وقفنا عليه في المكتبة الخديوية خطا اسمه « الجمهرة » ينسب اليه ولم يذكر في مؤلفاته بهذا الاسم . وهو يشتمل على اخبار العرب العرباء وشيء من ايامهم وأشعارهم وحروبهم قبل الاسلام مع الفرس والروم واليمن،واكثر روايته عن ابن نافع وابن اسحق . وهو من قبيل القصص التاريخية . وسنفرد فصلا خاصا بهذا الموضوع فيما يلي من هذا الكتاب

وترجمة ابن شبة في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ والفهرست ١١٢

ويدخل في هذا النوع من التاريخ كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . وسائر تراجم الشعراء لابن السكري وكتاب المعمرين للسجستاني وقد ذكرت في اماكنها

ثالثاً — التواريخ الخاصة

في العصر العباسي الثاني

ونريد بها تواريخ البلدان والامم والقبائل والطوائف كل منها على حدة كتاريخ دمشق وتاريخ بغداد او قريش أو القبط أو الروم أو نحو ذلك . والتأليف فيها قديم عند العرب حتى قبل الاسلام. فقد ذكر المسعودي ان عدي بن زيد العبادي الف في تاريخ الروم واقتبس المسعودي منه . وقد الف بعضهم في ايام بني امية والف غيرهم في هذا العصر لكن اكثر ما ألفوه ضاع كتاريخ مرو لابن سيار وتاريخ البصرة والكوفة لابن شبة وتاريخ واسط لاسلم بن سهل وتاريخ اصفهان ليحيي بن منده وغيرها

وهاك اشهر من وصل الينا شيء من تواريخهم الخاصة الى آخر هذا العصر :

١ — الازرقي

اسمه ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد الازرقي : له كتاب اخبار ايام مكة . عني بطبعه ووستنفيلد في ليبسك سنه ١٨٥٨ في جملة مجموعة مؤلفة من اربعة اجزاء سماها اخبار مكة استغرق طبعها ٣ سنوات (١٨٥٨—١٨٦١) اهم ما فيها كتاب الازرقي المذكور . ومقتبسات من تاريخ مكة لمحمد الفاكهي . ومن شفاء الغرام لتقي الدين الفاسي . ومن كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام للنهرواني وغيرهم . وهي احسن مجموعة في اخبار مكة الى القرن السادس للهجرة

وترجمة الازرقي في الفهرست ١١٢

٢ — ابن طيفور

توفي سنة ٢٨٠ هـ

هو ابوالفضل احمد بن ابي طاهر واسم ابي طاهر طيفور اصله من ابناء خراسان من أولاد الدولة. ولد في بغداد وكان مؤدب كتاب عاميا ثم اشتغل بالتأليف واشتهر به ونبغ نبوغا عظيما . ذكر له صاحب الفهرست خمسين كتابا لم يبق منها الا النزر اليسير اهمها :

١ تاريخ بغداد . هو اقدم ما وقفنا عليه من تاريخها . ولكن لم يصلنا منه الا الجزء السادس استخرجه الدكتور كيلر الالماني من مخطوطات لندن وطبعه على الحجر

في ليبسك سنة ١٩٠٨ وعلق عليه الملاحظات مع ترجمة المانية . ويحتوي على تاريخ المأمون من شخوصه الى بغداد سنة ٢٠٤ هـ الى وفاته

٢ كتاب المنثور والمنظوم : هو اختيارات من احسن ما نظم أو نثر في العربية الى عصره في بضعة عشر جزءاً. راينا منها ثلاثة اجزاء في المكتبة الخديوية (١١و١٢و١٣) كل منها نحو الف صفحة كبيرة . ومنها بضعة اجزاء في لندن

٣ بلاغات النساء : طبع في مصر ١٩٠٧

وتجد ترجمة ابن طيفور في معجم الادباء ١٥٢ ج ١ والفهرست ١٤٦

أما الكتب الخاصة بتواريخ الامم فان ابا الحسن المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ الف كتباً جمة ذكر ابن النديم عشرات منها وقد ضاعت كما ضاع سواها من امثالها

وكذلك سير الافراد مثل سيرة ابن طولون وابنه خماروية ليوسف ابن الداية المتوفى سنة ٣٣٤ هـ منه شذرات اقتبسها من أرخ مصر بعده كابن سعيد وغيره

رابعاً — التاريخ العام

في العصر العباسي الثاني

يمتاز هذا العصر عما تقدمه من العصور بظهور التاريخ العام ناضجا فيه . وكانت التواريخ قبله في مواضيع متفرقة لاغراض مختلفة . فلما اطلع المسلمون على تواريخ الامم الاخرى احبوا ان ينسجوا على منوالها . وزادت في أثناء ذلك علائق المسلمين بسواهم . فاصبح همهم النظر في التاريخ على الاجمال . فأخذوا يؤلفون التواريخ العامة التي تبدأ بالخليقة وتفرق الامم ثم تواريخ تلك الامم . وأهم ما وصلنا منها في هذا العصر خمسة كتب لخمسة من المؤرخين — اليك تراجمهم حسب سني وفاتهم مع وصف كتبهم :

١ — اليعقوبي

توفي سنة ٢٧٨ هـ

هو احمد بن ابي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي وجده من موالي المنصور. وكان رحالة يحب الاسفار . ساح في بلاد الاسلام شرقا وغربا . فكان سنة ٢٦٠ هـ في ارمينية ورحل الى الهند وعاد الى مصر وبلاد المغرب . والف في سياحته هذه كتاباً سماه كتاب البلدان وهو اقدم كتاب عربي وصل الينا في الموضوع . لم تذكر

السنة التي توفي فيها اليعقوبي ولكن يؤخذ من سياق كتبه انه توفي بعد سنة ٢٧٨

وله في التاريخ كتاب يعرف بتاريخ اليعقوبي نشره المستشرق هوتسما في ليدن سنة ١٨٨٣ في مجلدين : الاول في التاريخ القديم على العموم من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام . وتدخل فيه أخبار الاسرائيليين والسريان والهنود واليونان والرومان والفرس والنوبة والبجة والزنج والحميريين والغساسنة والمناذرة. والثاني في تاريخ الاسلام وينتهي في زمن المعتمد على الله سنة ٢٥٩ هـ وقد رتبه حسب الخلفاء . ومن مزاياه فضلا عن قدمه أن مؤلفه شيعيّ فيأتي باشياء عن العباسيين يتحاشى سواه ذكرها . وللمستشرقين ابحاث انتقادية في هذا الكتاب

وسنأتي على ذكر كتاب البلدان في باب الجغرافية

٢ — أبو حنيفة الدينوري

توفي سنة ٢٨٢ هـ

هو احمد بن داود من أهل الدينور. أخذ علمه عن البصريين والكوفيين واكثر أخذه عن ابن السكيت . وكان متفنناً في علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند . فهو يعد من النحاة أو اللغويين أيضاً ولكننا جعلناه من المؤرخين لان أهم ما وصلنا من كتبه كتاب « الاخبار الطوال » في التاريخ العام يشتمل على نحو ما اشتمل عليه كتاب اليعقوبي . لكنه اختصر في التاريخ القديم . ويمتاز بتوسعه في تاريخ بني امية وخصوصاً أخبار علي ومعاوية والخوارج والازارقة . وينتهي التاريخ المذكور بوفاة المعتصم سنة ٢٢٧ هـ وقد طبع في لندن سنة ١٨٨٨ في ٤٠٠ صفحة بعناية المستشرق جرجيس

وله مؤلفات عديدة ضاعت وفي جملتها كتاب في النبات من حيث اللغة لم نقف عليه . ولكن منه قطعاً في كتاب التنبيهات على اغلاط النحاة ونقل عنه المخصص

وترجمة أبي حنيفة الدينوري في معجم الادباء ١٢٣ ج ١ والفهرست ٧٨

٣ — ابن جرير الطبري

توفي سنة ٣١٠ هـ

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري علامة وقته وامام عصره . ولد في آمل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ ورحل في طلب العلم فجاء بغداد ثم شخص الى مصر والشام والعراق حتى استوعب العلوم . ثم استقر في بغداد يقرىء الحديث والفقه حتى مات

سنة ٣١٠ هـ ودفن هناك . كان على مذهب الامام الشافعي ثم اختار لنفسه مذهباً في الفقه تبعه فيه جماعة من العلماء وضعوا فيه الكتب. منهم علي بن عبد العزيز الدولابي ومحمد بن احمد بن ابي الثلج وابن العراد وأبو الحسن احمد بن يحيي المنجم وأبو بكر ابن كامل وغيرهم. وكل منهم الف كتباً في بسط مذهب ابن جرير الطبري ودافع عنه ورد على مخالفيه

واشتهر الطبري بقوة عارضته وفصاحة لهجته وبصبره على العمل . حتى قالوا انه قضى أربعين سنة يكتب كل يوم ٤٠ صفحة . ولا يخلو ذلك من مبالغة لكنه يشير الى كثرة عمله فان كتابيه اللذين اشتهر بهما نعني التاريخ والتفسير ذكروا أن كلاً منهما كان في أول الامر ٣٠٠٠٠ ورقة أي ٦٠٠٠٠ صفحة ثم أشار عليه تلامذته باختصارها فصارا الى ما هما عليه وقد الف التفسير قبل التاريخ . وكلٌ منهما مرجع الكتاب في موضوعه لانه استوفى الكلام فيهما . وكان ثقة يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لسعة علمه في القرآن وعلومه وباخبار الناس وأيامهم . وكان حرّ الفكر صريح القول اذا اعتقد أمراً جاهر به لايخشى في الحق لومة لائم . فبكثر اخصامه من العامة ومن يتزلفون اليهم أو يرتزقون بمرضاتهم ولا سيما الحنابلة لانه الف كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه ابن حنبل . فقيل له في ذلك فقال: «لم يكن فقيهاً وانما كان محدثاً » فعظم ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون عداً في بغداد فنقموا عليه واتهموه بالالحاد وشاركهم اكثر العامة — ولو سئلوا عن معنى الالحاد ماعرفوه.وهو لا يهمه ذلك لزهده وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلفها أبوه في طبرستان . فلما توفي في شوال سنة ٣١٠ هـ دفن في داره لان العامة اجتمعت ومنعت دفنه نهاراً .
والف كتباً ذكر منها صاحب الفهرست بضعة عشر مؤلفاً هذا ما بقي منها :

١ كتاب أخبار الرسل والملوك : ويعرف بتاريخ الطبري وهو تاريخ عام يبدأ بالخليقة وينتهي سنة ٣٠٢ هـ يدخل في عدة مجلدات صفحاتها نحو ٧٥٠٠ صفحة . وقد طبع في ليدن بعناية المستشرق دي غويه . استغرق طبعه بضع عشرة سنة من ١٨٧٩ — ١٨٩٢ في ٢٣ جزءاً. وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ١٣ مجلداً. وقد اتبع في أخباره الاسناد الى رواتها بالتسلسل لزيادة التحقيق على عادتهم في ذلك العهد . وهو عمدة المؤرخين ومرجعهم في التحقيق حتى الآن . وتغالى القوم في اقتناء هذا الكتاب حتى كان منه في خزانة العزيز الفاطمي صاحب مصر ٢٠ نسخة منها واحدة بخط المؤلف . وكان في دار العلم بمصر ١٢٠ نسخة منه . ولم يكن يتأتى اقتناؤه الا

للملوك وأهل الثروة ولما اظلم الشرق في الاجيال الوسطى وخيم الجهل احرقت المكاتب فضاعت نسخه . فلما ارادوا طبعه في لندن لم يجدوا منه نسخة كاملة في مكان واحد فاضطروا الى جمعها من عدة اماكن . وقد ترجم هذا الكتاب الى الفارسية البلعمي . وترجمه عن ترجمة البلعمي زوتنبرج الى الفرنساوية وطبعت الترجمة في سنة ١٨٧٤ في ٤ مجلدات . وترجم ايضاً بعضه الى اللغة اللاتينية وطبع في غريزوالد سنة ١٨٦٣ وترجم الى التركية وطبع في الاستانة سنة ١٢٦٠ هـ

وقد عني غير واحد بكتابة ذيل للتاريخ المذكور — منهم غريب بن سعد الكاتب القرطبي الف ذيلا على الطبري ينتهي الى سنة ٣٦٥ هـ طبع مع تاريخ الطبري في ليدن . ومحمد بن عبد الملك الهمذاني المتوفى سنة ٥٢١ هـ تمم حوادث التاريخ الى سنة ٤٨٧ سماه تكملة تاريخ الطبري ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس

٢ التفسير الكبير : سيأتي ذكره في باب التفسير

٣ تهذيب الآثار في الحديث : لم يتمه ويوجد بعضه في مكتبة كوبرلي

٤ اختلاف الفقهاء : يبحث فيما اختلف فيه الفقهاء الاربعة في بعض الاحكام كالبيع والاعتاق والايجار والزرع والكفالة وما يتفرع عن ذلك طبع بمصر سنة ١٣٢٠

وترجمة الطبري في ابن خلكان ٤٥٦ ج ١ وابن الاثير ٤٩ ج ٨ والفهرست ٢٣٤

٤ ـ ابو زيد البلخي

توفي سنة ٣٢٢ هـ

هو احمد بن سهل ولد في بلخ ونشأ في العراق وادرك الكندي الفيلسوف واخذ عنه ثم عاد الى بلاده نخدم امراءها . وكان مطلعاً على العلوم القديمة ولذلك اتخذ في مؤلفاته طريقة الفلاسفة من النقد والنظر . وكان ذلك سبباً في غضب الوجهاء عليه وبعد ان كانوا يدرون عليه الاعطية قطعوها عنه ونسبوه الى الالحاد شأنهم في كل من يتظاهر بحرية الفكر والقول . ولابي زيد عشرات من المؤلفات في مواضيع مختلفة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٨) ضاعت كلها . وقد وصلنا ما لم يذكره الفهرست بل رواه صاحب كشف الظنون او غيره وهو :

أ كتاب البدء والتاريخ : يمتاز عما تقدمه من كتب التاريخ العام بأنه اوسعها جمعاً في اخبار الخليقة وقصص الانبياء واخبار الامم القديمة . وفيه تواريخ الخلفاء الى ايامه . وقد عني بترجمته الى الفرنساوية الاستاذ هيوار المستشرق الفرنساوي

وطبع الاصل والترجمة في شالون سنة ١٩١٠

٢ صور الاقاليم : هو من قبيل الجغرافية وسنذكره بين جغرافيي العصر العباسي الثالث لانه قدوتهم في رسم الخرائط

وترجمة ابي زيد البلخي في معجم الادباء ١٤١ ج ١ والفهرست ١٣٨

٥ — ابن البطريق

المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

هو افتيخوس سعيد بن البطريق ولد سنة ٢٦٣ في الفسطاط واشتهر بالطب كما اشتهر بالتاريخ. وخلف من الآثار عدة مؤلفات وصلنا منها كتاب « نظم الجوهر » في التاريخ الفه لاخيه عيسى في معرفة التواريخ من عهد آدم الى سني الهجرة وينتهي الى سنة ٣٢١ هـ من الدولة العباسية . وهي السنة التي صار فيها المؤلف بطريركا على مدينة الاسكندرية على مذهب الملكية. وقد طبع كتابه هذه في اكسفورد سنة ١٦٥٩ مع ترجمة لاتينية لادوار بوكوك المستشرق في مجلدين صفحاتهما نحو ١١٠٠ صفحة . وطبعت قطع منه في بطرسبرج سنة ١٨٨٣ . وفيه كثير من أخبار النصارى وأعيادهم وذكر البطاركة وأحوالهم ومدة حياتهم وما جرى لهم . وقد ذيل هذا الكتاب يحيى ابن سعيد بن يحيى الانطاكي بكتاب سماه « تاريخ الذيل » طبعه روزن المستشرق الروسي في بطرسبرج سنة ١٨٨٣ مع ترجمة وتعاليق في اللغة الروسية اضعاف الاصل العربي — فجاء الكتاب المطبوع في نيف وخمسمائة صفحة منها ٧٠ فقط للاصل العربي

وترجمة سعيد بن البطريق في طبقات الاطباء ٨٦ ج ٢

وليست هذه كل كتب التاريخ الهامة التي الفت في هذا العصر . فان مئات منها ضاعت واكثرها في اخبار الخلفاء والوزراء والنسب واخبار المدن والدول والملوك وغير ذلك . ففي مقدمة مروج الذهب اسماء نحو مائة منها استعان بها المسعودي في تأليف ذلك الكتاب . وهو لم يذكر الا الكتب التي اشتهر مؤلفوها . وقد ضاع معظمها وفيما ضاع منها كتب هامة ككتاب التاريخ واخبار الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وغيره من تواريخ الامويين . فان اخبار هذه الدولة ضاعت في ايام بني العباس تزلفاً من الكتاب لاهل الدولة. وبعض الكتب التي ذكرها المسعودي فاتت صاحب الفهرست وقليل منها لا يزال باقياً الى الآن كتاريخ اليعقوبي والطبري

الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثاني

اسباب وضع الجغرافية عند العرب

نشأ علم الجغرافية في هذا العصر بعد نقل علوم القدماء الى العربية وفي جملتها كتاب بطليموس وعليه معولهم في تقويم البلدان . على أن المسلمين بدأوا بوضع الجغرافية قبل اطلاعهم على ذلك الكتاب لاسباب غير التي دعت اليونان الى وضعها وهي :

أولاً : الحج لان المسلمين على اختلاف بلادهم يحجون الى مكة والحج فريضة على كل مسلم . والقدوم الى مكة يفتقر الى معرفة الطرق والمنازل

ثانياً : كان المسلمون يرحلون في طلب العلم الى سائر الامصار الاسلامية والرحلة تستلزم معرفة الاماكن والمناطق

ثالثاً : ابحاثهم في تحقيق أسباب الفتح لضرب الخراج والجزية واجتناء المقاطعات وهذه أيضاً تفتقر الى تعرف البلاد وطرقها . فاضطر العرب الى التأليف في البلدان قبل هذا العصر . وأول من فعل ذلك رواة الادب وأصحاب الاخبار

فلما ترجمت الجغرافية الى العربية واطلع العرب عليها أخذوا في تأليف الكتب على مثالها وتوسعوا في ذلك وزادوا عليه ما عرفوه من قبل . ولم يكتفوا بالنقل والسماع ولكنهم ركبوا البحار وجابوا الاقطار شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وكتبوا ما شاهدوه أو تحققوه وصححوا كثيراً من مغالط بطليموس . على ان علم الجغرافية عند العرب لم ينضج الا في القرن الرابع للهجرة فتهافت الناس على التأليف فيه

ولكن علماء القرن الثالث (أو العصر العباسي الثاني) الذي نحن في صدده مهدوا السبيل للتأليف فيه من عند أنفسهم لكثرة أسفارهم في سبيل الرحلة أو لاشتغالهم في احصاء خراج المملكة وفي تعيين طرق البريد مما يقتضي معرفة الاماكن وابعادها وجهاتها ويعد ذلك من قبيل الجغرافية

وبين ما الفوه في هذا الموضوع ما هو عام شامل للمملكة الاسلامية وغيرها ونسميه « الجغرافية العامة » ومنه ما يختص ببقعة من الارض وندعوه « الجغرافية الخاصة » واليك أقدم من الف في كليهما :

مؤلفو الجغرافية العامة

١ ـ ابن خرداذبه

في أواسط القرن الثالث للهجرة

هو أبو القاسم عبيد الله بن احمد بن خرداذبه . كان خرداذبه مجوسيا واسلم على يد البرامكة. وتولى حفيده أبوالقاسم البريد والخبر بنواحي الجبل بفارس ونادم المعتمد وخصّ به . والف كتباً في أدب السماع واللهو والملاهي والشراب وجمهرة انساب الفرس والطبيخ وغيرها ولم يصلنا الا :

كتاب المسالك والممالك : ضمنه احصاء جباية المملكة العباسية في أواسط القرن الثالث وقد نشرنا ذلك الاحصاء في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٦٢ ج ٢) وهو احصاء رسمي عن الجباية والطرق والمسافات. وطبع الكتاب في ليدن سنة ١٣٠٦ ﻫ بعناية المستشرق دي غويه مع ترجمة فرنساوية . وفيه فوائد كثيرة تاريخية فضلا عن تقاسيم المملكة وطول المسافات بين البلاد

وترجمته في الفهرست ١٤٩

٢ ـ قدامة بن جعفر

وقد تقدم ذكره بين الادباء (صفحة ١٧٢) له كتاب الخراج وصنعة الكتابة لم يصلنا منه الا نحو مائة صفحة في ديوان البريد والسكك والطرق الى نواحي المشرق والمغرب والمسافات بين البلاد فضلا عن مقادير الجباية لسنة ٢٢٥ ﻫ طبعت في ليدن مع ترجمة فرنساوية . وقد نشرناها أيضاً في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٥٧ ج ٢)

٣ ـ كتاب البلدان لليعقوبي

قد تقدم ذكر اليعقوبي بين المؤرخين (صفحة ١٩٦) . أما كتاب البلدان فقد جمع فيه ماعرفه بنفسه من أحوال البلدان في عصره لانه عانى الاسفار من صغره وكان كلما رأى رجلاً من تلك البلدان بالمشرق والمغرب سأله عن وطنه ومصره وأحوال أهله وأجناسهم وأكلهم وشربهم ولباسهم والابعاد بين البلاد ومبالغ الخراج وأخبار الفتح ويدون ما وصل اليه حتى الف كتاب البلدان . فهو من أمهات الكتب لانه غير منقول عن كتاب آخر. وقد أفاض المؤلف على الخصوص في وصف بغداد كما

كانت في أيامه ووصف سامرا وتاريخها . ثم ذكر بلاد المشرق وهي في اصطلاحهم بلاد فارس شرقي العراق الى تركستان . وانتقل الى بلاد العرب فالشام فالمغرب الى الاندلس . والكتاب طبع في ليدن سنة ١٨٦١ م بعناية المستشرق جونبول . وطبع ايضاً في جملة « المكتبة الجغرافية » والمكتبة المذكورة تشتمل على ما صدر من كتب الجغرافية العربية الى أواخر القرن الرابع في ثمانية مجلدات وهي :

١ المسالك والممالك لابن خرداذبه وكتاب الخراج لقدامة ٢ كتاب البلدان لابن الفقيه ٣ كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته وكتاب البلدان لليعقوبي ٤ مسالك الممالك للاصطخري ٥ المسالك والممالك لابن حوقل ٦ احسن التقاسيم للمقدسي ٧ كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي ٨ فهرس ابجدي عمومي

طبعت كلها في ليدن بعناية المستشرق دي غويه . وقد ذكرنا بعضها ويأتي ذكر الباقي في اماكنه

٤ — ابن الفقيه

هو ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم الهمذاني ويعرف بابن الفقيه أحد اهل الادب في أواخر القرن الثالث للهجرة ولا يعرف من امره اكثر من ذلك. ذكروا له عدة كتب وصلنا منها «كتاب البلدان» الفه بعد موت المعتضد (سنة ٢٧٩ هـ) وصف به الارض والبحار في الصين والهند وبلاد العرب ومصر وبلاد المغرب والبربر والشام وفلسطين ومابين النهرين وبلاد الروم وافاض في وصف البصرة والكوفة اما بغداد فلم يرد ذكرها فيه الاعرضاً . ويقول ابن النديم : « انه أخذه من كتب الناس وسلخ كتاب الجيهاني » والجيهاني هذا وزير صاحب خراسان كان له كتاب المسالك والممالك ضاع وقام كتاب البلدان لابن الفقيه مقامه . وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٨٨٥ في جملة المكتبة الجغرافية

وتجد ترجمة ابن الفقيه في الفهرست ١٥٤ ومعجم الادباء ٦٣ ج ٢

٥ — ابن رسته

هو ابو علي أحمد بن عمر بن رسته . له كتاب اسمه الاعلاق النفيسة كتبه سنة ٢٩٠ هـ في اصبهان وهو كالموسوعة منها سبعة مجلدات في تقويم البلدان عثروا على نسخة خطية منها في المتحف البريطاني . وقد طبع مجلد منها في جملة « المكتبة الجغرافية » وهو يبحث في عجائب السموات ومركز الارض منها وحجم الارض .

ثم يصفها فيبدأ بمكة والمدينة ويصف البحار والانهار والاقاليم السبعة وخصوصاً ايران وما يليها . وفيه فصل في الاوائل الذين احدثوا الاشياء واقتدى بهم سواهم وآخر في المتشابهين في أحوال شتى والمشتركين في كنية واحدة والمشهورين من ذوي العاهات. ولهذا الكتاب ترجمة المانية طبعت سنة ١٩٠٥

مؤلفو الجغرافية الخاصة

١ — ابن الحائك

توفي سنة ٣٣٤ هـ

هو ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني من قبيلة همدان باليمن المعروف بابن الحائك المتوفى سنة ٣٣٤ بسجن صنعاء . وخلف عدة مؤلفات في الفلك والطبيعيات والجغرافية وغيرها وصلنا منها :

١ صفة جزيرة العرب خاصة : فيها فوائد هامة عن وصف جزيرة العرب وجبالها ومساكنها ومدنها ولغاتها وزراعتها ومعادنها وآثارها مما يعز العثور عليه في سواها . وقد نشر هذا الكتاب المستشرق هنري مولر في ليدن سنة ١٨٨٤ مع ملحق للشروح والتعاليق

٢ كتاب الاكليل : ولابن الحائك هذا كتاب جزيل الفائدة في وصف اليمن وآثارها اسمه « الاكليل » في انساب حمير وملوكها يدخل في عدة اجزاء يشتمل على عشرة فنون في جملتها ابحاث في القرانات وعلم الطبيعة واحكام النجوم وآراء الاوائل وغير ذلك لم يقف الباحثون الا على جزء نشره المستشرق مولر المذكور مع ترجمة المانية وتعاليق . وقد اقتبسنا كثيرا منه في كتابنا « العرب قبل الاسلام » لانه يصف قصور اليمن ومحافدها في صنعاء ومأرب مما شاهده بنفسه في مكان السد وكيفية توزع المياه

وترجمة ابن الحائك في اخبار الحكماء لابن القفطي ١١٣ ومعجم الادباء ٩ ج٣

٢ — ابن فضلان

هو احمد بن فضلان مولى محمد بن سليمان انفذه المقتدر العباسي سنة ٣٠٩ هـ الى ملك الصقالبة بمهمة فكتب رحلة عرفت باسمه ذكر فيها ما شاهده منذ انفصل من بغداد الى ان عاد اليها وفيها وصف البلغار وعاداتهم وغير ذلك . وهي مطبوعة في بطرسبرج سنة ١٨٢٣ مع ترجمة روسية. ونشرها ياقوت في معجم البلدان في مادة بلغار

٣ ـ سلسلة تواريخ

هو كتاب جزيل الفائدة . ليس هو تاريخاً كما يؤخذ من اسمه وانما هو رحلة أو رحلات في الهند والصين واقصى الشرق لغير واحد من تجار العرب في القرن الثالث للهجرة. أحدهم يدعى سليمان سافر بنفسه الى الهند والصين ووصف ما شاهده وعلمه من أحوال التجارة وبعض أصنافها . والآخر أبو زيد حسن من أهل سيراف أكثر ما ذكره منقول عن تجار آخرين من العرب ارتادوا الشرق الاقصى حتى بلغوا الصين . وقد التقى أبو زيد هذا بالمسعودي المؤرخ وتبادلا الاخبار كما يظهر مما ذكره في مروج الذهب عن بحر الهند وعجائبه بالمقابلة على ما في هذه الرحلة

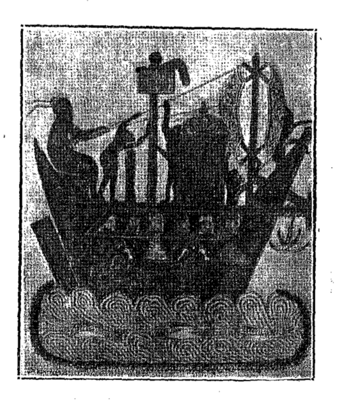
وبالجملة ان هذا الكتاب يبين ما بلغ اليه العرب في تجاراتهم وأسفارهم في القرن الثالث للهجرة . وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٥ مع ترجمة فرنساوية ومقدمة انتقادية لرينو المستشرق الفرنساوي

٤ — بزرك بن شهريار

صاحب عجائب الهند

هذا أيضاً كتاب هام لانه يشتمل على ما كان يعرفه العرب في القرن الثالث للهجرة وأوائل الرابع من بلاد الشرق الاقصى بين شواطىء بلاد العرب والهند والزنج الى الصين.ومؤلفه بزرك بن شهريار فارسي لكنه كتب تلك العجائب بالعربية — لغة الادب والسياسة والدين عندهم في أوائل القرن الرابع للهجرة. نقلا عما سمعه من جوّاب البحار واكثرهم من السيرافيين الذين كانوا ينقلون التجارة بين شواطىء البحر المحيط . وقد نسب كل قول الى قائله وسماه باسمه وعين السنة التي حدثه بها أو روى وقوع الخبر فيها . ويتخلل رواياته مبالغات بعيدة الحدوث في نظر أهل هذا الزمان. لكنه يروي ماسمعه على علاته وفي جملة ذلك أسماك وطيور هائلة الحجم تخالف ما عرفناه من أحكام التاريخ الطبيعي • ولا يطعن ذلك بما يحويه الكتاب من الحقائق لان أهل ذلك العصر معذورون في تصديق مايسمعونه من المبالغات • ولم يكن ذلك خاصاً بالعرب أو الشرقيين بل هو يتناول سائر الامم • وعند الافرنج من أخبار أجيالهم الوسطى ما لا يقل غرابة عن خرافات الف ليلة وليلة • وسنعود الى ذلك في مكان آخر

أما كتاب عجائب الهند الذي نحن في صدده فنه نسخة خطية في مكتبة ايا صوفيا قديمة جداً وعنها نقلت نسخة طبعت في ليدن سنة ١٨٨٦ بعناية المستشرق فان درليت مع ترجمة فرنساوية لمارسل دفيك . وفي هـذه الطبعة أربع صور ملونة منقولة عن مسودّات مقامات الحريري في مكتبة المستشرق شيفر تمثل أسفار العرب في البحار لذلك العهد — وهذه صورة سفينة منها



ش ١٠ : سفينة عربية جلس ربانها على دكة الى اليسار ليدير الشراع بالامراس وفي وسطها مقعد مرتفع يجلس عليه الديدبان



العلوم الاسلامية الشرعية

في العصر العباسي الثاني

قد رأيت أن الفقه توطدت قواعده في العصر الماضي والعلوم الدخيلة لا تزال في أول نقلها ولم تتمكن من نفوس الناس. أما في هذا العصر فكانت قد انتشرت الفلسفة والطبيعيات والمنطق فغيرت كثيراً من الآراء وتولدت مذاهب في الفقه لم تكن من قبل وتفرع مذهب الاعتزال ونشأ علم الكلام أو التوحيد واليك تاريخ ذلك

علم الكلام أو التوحيد

هو حادث بعد الفقه وسبب وضعه انه ورد في القرآن وصف الاله بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل . وقد فسرها صاحب الشريعة الاسلامية والصحابة والتابعون على ظاهرها . وورد في القرآن ايضاً آيات أخرى توهم التشبيه مرة في الذات ومرة في الصفات، ورأى الاولون ذلك الخلاف فغلب في معتقدهم تفضيل التنزيه لكثرة أدلته ووضوح دلالتها وتابعهم الاكثرون . غير أن جماعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه في الذات فاعتقدوا في الله صفات الآدميين كاليد والقدم والوجه عملا بظواهر وردت في بعض الآيات فوقعوا في التجسيم الصريح وخالفوا التنزيه المطلق . وأخذوا يكتبون ويقولون اقوالا كثيرة مخالفة لرأي الجمهور . فنهض أهل السنة وهم التابعون لاقوال الصحابة وجاءوا بالادلة العقلية على هذه العقائد دفعاً لتلك البدع وهو علم الكلام أو التوحيد . وفي أثناء ذلك نقلت كتب اليونان الى العربية فاحبها المسلمون وعكفوا على مطالعتها فانتشرت فلسفة اليونان فى الاسلام وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها وأكثروا من النظر فيها فتوسعوا فيما ارادوه منها من تقوية الحجة والجدال فيما كانوا فيه . فازداد كل منهم تمسكا بمذهبه وعظمت الفتنة بسبب ذلك وانتشرت تلك المذاهب بين المسلمين انتشاراً عظيما وهي الى ذلك العهد : مذاهب القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والرافضة والقرامطة والباطنية

وما زالت الحال كذلك الى أن ظهر ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري فسلك طريقاً وسطاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذي هو مذهب أهل التجسيم. فمال اليه جماعة وعولوا على رأيه لما فيه من التسوية بين سائر الآراء ووافقه جماعة كبيرة من نخبة علماء تلك الاعصر وهم الاشعرية مما يطول بنا الكلام فيه

علماء الكلام

اقدم من الف في علم الكلام الامام ابو حنفية فان كتابه الفقه الاكبر يعد من هذا القبيل وقد تقدم ذكره في كلامنا عن مؤلفاته في الفقه صفحة ١٣٩

٢ ابو حذيفة واصل بن عطاء الغزال المتوفى سنة ١٨١ هـ وكان من الائمة البلغاء المتكلمين وكان يلثغ بالراء لكنه كان لبراعته واقتداره يخاص كلامه من الراء فلا يفطن لذلك احد . ترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ٢

٣ ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٣٥هـ وكان شيخ البصريين في الاعتزال وكان حسن الجدال قوي الحجة كثير الاستعمال للادلة . ومما يروى عنه من هذا القبيل انه لقي صالح بن عبد القدوس وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه فقال له ابو الهذيل : « لا أعرف لجزعك عليه وجها اذا كان الانسان عندك كالزرع » قال صالح : «يا أبا الهذيل انما اجزع عليه لانه لم يقرأ كتاب الشكوك » فقال له: «كتاب الشكوك ما هو ياصالح» قال: «هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان » فقال ابو الهذيل:«فشك انت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات وشك ايضا في قراءته كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه » . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج ١

٤ ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي: توفي سنة ٣٠٣هـ وكان امام المتكلمين في عصره اخذ علم الكلام عن ابي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة وله مقالات في مذاهب العلماء . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج١

٥ ابو الحسن الاشعري : توفي ببغداد سنة ٣٣٣هـ سمع زكريا الساجي وابا خليفة الجمحي وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقري وعبد الرحمن بن خلف الضبي المصري . وروى عنهم في تفسيره كثيرا وتلمذ لزوج امه ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي واقتدى برأيه في الاعتزال عدة سنين حتى صار من ائمة المعتزلة . ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة وصعد يوم الجمعة بجامع البصرة كرسيا ونادى باعلى صوته : «من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني اعرفه بنفسي انا فلان بن فلان كنت اقول بخلق القرآن وان الله لايرى بالابصار وان افعال الشر انا افعلها، وانا تائب مقلع معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم ومعايبهم » وأخذ من حينئذ في الرد عليهم وسلك بعض طريق ابي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب

القطان وبنى على قواعده وصنف خمسة وخمسين تصنيفاً منها كتاب اللمع وكتاب الموجز وكتاب ايضاح البرهان وكتاب التبيين على أصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل وكتاب الابانة وكتاب تفسير القرآن يقال انه في سبعين مجلداً وغيرها وأكثرها ضاع . وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن أبي بردة على عقبه وكانت نفقته في السنة سبعة عشر درهماً . وكانت فيه دعابة ومزح كثير . قال مسعود ابن شيبة في كتاب التعليم كان حنفي المذهب معتزلي الكلام لانه كان ربيب أبي علي الجبائي وهو الذي رباه وعلمه الكلام . وذكر الخطيب انه كان يجلس أيام الجمعات في حلقة أبي اسحق المروزي الفقيه في جامع المنصور وقال أبو بكر بن الصيرفي « كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الاشعري فحجزهم في اقماع السماسم »

العقيدة الاشعرية

وجملة عقيدته « ان الله تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وان صفاته أزلية قائمة بذاته تعالى لا يقال هي هو ولا هي غيره ولا لا هي هو ولا غيره . وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص وكلامه واحد هو أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد . وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات في كلامه لا الى نفس الكلام والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازلي فالمدلول وهو القرآن المقروء قديم أزلي والدلالة وهي العبارات وهي القراءة مخلوقة محدثة »

وترجمته في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١ والمقريزي ٣٦٩ ج ٢

وهنالك طائفة من المتكلمين أغضينا عن ذكرهم على ان بعضهم سيأتي ذكره في الابواب الاخرى

الحديث

في العصر العباسي الثاني

اصحاب الكتب الستة

في هذا العصر نضج علم الحديث ووضعت فيه الكتب الستة المشهورة وهي عمدة المحدثين . واصحابها ثقة حتى الآن وهاك تراجمهم حسب سني الوفاة :

١ — البخاري

توفي سنة ٢٦٥ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن اسماعيل البخاري ولد في بخارا سنة ١٩٤ هـ وتوفي في بغداد سنة ٢٥٦ هـ كان مغرماً في طلب الحديث فرحل لسماعه الى كثير من الامصار والمدن وشهد له معاصروه بعلم الرواية والدراية وهو صاحب كتاب « جامع الصحيح » المشهور بصحيح البخاري أول الكتب الستة في الحديث وأفضلها على المذهب المختار وفي شهرته غنى عن وصفه. طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٩ هـ وطبع بالحروف بمصر مراراً. وله شروح كثيرة بعضها مطبوع منها شرح العيني طبع بمصر في ١١ مجلداً وفي المكتبة الخديوية نسخ كثيرة منه مكتوبة بخطوط مختلفة في أزمنة مختلفة

وللبخاري كتاب خلق أفعال العباد مطبوع في دهلي بالهند سنة ١٣٠٦ مع كتاب العلم للذهبي . وله كتاب الادب خط في كتب الشنقيطي

وترجمة البخاري في ابن خلكان ٤٥٥ ج ١ والفهرست ٢٣٠

٢ — مسلم القشيري

توفي سنة ٢٦١ هـ

هو الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . توفي سنة ٢٦١ هـ في نيسابور وكان من الائمة الحفاظ وأعلام المحدثين رحل الى الحجاز والشام ومصر لاستماع الحديث وألف فيه كتابا سماه « الجامع الصحيح » منه نسخ عديدة خطية في المكتبة الخديوية . وقد طبع في الهند سنة ١٢٦٥ وفي مصر في تسعة أجزاء

وترجمة القشيري في ابن خلكان ٩١ ج ٢ والفهرست ٢٣١

٣ — ابن ماجه

توفي سنة ٢٧٣ هـ

هو محمد بن يزيد بن ماجه القزويني المتوفي سنة ٢٧٣ هـ كان اماماً في الحديث عارفا بعلومه ارتحل في طلبه الى البصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر وألف فيه كتاب « السنن » منه في المكتبة الخديوية بضع نسخ خطية كتبت في أزمنة مختلفة وطبع في دهلي على الحجر سنة ١٢٨٢ وبمصر سنة ١٣١٣ ويعرف بسنن ابن ماجه

وترجمته في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١

٤ — أبو داود

توفي سنة ٢٧٥ هـ

هو أبو داود سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني المتوفي في البصرة سنة ٢٧٥ هـ وكان أحد حفاظ الحديث ألف كتاباً في الحديث سماه «السنن» وتعرف بسنن الامام أبي داود . طبع في مصر سنة ١٢٨٠ هـ وفي لكناو الهند سنة ١٨٨٨ مع فهرس ابجدي . وفي غيرها . وترجمته في ابن خلكان ٢١٤ ج ١

٥ — الترمذي

توفي سنة ٢٧٩ هـ

هو الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الضحاك الترمذي الضرير له كتاب «الجامع الصحيح» منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٢ هـ وله شروح كثيرة . وترجمة الترمذي في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١

٦ — النسائي

توفي سنة ٣٠٣ هـ

هو أبو عبد الرحمن احمد بن علي النسائي . توفي بمكة سنة ٣٠٣ هـ وهو صاحب كتاب السنن المعروف باسمه طبع بمصر في مجلدين سنة ١٣١٢ وغيرها

وترجمته في ابن خلكان ٢١ ج ١

وهناك كتب حديث ظهرت نحو ذلك الزمن لا بأس بها . منها سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن المتوفي سنة ٢٥٥ هـ طبع في كنبور الهند سنة ١٢٩٣

التفسير

التفسير الكبير للطبري

ونضج في هذا العصر أيضاً علم التفسير فظهر فيه التفسير الكبير لابي جعفر بن جرير الطبري ويسمى جامع البيان في تفسير القرآن جمع فيه أقوال الصحابة والتابعين. ويمتاز بان صاحبه يبين فيه ترجيح بعض الاقوال على البعض. طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في ٣١ جزءاً وهو من أجل التفاسير وله قيمة خصوصية لسبقه سواه . وفيه كثير من الفوائد التاريخية والادبية واللغوية فضلاً عن التفسير . وقد ترجمنا الطبري في باب التاريخ

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثاني

أولا — الفلسفة والرياضيات

قد رأيت ان المشتغلين في نقل العلم بالعصر العباسي الاول كان أكثرهم من غير المسلمين . فلما صارت تلك العلوم في العربية اشتغل بها المسلمون ونبغ منهم الفلاسفة والاطباء والرياضيون وغيرهم . وأقدم من اشتهر من الفلاسفة المسلمين في هذا العصر وأكبرهم وأسبقهم يعقوب بن اسحق الكندي يليه الفارابي :

١ — يعقوب الكندي

في أواسط القرن الثالث

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ويتصل نسبه بملوك كندة فهو عربي بحت ولذلك سموه فيلسوف العرب . وكان معاصراً للمأمون والمعتصم الى المتوكل وله عندهم منزلة سامية.وقد برع في الطب والفلسفة والحساب والمنطق والالحان والهندسة وطبائع الاعداد وعلم النجوم — نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره . و حذا في تآليفه حذو ارسطو وله ترجمات عديدة نقلها لنفسه . وكان يعد من حذاق التراجمة ولم يذكر بينهم لانه لم يرتزق بالترجمة . وقد ألف الكندي في معظم العلوم الدخيلة كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست واليك عددها باعتبار العلوم : —

في الفلسفة	٢٢	كتاباً	في الطبيعيات الخ	٣٣	كتاباً
« الحساب	١١	«	« الكريات	٨	كتب
« النجوم	١٩	«	« المنطق	٩	«
« الهندسة	٢٣	«	« الموسيقى	٧	«
« الفلكيات	١٦	«	« الاحكام	١٠	«
« الطب	٢٢	«	« النفس	٥	«
« الجدل	١٧	«	« الابعاد	٨	«
« السياسة	١٢	«	« تقدمة المعرفة	٥	«
« الاحداث	١٤	«	المجموع كله	٢٣١	كتاباً

ويؤخذ من مراجعة أسماء هذه الكتب أن الرجل كان كثير التضلع في العلوم حتى انتقد أصحابها . وأكثر هذه الكتب ضاع ولم يبق منها الا : ١ كتاب في الاهيات ارسطو ٢ رسالة في الموسيقى وكلاهما موجودان في مكتبة برلين ٣ رسالة في معرفة قوى الادوية المركبة في مكتبة منشن ولها ترجمة لاتينية مطبوعة ٤ في المد والجزر ٥ علة اللون اللازوردي الذي يرى في الجو في جهة السماء وكلاهما في اكسفورد ٦ ذات الشعبتين آلة فلكية في ليدن ٧ اختيارات الايام في ليدن ٨ مقالة تحاويل السنين في الاسكوريال . وغيرها

وترجمة الكندي في الفهرست ٢٥٥ وأخبار الحكماء لابن القفطي ٢٤٠ وطبقات الاطباء ٢٠٦ ج ١

٢ — أبو النصر الفارابي

توفي سنة ٣٣٩ هـ

ويلي الكندي أبو النصر الفارابي واسمه محمد بن طرخان . أصله من فاراب لكنه فارسي المنتسب نشأ في الشام واشتغل فيها . وكان فيلسوفاً كاملا درس كل ما درسه الكندي من العلوم وفاقه في كثير منها وخصوصاً في المنطق وتعمق في الفلسفة والتحاليل وأنحاء التعاليم وأفاد وجوه الانتفاع بها . وألف كتباً في مواضيع لم يسبقه أحد اليها ككتابه في احصاء العلوم الآتي ذكره وكتاب «السياسة المدنية» وهو من قبيل الاقتصاد السياسي الذي يزعم أهل التمدن الحديث انه من مخترعاتهم وقد كتب فيه الفارابي منذ ألف سنة . ثم كتب فيه غيرهما كما ستراه مفصلا في ما يلي . وبرع الفارابي خصوصاً في فن الموسيقى حتى أصبح لا يضاهيه فيه أحد واخترع القانون كما سيأتي في باب الموسيقى. وأصلح ما بقي من الترجمات غير مصلح ولخصها ــ أوعز اليه بذلك منصور بن نوح الساماني فاجاب وسمى كتابه « التعليم الثاني » ولذلك سموه « المعلم الثاني » [1]

ومن مؤلفاته الباقية الى الآن نحو ١٢ كتاباً في المنطق متفرقة في مكاتب اوربا بعضها منقول الى اللاتينية أو العبرانية أكثرها في الاسكوريال . وبعض الترجمات اللاتينية مطبوع في البندقية وغيرها . وثمانية مؤلفات في السياسة والادب منها :

(١) كشف الظنون ٤٤٨ ج ١

١ كتاب مبادي أراء أهل المدينة الفاضلة طبعها ديتريشي في ليدن سنة ١٨٩٥

٢ كتاب احصاءالعلوم والتعريف باغراضها المتقدم ذكره وهو من قبيل موسوعات العلم لانه يشتمل على عدة علوم منه نسخة خطية في الاسكوريال وله ترجمة عبرانية وأخرى لاتينية . وبهذا الكتاب عد الفارابي من مؤسسي الموسوعات العربية وسنعود الى ذلك . وكتاب السياسة المدنية نشره الاب شيخو في بيروت سنة ١٩٠٢

وله ٩ كتب في الرياضيات والنجوم والكيمياء والموسيقى متفرقة في مكاتب أوربا والاستانة مع ترجماتها العبرانية أو اللاتينية

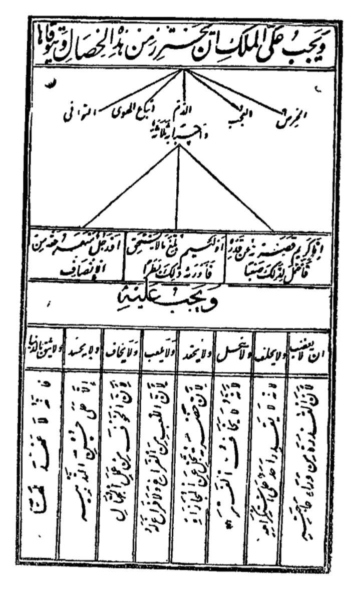
و٩ كتب أخرى في مواضيع مختلفة . ومثلها على ارسطو في ابحاث مفيدة.وقد وصف هذه البقايا وذكر أماكن وجودها بروكلمن في كتابه [1] فليراجعها من شاء وترجمته في ابن خلكان ٧٦ ج ٢ وطبقات الاطباء ١٣٤ ج ٢ وأخبار الحكماء ١٨٢

٣ — ابن أبي الربيع وسلوك المالك

واطلعنا على كتاب في السياسة اسمه سلوك المالك في تدبير المالك تأليف «شهاب الدين احمد بن محمد بن أبي الربيع» . وقد جاء في أوله انه ألف للخليفة المعتصم بالله العباسي المتوفي (سنة ٢٢٧) فاذا صح ذلك كان مؤلف هذا الكتاب أقدم من الكندي والفارابي.ولكن موضوع الكتاب وأسلوبه يدلان على انه وضع بعد ذلك التاريخ لانه مرتب على شكل المشجر في أسلوب يدل على وضوح الافكار في ذهن مؤلفه مما لا يتأتى الا بعد نضج العلم نضجاً تاماً . وزد على ذلك أن اسم شهاب الدين من الاسماء التي لم تكن معروفة في زمن المعتصم وانما هو مما طرأ على الاسلام بعد رسوخ الاتراك في الدولة . وفي كتاب الفهرست مئات من أسماء المؤلفين ليس فيهم واحد اسمه شهاب الدين . والفهرست كتب سنة ٣٧٧ أي بعد وفاة المعتصم بقرن ونصف . وهذا تاريخ ابن الاثير لم يرد فيه اسم شهاب الدين قبل انقضاء القرن الخامس للهجرة . فلا يعقل أن يتفرد رجل بهذا الاسم في أول القرن الثالث ـ ولكل عصر أسماء وألقاب تابعة لاحوال اجتماعية خاصة به . ولعل الخطأ وقع في تحريف اسم الخليفة الذي وضع الكتاب له فكان « المستعصم » توفي سنة ٦٥٦ ه) فقرىء « المعتصم » وكثيراً ما يتفق ذلك في قراءة الخطوط . ثم ان الفهرست لم يذكر هذا الكتاب ولا مؤلفه وانما ذكره كشف الظنون بدون اسم المؤلف

(١) Gesch. des Ar. Lit. I. 211

أما الكتاب فانه جزيل الفائدة يبحث في السياسة والاجتماع والفلسفة والطبيعيات والرياضيات والموسيقى . وهو مقسوم الى أربعة فصول ١ مقدمة الكتاب ٢ أحكام الاخلاق وأقسامها ٣ أصناف السيرة العقلية وانتظامها ٤ أقسام السياسيات وأحكامها . وكل من هذه الفصول مقسوم الى ابواب ترتبت فيها الافكار أو الاحكام بشكل جداول أو مشجرات بغاية الدقة . وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٢٨٦ على الحجر في ١٥٢ صفحة كبيرة ليمكن تصوير تلك المشجرات. وهذا مثال منه



ش ١١ : صفحة من كتاب سلوك المالك

ثانياً — الطب والاطباء

ونبغ في هذا العصر أيضاً طائفة من الاطباء المسلمين وغيرهم هاك أشهرهم حسب سني الوفاة :

١ — ابن ماسويه

توفي سنة ٢٤٣ هـ

هو أبو زكريا يوحنا بن ماسويه كان أبوه صيدلياً في مارستان جندي سابور وتثقف في بغداد بعناية جبرائيل بن بختيشوع وترقى في زمن المأمون والواثق . وله مترجمات حسنة ومؤلفات لم يبق منها الا ١ كتاب نوادر الطب في ليدن والاسكوريال وغوطا وله ترجمة لاتينية وشروح ٢ جواهر الطب ٣ كتاب ماء الشعير في مكتبة جزائر الغرب ٤ الادوية السهلة في اكسفورد وغيرها. وقد نشرنا رسمه مع المترجمين

وترجمة ابن ماسويه في أخبار الحكماء ٢٤٨ والفهرست ٢٩٥ وطبقات الاطباء ١٧٥ ج ١

٢ — ابن سهل

هو سابور بن سهل صاحب مارستان جندي سابور توفي سنة ٢٥٥ هـ وله كتاب الاقراباذين الكبير كان معول الصيادلة في أثناء التمدن الاسلامي . منه نسخة خطية في منشن

وترجمته في طبقات الاطباء ١٦١ ج ١ وتراجم الحكماء ١٤١

٣ — أبو بكر الرازي

توفي سنة ٣٢٠ هـ

هو أشهر من نبغ من الاطباء في هذا العصر على الاطلاق واسمه أبو بكر محمد ابن زكريا الرازي ويسميه الافرنج Razès كان في صغره يضرب على العود وتلقى العلم على كبر وأفلح واشتهر حتى تولى رئاسة أطباء مارستان بغداد . وظهرت مواهبه بما كان يعقده من مجالس العلم أو يؤلفه من الكتب وجمع في مؤلفاته كل ما كان معروفاً من العلوم الطبية في عصره ومن أمثالهم « ان الطب كان معدوماً فأحياه جالينوس وكان متفرقاً فجمعه الرازي وكان ناقصاً فكمله ابن سينا »

وكان الرازي يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ دونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ

آخرون. فكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لاول من يلقاه فان كان عندهم علم والا تعداهم الى غيرهم فان أصابوا والا تكلم الرازي. وكان كبير الراس مسفطه جليل الطلعة يتهيب الناس مجلسه لولا رطوبة كانت في عينيه . وكان كريماً متفضلا رؤوفاً بالمرضى دقيق الملاحظة صحيح النظر، ويروون عن ذكائه وإصابته نوادر كثيرة لا محل لها هنا

وكان أكثر مقام الرازي في الري وغيرها من بلاد العجم وخدم بصناعته الاكابر ملوكها وأمرائها وصنف بعض كتبه لهم ككتاب المنصوري ألفه للامير منصور من آل سامان وكتاب الملوكي لعلي ابن صاحب طبرستان وسنعود اليها

وكان الرازي مولعاً بالعلوم الحكمية وله فيها مصنفات نفيسة وخصوصاً علم

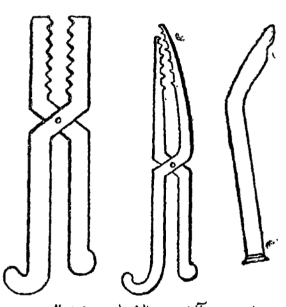


ش ١٢ : ابو بكر الرازي في معمله يشتغل بالكيمياء

الكيمياء وما يتعلق بها وله اكتشافات كياوية أهمها زيت الزاج (الحامض الكبريتيك) والكحول استحضر الاول باستقطار كبريتات الحديد واسمها في العربية الزاج الاخضر فلما استقطرها خرج منها سائل سماه زيت الزاج. ولا تزال طريقة الرازي من طرق استحضار هذا الحامض الى اليوم . أما الكحول فاستحضره باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة. وألف الرازي في الكيمياء كتباً كثيرة ولم يكن يعتقد ما يعتقده أهل زمانه من امكان تحويل المعادن الى ذهب وانما كان يؤلف في هذا الفن على اعتقاد

أهله التماساً للمال . لكن ذلك ألحق به الاذى لان منصور الساماني المذكور طالبه باستخراج الذهب على الصفة التي ذكرها في كتابه فلم يستطع فغضب عليه وأمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ثم جهزه وسيره الى بغداد . فكان ذلك الضرب سبباً في نزول الماء على عينيه . وجاءه قداح يقدحهما وهي عملية الكتركتا الآن فسأله الرازي «كم طبقة للعين؟» فقال «لا أعلم» فقال: «لا يقدح عينيّ من لا يعلم ذلك» ثم قال : «قد نظرت الدنيا حتى مللت منها فلا حاجة بي الى عينين»

توفي سنة ٣٢٠ وقيل ٣١٠ وقيل ٣٦٤ هـ



ش ١٣ : آلات قلع الاسنان في ذلك العصر

وخلف الرازي أكثر من مائتي مؤلف لايزال باقياً منها الى الآن بضعة وعشرون مؤلفاً يطول بنا وصفها وانما نذكر أهمها وهي :

١ كتاب الحاوي : وهو أجل كتبه وأعظمها في صناعة الطب جمع فيه ما وجده متفرقاً من ذكر الامراض ومداواتها في كتب الطب للمتقدمين ومن أتى بعدهم الى زمانه ونسب كل قول الى قائله . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في المتحف البريطاني وأخرى في مكتبة مونيخ وفي مكاتب اوكسفورد والاسكوريال . وقد نقل الى اللاتينية نقله فراغوت وطبع مرتين وقد اختصره غير واحد

٢ كتاب الطب المنصوري : وقد ذكرنا سبب تأليفه . ومنه نسخة في المكتبة الاهلية بباريس وفي مكاتب اوكسفورد ودرسدن واسكوريال وغيرها . وقد نقله الى اللغة اللاتينية الكريموني وطبع فيها

٣ كتاب الجدري والحصبة: وهو أول من وصف هذين الداءين حق الوصف وقد ترجم كتابه الى اللاتينية وغيرها ونشر فيها كلها

٤ كتاب الفصول في الطب : ويقال له المرشد نقل الى العبرانية ويوجد في ليدن ونقل الى اللاتينية وطبع فيها وقد وصفه المشرق صفحة ٥٤٢ سنة ٤

٥ كتاب الكافي : ترجم الى العبرانية وهو موجود في مكتبة اوكسفورد

٦ كتاب برء الساعة : يوجد في برلين وغيرها ونشره الدكتور كيك في مجلة المشرق صفحة ٣٩٥ سنة ٦

٧ كتاب الطب الملوكي : يوجد خطاً في مكتبة ليدن

وقد ترجمنا الرازي ووصفنا كتبه الباقية في الهلال ٣٩٧ سنة ١٨ وتجد ترجمته أيضاً في ابن خلكان ٧٨ ج ٢ وطبقات الاطباء ٣٠٩ ج ١ والفهرست ٢٩٩ وأخبار الحكماء لابن القفطي ١٧٨

ثالثاً — الزراعة

ومن العلوم التي نضجت في هذا العصر وبقيت كتبها الى اليوم واستفاد منها أهل الاجيال المتأخرة علم الزراعة أو الفلاحة. وهو في الاصل منقول عن الكلدانية نقله احمد بن علي بن قيس الكلداني المعروف بابن وحشية سنة ٢٩١ هـ في كتاب سماه « الفلاحة النبطية » أملاه سنة ٣١٨ هـ على علي بن محمد بن الزيات وجعله في خمسة أجزاء منها نسخ خطية في برلين وليدن واكسفورد والمتحف البريطاني وباريس والجزائر والمكتبة الخديوية . ومنه مختصر الفلاحة للزيتوني وطبعت في بطرسبورج سنة ١٨٥٩ وله كتب في النجامة منها نسخ في مكاتب اوربا لا فائدة من ذكرها

ولقسطا بن لوقا الطبيب النصراني البعلبكي المتوفى سنة ٣١١ هـ كتاب الفلاحة اليونانية نقله عن السريانية وقد طبع في مصر سنة ١٢٩٣

العصر العباسي الثالث

أو المائة الثالثة من الدولة العباسية

من سنة ٣٣٤ ﻫ الى سنة ٤٤٧ ﻫ

يبدأ هذا العصر باستقرار الدولة البويهية سنة٣٣٤ ﻫ وينتهي بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ وقد قلنا في كلامنا عن العصر العباسي الاول انه عصر الاسلام الذهبي ونعني انه عصرها الذهبي من حيث منعة الدولة واتساع السلطان وفيه نقلت العلوم القديمة الى العربية . وأما عصر الاسلام الذهبي للعلم خاصة فهو العصر الذي نحن في صدده أو المائة الثالثة للدولة العباسية . لان فيه نضجت العلوم على اختلاف مواضيعها وتم نموها وظهرت الكتب الوافية في أكثرها . ولا سيما في اللغة وعلومها وفي التاريخ والجغرافية والادب والطب والفلسفة ولذلك أسباب اجتماعية طبيعية سيأتي بيانها . وتقدم الكلام في مدائن العلم الاسلامية

تنقل العلم في المدائن الاسلامية

رأيت فيما تقدم أن العلوم الاسلامية نشأ معظمها في البصرة والكوفة ثم تحولت الى بغداد بعد استبحار عمرانها في العصر العباسي الثاني. فاصبحت بغداد في ذلك العصر كعبة العلم وحج العلماء كما كانت رومية في ابان التمدن الروماني . حتى اذا تولى المعتصم واستكثر من الاتراك وظهرت منهم الاساءة لاهل بغداد نفر الناس وتباعدت القلوب . ولكن المعتصم كان على مذهب أخيه المأمون في الاعتزال واكرام الشيعة فظلت بغداد على نحو ما كانت عليه في أيام المأمون وكان الواثق يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته . وكان يعقد المجالس مثله للمباحثة بين الفقهاء والمتكلمين في أنواع العلوم العقلية والسمعية في جميع الفروع

فلما توفي الواثق سنة ٢٣٣ ﻫ خلفه أخوه جعفر المتوكل وكان شديد الانحراف عن الشيعة والمعتزلة حتى أمر بهدم قبر الحسين بن علي وما حوله من المنازل ومنع الناس من اتيانه . وكان كثير الاستهزاء بعلي يجالس من اشتهر ببغضه . وخالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد . فابطل القول بخلق القرآن ونهى

عن الجدل والمناظرة في الآراء وعاقب عليه . وأمر بالرجوع الى التقليد ونصر السنة والجماعة وأمر الشيوخ والمحدثين بالتحديث . فانحط علم الكلام بعد أن بلغ رونقه في أيام الرشيد وخلفائه فاخذ في التقهقر في أيام المتوكل لانه كان شديد الوطأة على أصحاب الرأي وأصحاب الفلسفة وسائر العلوم الدخيلة . وأخذ منذ تولى الخلافة في مناوأتهم فاهلك جماعة من العلماء وحط مراتبهم وعادى العلم وأهله. ولاقى أهل الذمة منه الشدائد بتغيير زيهم وتذليلهم واهانتهم . ومن أشهر حوادث نقمته على خدمة العلم انه غضب على بختيشوع الطبيب وقبض ماله ونفاه الى البحرين وقتل ابن السكيت النحوي كما تقدم . وسخط على عمر بن مصرح الراجحي وكان من علية الكتاب وأخذ منه مالاً وجواهر وأمر أن يصفع في كل يوم

ومات المتوكل مقتولا سنة ٢٤٧ هـ قتله رجاله فاضطربت أحوال الخلافةواستفحل شأن الاتراك . فنفرت قلوب طلبة العلم وأكثرهم من الفرس والعرب فتفرقوا من بغداد رويداً رويداً الى أنحاء المملكة الاسلامية شرقاً وغرباً.ولذلك كان أكثر من ظهر من العلماء بعد نضج العلم في القرن الرابع للهجرة فما بعده نبغوا خارج بغداد وفيهم الاطباء والفلاسفة والمنجمون والمهندسون والمتكلمون وأصحاب المنطق والفقهاء واللغويون والمحدثون والمؤرخون وغيرهم

فكان مركز الطب والطبيعيات والفلسفة عند ظهور الاسلام في الاسكندرية ثم انتقل في أيام عمر بن عبد العزيز في آخر القرن الاول للهجرة الى انطاكية . والعلوم الاسلامية انتقلت من البصرة والكوفة الى بغداد . وانضمت اليها العلوم الدخيلة فاصبحت بغداد أم المدائن في العلم والادب والفلسفة والطب وسائر العلوم العقلية والنقلية . فلما اضطربت أحوال الخلافة في أيام المتوكل ثم نشأت الدول الجديدة في أنحاء المملكة الاسلامية بالتفرع والتشعب على مقتضى ناموس الارتقاء تفرق العلماء وأصبح للعلم مراكز كثيرة قد يتفاضل بعضها على بعض. وتدرَّج الانتقال من بغداد شرقاً الى العراق العجمي فخراسان فما وراء النهر . وغرباً الى الشام ومصر فالمغرب فالاندلس

فأقبل العصر العباسي الثالث وقد نبغ المفكرون والمشتغلون في العلم والادب من الشعراء والادباء والمنشئين والمؤرخين والجغرافيين واللغويين والفلاسفة فيمدائن كثيرة من المملكة الاسلامية من أقصى تركستان في الشرق الى أقصى الاندلس في الغرب . ويدخل في ذلك ما وراء النهر وأفغانستان وطبرستان وخوارزم وفارس وما

بين النهرين والمغرب والاندلس ومصر والشام وغيرها

وزاد انتساب العلماء الى مواطنهم فكثرت أسماء البخاري والنيسابوري والرازي والبغدادي والاندلسي. بعد أن كان أكثر انتسابهم الى أصولهم كالحميري والمازني والقرشي والفارسي ونحوها . أو الى صنائعهم كالنحاس والزجاج

أسباب النهضة في هذا العصر

حدث في العصر العباسي الاول نهضة علمية عقبها في العصر العباسي الثاني فتور على أثر البحران السياسي الذي أخذ من نفوس رجال الدولة حتى اشتغلوا بانفسهم عن تنشيط العلم . فكانت المائة الثانية من الدولة العباسية فترة تم فيها تكون اغراس العلم فاقبلت المائة الثالثة وقد ظهرت ثماره ناضجة وهي النهضة الثانية في الدولة العباسية . والفاعل الرئيسي في هذه النهضة ناموس النشوء الطبيعي ونصرة رجال الدولة

ناموس النشوء والارتقاء

يقضي ناموس النشوء والارتقاء على الاحياء وما يتعلق بهم بالنمو والتفرع في آجال معينة — فالعلوم الاسلامية ولد أكثرها فى البصرة والكوفة ونمت فى بغداد . فلما تم نموها وأدركت رشدها كانت الدولة قد بلغت دور التفرع فظهرت ثمار ذلك النمو فى فروع تلك الدولة أو من تغلب عليها من الدول الخارجية . وتعددت الدول التي اقتسمت السلطة على المملكة العباسية مع بقاء الخلفاء العباسيين فى العراق . وقد فصلنا ذلك فى الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي . فنكتفي هنا بالدول التي تعاونت على النهضة العلمية فى ذلك العصر وهي :

اسم الدولة	مقرها	مدة حكمها	جنس مؤسسها
المروانية	الاندلس	من سنة ١٣٨ — ٤٢٢	عربي
السامانية	وراء النهر	« ٢٦١ — ٣٨٩	فارسي
الزيارية	جرجان	« ٣١٦ — ٤٣٤	«
الحمدانية	بين النهرين وحلب	« ٣١٧ — ٣٩٤	عربي
البويهية	العراق وفارس وغيرهما	« ٣٢٠ — ٤٤٧	فارسي
الغزنوية	افغانستان والهند	« ٣٥١ — ٥٨٢	تركي
الفاطمية	مصر	« ٣٥٧ — ٥٦٧	عربي

رغبة الامراء في العلم

فهذه الدول تعاصرت فى العصر العباسي الثالث وكان لها تأثير عظيم فى احياء العلوم بمن نبغ بين ملوكها أو أمرائها أو وزرائها من محبي العلم الآخذين بناصر العلماء — والناس على دين ملوكهم — واذا أراد الله بالناس خيراً جعل العلم فى ملوكهم والملك فى علمائهم . لان العلم لا يورق ولا يثمر الا فى ظل ملك أو أمير يتعهده ويأخذ بأيدي أصحابه

لذلك زها الادب في زمن عبد الملك بالعصر الاموي وفى زمن الرشيد والمأمون فى العصر العباسي الاول. ولمثل هذا السبب ظهرت ثماره ناضجة فى العصر الذي نحن في شأنه. وهو فى هذا العصر أكثر ثمراً وأصح انتاجاً لان العاملين على تعهده تكاثروا. وبعد أن كان نصيره الخليفة أو وزيره أو بعض عماله فى بلد واحد أصبح نصراؤه فى هذا العصر عدة ملوك وأمراء ووزراء فى أشهر مدائن العالم الاسلامي . وقد تعاونت على استثماره قرائح العرب والفرس والترك والديلم والروم وغيرهم ممن تعرب أو انخرط في الاسلام من أمم الشرق والغرب . وأخذ الناس يتسابقون فى خدمة العلم كما يتسابق ملوكهم في نصرة العلماء . وهاك أشهر أنصار العلم فى ذلك العصر من الملوك أو الامراء أو الوزراء فى الدول التي تقدم ذكرها :

الدول التي ساعدت على هذه النهضة

١ — الدولة البويهية في العراق وفارس

رجال هذه الدوله وأنصارها الديلم من الجيلان وراء خراسان. ولكن ملوكها آل بويه من الفرس ويرتفع نسبهم الى ملوك الفرس القدماء وانما سموا ديلم لانهم سكنوا بلاد الديلم وهم من الشيعة العلوية . وكان العلويون يسعون فى نشر دعوتهم هناك من أيام الرشيد ، وآخر من نجح في ذلك الحسن بن علي الاطروش من نسل الحسين . فدعا الديلم الى مذهبه في أواخر القرن الثالث فاجابوه

وجدُّ آل بويه الاقرب الذي أسس هذه الدولة اسمه بويه ولقبه أبو شجاع كان له ثلاثة أولاد هم : علي ويلقب عماد الدولة . وحسن ويلقب ركن الدولة . وأحمد ويلقب معز الدولة . وكان بويه رقيق الحال فانتظم أولاده بالجندية لانها كانت يومئذ

باباً من أبواب الرزق الواسعة . وكان عماد الدولة في خدمة مرداويج مؤسس الدولة الزيارية فارتقى عنده حتى ولاه الكرج ثم اتسعت أحواله فكتب الى الخليفة العباسي وهو يومئذ الراضي بالله المتوفى سنة ٣٢٩ هـ أن يقاطعه على أعمال فارس بمال يحمله الى دار الخلافة على جاري عادتهم مع الدولة العباسية في ذلك العهد . فاجابه الراضي وبعث اليه بالخلعة . وأخوه حسن ركن الدولة تملك خوارزم. وجاء الاخوان واتحدا مع أخيهما الثالث معز الدولة في شيراز وساروا غرباً حتى أتوا بغداد في أيام المستكفي سنة ٣٣٤ هـ فرحب بهم وخلع عليهم ولقبهم الالقاب المذكورة . وجعل معز الدولة أمير الامراء . فاستبدوا في المملكة واستولوا على الخلافة وعزلوا الخلفاء وولوهم فرفعوا منار الشيعة وأحيوا معالمها وأضعفوا نفوذ الاتراك والخلافة العباسية لا تزال في بغداد . ولما أفضت إمارة الامراء الى عضد الدولة لقب بالملك وهو أول من خوطب بهذا اللقب في الاسلام

وامتدت سلطة البويهيين على العراق وفارس وخراسان الى سنة ٤٤٧ هـ وكانوا يحبون العلم والادب ولا يستوزرون أو يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب . فكان أشهر أدباء ذلك العصر من وزرائهم أو عمالهم أو قضاتهم أو كتابهم كابن العميد والصاحب بن عباد وسابور بن اردشير المهلبي . فضلا عن الادباء من العمال والقضاة وكتاب الدولة

على أن ملوك آل بويه أنفسهم اشتهر منهم غير واحد في الادب والشعر أشهرهم في ذلك عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٢ هـ كان أوسعهم سلطاناً وأقواهم سطوة . وكان مشاركا في عدة فنون من الادب فقرب اليه العلماء والكتاب وأحسن وفادتهم واستحثهم على الاشتغال بالعلم وتأليف الكتب فألف له أبو اسحق الصابي كتاباً في أخبار آل بويه سماه التاجي وألف له أبو علي الفارسي كتاب الايضاح والتكملة في النحو . وقصده فحول الشعراء في عصره كالمتنبي والسلامي وغيرهما وكان مجلسه لا يخلو من الادباء والعلماء يباسطهم ويباحثهم . ومن شغفه بالشعر تمنى أن يكون المصلوب بدل ابن بقية الوزير لتقال فيه قصيدة محمد بن عمران الانباري التي مطلعها :

علو في الحياة وفي الممات لعمرك تلك احدى المعجزات [1]

وكان هو نفسه ينظم الشعر الحسن وقد ذكر صاحب يتيمة الدهر (ج ٢) أمثلة من نظمه . ومن نكاته الادبية أن افتكين التركي صاحب دمشق كتب اليه «ان الشام

(١) ابن خلكان ٦٣ ج ٢

قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر وان قويتني بالاموال والعـدد حاربت القوم في مستقرهم » فـكتب عضد الدولة جوابه كلمات متشابهة في الخط لا تقرا الا بعـد الشكل والنقط والضبط وهي « غرك عزك فصار قصار ذلك دلك فاخش فاحش فعلك فعلك بهذا تهدا » والبيمارستان في بغداد ينسب اليه

وكان عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة شاعراً (سنة ٣٥٦ — ٣٦٧) وكذلك تاج الدولة بن عضد الدولة وهو آدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم . وكان يلي الاهواز فادركته حرفة الادب فادت الى نكبته . وكذلك أبو العبـاس خسرو ابن فيروز بن ركن الدولة . وتجد أمثلة من أشعارهم في الجزء الثاني من يتيمة الدهر للثعالبي مؤرخ أدباء ذلك العصر

على أن تأثيرهم في هذه النهضة يتوقف بالاكثر على أخذهم بناصر الادباء والعلماء وكانوا شديدي الرغبة في ذلك . فركن الدولة بن بويه في الري وهمذان واصبهان (سنة ٣٢٠ — ٣٦٦) استوزر ابن العميد الـكاتب العالم المشهور . وكان ابن العميد مقصداً للشعراء والادباء وأهل العلم كما سترى. وبهاء الدولة بن عضد الدولة في العراق والاهواز (سنة ٣٧٩ — ٤٠٣) استوزر سابور بن اردشير فانشأ هـذا الوزير في كرخ بغداد خزانة كتب وقفها على افادة الناس — قال يا قوت : « لم يكن في الدنيا أحسن كتب منها كانت كلهـا بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة » وكان سابور أيضاً شاعراً

ومعز الدولة بن بويه (سنة ٣٢٠ — ٣٥٦) استوزر الحسن المهلبي المتوفى سنة ٣٥٢ هـ وكان المهلبي شاعراً اديباً وهو صاحب الابيات المشهورة التي أولها :

ألا موت يباع فاشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه

قاله وهو في أشد الضيق قبل الوزارة

وأكثر وزراء هذه الدولة تأثيراً في هذه النهضة الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة ثم وزر لفخر الدولة أخيه . وكان شاعراً عالماً كاتباً وسنترجمه على حدة وكان يجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غـيره . وكان عظيم المنزلة عند فخر الدولة لا يرد له طلب — فكم يكون تأثيره في احياء معالم الادب ؟ وكان له عشرات من أهل العلم والادب يقيمون عنده وعشرات يفدون عليه . وبالجملة فان البويهيين كانوا يختارون وزراءهم وعمالهم حتى كتـابهم من الادباء ويتعاونون على نصرة الادب

٢ — الدولة السامانية في تركستان

رأس هذه الدولة سامان من أشراف بلخ انشأ اعقابه دولة عظيمة في خراسان وتركستان . وزهت في أيامهم بخارا فكانت مجتمع الادباء والعلماء والشعراء . واشتهرت نيسابور وفيها انشئت أقدم المدارس الاسلامية [1] وتوالى في الدولة السامانية عشرة ملوك من سنة ٢٦١ — ٣٨٩ اشتهر غير واحد منهم بنصرة العلم . فمنهم منصور بن نوح (سنة ٣٥٠ — ٣٦٦) كان محباً للعلم والعلماء فاستوزر البلعمي العالم الفارسي فترجم له تاريخ الطبري الى اللغة الفارسية كما تقدم في ترجمة الطبري

وخلفه ابنه نوح بن منصور (سنة ٣٦٦ — ٣٨٧) من محيي العلم وأهله . كان مجلسه مجتمع الشعراء وهو أول من اقترح نظم الشاهنامة (الياذة الفرس) في الفارسية اقترح ذلك على شاعره الدقيقي فنظم له بعضها ثم قتل فاتمها الفردوسي بعده باشارة السلطان محمود الغزنوي كما سيجيء • وكان نوح رغابا في استخدام رجال العلم • فلما سمع بشهرة الصاحب بن عباد وزير البويهيين كتب اليه سراً يستدعيه الى بخارا ليفوض اليه وزارته وتدبير أمر مملكته • فاعتذر الصاحب عن ذلك بانه يحتاج لنقل كتبه الى ٤٠٠ جمل — ولعل له عذراً آخر كتمه • وكان نوح هذا شديد الحرص على الكتب راغباً في اقتنائها فجمع مكتبة كبيرة حوت أهم المؤلفات في كل علم من الادب والشعر والتاريخ والطب والفلسفة • ذكرها ابن سينا في حديثه عن صبوته • وقال انه استفاد منها وان منها كتباً نادرة الوجود

ومن أبناء الدولة السامانية منصور الساماني لم يحكم لكنه كان يحب العلماء فالف له أبو بكر الرازي كتاب المنصوري في الطب كما تقدم • وبالجملة كانت بخارا مثابة المجد وكعبة الملك ومجتمع أفراد الزمان من الادباء والعلماء والفضلاء

٣ — الدولة الزيارية في طبرستان

كان مقر هذه الدولة في جرجان بطبرستان أول ملوكها مرداويج بن زيار تولى الملك سنة ٣١٦ هـ وأشهرهم بنصرة العلماء شمس المعالي قابوس بن وشمكير (سنة ٣٦٦ — ٤٠٣) وكان شاعراً أديباً كاتباً من أبلغ كتاب العربية وله معرفة بالفلسفة والنجوم والنجامة • وقد الف في العربية رسالة في الاسطرلاب أطنب أبو اسحق

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٢٠٠ ج ٣

الصابي في مدحها . ومن شعره الابيات المشهورة التي مطلعها .

قل للذى بصروف الدهر عيرنا هل حارب الدهر الامن له خطر
اما ترى البحر تعلو فوقه جيف وتستقر باقصى قعره الدرر
وفي السماء نجوم ما لها عدد وليس يكسف الاالشمس والقمر

وذكر له صاحب يتيمة الدهر امثلة من الانشاء البليغ وكان يراسل الصاحب بن عباد. ووزيره ابو العباس الغانمي يراسل ابا نصر العتبي مؤرخ السلطان محمود الغزنوي

٤ — الدولة الغزنوية بافغانستان والهند



ش ١٤ السلطان محمود الغزنوي

مقرها غزنة وملوكها من الاتراك أولهم ألبتجين تولى سنة ٣٥١ ﻫ لكن اشهرهم وأعظمهم السلطان محمود (سنة ٣٨٨ — ٤٢١) صاحب الفتوح العظيمة في الهند وناشر الاسلام فيها وكان يلقب بيمين الدولة. فتح بخارا وخلف الدولة السامانية فيها سنة ٣٨٩ ﻫ وغلب على الزياريين وغيرهم . وامتدت سلطته على افغانستان وتركستان وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وشمالي الهند . وورث ماكان هنالك من أسباب الادب والعلم . وأصبح مجلسه آهلا بالشعراء كما كانت العادة عند ملوك ذلك العصر . فاقترح عليهم اتمام الشاهنامة التي بدأ بنظمها الدقيقي كما تقدم . فاتمها الفردوسي وقد نظم معظمها — ولذلك فهي تنسب اليه

وكان محمود لايسمع بعالم أو شاعر الا استقدمه اليه . فعلم أن في مجلس مأمون ابن مأمون أمير خوارزم جماعة من رجال العلم الفلاسفة في جملتهم ابن سينا الطبيب والبيروني الرياضي المؤرخ وأبوسهل المسيحي الفيلسوف وأبو الحسن الخمار الطبيب

وابو نصر العراق الرياضي وغيرهم . فتاقت نفسه الى احرازهم في مجلسه فكتب الى مأمون كتابا أرسله مع بعض خاصته : « علمت أن في مجلسك جماعة من العلماء المبرزين مثل فلان وفلان فارسلهم الى ليتشرفوا بمجلسي ونستفيد من علمهم » فلم يكن للامير أن يرد الطلب لكنه كان حريصاً على أولئك الاعلام فجمعهم وتلا عليهم الكتاب واعتذر بأنه لا يقوى على رد طلبه . فقبل البيروني والخمار والعراق بالذهاب طمعاً بسخاء السلطان . وفر ابن سينا والمسيحي في حديث طويل لا محل له هنا (١) وانما أردنا بيان رغبة السلطان محمود بتقريب العلماء . وإن لم تكن رغبته لمجرد حب العلم . فان استدناء اهل العلم والادب واكرامهم كان في نظر أهل ذلك العصر من أسباب الابهة وأدلة الحضارة

٥—الدولة الحمدانية في حلب والموصل

هي دولة عربية من قبيلة تغلب بجوار الموصل . جدها حمدان كان له شأن كبير باخبار تلك الديار . واستولى ابنه محمد بن حمدان على ماردين فاخرجه منها الخليفة المعتضد . وتولى أخوه أبو الهيجاء بن حمدان أميراً على الموصل وما يليها سنة ٢٩٢ ه واشتد ساعده . وزادت قوة الحمدانيين في ذلك الحين وصاروا دولة حكم منها اربعة امراء في الموصل وخمسة في حلب حتى خرجت الموصل منهم الى البويهيين سنة ٣٨٠ واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤

اشهرهم في نصرة العلم والادب سيف الدولة أبو الحسن على صاحب حلب (من سنة ٣٣٣ — ٣٥٦) ممدوح المتنبي. وكان سيف الدولة أديباً شاعراً نقاداً للشعر يحب جيده ويطرب لسماعه . وفي شعره صبغة التشبيهات الملوكية كقوله :

وساق صبيح للصبوح دعوته ... فقام وفي اجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كانجم ... فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفا ... على الجو دكناً والحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب باصفر ... على احمر في أخضر تحت مبيض
كاذيال خود اقبلت في غلائل ... مصبغة والبعض اقصر من بعض

وفي يتيمة الدهر طائفة حسنة من شعره وأخباره (٨ ج ١) وكان يقرب الشعراء وأهل الادب حتى قيل إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما

---

(١) Browne; Lit. Hist. of Persia II.96

اجتمع ببابه من شيوخ الشعر . وكان يجالس الشعراء وينتقد اشعارهم نقداً يدل على شاعرية وعلم ويبذل لهم الجوائز السنية . وأخباره مع المتنبي مشهورة وكذلك مع السري الرفاء والنامى والببغاء والواواء وتلك الطبقة

واشتهر من آل حمدان غير واحد من الشعراء اشعرهم ابو فراس الحمدانى الشهير وسيأتى ذكره . ومنهم ابو زهير وابو وائل وغيرهما . كما اشتهر منصور واحمد ابنا كيغلغ من امراء الشام

٦ – الدولة المروانية بالاندلس

وكانت الاندلس في هذا العصر في ابان مجدها في ظل عبد الرحمن الناصر (سنة ٣٠٠ — ٣٥٠)وابنه الحكم (٣٥٠ — ٣٦٦) وهما اشهر من ان نبين حبهما العلم والعلماء . وفي غصن الاندلس الرطيب عشرات من الشعراء كانو يحضرون مجالسهما فضلا عن علماء الفقه والادب

وكان الحكم بن الناصر مولعاً باقتناء الكتب فجمع منها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله . وأنشأ في قرطبة مكتبة جمع اليها الكتب من أنحاء العالم . كان يبعث في شرائها رجالا من التجار ومعهم الاموال ويحرضهم على البذل في سبيلها لينافس بني العباس في اقتناء الكتب وتقريب الكتاب . وكان أبو الفرج الاصفهاني صاحب الاغانى معاصراً له وهو أموي مثله فبذل له الف دينار ذهباً على أن يرسل اليه كتاب الاغانى قبل اخراجه الى بني العباس . وفعل نحو ذلك مع القاضي أبى بكر الابهري المالكي فيشرحه لمختصر ابن عبد الحكم وغيره . فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل في الاسلام . فجعلوها في قاعات خاصة من قصر قرطبة أقاموا عليها خازناً ومشرفا ووضعوا لها الفهارس لكل موضوع على حدة . وذكروا أن فهارس الدواوين وحدها ٤٤ فهرساً في كل فهرس عشرون ورقة [1] فاذا قدرنا للصفحة ٢٥ اسما فقط كان مجموع عدد الدواوين ٤٤٠٠٠ كتاب فكيف بسائر الكتب . ولا نظننا نبالغ اذا سلمنا مع ابن خلدون والمقرى ان مجموع ما حوته تلك المكتبة ٤٠٠٠٠٠ مجلد ونبغ غير واحد من المروانية في الشعر

ونبغ من ملوك الطوائف بعدهم جماعة أحبوا الادب ونصروا أهله منهم اسماعيل ابن ذي النون المتوفى سنة ٤٣٥ هـ وكان عالماً بالادب

(١) ابن خلدون ١٤٦ ج ٤

٧ — الدولة الفاطمية بمصر

استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٧ هـ في أواسط العصر الذي نحن في صدده ونبغ منهم خليفتان نشطا العلم وأهله هما العزيز بالله (سنة ٣٦٥ — ٣٨٦) والحاكم بامر الله (سنة ٣٨٦ — ٤١١) فانشآ خزائن الكتب فيها مئات الالوف من المجلدات في العلوم على اختلاف مواضيعها — انفقوا في ذلك الاموال الطائلة . وقد وصفنا خزانة العزيز بالله وما فيها من أنواع الكتب وعنايته بتعهدها والانفاق عليها في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ووصفنا أيضاً مكتبة الحاكم التي سماها دار الحكمة او دار العلم وما أباحه من المناظرة بين المترددين اليها ومقدار ما فيها من كتب والتسهيل على الناس للمطالعة والنسخ . ولم يكن اشتغالهم قاصراً على خدمة علوم الادب والفقه ولكنهم خدموا علم النجوم بالمراصد التي أنشأوها كالرصد الحاكمي (المرصد) الذي بناه الحاكم على جبل المقطم ما زال عمدة الراصدين حتى بنى نصير الدين الطوسي مرصده في مراغة بتركستان سنة ٦٥٧ هـ ونبغ من الاسرة الفاطمية غير واحد من الشعراء

الوجهاء والعلم

فرغبة السلاطين والملوك في العلم حببه الى سائر الوجهاء وأهل الدولة فاشتهرت غير أسرة من بيوتات الشرف بالانتماء الى العلم منهم آل الميكالي في خراسان وأصلهم من فارس لكنهم تعربوا وأغرموا باداب العرب فنبغ منهم الشعراء والادباء كابي الفضل الميكالي وابي محمد الميكالي وغيرهما . وآل المأموني من نسل الخليفة المأمون.وآل الواثقي من نسل الواثق وكلاهما في بخارا . وبالجملة فقد كانت العلوم رائجة وأصحابها في عز وثروة يؤلفون الكتب للملوك أو الامراء أو الوزراء وينالون عليها الجوائز السنية . وربما الف الواحد منهم كتاباً للملك البويهي وكتابا للساماني وآخر للغزنوي كما فعل أبو منصور الثعالبي فانه الف كتابه لطائف المعارف للصاحب بن عباد . والمبهج والتمثل والمحاضرة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير . وسحر البلاغة وفقه اللغة لابي الفضل الميكالي . والنهاية في الكناية ونثر النظم واللطائف والظرائف للمأمون صاحب خوارزم وقس على ذلك . فلا عجب اذا كثر المؤلفون وتعددت المؤلفات وحدث تغيير في أكثر ابواب العلم كما ستراه في مكانه

وقد رأيت مما تقدم أن أكثر الدول المعاصرة من غير العرب كالسامانية والزيارية

والغزنوية والبويهية وأكثرها فارسية الاصل وكان الفرس قد أخذوا في اعادة مجدهم قبل الاسلام بعد أن دانوا للعرب نحو ثلاثة قرون فانشأوا الدول وهم فرس في بلاد فارسية وأخذوا في احياء آداب اسلافهم فنبغ فيهم الشعراء ونظموا الشاهنامة وغيرها — ومع ذلك لم يروا بدا من التعويل على اللغة العربية وجعلها لغة العلم والسياسة والادب والدين

مزايا هذا العصر

١ — نضج العلوم وكثرة المكاتب

يمتاز هذا العصر بنضج العلم على الاجمال وفيه تكونت المعاجم اللغوية واستقر الانشاء على أسلوب أصبح قاعدة يتحداها أهل العصور التالية بما يعبر عنه الافرنج بقولهم (كلاسيك) ونضجت الفلسفة وتألفت جمعية إخوان الصفا واستقرت قواعد الطبيعيات والطب كما ظهرت في رسائل إخوان الصفا وفي جملتها آراؤهم في أصل الموجودات وتدرجها في الخلق من البسائط الى المركبات نحو ما يقول اليوم اصحاب النشوء والارتقاء . واتسع خيال الشعراء وظهر الشعر الفلسفي المبني على المشاهد والاختبار والتفكير في الحكمة بالوجود . وتم تكون الانتقاد الشعري أو الادبي واستقرت ابواب الشعر على حال. وظهرت الروايات والقصص الحماسية الخيالية . ونما فن التاريخ والجغرافيا وتفرع منها علم معرفة الاوائل . وظهر كتاب الفهرست لابن النديم وهو أهم مصادر تاريخ اداب اللغة الى ذلك العهد

وامتاز هذا العصر بكثرة المكاتب الكبرى في مصر والعراق والاندلس وغيرها تشتمل المكتبة منها على مئات الالوف من المجلدات وفتحت ابوابها لطلاب العلم والمطالعين كمكتبة العزيز الفاطمي التي تقدم ذكرها كانت تحتوي على نحو مليون من كتب الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والنجامة والروحانيات وسائر العلوم القديمة . ودار الحكمة أو دار العلم للحاكم بامر الله وكانت ابوابها مفتوحة للطلاب كالمدرسة الكبرى للمطالعة والنسخ — نحو ما يراد بدار الكتب الخديوية الآن . ومكتبة الحكم بن الناصر في قرطبة . وقس على ذلك مكتبة سابور بن اردشير في بغداد ومكاتب فارس وما وراء النهر وغيرها

٢ — ظهور الموسوعات

وفيه اخذت الموسوعات (دوائر المعارف) في الظهور بعد ان وضع اساسها الفارابي كما تقدم . على ان من كتب الادب ما يعد من قبيل الموسوعات لتعدد مواضيعه ككتاب العقد الفريد الذي ذكرناه . واقرب منه الى هذا النوع من المؤلفات كتاب «مفاتيح العلوم» لابي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧هـ الفه لابي الحسن عبيد الله بن احمد العتبي وقسمه الى مقالتين :

الاولى تشتمل على ٥٢ فصلا تجتمع في ستة ابواب وهي : ١ الفقه ٢ الكلام ٣ النحو ٤ الكتابة ٥ الشعر والعروض ٦ الاخبار

والمقالة الثانية ٤١ فصلا في تسعة ابواب : ١ الفلسفة ٢ المنطق ٣ الطب ٤ علم العدد ٥ الهندسة ٦ النجوم ٧ الموسيقى ٨ الحيال ٩ الكيمياء . وقد طبع هذا الكتاب في ليدن سنة ١٨٩٥ بعناية المستشرق فان فلوتن في نيف وثلثمائة صفحة . وهو عبارة عن مدخل للعلوم والفنون جامع لاوائلها فيحتوي على الموضوعات والمصطلحات العلمية فهو اشبه بكتاب حدود العلوم وتعريفها ولذلك سماه مفاتيحها لكنه جزيل الفائدة . وقد الف العرب كثيرا من الموسوعات بعد هذا العصر سيأتي الكلام عليها في مكانه

٣ — تعدد العلوم

وتعددت فروع العلم حتى زادت على ثلثمائة علم قسمها صاحب مفتاح السعادة الى ستة أبواب : ١ العلوم الخطية تسعة علوم ٢ العلوم المتعلقة بالالفاظ أو العلوم اللسانية والتاريخ وغيرها ٤٤ علما ٣ العلوم الباحثة عما في الاذهان من المنقولات خمسة ٤ العلوم المتعلقة بالاعيان ويدخل فيها الطبيعيات والرياضيات والطب والتاريخ الطبيعي والفراسة وهي ١٢٢ علماً ٥ العلوم الحكمية العلمية ثمانية علوم ٦ العلوم الشرعية كعلوم القراءة والتفسير والحديث وأصول الدين ويزيد عددها جميعاً على نيف ومائة علم . ولولا ضيق المقام لاتينا باسمائها وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفون ومؤلفات تعد بالمئات والالوف شاع اكثرها وعلينا أن نذكر ما بقي منها

٤ — التدبير المنزلي

وبين هذه العلوم فروع لم يتصل الى مثلها أهل التمدن الحديث الا بعد ان نضج عدنهم في القرن الماضي . وقد عرفها العرب والفوا فيها منذ الف سنة أو نحوها . كعلم

« تدبير المنزل » وهو عندهم فرع من الحكمة العملية وحده « معرفة اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته واولاده وخدامه . وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال » وموضوعه « احوال الاشخاص المذكورة من حيث الانتظام » وحاصله « انتظام احوال الانسان في منزله ليتمكن من رعاية الحقوق الواجبة بينه وبينهم » ومن المؤلفات في هذا الموضوع كتاب تدبير المنزل لبروسن ذكره صاحب الفهرست وقد ضاع . ومن الكتب المنزلية التي تدخل في راحة العائلة وقد ظهر كثير منها في العصر العباسي الاول والثاني فضلا عن الثالث كتب الطبخ . منها « كتاب الطبخ » لابراهيم بن المهدي وغيره لابن ماسوية ولابراهيم بن العباس الصولي ولعلي بن يحيي المنجم ولاحمد بن الطيب ولجحظة والرازي وغيرهم قد ضاعت . ويظهر من اسماء مؤلفيها انها كانت مبنية على العلم . ومنها كتب العطريات واشباهها وهي كثيرة وتدخل في باب تدبير المنزل

٥ — كتب السياسة

وألفوا ايضاً في السياسة وهي من فروع الحكمة العملية تحدوا بها مانقلوه عن ارسطو . والسياسة عندهم ضروب منها السياسة الشرعية والمدنية . وقد الف في السياسة على اجمالها ابو زيد البلخي المؤرخ الجغرافي المتقدم ذكره كتابين الكبير والصغير . والف في السياسة المدنية ابو نصر الفارابي الفيلسوف كما تقدم . ومن هذا القبيل كتاب سياسة الملك للماوردي المتوفي سنة ٤٥٠ هـ ومن الكتب الهامة في هذا الموضوع كتاب «سياسة المالك في تدبير الممالك » لابن ابي الربيع جاء في مقدمته انه الفه للمعتصم العباسي (المتوفي سنه ٢٢٧ هـ) وقد ذكرنا في محل آخر من هذا الكتاب (صفحة ٢١٤) انه متأخر عن ذلك التاريخ لاسباب بيناها هناك ووصفنا الكتاب . وهو جليل جداً لم يغادر بحثاً من ابحاث العمران والسياسة والاخلاق الا طرقه ورتبه واوضح مسائله بشكل المشجرات حتى الطب والفلسفة . ومن هذا القبيل كتاب « سراج الملوك » للطرطوشي و« نهج السلوك في سياسة الملوك » للشيخ عبد الرحمن ابن عبد الله قدمه لصلاح الدين الايوبي وقد طبع بمصر سنة ١٣٢٦

٦ — الاقتصاد السياسي

واشتغلوا ايضاً في علم الاقتصاد السياسي وهو من العلوم التي يعدها اهل زماننا من محدثات هذا التمدن لكنه قديم في آداب لغتنا لا يتجاوز تاريخه العصر الذي نحن في صدده بل هو اقدم من ذلك . فان جماعة الفو في المواضيع التجارية الاقتصادية في

العصر العباسي الثاني لكن مواضيعهم كانت خاصة في صنف أو بضعة أصناف. ككتاب « الجواهر وأصنافها » لمحمد بن شاذان الجوهري الفه للمعتضد المتوفي سنة ٢٧٩ ه وكتاب «أجناس الرقيق» لرجل من أهل مصر . وكتاب «مزاجات الجواهر وعمل الفولاذ» ونحوها مما يتوسع فيه فن الاقتصاد السياسي وان لم نقف على شيء من تلك الكتب لانها ضاعت . لكننا عثرنا على كتاب شامل في هذا الموضوع نعني به كتاب « الاشارة الى محاسن التجارة » للشيخ أبي الفضل جعفر بن علي الدمشقي لا يعرف زمن وفاته لكن يعرف من بعض القرائن أن تأليفه لا يتجاوز العصر العباسي الثالث والكتاب نفيس يبحث في معرفة جيد الاعراض ورديئها وغشوش المدلسين. وفصول في حقيقة المال وأنواعه واستثماره والكشف عن رديئه وفاسده من الاحجار الكريمة والافاويه والانسجة والابسطة والمحصولات الموسمية والاقوات كالزيت والدقيق وفي الدواب كالخيل والبغال والماشية . وفي الكتاب فصول في حصول الاموال واكتسابها بالمغالبة أو الاحتيال . ووصايا نافعة للتجار على اختلاف طبقاتهم . والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣١٨

٧ ــ علم العمران وغيره

ومن ابحاثهم أيضاً علم العمران والمشهور انه من ثمار التمدن الحديث ولكنه ولد في زمن العباسيين ونضج بعدهم . وان لم تظهر فيه مؤلفات مستقلة قبل مقدمة ابن خلدون . فان في كتاب سياسة الممالك المتقدم ذكره فصولا كثيرة من قبيل العمران غير ما في كتب الادب والسياسة من هذا القبيل . وفي كل حال فان الفضل فيه للعرب بما كتبه ابن خلدون وهو استاذ العالم فى هذا العلم . وسيأتي الكلام على ذلك فى مكانه

وناهيك بعلوم الحرب وضروبها فانهم الفوا فيها من أوائل دولتهم . وذكر صاحب الفهرست كتابا للهرثمي الشعراني الفه للمأمون سماه كتاب « الحيل » جعله مقالتين الاولى ٣ أجزاء والثانية ٣٦ فصلا كلها فى الحروب وآلاتها . وذكر كتاباً قبله لعبد الجبار بن عدي الفه للمنصور فى آداب الحروب وصورة العسكر وغيرها كثير لكن أكثرها ضاع . وسنأتي على تفاصيل أخرى عند الكلام على كل علم فى بابه

الشعر والشعراء

في العصر العباسي الثالث

ان ما قدمناه عن أحوال الدول والامم في هذا العصر ظهر تأثيره في الشعر اكثر مما في سائر الآداب. لان الشعر مرآة أحوال الامة كما تبين لك مما بسطناه عن أحواله في العصور التي تقدم ذكرها . كان الشعر في الجاهلية ديوان العرب ومعرض آدابهم واخلاقهم يمثلون الشجاعة والفروسية والضيافة والانفة والوفاء لا يتكلفون ولا يبالغون . فصاروا في أيام بني أمية وأكثر نظمهم في السياسة وظهر التشبيب بكثرة الجواري والسراري وكثر الهجو لاختلاف الاحزاب مع المحافظة على صبغته البدوية. فلما استبحر عمران العباسيين وأوى الناس الى القصور وسرحوا في الحدائق وشربوا الخمر واقتنوا الغلمان ظهر أثر ذلك في أشعارهم . ثم زادوا على ذلك شكوى الزمان في العصر العباسي الثاني لاشتغال الخلفاء والوزراء عن الشعر والشعراء. ونحن الآن في عصر تسابق فيه ولاة الامر الى تقديم أهل الادب . فلا غرو اذا تعدد الشعراء وكثرت مدائحهم وطالت قصائدهم وتفرعت أساليبهم

مزايا الشعر في هذا العصر

١ — حل القيود القديمة

ان اطلاع أهل الادب على الكتب الفلسفية والطبيعية والمنطقية بعد ترجمتها عودت عقولهم على النظر الصحيح والتقرب من الحقيقة . فخطوا خطوة أخرى في تبديل مذهب الشعر وطرقه. واماما هذه الطريقة المتنبي والمعري. وقد رأيت ان شعراء العصر العباسي الاول انتقدوا طرق الجاهليين لكنهم ظلوا يتحدونهم في كثير منها وهم يرسفون بالقيود التي وضعوها للنظم من حيث اللفظ والمعنى . فتملص المتنبي والمعري من تلك القيود وقالا الشعر كما توحيه القريحة فنظما في فلسفة الوجود والحكمة في الخلق من عند انفسهم ولا سيما المعري . والشعر الحقيقي هو التعبير عن الشعور بتلك الحكمة أو تصوير الجمال الطبيعي بأعم معانيه وهو ما يعنيه الافرنج بالشعر ولكن لادباء العرب نظراً آخر فيه من حيث الديباجة واللفظ والكناية والمجاز وسنعود الى ذلك

٢ ـــ مقتبسات الفلسفة والتاريخ والطب والفقه

على أن العرب في هذا العصر زاد اقتباسهم للافكار الفلسفية واطلعوا على تاريخ اليونان فصاروا يتمثلون بابطالهم كقول المتنبي :

من مبلغ الاعراب اني بعدهم ... شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه ... متملكاً متبدياً متحضراً
ولقيت كل الفاضلين كأنما ... رد الاله نفوسهم والاعصرا

وقول الفتح البستي من المعاني الطبية :

وقد يلبس المرء خز الثيا ... ب ومن دونها حالة مضنيه
كمن يكتسي خده حمرة ... وعلته ورم في الريه

وقوله : ان الجهول تضرني أخلاقه ... ضرر السعال بمن به استسقاء

وقوله وفيه شيء من علم النجوم :

قد غض من أملي اني أرى عملي ... أقوى من المشتري في أول الحمل
واني زاحلٌ عما احاوله ... كانى أستدرُّ الحظ من زحل

ودخل الشعر العربي كثير من حكم القدماء وأمثالهم في اليونانية اما اقتباساً كما في أشعار المتنبي أو نقلا وتعريباً . وأكثر ذلك منقول عن الفرس وهذه أمثلة مما نقله أبو الفضل السكري :

من مثل الفرس ذوي الابصار ... الثوب رهن في يد القصار
ان البعير يبغض الخشاشا ... لكنه في أنفه ما عاشا
نال الحمار بالسقوط في الوحل ... ما كان يهوى ونجا من العمل
نحن على الشرط القديم المشترط ... لا الزق منشق ولا العير سقط

وتكاثرت فيه المعاني الفقهية والصوفية لظهور التصوف وشيوعه واشتغال كثيرين من أصحابه في الشعر كقول بعضهم :

من سره ان يرى الفردوس عاجلة ... فلينظر اليوم في بنيان ايواني
أو سره أن يرى رضوان عن كثب ... بملء عينيه فلينظر الى الباني

٣ ـــ أبواب عديدة

وتولدت فيه أبواب جديدة اقتضاها التبسط في الحضارة والتوسع في أسباب الرخاء فبعد أن كان الشعر الجاهلي أكثره في الحماسة والفخر والرثاء والمدح زاد عليه

الامويون التشبيب والهجو . وزاد العباسيون في العصر الاول الخمريات والتغزل بالغلمان . وزادوا في هذا العصر (الثالث) ابواباً تلائم احوال الاجتماع والمدنية اهمها الاخوانيات والعتاب وشكوى الدهر والزهد والمداعبات والسلطانيات والمجاوبات والمقارضات وصار النظم في الزهر بابا قائما بنفسه. وبعض هذه الابواب كان منه امثلة في الاعصر الماضية لكنها اصبحت في هـذا العصر ابوابا مستقلة . وهي تدل على تلطف اخلاق الامة وتوسع علاقاتها وارتقاء اذواقها

فيراد بالاخوانيات مثلا ما ينظم في الاخوان أو الاصدقاء من أسباب التقارب كقول بعضهم :

واخ اذا ما شط عني رحله	ادنى الي على النوى معروفه
كالكرم لم يمنعه بعد عريشه	من أن يقرب للجناة قطوفه

والمداعبات كقوله :

ابا جعفر هل فضضت الصدف	وهل اذ رميت اصبت الهدف
وهل جئت ليـلا بلا حشمة	لهول السرى سدفاً في سـدف

والدهر أو شكوى الدهر كقوله :

يادهر ما أقساك يا دهر	لم يحظ فيك بطائل حر
اما اللئام فانت صاحبهم	ولهم لديك العطف والنصر
يبقى اللئيم مدى الحياة فلا	يرتاع منه لحادث صدر

وقس على ذلك . وترى امثلة كثيرة من هذه الابواب في يتيمة الدهر للثعالبي

٤ — المبالغة

غالى أهل هذه العصر في المبالغة الشعرية الى ما لم يسبقهم اليه أهل الاعصر الماضية حتى خرجوا عن الممكنات الى المستحيلات كقول المتنبي :

وضاقت الارض حتى صار هاربهم	اذا رأى غير شيء ظنـه رجلا
فبعده والى ذا اليوم لو ركضت	بالخيل في لهوات الطفل ما سعلا

ومثله قوله في وصف الضعف :

كفى بجسمي نحولا انني رجل	لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وناهيك بالمبالغة في المدح فانهم تجاوزوا فيه المعقول والمشروع . واماما المداحين في هذا العصر المتنبيان أبو الطيب وابن هاني . ومن مبالغات ابي الطيب في المدح قصيدته السينية التي مطلعها :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انثنيت وما شفيت نسيسا

الى أن يقول :

لوكان ذو القرنين اعمل رأيه لما اتى الظلمات صرن شموسا

أوكان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لاعيا عيسى

أو كان لج البحر مثل يمنه ما انشق حتى جازفيه موسى

أو كان للنيران ضوء جبينه عبدت فصار العالمون مجوسا

لما سمعت به سمعت بواحد ورأيته فرأيت منه خميسا

ولحظت انمله فسلن مواهباً ولمست منصله فسال نفوسا

يامن نلوذ من الزمان بظله حقا ونطرد باسمه ابليسا

ونحو ذلك قوله .

واعجب منك كيف قدرت تنشا وقد اعطيت في المهد الكمالا

وأقسم لو صلحت يمين شيء لما صلح العباد له شمالا

وقوله :

بمن اضرب الامثال أم من اقيسه اليك وأهل الدهر دونك والدهر

اما ابن هاني متنبي الغرب فيكفي مثالا لمبالغته القصيدة التي مدح بها المعز لدين الله الفاطمي ومنها قوله :

ماشئت لا ماشاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار

وكأنما أنت النبي محمد وكانما انصارك الانصار

انت الذي كانت تبشرنا به في كتبها الاحبار والاخيار

٥ — طول القصائد

وطالت القصائد في هذا العصر عما كانت عليه قبلا حتى كثرت فيها ذوات المئات من الابيات كقصيدة ابن عبد ربه وقصائد الواساني. ومع ذلك فان العرب لم يدركوا شأو الامم الاخرى في الاطالة كما فعل اليونان بالالياذة والاذويسة والفرس في الشاهنامه وهو الشعر المعروف بالايبوبة وتعدا بياتالواحدة بعشرات الالوف. على انهم ذكروا لابي الرجا محمد بن احمد بن الربيع الاسواني المتوفي سنة ٣٣٥هـ قصيدة ابياتها تعد بالالوف ضمنها اخبار العالم وقصص الانبياء ومختصر المزني . ويعد من هذا القبيل نظم كليلة ودمنة ونحوها مما ضاع. ولكن ذلك منقول ليس فيه تفكير أي لم ينظمه الشاعر من بنات افكاره . ولا يكون ذلك الا في نظم القصص الخيالية أو نحوها

٦ — الوصف الشعري

وأجاد اهل هذا العصر في الوصف الشعري وتوسعوا فيه . والوصف قديم فى الشعر العربي لكنه اتسع وطال بزيادة العمارة وصار له في هذا العصر باب خاص . وأول من أجاده منهم شعراء الاندلس لمخالطتهم الافرنج. والشعر الوصفى عند هؤلاء باب من أبواب الشعر الكبرى . فصار شعراء العرب يصفون المناظر الطبيعية والابنية الجميلة وسائر ظواهر المدينة حتى الادوات كالاسطرلاب ونحوه

على أن تاريخ الوصف الشعري يتصل بالجاهلية فكان العرب في الجاهلية وصدر الاسلام يصفون الخيل والمعارك ونحوها . وأحسن قصائد الوصف عندهم قصيدة بشر بن عوانة التي وصف بها مقتل الاسد ومطلعها :

افاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر اخاك بشرا

الى آخرها : وهي بديعة ومنشورة في جملة مقامات بديع الزمان الهمذاني

وتقدم الشعر الوصفي بعد الاسلام رويدا رويدا مع تقدم المدنية واتساع الخيال وتكاثر المعاني بتكاثر فروع العلم والاختلاط بالامم الاخرى في العصر العباسي الاول فالثاني حتى بلغ احسنه في العصر الثالث هذا . وابرع وصاف العصر الثاني البحتري وأحسن قصائده في الوصف قصيدة يصف بها بركة بناها المتوكل على الله مطلعها :

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها والآنسات اذا لاحت مغانيها

حتى يقول :

تنصب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس احيانا يضاحكها وريق الغيث احيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها

وقصيدة وصف بها القصر الكامل للمعتز بالله قال فيها :

وكأن حيطان الزجاج بجوه لجج يمجن على جنوب سواحل
وكأن تفويف الرخام اذ التقى تأليفه بالمنظر المتقابل
حبك الغمام رصفن بين منمر ومسير ومقارب ومشاكل

لكن شعراء العصر الثالث زادوا توسعاً في الوصف ودقة في التعبير . وممن اجاد

فيه المتنبي وابن هاني والمأموني. ولهذا الاخير قصيدة في وصف قصر بناه الصاحب بن عباد قال فيها :

فهنيئاً منها بدار حوت منـ ـك جبالا من الحلوم رجاحا
ذات صدر كرحب صدرك قدزا د على ظن آمليك انفساحا

ثم أتى على وصف الدار وصفاً يطابق ما يتخيل للداخل اليها . فيتدرج من الفناء فالبهو فالصحن الخ

دع عنك وصف المتنبي لمواقع الحروب أو ما يحتاج الى فخامة اللفظ والمعنى كقصيدته التي يصف بها وقعة حرب لسيف الدولة مع البطريق . ومن احسن شعره الوصفي قوله يصف مشية الاسد :

يطأ البرى مترفقاً من تيهه فكأنه آس يجس عليلا
ويرد غفرته الى يافوخه حتى تصير لرأسه اكليلا
وتظنه مما تزمجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما ركب الكمي جواده مشكولا

لكن شعراء العرب قلما اشتغلوا بوصف الحوادث الطويلة أو التواريخ كما فعل اليونان والفرس قديماً أو كما يفعل ادباء الافرنج الآن في تأليف الروايات الوصفية للاخلاق والعادات . وسنفرد فصلا خاصاً بهذا الموضوع

٧ — زيادة ابحره وأوزانه

تولدت في الشعر ابحر جديدة لم تكن فيه من قبل اهمها الموشحات ينظمونها إسماطاً اسماطاً وأغصاناً أغصاناً يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً . ويلتزمون قوافي تلك الاغصان وأوزانها متتالية فيما بعد الى آخر القطعة واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات . ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب . وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد

وهي من مخترعات الاندلسيين وأول من نظمها منهم مقدم بن معافر الفريري من شعراء الامير عبد الله بن محمد المرواني في أواخر القرن الثالث للهجرة . وأخذ عنه ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد . ولم تقع هـذه البدعة موقعاً حسناً عند المحافظين على القديم فكسدت حيناً حتى نبغ عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية (توفي سنة ٤٤٣ هـ)[١] فاجاد وجاء بعده ابن ارفع رأس شاعر المأمون بن ذي

(١) ابن خلدون ٥١٩ ج ١

النون صاحب طليطلة (توفي سنة ٤٦٧ هـ) . وذكر صاحب فوات الوفيات « ان أول من نظم عقود الموشحات واقام عمادها عبادة بن عبد الله بن ماء السماء الشاعر الاندلسي المتوفى سنة ٤٢٢ هـ رأس الشعراء في الدولة العامرية وكانت صناعة التوشيح قد ظهرت وأخذ الشعراء ينتهجونها فقام عبادة وقوم ميلها وسنادها فكأنها لم تسمع بالاندلس الا منه ولا أخذت إلا عنه . واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته . وأول من صنع أوزان هذه الموشحات محمد بن محمود المقبري الضرير . وقيل أن ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد أول من سبق الى هذا النوع من الموشحات ثم نشأ يوسف بن هرون الرمادي ثم نشأ عبادة هذا فاحدث التصفير وذلك انه اعتمد على مواضع الوقف في المراكز »

وفي كل حال فان الموشحات نضجت في العصر الثالث الذي نحن في صدده

وناهيك بما ادخله الجوهري صاحب الصحاح على عروض الشعر في هذا العصر

وفيه أيضاً نضج نقد الشعر بظهور كتاب العمدة لابن رشيق ولنقد الشعر تاريخ يستحسن إيراده هنا :

تاريخ نقد الشعر العربي

يقسم النقد الادبي أو انتقاد المؤلفات الى اقسام أهمها ثلاثة ١ نقد الشعر ٢ نقد الانشاء ٣ نقد التاريخ . والمشهور ان العرب من أقل الامم نقدا وتمحيصاً . ويصح ذلك من حيث التاريخ والتراجم أو أعمال الناس وأحوال الاجتماع لاسباب سنبينها في ما يلي من هذا الكتاب . وأما ما خلا ذلك فهم من اكثر الامم ميلا الى النقد أو التمحيص وانما يظهر منهم ذلك عند الحاجة اليه أو اذا تيسر لهم الخوض فيه . أما من حيث فنون الادب فبدأوا بنقد الشعر ثم الانشاء وأخيراً التاريخ . وسنفرد لكل منها فصلا خاصاً في المكان الملائم . وهذا مكان الكلام عن نقد الشعر . وينقسم النظر في الشعر الى اقسام من حيث عروضه ووزنه وقوافيه ولغته ومعانيه وأسلوبه والمقصود النظر فيه من حيث معناه (الخيال الشعري) وطريقته أو مذهب صاحبه في النظم

ونقد الشعر من حيث معناه قديم في تاريخ الادب يتصل بصدر الاسلام . فقد رأيت ما كان يجري من المشاحنات والمناظرات في العصر الاموي بشأن من هو اشعر الشعراء حتى كثيرا ما كان الجدال يفضي الى الخصام. وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب وهم طبعاً كانوا ينظرون في قول كل شاعر نظر الناقد ليبينوا فضله

على سواه. ولم يقتصر التصدى للنقد على الادباء أو الشعراء بل كان يتناول كل ذي المام بالشعر. وحيثما اجتمع الادباء تذاكروا الشعر وانتقدوه وكانت مجالس سكينة بنت الحسين في المدينة أشبه شيء بمجالس الانتقاد الادبي في أرقى الامم المتمدنة اليوم. ثم ظهرت طبقة أخرى من نقاد الشعر لما أخذ الرواة في جمعه في العصر العباسي الاول فكانت مجالسهم وانديتهم للمفاكهة أو المذاكرة لا تخلو من النقد

أما الطريقة أو المذهب ونعني الخطة التي كانوا يتوخونها في النظم مثل تحديهم شعراء الجاهلية من حيث ذكر الاطلال والبكاء عليها والتغزل بحيوانات البادية واحوالها كما كان يفعل الجاهليون فاول من انتقدها شعراء العصر العباسي الاول وقد اشرنا الى ذلك صفحة ٤٢ — وانما هي ابيات قالوها عرضاً

أما التأليف في نقد الشعر من هذا الوجه وغيره فاول من أقدم عليه مما وصلنا خبره محمد بن سلام الجمحي المتوفي سنة ٢٣٢ في كتابه طبقات الشعراء وقد وصفناه في صفحة ١٠٨ من هذا الجزء. فانه صدر ذلك الكتاب بمقدمة فيها نقد جميل قال في جملته « ان محمد بن اسحق أفسد الشعر بما نسبه من الاشعار الى بعض الصحابة في السيرة النبوية ». وبحث في شيء من هذا القبيل ابن ابي الخطاب القرشي في مقدمة جمهرة اشعار العرب. ونجد شيئاً من ذلك ايضاً في كتاب قواعد الشعر لثعلب المتقدم ذكره. أما ادباء العصر العباسي الثاني كابن قتيبة والجاحظ وابن عبد ربه وامثالهم فقد توسعوا فيه لان ما الفوه من كتب الادب لايخلو من النقد الشعري

على ان اكثرهم نقداً وتمحيصاً ابن قتيبة (المتوفي سنة ٢٧٦ هـ) في كتابه الشعر والشعراء وقد صرح بذلك في مقدمة الكتاب المذكور بقوله :

« ولم اسلك في ما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره. بل نظرت بعين العدل الى الفريقين واعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه. فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله. ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر. وجعل كل قديم حديثاً في عصره وكل شرف خارجية (كذا) في أوله. فقد كان جرير والفرزدق والاخطل وامثالهم يعدون محدثين وكان ابو عمر بن العلاء يقول (لقد كثر هذا

المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته) ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم كذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمي والعتابي والحسن بن هانيء وأشباههم . فكل من اتى بحسن قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنه كما أن الرديء اذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه »

وقد انتقد ابن قتيبة الانشاء في صدر كتابه ادب الكاتب كما تقدم

ثم جاء قدامة بن جعفر المتوفي سنة ٣١٠ ه فافرد لذلك كتابا خاصاً سماه « نقد الشعر» تقدم ذكره (صفحة ١٧٢) وهو أول من فعل ذلك فبين حد الشعر وشروط نظمه من حيث اللفظ والمعنى وائتلافهما في أبواب النظم المعروفة فى عصره وشروط المجاز والتشبيه وغيره . لكنه اختصر في ذلك ولم يوف الموضوع حقه شأن كل من يبدأ بعمل جديد فترك اتمامه لادباء العصر العباسي الثالث الذي نحن في صدده

فجاء بعده حسين بن بشر الامدي المتوفي سنة ٣٧١ ه (ترجمته في معجم الادباء ٥٤ ج ٣) فوضع كتابه في الموازنة بين ابي تمام والبحتري وقد ذكرناه في ترجمة البحتري (صفحة ١٦١) وهو من قبيل النقد الخاص لانه محصور بين شاعرين معينين لكنه يشتمل على قواعد عامة

وكذلك فعل على بن عبد العزيز الجرجاني الشاعر الكاتب المتوفي سنة ٣٩٢ه في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه ردا على كتاب الفه الصاحب بن عباد في مساويء المتنبي . فكتاب الوساطة مع كونه خصوصيا بين المتنبي وخصومه لكنه يتضمن ابحاثاً في الشعر على العموم والشعراء على اختلاف الاعصر الى ايامه (١) . وفي كتاب مفاتيح العلوم لابي عبد الله الخوارزمى المتقدم ذكره (صفحة ٢٣٢) باب في الشعر والعروض لا يخلو من النقد . ومثله كتاب ذم الخطأ في الشعر لابن فارس اللغوي الآتي ذكره

ويعد من قبيل النقد الشعري ايضاً كتاب يتيمة الدهر للثعالبي . فانه ذكر فيه محاسن الشعراء وامثلة من اقوالهم مع الملاحظة والانتقاد فى اربعة مجلدات كبيرة وسنذكره في ترجمة الثعالبي

ونشأ في أثناء ذلك علم خاص يبحث في أحوال الكلمات الشعرية سموه علم قرض الشعر لا من حيث الوزن والقافية بل من حيث حسن الالفاظ وقبحها للشعر والجواز

(١) تجد ترجمة علي بن عبد العزيز فى يتيمة الدهر ٢٣٨ ج ٣

والامتناع ومعائب التركيب كما عاب الصاحب ابا تمام بقوله :

كريم اذا امدحه امدحه والورى معي واذا ما لمته لمته وحدي

حيث قابل المدح باللوم والتكرار في لفظ امدحه ولمته . ويعد من قبل النقد الشعري ايضاً رسالة الغفران لابي العلاء المعري لان المتكلم فيها زعم انه جال في الجنة وقابل الشعراء وانتقدهم وسيأتي ذكرها في ترجمة ابي العلاء

كتاب العمدة

على أن ذلك كله من قبيل المقدمات التمهيدية في سبيل نقد الشعر . ولم يختم العصر العباسي الثالث حتى ظهر كتاب العمدة لابن رشيق جمع فيه احسن ما قاله الذين سبقوه في النقد وغيره ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه . وقد استخرج النتائج الانتقادية على ما رآه قال : « وعولت في أكثره على قريحة نفسي ونتيجة خاطري خوف التكرار الا ما تعلق بالخبر وضبط الرواية » وسنذكره في ترجمة ابن رشيق

ونظرا لعظم وقع هذا الكتاب في النفوس تصدى معاصروه لنقده ومعارضته وقد وصلنا من ذلك « رسائل الانتقاد» لابي عبد الله محمد بن ابي سعيد بن احمد شرف الجذامي القيرواني الشاعر الاديب المتوفى سنة ٤٦٠ هـ عارض بها كتاب العمدة . وهو معاصر لابن رشيق وزميله . وقد تأنق فى رسائله فسجعها وزينها بالتشابيه والكنايات يقلد بها المقامات فى الخطاب والجواب . وضمنها انتقاداً على الشعراء الجاهليين فما بعدهم وشتان بينه وبين ابن رشيق . وقد نشرت رسائله المشار اليها فى مجلة المقتبس (سنة ٦)

وذكر صاحب كشف الظنون كتباً فى نقد الشعر لابي عبد الله محمد بن يوسف الكفرطابي المتوفي سنة ٥٠٣ هـ ولغيره لم نقف عليها

الشعراء

في العصر العباسي الثالث

كان الفرزدق وجرير والاخطل وغيرهم من شعراء بني امية يعدون فى ذلك العصر محدثين فاصبحوا يعدون فى العصر العباسي الاول قدماء وصار ابو نواس والعتابي واشباههم محدثين ثم صار هؤلاء قدماء أو مولدين فى العصر الذي نحن فى صدده وصار أهل هذا العصر محدثين . ونحن اليوم نعدُّ هؤلاء جميعاً قدماء

مميزات هذا العصر

ويمتاز الشعراء في هذا العصر عما في سواه قبله بامور اهمها :

١ انهم ظهروا وتكاثروا في اطراف المملكة الاسلامية ايضاً بعد ان تفرق الادباء من بغداد كما تقدم . فبعد ان كان اكثرهم في الشام والعراق نبغت طائفة منهم في خرسان وتركستان وطبرستان والاهواز ومصر والمغرب والاندلس وسائر الانحاء وان ظلت الافضلية لشعراء الشام والعراق لاسباب ذكرناها في غير هذا المكان

٢ ظهرت فيهم طبقة من الوزراء والقضاة والامراء وسائر وجوه الدولة واصحاب الثروة والوجاهة

٣ تعاطى الشعر كثيرون من الفقهاء والعلماء والمنشئين والفلاسفة والاطباء

٤ زاد عدد الشعراء فيه على عددهم في كل عصر قبله لشيوع العلم واتساع دائرة المملكة الاسلامية . ولا يتسع المقام لتراجمهم فنأتي باشهرهم حسب سني الوفاة :

أشهر شعراء هذا العصر

١ — ابو الطيب المتنبي

توفي سنة ٣٥٤ هـ

هو ابو الطيب احمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي . وبنو جعفى بطن من سعد العشيرة من القحطانية فهو عريق بالعروبة . ولد في الكوفة سنة ٣٠٣ في محلة تسمى كندة فنسب اليها وليس هو من كندة القبيلة المعرفة . وكان أبوه من العامة يسقي الناس ويسمونه « عبدان السقاء » لكن ابا الطيب نشأ على طلب العلم والادب وكان قوي الحافظة مطبوعا على الشعر . فلما ترعرع حمله ابوه الى الشام يتنقل به من باديتها الى حاضرتها . واخذ العلم من أصحابه فقرأ أولا باللغة فحفظ غريبها وحوشيها واشعار الجاهلية وغيرهم واشتهر بالفصاحة والبلاغة . وكان مفطوراً على كبر النفس وبعد الهمة فلم يقنع بما يتمناه سواه من الشهرة بالشعر أو الادب فطلب السيادة بالفتح فدعا الى بيعته قوما من مريديه من أبناء سنه فبايعوه وحين كاد يتم أمر دعوته وصل خبره الى والي البلدة فقبض عليه وحبسه . وفي هذا الحبس نظم قصيدة استعطف بها الوالي على اطلاقه مطلعها :

أيا خدّد الله ورد الخدود وقدّ قدود الحسان القدود

الى ان قال :

دعوتك لما براني البلى وأوهن رجلي ثقل الحديدِ
وقد كان مشيهما في النعال فقد صار مشيهما في القيود
وكنت من الناس في محفلٍ فها انا في محفل من قرود
تعجل فيّ وجوب الحدود وحدي قَبل وجوب السجود

اي انما تجب الحدود على البالغ وأنا صبيٌّ لم تجب علي الصلوات بعد فاطلقه

ولما فرغت يده من الفتح طلب ماهو ابعد منه فزعم انه نبيٌّ اعتماداً على بلاغة اسلوبه فخرج الى بني كلب اقام فيهم وادعى انه علوي ثم ادعى النبوة . وقال أنه اظهر دعوته هذه أولا في بادية سماوة ونواحيها وأخذ يتلو عليهم كلاما زعم انه قرآن انزل عليه فكانوا يحكون له سوراً كثيرة أورد ابو علي بن حامد جزءا من سورة قال انها ضاعت وبقي أولها في حفظه وهو « والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار امض على سننك واقف أثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيله » فلما شاع امره بين الناس خرج عليه لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله وأسر من كان معه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب وحبسه في السجن دهراً طويلاً حتي كاد يتلف فسئل في أمره فاستتابه وكتب عليه وثيقة واشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام واطلقه . فكان المتنبي كلما ذكر له قرآنه بعد ذلك انكره وحاول التنصل من تبعته

فقنع بعد فشله هذا بالشهرة الادبية . فنال منها ما لم ينله سواه فراجت سوق شعره بما أصابه من رغبة الملوك والامراء فيه فنظم القصائد في أغراض مختلفة وفاق معاصريه على الاطلاق. فتسابق الملوك الى استدنائه بالجوائز ففعل. وبدأ بسيف الدولة ابن حمدان فقدم عليه سنة ٣٣٧هـ ومجلسه حافل بفحول الشعراء. فاحرز المتنبي قصب السبق بقصائد سار بذكرها الركبان. وكان في جملة من يحضر مجلس سيف الدولة ابن خالويه النحوي فوقع بينه وبين المتنبي كلام ادى الى نفور فوثب ابن خالويه على المتنبي فضربه بمفتاح كان معه فشجه . ولم ير المتنبي من سيف الدولة دفاعاً عنه فغضب وخرج الى مصر . واراد الانتقام لنفسه فتقرب من كافور الاخشيدي سنة ٣٤٦هـ لما يعلم من عداوته لبني حمدان وامتدحه وامتدح أنوجور بن الاخشيد فاكرماه حتى صار يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب

بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق . فلما رأى كافور سموّه بنفسه وتعاليه بشعره خافه وقال : « يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد (صلعم) الا يدعى الملك مع كافور فحسبكم » فاغضبه فخرج ابو الطيب من مصر فاتى بغداد ثم ذهب قاصداً بلاد فارس وامتدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فاجزل عطاءه

ثم رجع من فارس قاصداً بغداد ومعه ابنه محسد وغلامه مفلح حتى اذا كان بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية في الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول بينهما مسافة ميلين عرض له فاتك بن ابي الجهل الاسدي في عدة من اصحابه فاقتتلا . فاحس المتنبي بالضعف فعمد الى الفرار فقال له غلامه مفلح : « لا يتحدث الناس عنك بالفرار وانت القائل :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم »

فكر راجعاً حتى قتل سنة ٣٥٤ هـ

اما شعره ففي الدرجة الاولى من المتانة والبلاغة وهو مشهور بضخامة المعاني ومتانة المباني . ولم يدع باباً من ابواب الشعر الا طرقه وأجاد فيه وخصوصاً الحكم والحماسة والمديح والفخر والعتاب . وحوى شعره من الفلسفة والحكمة ما جرى على ألسنة الناس مجرى الامثال . واقتبس كثيرون من المنشئين معانيه وحلوا شعرها الى نثر ادخلوه في نثرهم كما فعل الصاحب بن عباد[1] أو نظموه لانفسهم كما فعل ابو بكر الخوارزمي وغيره . ولم نأت بامثلة من نظمه لكثرته ولاشتهار ديوانه وشيوعه

مضى على شعره نحو الف سنة ولا يزال موضوع مناقشات أهل الادب وكثيراً ما اشتغلوا في تفسير اشعاره وحل مشكلها وعويصها والفت الكتب في ذكر جيده ورديئه وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصاح عن ابكار كلامه وتفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والتعصب له أو عليه . وذلك دليل على وفور فضله وتقدمه على اقرانه — والكامل من عدت سقطاته والسعيد من حسبت هفواته

وممن درس شعر المتنبي وبين حسنه وقبيحه ونقده ابو منصور الثعالبي في الجزء الاول من يتيمة الدهر . فانه بين حسناته وسيئاته مفصلاً مع سائر اخباره في نحو مئة صفحة ولم يبق شاعر أو اديب جاء بعد المتنبي الا انتقده . ويرى ابن رشيق ان ابا الطيب كان يأتي بالمستغرب ليبين معرفته . وانه كان في طبعه غلظ وفي عتابه شدة وانه كثير التحامل ظاهر الكبرياء والانفة

---

(١) يتيمة الدهر ٨٧ ج ١

وقال ابو العلاء المعري « ابو تمام والمتنبي حكيمان وانما الشاعر البحتري » وكان شيوخ الشعر في ايام ابن خلدون لا يرون المتنبي والمعري من الشعراء لانهما لم يجريا على أساليب العرب . وابو سعيد محمد بن احمد العبيدي الف كتابا سماه « الابانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى » ذكر فيه نحو ٢٥٠ بيتاً من أشعار المتنبي وأورد ما يقابلها من نظم المتقدمين كالبحتري وابي تمام وابن الرومي وديك الجن وغيرهم من فحول الشعراء وزعم ان المتنبي سرقها وغير فيها واعادها لنفسه والكتاب مطبوع بمصر في ٨٨صفحة . وابوعلي محمد بن حسن الحاتمي بين ماتوارد من المعاني بين ابي الطيب وارسطو ولم يتهم المتنبي بالسرقة بل قال : « لما رأيت ابا الطيب قد اتى في في شعره على أغراض فلسفية ومعان منطقية اردت الموافقة بين ما توارد به في شعره مع ارسطو في حكمه لانه ان كان ذلك عن فحص ونظر فقد اغرق في درس العلوم وإن يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة في ذلك وهو في الحالين على غاية الفضل » ثم أورد بعض أقوال ارسطو وما يقابلها من أشعار المتنبي في نحو عشرين صفحة اطلعنا عليها في كتاب اسمه راشد سوريا مطبوع في بيروت سنة ١٨٦٨ . وانتقد المتنبى جماعة من المستشرقين أيضاً اشهرهم رايسكي ودي ساسي وبولين وبروكلمن وهمر ونيكلسن وغيرهم . وفي المقتطف صفحة ٣٦١ سنة ١٧ مقالة في المتنبي للسيد توفيق البكري

وقد جمع ديوان المتنبى ورتب على الحروف الابجدية . وشرحه كثيرون وطبع في الهند ومصر والشام وغيرها . ومن شروحه التي بقيت شرح ابن جني المتوفي سنة ٣٩٢ في ثلاثة مجلدات ذكره كشف الظنون ومنه نسخة خطية في مكتبة بطرسبورج وأخرى في الاسكوريال . وعلق عليه ابن فورغا سنة ٤٣٧ كتاباً سماه التجني على ابن جني في الاسكوريال . وشرحه ابراهيم الاقليلي المتوفي سنة ٤٤١ هـ ومنه نسخة في مكتبة برلين . وشرحه ابو العلاء المعري المتوفي سنة٤٩٩ ومن شرحه نسخة في مكتبة منشن وأخرى في المتحف البريطاني وفي بطرسبورج . وشرحه الواحدي المتوفي سنة ٤٦٨ وقد طبع في بمباي سنة ١٢٨١ وفي أوروبا سنة ١٨٦١ . وشرحه التبريزي سنة (٥٠٢) ومنه نسخة في مكتبة باريس وشرحه العكبري (٦١٦) طبع في بولاق سنة ١٨٦٠وفي مصر سنه ١٢٨٧ وبعدها . وفي مكاتب أوربا نسخ خطية من هذا الديوان ليس عليها اسماء شراحها. واحدث شروحه العرف الطيب فيشرح ديوان ابي الطيب للشيخ اليازجى طبع في بيروت غير مرة . وهناك مختارات من ديوان المتنبي

يطول بنا ذكرها . منها كتاب الامثال السائرة في شعر المتنبي موجود في المكتبة الخديوية . والمنصف للسارق والمسروق وهو بحث في حقيقة المتنبي بالنظر الى ذلك منه نسخة خطية في برلين . والصبح المنبي عن حيثية المتنبي ليوسف البديعي المتوفى سنة ١٠٧٣ منه نسخ في اكثر مكاتب أوربا وفي المكتبة الخديوية وغيرها كثير. وقد عني الموسيو غرانجريه بنقل بعض أشعار المتنبي الى الفرنسية وطبعت في المجلة الاسيوية (سنة ١٨٢٤) وكتب عنه أكثر المستشرقين مقالات انتقادية ولاسيما ديتريشي وهامر وجونبول وقد عني هذا بترجمة بعض أشعاره الى اللاتينية وطبعت سنة ١٨٤٠

وترجمة المتنبي في ابن خلكان ٣٦ ج ١ ويتيمة الدهر ٧٨ ج ١ وطبقات الادباء ٣٦٦

٢ — ابو فراس الحمدانى

توفي سنة ٣٥٧ هـ

هو ابو فراس الحرث بن ابي العلاء سعيد بن حمدان الحمداني ابن عم سيف الدولة . فهو شاعرٌ امير وكان فارساً مغواراً وشاعراً بليغاً وشعره سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة مع رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز . وابو فراس يعدُّ اشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام . وكان الصاحب بن عباد يقول: «بديء الشعر بملك وختم بملك» يعني امرأ القيس وابا فراس وكان المتنبي يشهدله بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته لكنه لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له واجلالا لا اغفالا واخلالا . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن ابي فراس ويميزه بالاكرام على سائر قومه ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في أعماله

واشتهر أبو فراس في عدة معارك مع سيف الدولة حارب بها الروم فاسر في احداها وهو جريح في فخذه . فحمل الى القسطنطينية وسجن فيها أربع سنين . ونظم وهو في السجن قصائد امتازت بالرقة والحنين الى الوطن وغير ذلك وعرفت بالقصائد الروميات . ثم اطلق سراحه وعاد الى وطنه . ولما مات سيف الدولة طمع هو بحمص فاعترضه أبو المعالي ابن سيف الدولة وجرت بينهما حرب انتهت بقتل ابي فراس سنة ٣٥٧ وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز السابعة والثلاثين

وقد جمع شعره في ديوان طبع في بيروت سنة ١٨٧٣ وسنة ١٩٠٠ وأفرد صاحب يتيمة الدهر فصلا كبيراً لترجمة ابي فراس واشعاره (ج ١) وقد عني الموسيو دوفوراك في ترجمة بعض اشعاره الى الالمانية طبعت في ليدن سنة ١٨٩٥

ومن أمثلة شعره قوله في الفخر :

الم ترنا اعزّ الناس جاراً   وامنعهم وامرعهم جنابا
لنا الجبل المطلّ على نزار   حللنا الجدمنه والهضابا
يفضلنا الانامُ ولا نحاشي   ونوصف بالجميل ولا نحابى
وقد علمت ربيعة بل نزارٌ   بأنا الرأس والناس الذنابى
ولما أن طغت سفهاء كعب   فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب غير انا   اذا جارت منحناها الحرابا
ولما ثار سيف الدين ثرنا   كما هيجتَ آساداً غضابا
اسنته اذا لاقا طعاناً   صوارمه اذا لاقا ضرابا
دعانا والاسنة مشروعاتٌ   فكنا عند دعوته الجوابا
صنائع فاق صانعها ففاقت   وغرس طاب غارسه فطابا
وكنا كالسهام اذا أصابت   مراميها فراميها اصابا

وقوله في العتاب :

قد كنت عدتيَ التي أسطو بها   ويدي اذا اشتدّ الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما املتــهُ   والمرء يشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التقي لبره   اغضى على ألمٍ لضرب الوالد

ومن اخوانياته قوله :

لم اواخذك بالجفاء لاني   واثقٌ منك بالوداد الصريح
فجميل العــدو غير جميل   وقبيح الصديق غير قبيح

ومن باب الشكوى والعتاب قوله :

ايا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا   ايا قومنا لا تقطعوا اليد باليد
فياليت داني الرحم منا ومنــكم   اذا لم يقرّب بيننا لم يبعــد
عداوة ذي القربى اشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند

وقوله :

اذا كان فضلي لا اسوّغ نفعه   فافضل منه ان ارى غير فاضل

ومن اضيع الاشياء مهجة عاقل يجوز على حوبائها حكم جاهل

ومن النسيب قوله :

تبسّم اذ تبسم عن اقاحٍ واسفر حين اسفر عن صباح
واتحفني براح من رضاب وراح من جنى خد وراح
فمن لألاء غرته صباحي ومن صهباء ريقته اصطباحي

ومن التشبيهات قوله :

مددنا علينا الليل والليل راضع الى ان تردى رأسه بمشيب
بحال تردُّ الحاسدين بغيظهم وتطرف عنّا عين كل رقيب
الى أن بدا ضوء الصباح كانه مبادي نصول في عذار خضيب

ومن رومياته وقد شقت فخذه من نصل السهم قوله :

فلا تصفنَّ الحرب عندي فانها طعاميَ مذ بعت الصبا وشرابي
وقد عرفت وقع المسامير مهجتي وشقق عن زرق النصول اهابي

وترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ١ ويتيمة الدهر ٢٢ ج ١

٣ — كشاجم

المتوفي نحو سنة ٣٦٠ ه

هو ابو الفتح محمود بن الحسين بن شاهق هندي الاصل ويعرف بالسندي . اقام في الرملة فلقب بالرملي . وله ديوان رتب على حروف المعجم طبع في بيروت سنة ١٣١٣ ومن مؤلفاته «كتاب ادب النديم» وهو صغير يبحث في واجبات النديم وفضائله واخلاقه وما عليه عند التداعي للمنادمة والسماع والمحادثة ويتخلل ذلك اخبار واشعار طبع في مصر سنة ١٢٩٨ : وينسب اليه كتاب البيزرة في علم الصيد منه نسخة خطية في مكتبة غوطا . واخباره في الفهرست ١٣٩

٤ — السري الرفاء

توفي سنة ٣٦٢ه

هو ابو الحسن السري بن احمد بن السري الكندي الرفاء . ولد في الموصل ونشأ فيها وكان يرفو ويطرز في دكان وهو ينظم الشعر حتى جاد شعره . فقصد سيف

الدولة ومدحه واقام عنده مدة . وانتقل بعد وفاته الى بغداد ومدح الوزير المهلبي وجماعة من رؤسائها . وكان بينه وبين الخالديين الشاعرين الموصليين معاداة فادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره . فكان ينسخ ديوان كشاجم المتقدم ذكره ويدخل فيه أحسن ابيات الخالديين ليقول الناس انهما سرقاه منه وسيأتي ذكرهما

وكان السري شاعراً مطبوعاً يمتاز شعره بعذوبة الفاظه وكثرة الافتتان بالتشبيهات والاوصاف. ولم يكن يحسن من العلوم غير الشعر . وفي يتيمة الدهر طائفة حسنة من أشعاره وما ادخله في شعره من معاني الشعراء كالمتنبي وابن أبي حفصة وابي تمام وغيرهم وهو فصل طويل

ومن تشبيهاته في وصف الثلج قوله :

يا من أنامله كالعارض الساري	وفعله ابداً عارٍ من العار
اما ترى الثلج قد خاطت أنامله	ثوباً يزرُّ على الدنيا بازرار
نارٌ ولكنها ليست بمبدية	نوراً وماء ولكن ليس بالجاري
والراح قد اعوزتنا في صبيحتنا	بيعاً ولو وزن دينار بدينار
فامنن بما شئت من راح يكون لنا	ناراً فانا بلا راح ولا نار

ومن قوله يذكر صناعته :

وكانت الابرة فيما مضى	صائنة وجهي واشعاري
فاصبح الرزق بها ضيقاً	كانه من ثقبها جاري

ومن محاسن شعره في المديح من جملة قصيدة :

يلقى الندى برقيق وجه مسفر	فاذا التقى الجمعان عاد صفيقا
رحب المنازل ما اقام فان سرى	في جحفل ترك الفضاء مضيقاً

ومن عذوبة لفظه قوله :

ويا ديرها الشرقي لازال رائح	يحلُّ عقود المزن فيك ومغتدي
عليلة انفاس الرياح كانما	يعل بماء الورد نرجسها الندي
يشق جيوب الورد في شجراتها	نسيم متى ينظر الى الماء يبرد

وللسري الرفاء ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٤٠٠ صفحة نقلت من المدينة المنورة اكثرها في مدح سيف الدولة والوزير المهلبي وبعض بني حمدان. وفيه اهاج في الخالديين وغيرها وقصائد وصفية يصف بها صيد السمك وشبكته والنار

وكلاب الصيد وبعض الابنية وغيرها . وفي وصفه رقة وسهولة . ومنه نسخ ايضاً في مكاتب باريس وبرلين

وله كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب وهو اربعة اقسام في المحبين واشعارهم والاطياب والازهار واسماء الخمر منه نسخة خطية في فينا واخرى في ليدن وترجمته في يتيمة الدهر ٤٥٠ ج ١ وابن خلكان ٢٠١ ج١ والفهرست ١٦٩

٥ — ابن هاني الاندلسي

توفي سنة ٣٦٣ هـ

هو أبو القاسم محمد بن هاني الازدي الاندلسي ويرجعون بنسبه الى آل المهلب بن ابي صفرة . كان ابوه هاني شاعراً في بعض قرى المهدية بافريقيا فانتقل الى الاندلس فولد له محمد سنة ٣٢٦ هـ في اشبيلية ونشأ بها وكان شاعراً مطبوعاً . تقرب من صاحب اشبيلية وحظي عنده وكان معاصراً لعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم والاندلس في ابان زهوها وحضارتها . لكنهم كانوا يطاردون طلاب الفلسفة ويتهمونهم بالكفر وكان ابن هاني من طلابها فلما اشتهر أمره بها نقم عليه الناس وساءت المقالة بحق صاحب اشبيلية بسببه واتهم بمذهبه فاشار عليه بالغيبة عن البلدة ريثما ينسى امره . فبرحها وعمره ٢٧ سنة الى بلاد المغرب والدوله الفاطمية في اثناء رغبتها في فتح مصر فلقي القائد جوهر ومدحه . حتى انتهى خبره الى المعز لدين الله الفاطمي فاستقدمه اليه . ثم انتقل المعز الى مصر بعد فتحها فاخذ ابن هاني يستعد للحاق به فتجهز ولحق به فوصل برقة فاضافه شخص من أهلها اقام عنده اياما في مجلس انس . ويقال انه خرج من تلك الدار وهو سكران فنام في الطريق فوجد ميتاً وهو في السادسة والثلاثين من عمره فاسف المعز لوفاته وقال : «هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق»

ويمتاز شعر ابن هاني بالمبالغة الكثيرة في المديح والافراط الى حد الكفر . وفي ألفاظه قعقعة وأنين . ونظراً لما تقدم من اشتهاره بالكفر لم ينصفه المؤرخون ولا الشعراء . وكان أبو العلاء المعري اذا سمع شعر ابن هاني قال « لا أشبهه الا برحى تطحن قروناً » لاجل القعقة التي في الفاظه . ويزعم انه لا طائل تحت تلك الالفاظ — وانما فعل المعري ذلك تعصباً للمتنبي

وفي كل حال فانه أشعر أهل الاندلس على الاطلاق . وهو عندهم كالمتنبي في المشرق وكان معاصراً له . وأكثر شعره في مدح المعز لدين الله الفاطمي قد تقدم مثال منه عند كلامنا عن المبالغة الشعرية . ومن قوله في وصف الخيل من قصيدة مدح بها المعز :

وصواهل لا الهضب يوم مغارها هضبٌ ولا البيد الحزون حزون
عرفت بساعة سبقها لا انها علقت بها يوم الرهان عيون
وأجلُّ علم البرق فيها انها مرّت بجانحتيه وهي ظنون
في الغيث شبهٌ من نداك كانما مسحت على الانواء منك يمين

ولابن هاني ديوان مرتب على الابجدية منه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوربا وطبع في بولاق سنة ١٢٧٤ وفي بيروت سنة ١٨٨٤ وترجمته في ابن خلكان ٤ ج ٢

٦ — الوأواء الدمشقي

توفي سنة ٣٩٠ ﻫ

هو أبو الفرج محمد بن احمد الغساني الدمشقي الملقب بالوأواء . كان في بدء أمره منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه وما زال يشعر حتى أجاد واشتهر . وكان شعره حسن التشبيه منسجم اللفظ عذب العبارة حسن الاشارة ولذلك شاع كثير من أشعاره على ألسنة الناس من ذلك قوله :

بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا عن ملاطفة ما ضرَّ لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما من سيدي غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وذكر له الثعالبي بعض القصيدة التي اشتهرت لابن زريق الآتي ذكره ومطلعها:

لا تعذليه فان العذل يولعه قدقلتِ حقاً ولكن ليس يسمعه

وله من التشبيهات الابيات المشهورة :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها لم ذا ؟ اما لقتيل الحب من قود
وأسبلت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد
انسانة لو بدت للشمس ماطلعت من بعد رؤيتها يوما على أحد
كانما بين غايات الجفون لها أسد الحمام على طرق الهوى رصدي

وله ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٦٥ صفحة نقل من المدينة المنورة أكثره مقاطيع في الخمر والغزل

وترجمته في فوات الوفيات ١٤٦ ج ٢ ويتيمة الدهر ٢٠٥ ج ١

٧ — السلامي

توفي سنة ٣٩٣ ﻫ

هو أبو الحسن محمد بن عبد الله من ولد الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخي خالد بن الوليد وسمي السلامي نسبة الى دار السلام. ولد في كرخ بغداد سنة ٣٣٦ ﻫ ورحل منها الى الموصل وهو صبي ينظم الشعر فلقي جماعة من مشائخ الشعراء منهم أبو عثمان الخالدي أحد الخالديين وأبو الفرج الببغاء وغيرهما . فاعجبوا ببراعته مع حداثته فاتهموه بان الشعر ليس له . ثم خبروه بتجربة — وذلك أن الخالدي كان في يده نارنجة القاها على برد تساقط في تلك الساعة وطلبوا اليه أن يصف ذلك المنظر فقال مرتجلا :

لله در الخالدي الاوحد الندب الخطير
اهدى لماء المزن عند جموده نار السعير
حتى اذا صدر العتاب اليه عن حنق الصدور
بعثت اليه بعذره عن خاطري ايدي السرور
لا تعذلوه فانه اهدى الخدود الى الثغور

فاقتنعوا باقتداره وهو من اشعر أهل العراق ومدح آل حمدان. ونزل على الصاحب بن عباد باصفهان ردحاً من الزمن ثم قصد عضد الدوله في شيراز فحمله الصاحب معززاً مكرماً فاكرمه عضد الدولة وكان يقول : « اذا رأيت السلامي في مجلس ظننت أن عطارد قد نزل من الفلك اليّ ووقف بين يدي »

ومن جملة مدحه اياه قوله :

اليك طوى عرض البسيطة جاعل قصارى المطايا أن يلوح لها القصرُ
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر
وبشرت آمالي بملك هو الورى ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

ومن بديع شعره في مدح الصاحب :

تبسطنا على الآثام لما رأينا العفو من ثمر الذنوب

وفي يتيمة الدهر الجزء الثاني طائفة من أحسن اشعاره . وتجد اخباره ايضاً في ابن خلكان ٥٢٤ ج ١

٨ — الببَّغاء

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي أصله من نصيبين بالعراق . وهو ممن جمع بين الشعر والانشاء ولكن الشعر غلب عليه . وقد ذكر الثعالبي رسائل دارت بينه وبين أبي اسحق الصابي وأشياء يطول شرحها . ولقب بالببغاء للثغة في لسانه . واتصل في ريعان شبابه بسيف الدولة في حلب ثم تنقل بعد وفاته الى الموصل وبغداد . ومن شعره ما يتغنى به أكثره في الغزل والخمر وفي الزهر فضلا عن قصائد المديح . وفي اليتيمة امثلة من شعره يضيق عنها هذا المقام ومن تشبيهه قوله :

وكأنما نقشت حوافر خيله   للناظرين اهلة في الجلمدِ
وكأن طرف الشمس مطروف وقد   جعل الغبار له مكان الاثمدِ

واكثر شعره جيد ومقاصده فيه جميلة

واخباره في ابن خلكان ٢٩٨ ج ١ ويتيمة ١٧٣ ج ١

٩ — النامي

توفي سنة ٣٩٩ هـ

هو ابوالعباس احمد بن محمد الدارمي المصيصي المعروف بالنامي من خواص مداح سيف الدولة يأتي بالرتبة عندهُ بعد المتنبي

وكان اديباً عارفا باللغة وقد اشتغل فيها بحلب وله وقائع مع المتنبي ومعارضات في الاناشيد . وقد عاش بعده دهراً حتى اربى على التسعين سنة من العمر ومن لطيف شعره قوله :

اتاني في قميص اللاذ يسعى   عدوّ لي يلقب بالحبيب
وقد عبث الشراب بمقلتيه   فصير خده كسنا اللهيب
فقلت له بما استحسنت هذا   لقد اقبلت في زي عجيب
احمرة وجنتيك كستك هذا   ام انت صبغته بدم القلوب
فقال الراح اهدت لي قميصاً   كلون الشمس في شفق المغيب
فثوبي والمدام ولون خدّي   قريب من قريب من قريب

واخباره في ابن خلكان ٣٨ ج ١

١٠ — ابن نباتة السعدي

توفي سنة ٤٠٥ ﻫ

هو ابو نصر عبد العزيز بن عمر من سعد من تميم . نشأ في بغداد وطاف البلاد ومدح الملوك والرؤساء من جملتهم سيف الدولة وابن العميد . وجرت بينه وبين هذا مفاوضة سيأتي ذكرها في ترجمة ابن العميد . ومدح عضد الدولة والوزير المهلبي وغيرهما . ويمتاز شعره بحسن السبك وجودة المعنى ومن قوله في سيف الدولة وقد اعطاه فرساً احمر محجلا قصيدة قال منها في وصف الفرس :

فكانما لطم الصباح جبينه ... فاقتص منه فخاض في احشائه
متمهلا والبرق من اسمائه ... متبرقعاً والحسن من اكفائه
ما كانت النيران يكمن حرها ... لو كان للنيران بعض ذكائه
لا تعلق الالحاظ في اعطافه ... الا اذا كفكفت من غلوائه
لا يكمل الطرف المحاسن كلها ... حتى يكون الطرف من اسرائه

وهو غير ابن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٦٨ ﻫ صاحب الديوان المشهور وسيأتي ذكره . وغير ابن نباتة الفارقي الخطيب المتوفي سنة ٣٨٤ ﻫ صاحب ديوان الخطب وقد طبعت خطبه بمصر مراراً وفي بيروت سنة ١٣١١ ولها شروح عديدة منها نسخ خطية في مكاتب أوربا . وترجمته في ابن خلكان ٢٨٣ ج ١

واما ابن نباتة السعدي فترجمته في ابن خلكان ٢٩٥ ج ١ ويتيمة الدهر ١٤٣ ج ١

١١ — الشريف الرضي

توفي سنة ٤٠٦ ﻫ

هو ابو الحسن محمد بن الطاهر وينتهي نسبه الى موسى الكاظم ومنه الى الحسين بن علي ولذلك لقب بالشريف الرضي الموسوي . ولد في بغداد سنة ٣٥٩ وبدا يقول الشعر وعمره بضع عشرة سنة وكان ابوه نقيب الاشراف الطالبيين فصارت النقابة اليه سنة ٣٨٨ وابوه حيّ . وكان عالماً بعلوم القرآن واللغة والنحو وله فيها المؤلفات النافعة وكان يقيم في سر من رأى (سامرّا) . وقد اجمع الاكثرون على أن الشريف الرضي اشعر قريش لان شعراء قريش كان فيهم من يجيد القول الا ان شعره قليل. فاما مجيد مكثّر فليس الا الشريف الرضي. وتوفي في بغداد سنة ٤٠٦ ﻫ ودفن في الكرخ ورثاه الشعراء. وكان رفيع المنزلة لشرف نسبه ومنصبه وعلو كعبه في الشعر والادب. ومن

أجمل نظمه الدال على عظم نفسه وشاعريته قصيدة قالها في الخليفة القادر بالله العباسي في جلسة جلسها فاوصل اليها الحجيج وغيرهم سنة ٣٨٢ مطلعها :

لمن الحدوج تهزهن الانيق والركب يطفو في السراب ويغرق

وتخلص الى مدح الخليفة والافتخار بنسبه فقال :

وبرزت في برد النبي وللهدى نور على أسرار وجهك مشرق
وكأن دارك جنة حصباؤها الجادي أو انماطها الاستبرق
في موقف تغضي العيون جلالة فيه ويعثر بالكلام المنطق
والناس اما شاخص متعجب مما يرى أو ناظر متشوق
مالوا اليك محبة فتجمعوا ورأوا عليك مهابة فتفرقوا
عطفاً أمير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا تتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فانني انا عاطل منها وانت مطوق

ويمتاز الشريف الرضي ببراعته في الرثاء وله عدة مراث اشهرها رثاؤه لابي اسحق الصابي بقصيدة مطلعها :

أرأيت من حملوا على الاعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي

وقد اكبر الناس قوله في هذه القصيدة لان المرثي كان صابئياً

ومن قوله في الحكم :

كن في الانام بلا عين ولا اذن أو لا فعش أبد الايام مصدوراً
والناس أسد تحامي عن فرائسها اما عقرت واما كنت معقوراً

وللشريف المذكور ديوان كبير رواية ابي حكيم الخيري مرتب على أبواب : (١) المديح (٢) الافتخار وشكوى الزمان (٣) المراثي (٤) النسيب والمشيب ووصف طيف الحبيب (٥) الفنون المختلفة . وكل باب مرتب على الابجدية ويليها زيادات . منه نسخ خطية في المكتبة الخديوية ومكاتب برلين ولندن والاسكوريال . وقد طبع في الهند في مجلد واحد كبير مرتب على المعجم سنة ١٣٠٦ هـ . وله مؤلفات في معاني القرآن لم تصلنا . وله كتاب انشراح الصدر في مختارات من الشعر منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وفي مكتبة الاسكوريال مما ينسب الى الشريف الرضي مجموعة أشعار عنوانها طيف الخيال

وتجد ترجمته في ابن خلكان ٢ ج ٢ ويتيمة الدهر ٨١ و ٢٩٨ جزء ٢

١٢ — صريع الدلاء

توفي سنة ٤١٢ هـ

هو ابو الحسن علي بن عبد الواحد ويعرف بصريع الدلاء وقتيل الغواني اشتهر بقصيدة مجونية مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد منها قوله :

من لم يرد ان تنتقب نعاله　　يحملها في كفه اذا مشى
ومن اراد ان يصون رجله　　فلبسه خير له من الحفا
من دخلت في عينه مسلة　　فاسأله من ساعته عن العمى
من اكل الفحم تسود فمه　　وراح صحن خده مثل الدجا
من صفع الناس ولم يدعهم　　ان يصفعوه فعليهم اعتدى
من ناطح الكبش يفجر راسه　　وسال من مفرقه شبه الدما
من طبخ الديك ولا يذبحه　　طار من القدر الى حيث يشا

وترجمته في فوات الوفيات ٢٣٧ ج ٢

١٣ — مهيار الديلمي

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو ابو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي كان مجوسياً واسلم على يد الشريف الرضي . وتخرج في الشعر على يده وقد وازن كثيراً من قصائده ويمتاز في شعره بجزالة القول ورقة الحاشية وطول النفس وقد طرق اكثر ابواب الشعر فمن قوله في القناعة :

يلحى على البخل الشحيح بماله　　افلا تكون بماء وجهك ابخلا
اكرم يديك عن السؤال فانما　　قدر الحياة اقل من أن تسألا
ولقد اضم الي فضل قناعتي　　وابيت مشتملاً بها متزملا
وأري العدو على الخصاصة شارة　　تصف الغني فيخالني متمولا
واذا امرؤ افنى الليالي حسرة　　وامانياً افنيتهن توكلا

ومن بديع مدائحه قوله من جملة قصيدة :

واذا راوك تفرقت ارواحهم　　فكانما عرفتك قبل الاعين
واذا اردت بان تفل كتيبة　　لاقيتها فتسم فيها واكتن

وله من جملة قصيدة ابيات تتضمن العتب وهي :

اذاصور الاشفاق لى كيف انتم وكيف اذا ماعنّ ذكري صبرتم
تنفست عن عتب فؤادي مفصح به ولساني للحفاظ يجمجم
وفى فيّ ماء من بقايا ودادكم كثيراً به من ماء وجهي أرقتم
ارقت فما ضنا عليه وبينه وبين انسكاب ريثما اتكلم

وقد جمع شعره في ديوان يدخل في اربعة مجلدات كان مشهوراً في أيام ابن خلكان وذكر امثلة منه ولم نقف عليه . وترجمته في ابن خلكان ١٤٩ ج ٢

١٤ — ابو العلاء المعري

توفي سنة ٤٤٩ ﻫ

هو خاتمة شعراء العصر العباسي الثالث كما كان شبيهه ابو الطيب المتنبي فاتحته ـ ونعم الفاتحة والخاتمة . وهو الشاعر الحكيم الفيلسوف احمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد التنوخي . ولد في المعرة سنة ٣٦٣ﻫ وكان ابوه من اهل الادب وتولى جده القضاء فيها . وكانت امه أيضاً من اسرة وجيهة يعرفون بآل سبيكة اشتهر منهم غير واحد بالوجاهة والادب . وكانت المعرة تحت سيطرة الدولة الحمدانية بحلب واميرها يومئذ سعد الدولة ابو المعالى

ولم يتم ابو العلاء الثالثة من عمره حتى اصابه الجدري فذهب بيسرى عينيه وغشي يمناها بياض . فكف بصره وهو طفل وكان يقول : « لا أعرف من الالوان الا الاحمر لاني البست في الجدرى ثوبا مصبوغاً بالعصفر » لقنه أبوه النحو واللغة في حداثته ثم قرأ على جماعة من أهل بلده . ولما أدرك العشرين من عمره عمد الى سائر علوم اللغة وآدابها فاكتسبها بالمطالعة والاجتهاد . وكان يقيم أناساً يقرأون له كتبها وأشعار العرب وأخبارهم . وهو قوي الحافظة الى ما يفوق التصديق

وكان مطبوعاً على الشعر نظمه قبل أن يتم الحادية عشرة من عمره . ولم يمنعه العمى من مباراة أرباب القرائح في ما اشتغلوا به حتى في العابهم فقد كان يلعب الشطرنج والنرد ويجيد لعبهما لا يرى في العمى نقصاً . بل هو كان يقول « احمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر » وكان يرتزق من وقف يحصل له منه ثلاثون ديناراً في العام ينفق نصفها على من يخدمه

ورحل في طلب العلم على عاداتهم في ذلك العهد فاتى طرابلس واللاذقية وسواهما من بلاد الشام وأخذ فلسفة اليونان عن الرهبان . ثم رحل الى بغداد سنة ٣٩٨ وشهرته

قد سبقته اليها فاستقبله علماؤها بالحفاوة. واطلع في أثناء اقامته هناك على فلسفة الهنود والفرس فضلا عن سائر العلوم . حتى اذا نضج عقله وأمعن النظر في الوجود رأى الدنيا كما هي فزهد فيها وعزم على الاعتزال ليتسنى له التأمل والتفكير . فغادر بغداد سنة ٤٠٠ ه وأتى المعرة ولزم بيته وسمى نفسه « رهين المحبسين » وأخذ بالتأليف والنظم وتدوين افكاره وآرائه ومحفوظه في الكتب . وانقطع عن أكل اللحم من ذلك الحين واقتصر على النبات كما يفعل النباتيون اليوم ـ اقتبس ذلك من آراء البراهمة الهنود فذهب مذهبهم فيه رفقاً بالحيوان وتجافياً عن ايلامه . ولزم الصوم الدائم

قضى أبو العلاء في هذه العزلة بضعاً وأربعين سنة واكله العدس وحلاوته التين. وهو يؤلف وينظم والناس يتوافدون اليه ليسمعوا أقواله وأخباره . أو يكاتبوه في استفهام واستفتاء ويأخذوا عنه العلم مجاناً حتى توفاه الله سنة ٤٤٩

وكان معدوداً من أقطاب العلم والادب والشعر ويمتاز بأنه لم يتكسب بشعره

مؤلفاته

خلف مؤلفات في الشعر وفي الادب . أما اشعاره فاشهرها :

١ اللزوميات : وهو ديوان كبير طبع في بمباي سنة ١٣٠٣ ه ثم في مصر سنة ١٨٩٥ في نحو ٩٠٠ صفحة . في صدرها مقدمة في الشعر وشروطه وقوافيه على اسلوب انتقادي يدل على رسوخ قدمه في اللغة والشعر . وذكر ما التزمه في نظم هذا الديوان من الشروط أهمها التزام حرفين في القافية وقد نظمه في أثناء عزلته وضمنه كثيراً من آرائه في الوجود والخليقة والنفس والدين . فكان له وقع عند أصحاب الفلسفة فقالوا : «ان أبا العلاء أتى قبل عصره باجيال» وتمتاز اشعاره في عزلته بصبغة سوداوية تشف عن سوء ظنه في الحياة ويأسه من أسباب السعادة ـ لعل سببها اختلال عمل الهضم بتوالي الصوم والاقتصار على نوع أو نوعين من الاطعمة . على ان أكثر اشعاره في الفلسفة والزهد والحكم والوصف ويندر فيها المدح او التشبيب . وقد نقل أمين افندي ريحاني بعض رباعياته الى الانكليزية نشرت في اميركا منذ بضع سنين . وترجم بعض شعره أيضاً جورج سلمون الى اللغة الفرنساوية ونشرها في باريس سنة ١٩٠٤

٢ سقط الزند : وهو ديوان آخر نظمه قبل العزلة . طبع مراراً

٣ ضوء السقط : يقتصر على ما نظمه في الدرع طبع في بيروت سنة ١٨٩٤

أما الادب فله فيه مؤلفات عديدة ربما زادت على خمسين كتاباً أكثرها في اللغة والقوافي والنقد والفلسفة والمراسلات ضاع معظمها واليك ما بلغ الينا خبره منها :

٤ رسائل أبي العلاء: هي كثيرة لو جمعت كلها لبلغت ثمانمائة كراس وقد توخى فيها التسجيع والعبارة العالية والكلام الغريب نحو ما يفعلون في انشاء المقامات فلا تفهم بلا تفسير. وهي من قبيل الشعر المنثور في وصف الخلائق كالنمل والجراد والنسر والفيل والنحل والضفدع والفرس والضبع والحية ونحوها من الحيوانات. غير وصف الاماكن والمواقف والثياب والمآكل وغيرها مما يحسن تحديه لولا ما فيه من اللفظ الغريب . ولكن معظمها ضاع وقد جمع اكثر ما بقي منها في كتاب طبع في بيروت سنة ١٨٩٤ مضبوطاً بالحركات .وطبع أيضاً في اكسفورد سنة ١٨٩٨ بعناية الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزى مع ترجمة انكليزية وتعاليق وشروح تاريخية وأدبية مفيدة . وقد صدرها بمقدمة في ترجمة المؤلف بالانكليزية وذيلها بما ذكره الذهبي من ترجمته وختمها بفهرس للاعلام

٥ رسالة الغفران : هي من جملة رسائله ولكننا افردناها بالكلام لانها طبعت على حدة ولها شأن خاص من حيث موضوعها . وهي فلسفية خيالية كتبها في عزلته وضمنها انتقاد شعراء الجاهلية والاسلام وادبائهم والرواة والنحاة على اسلوب روائي خيالي لم يسبقه اليه أحد . فتخيل رجلا صعد الى السماء ووصف ما شاهده هناك كما فعل دانتي شاعر الايطاليان في «الرواية الالهية» وما فعل ملتن الانكليزي في «ضياع الفردوس » لكن ابا العلاء سبقهما ببضعة قرون . لان دانتي توفي نحو سنة ٧٢٠ هـ وملتن نحو سنة ١٠٨٤ هـ وتوفي ابو العلاء سنة ٤٤٩ هـ فلا بدع اذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه.واقدمهما (دانتي) لم يظهر الا بعد احتكاك الافرنج بالمسلمين.والايطاليان أسبق الافرنج الى ذلك.وتقسم مواضيع رسالة الغفران الى قسمين ادبي لغوي ونوادر خيالية عن بعض الزنادقة ومستقلي الافكار والمتنبئين ونحوهم ممن توالى ظهورهم في اثناء التمدن الاسلامي . ويتخلل ذلك محاورات مع الشعراء الجاهليين يسألون فيها عما غفر لهم به فيذكر كل منهم شعراً قاله أو عملا عمله فغفر له به . ومنها تسمية هذه الرسالة برسالة الغفران ــ كأنه يعرض بما يرجوه من المغفرة لنفسه عما فرط منه أحياناً من الابيات التي يعدها الناس كفرية.وقد طبعت هذه الرسالة بمصر سنة ١٩٠٦ ولخصناها في السنة ١٥ من الهلال من صفحة ٢٧٩

٦ ملقى السبيل : هي رسالة فلسفية نشرتها مجلة المقتبس سنة ٧ ج ١ عن أصل خطي قديم وجد في الاسكوريال بعناية ح. ح. عبد الوهاب التونسي . وهي على نسق رسائله الاخرى لكن أكثرها منظوم . وقد قابل الناشر بين آراء المعري فيها واراء

شوبنهور الفيلسوف الالماني من حيث الحياة ومصيرها وطبعها على حدة سنة ١٩١٢

٧ كتاب الايك والغصون ويعرف باسم الهمزة والردف : يبحث في الادب واخبار العرب يقارب مئة جزء ضاع منذ بضعة قرون. وانما ذكرناه لعل أحداً يعثر على شيء منه اذ يظهر انه عظيم الاهمية فقد قال فيه الذهبي «حكى من وقف على المجلد الاول بعد المئة من كتاب الهمزة والردف فقال لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد»

وعنى أبو العلاء بشرح كتب هامة أو اختصارها مر ذكر بعضها . منها شرح الحماسة منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٤٤٢ صفحة وهو شرح لغوي

وكان مشاركا في كثير من علوم الاقدمين كالفلسفة والكيمياء والنجوم والمنطق ويظهر أثر ذلك في أشعاره وأقواله . ولو أردنا الاتيان بامثلة منها لضاق بنا المقام ودواوينه شائعة فميزناه بخلو ترجمته من الامثلة الشعرية كما ميزنا المتنبي قبله . وقد تقدم ذكر شيء من شعره في كلامنا عن مزايا الشعر في هذا العصر وغيره . وسنأتي بأمثلة اخرى في أمكنة أخرى

مناقبه ومنزلته

ويقال بالاجمال ان الشعر العربي دخل بعد المعري في طور جديد من حيث النظر في الطبيعة والتفكير في الخلق والحكمة الاجتماعية . فانتقل الشعر على يده من الخيال الى الحقيقة . واختلف الناس في مناقب أبي العلاء واخلاقه واعتقاده . وله فلسفة خاصة في الدين والطبيعة والخليقة. وهو أقرب من هذا القبيل الى مذهب اللاأدريين ويعتقد التقمص وخلود المادة وان الفضاء لا نهاية له . وكان يقبح الزواج ويعد تخليف الاولاد جناية . وكان يرى المرأة لا ينبغي لها أن تتعلم غير الغزل والنسج وخدمة المنزل . وكان من القائلين بالرفق بالحيوان فقضى النصف الاخير من عمره لم يذق لحماً . وله أقوال في هذا الموضوع سبق بها أصحاب الرفق بالحيوان اليوم عدة قرون. وعثر له الاستاذ مرجليوث على رسالة في هذا الموضوع جزيلة الفائدة نشرها في المجلة الاسيوية الانكليزية ولخصناها في الهلال سنة ١٥ ج ٤

وقد اتهمه بعضهم بالكفر وكانوا يتهمون به كل حر الضمير مستقل الفكر في تلك الايام . مع ان اعترافه بالخالق ووحدانيته ظاهرة في كثير من اشعاره لكنه لم يكن يرى الاعتقاد بالتسليم بل التفكير . وكانت حقيقة الدين عنده أن يعمل الانسان خيراً لا أن يكثر من الصلاة والصوم . ولذلك كان شديد الوطأة على الفقهاء الذين يتظاهرون بالدين للارتزاق . وقد فصلنا ذلك وأيدناه بالامثلة من أشعاره وأقواله في السنة الخامسة عشرة من الهلال من صفحة ١٩٥

وتجد ترجمته في السنة المذكورة من الهلال وفي ابن خلكان ٣٣ ج ١ وطبقات الادباء ٤٢٥ ومعجم الادباء ١٦٢ ج ١ وفي ذيل رسائله المطبوعة باكسفورد

سائر الشعراء

في العصر العباسي الثاني

وهناك طائفة كبيرة من الشعراء يضيق المقام عن ذكرهم لكثرتهم فمن أحب الاطلاع على تراجمهم واخبارهم فعليه بكتاب يتيمة الدهر للثعالبي ودمية القصر للباخرزي ومعجم الادباء لياقوت الحموي وتاريخ ابن خلكان وسائر كتب التراجم . وانما نشير هنا الى بضعة شعراء امتاز كل منهم بضرب من الشعر وهم :

١٥ أبو الرقعمق كان مداحاً : ترجمته في يتيمة الدهر ٢٣٨ ج ١ وابن خلكان ٤٠ ج ١

١٦ الواساني كان هجاءاً : ترجمته في اليتيمة ٢٦١ ج ١

١٧ ابو عبدالله الحسن بن حجاج كان مجاناً : اليتيمة ٢١١ ج ٢

١٨ ابن سكرة الهاشمي من ولدعلي بن المهدي بن المنصور الخليفة العباسي . جال في ميدان المجون والسخف ما اراد. وكانوا يشبهونه مع ابن الحجاج بجرير والفرزدق. ويربو ديوان ابن سكرة على ٥٠٠٠٠ بيت منها ١٠٠٠٠ بيت في جارية سوداء اسمها خمرة وكانت عرضة نوادره وملحه كطيلسان ابن حرب ولم نقف على ديوانه. ترجمته في اليتيمة ١٨٨ ج ٢ وابن خلكان ٥٢٦ ج ١

ابن زريق

١٩ ولا يصح الاغضاء عن ابي الحسن علي بن زريق الكاتب البغدادي صاحب القصيدة التي قالها في حال غمه ويأسه بعد أن قصد صاحب الاندلس ومدحه فلم يعطه الا عطاء قليلا فاعتل غماً ومات . وذكروا ان صاحب الاندلس انما اراد أن يختبره فلما كان بعد أيام سأل عنه فتفقدوه في الخان الذي كان فيه فوجدوه ميتاً وعند رأسه رقعة فيها القصدة المشار اليها ومطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

وهي منشورة في الكشكول وغيره من كتب الادب . ولها شروح وتخاميس وقد تقدم أن الثعالبي ذكر بعضها للوأواء الدمشقي . وقد شرحها علي بن عبد الله العلوي وخمسها علي بن ناصر الباعوني ومن الشرح والتخميس نسخة في برلين

الانشاء والترسل

في العصر العباسي الثالث

تمكنت الحضارة من اسلوب الترسل في هذا العصر — ونعني بالترسل انشاء المراسلات على الخصوص . «ويريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب اليه من حيث الادب والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة» وهو الذي يتغير مع الاعصر كما بينا ذلك في كلامنا عن الانشاء في العصر الماضي. ويشتمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لان أساليبها متشابهة . أما انشاء الكتب أي عبارة المؤلفات التاريخية والعلمية التي يراد بها تقرير الحقائق بغير ارهاب أو تهديد أو تنبيه أو تحريض فهذه قلما يعتورها تغيير لان تقرير الحقائق العلمية أو التاريخية قلما تؤثر فيه الانفعالات النفسية فهو أقل مجاراة للاحوال الاجتماعية . ولذلك رأيت عبارة البلغاء من المؤلفين متشابهة يندر الاختلاف فيها — الا في ما يختص بنفس الكاتب واسلوب تفكيره وموضوع كتابه . اذ ان لكل كاتب طريقة يعبرون عنها بالذوق ولكل فن مصطلحات خاصة تجعل للكتابة فيه نسقا خاصاً . فعبارة الفقيه تختلف عن عبارة المؤرخ وهذه تختلف عن عبارة الحكيم أو الرياضي . وقد يختلف أسلوب المؤلف الواحد باختلاف الموضوع الذي يكتب فيه . ولكنها ترجع كلها الى اسلوب خاص يختلف عن أسلوب الترسل

والكاتب في المواضيع العلمية لا يزال على أسلوب المؤلفين المتناسق المرسل حتى يقتضي الموضوع مخاطبة القارىء فينتقل الى اسلوب الترسل بالتسجيع أو نحوه حسب العصور . فاذا فرغ من الخطاب عاد الى الانشاء المرسل البسيط — الا طائفة من المؤلفين ارادوا زيادة التأنق في مؤلفاتهم فجعلوا عباراتها كلها مسجعة . وذلك نادر وسنعود الى الكلام فيه

اسلوب الترسل

لما كان المراد بالمراسلات والخطب التعبير عن العواطف والاميال وسائر الاحوال وهذه تختلف في الناس باختلاف آدابهم الاجتماعية واحوالهم الادبية وهي تتغير بتغير الاحوال — كان الترسل أكثر تعرضاً للتغيير في اسلوبه وعبارته وهو ما نريد بيانه هنا يغلب أن يكون لكل عصر امام في انشاء المراسلات يتحداه معاصروه. كذلك كان

عبد الحميد وابن المقفع في العصر العباسي الاول والجاحظ في العصر الثاني . واما امام الانشاء في هذا العصر فهو ابن العميد لاسباب سنبينها في ترجمة حاله . وقد رأيت ما أصاب هذا الانشاء في العصر الماضي على يد الجاحظ وأصحابه من تقطيع العبارة وادخال الدعاء فيها بصيغة المخاطب بغير اشتراط السجع أو التقفية . وعلمت ما يمتاز به هذا العصر من التوسع باسباب الحضارة والترف نعني ماصار اليه الادباء والمنشئون من التبسط في العيش عن سعة ورخاء . لايخافون مزاحمة أو فقراً لتعدد مصادر الارتزاق في دور الامراء والوزراء والخلفاء. فاذا خافوا سبقاً في بلاط نزحوا الى سواه–والرخاء يدعو الى التأنق فتطرق ذلك الى انشائهم فصاروا يتأنقون فيه كما يتأنقون بلباسهم وطعامهم واثاثهم فطالوا العبارة وتوسعوا في التنميق. ونبغ جماعة من أصحاب القرائح تساعدوا على ذلك حتى صار للانشاء في هذا العصر طريقة اتخذها أهل العصور التالية نموذجاً نسجوا على منواله . وهي الطريقة المدرسية في اصطلاح الافرنج (كلاسيك) وبعبارة أخرى ان الطريقة المدرسية للترسل العربي نضجت في هذا العصر كما نضج الانشاء الروماني في عصر شيشرون ثم أخذ في التقهقر . وهكذا أصاب الانشاء العربي بعد هذا العصر كما ستراه في مكانه . وللطريقة المدرسية في الانشاء العربي شروط هاك أهمها :

شروط الطريقة المدرسية في الانشاء العربي

١ السجع : اصبح التسجيع شرطاً من شروط الترسل وهو من ثمار التأنق لما يقتضيه من العناية في اتقانه . فالرسالة المسجعة يظهر التأنق فيها أكثر من غير المسجعة . وتدل من جهة أخرى على تفرغ صاحبها للتنميق ولا يكون ذلك الا في الرخاء–والسجع اذا أتقنت صياغته اكسب المعنى قوة . وقد اتقنه بلغاء العصر الثالث فرغب الناس فيه وتسابقوا اليه . لكن بعض معاصريهم من ادعياء هذا الفن كلفوا به عن غير مقدرة عليه فجاء بارداً. ومما روى من هذا القبيل وفيه فكاهة ان الخاقاني الوزير كان يحب السجع حتى استخدمه في التوقيع على كتب العمال فوقع مرة «الزم وفقك الله المنهاج واحذر عواقب الاعوجاج واحمل ما أمكن من الدجاج ان شاء الله» فحمل العامل دجاجاً كثيراً على سبيل الهدية. فقال «هذا دجاج وفرته بركة السجع» وأمر أن يباع ويورد ثمنه في الحساب فاورد منسوباً الى ثمن دجاج السجع

٢ الجناس والبديع : واكثروا من الجناس وهو من قبيل الترصيع للآنية أو الوشي للثوب . لايزيد الوشي الثوب نفعاً للابسه من حيث الغرض المراد منه كالدفء

والستر ولكنه يزيده جمالا . والجناس أو البديع لا يزيد العبارة معنى لكنه يكسبها رونقاً ولا سيما مع السجع . فقول أبي بكر الخوارزمي في كتابه الى نائب الوزير ابن عباد : « كتبت الى الاستاذ معاتباً مرة . ومستعتباً كرة . فما وجدت للعتاب اعتاباً . ولا قرأت من الكتاب جواباً. وليت شعري ما الذي منعه عن صلة لا تضره وتنفعني. وعن تواضع لا يضعه ويرفعني» لو جعله مرسلا بسيطاً لم يكن له ذلك الوقع في النفس

٣ كثر فيه الخيال الشعري حتى أصبح سجعهم كالشعر المنثور لكنه مقفى فلا يعوزه غير الوزن ليصير شعراً

٤ كثر تضمين مراسلاتهم الامثال أو النكت الادبية أو العبارات التاريخية أو العلمية التي تحتاج الى شرح كقول ابن العميد في رسالة الى أبي العلاء السروي :

«وأحمد الله على كل حال وأسأله أن يعرفني فضل بركته ويلقيني الخير في باقي ايامه وخاتمتـه . وأرغب اليه في أن يقرب على القمر دوره ويقصر سيره . ويخفف حركته ويعجل نهضته وينقص مسافة فلكه ودائرته. ويزيل بركة الطول من ساعاته. ويرد علي غرة شوال فهي أسر الغرر عندي واقرها لعيني . ويسمعني النعرة في قفا شهر رمضان . ويعرض علي هلاله اخفى من السر وأظلم من الكفر . وانحف من مجنون بني عامر واضنى من قيس بن ذريح وابلى من أسير الهجر. ويسلط عليه الحور بعد الكور ويرسل على رقاقته التي يغشى العيون ضؤها ويحط من الاجسام نؤها كلفاً يغمرها وكسوفاً يسترها » الخ

٥ أكثروا فيه من الاستشهاد بالاشعار في أثناء مراسلاتهم وهو ترصيع جميل يزيد المعنى طلاوة ووضوحاً ويكسبه قوة على ابداء ما في خاطر الكاتب . وقد بالغ بعضهم في ذلك الترصيع حتى أصبح الشعر فيه أكثر من النثر. كقول الصاحب بن عباد يصف فصلا من كتب ابن العميد قال : « فصل رأيته فصيح الاشارة لطيف العبارة

اذا اختصر المعنى فشربة حائم وان رام اسهاباً اتى الفيض بالمد

فصل قد نظرته فرأيته جسما معتدلا وفهماً مشتعلا

ونفساً تفيض كفيض الغمام وظرفاً يناسب صفو المدام

فصل قد عمهم بنعمه وغمرهم بشيمه

وغزاهم بسوابغ من فضله جعلت جماجم بطائن نعله » الخ

وتفنن آخرون بجعل الترصيع شطراً شطراً كقول الهمذاني من رسالة الى الخوارزمي :

انا لقرب دار الاستاذ	كما طرب الشنوان مالت به الخمر
ومن الارتياح للقائه	كما انتفض العصفور بلله القطر
ومن الامتزاج بولائه	كما التقت الصهباء والبارد العذب
ومن الابتهاج بمزاره	كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

٦ صار للرسائل نمط خاص تراه ممثلا في رسائل ابي بكر الخوارزمي وابي منصور الثعالبي وأمثالهما من كتاب ذلك العصر . فالرسالة تبدأ غالباً بمخاطبة المرسل اليه بلقبه أو نعته بعد الاشارة الى كتابه . ويتلو ذلك مخاطبته بصيغة الغائب كقولهم : « ورد كتاب الامير يأمرني فيه بكذا وكذا الخ » وقولهم : « قد حملت الى حضرة الشيخ اياتاً عاتبته بها » وهو يريد الشيخ المخاطب . وقد يأتي اللقب مشفوعاً بالدعاء بصيغة الغائب أيضاً كقول ابي بكر الخوارزمي في كتاب الى محمد بن ابراهيم صاحب الجيش وكان محبوساً وخرج من الحبس «كتبت أيد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال خروج المشرفي من الصقال الخ » وقد يجعلون الخطاب بصيغة المخاطب في بعض الاحوال

٧ تفرع الترسل الى أبواب عملا بسنة النشوء كما تفرع الشعر. فصارت الرسائل تقسم الى رسائل التهنئة والتعزية والمديح والرثاء والى الاخوانيات والسلطانيات ونحو ذلك

٨ تمتاز مقدمات الكتب أو خطبها بتقديم الحمدلة والصلاة على النبي وتختم بآية يحسن الختام بها كقولهم « وما توفيقي الا بالله عليه توكلت » أو بالحسبلة ونحوها

٩ اختصاص كل طبقة من الوجهاء ورجال الدولة بنعوت خاصة بها . فان تفاوت رجال الدولة بالمنزلة والنفوذ اقتضى أن تتفاوت أساليب مخاطباتهم . واستقر ذلك على وجه معين في العصر العباسي الثالث . فاصبح عندهم لكل طبقة من رجال الدولة نعوت تفتتح بها مخاطباتهم وعبارات تعنون بها كتبهم وأدعية يدعون بها لهم . كقولهم في مخاطبة أولاد الخليفة في زمن المقتدر بالله «أطال الله بقاء الامير» ولمؤنس المظفر « أطال الله بقاءك وأعزك واكرمك واتم نعمته واحسانه اليك » والعنوان «لابي الحسن اطال الله بقاءه » ولصاحب اليمن ونحوه « أكرمك الله ومد في عمرك وأتم نعمته عليك وادامها لك » وقس عليه

١٠ صار الانشاء فنا له الفاظ خاصة سموها الالفاظ الكتابية لا يتجاوزنها الى سواها . وتولدت فيه مصطلحات خاصة لاساليبه وعباراته كالتسجيع والترصيع

والتضريس والتبديل والمكافأة والاستعارة والتتميم والتقسيم والارداف والتمثيل والمعاظلة والتكرير وغيرها . ولكل منها غرض في الانشاء

هذه اهم شروط الانشاء في العصر العباسي الثالث وقد سميناها الطريقة المدرسية لانها صارت مثالا توخاه الكتاب في سائر العصور الاسلامية . وقد طرأ عليها تغيير اقتضاه حال الاجتماع سنذكره في مكانه

ومما لابد من التنبيه اليه ان ما يجرى عليه الكتاب من تحدي القدماء في مذاهبهم وتقليد اساليبهم لاعتقادهم ان ملكة الانشاء انما ترسخ بمطالعة كتب القدماء واشعارهم بعث على تعدد الاساليب في العصر الواحد . فينبغ في العصر الثالث مثلا كتاب يتحدون اسلوب الجاحظ وآخرون يقلدون اسلوب المقفع أو عبد الحميد أو أسلوب صدر الاسلام . ويصدق ذلك على سائر العصور . ولكن يغلب في أهل العصر الواحد أن يخضعوا لما تقتضيه المجاري الاجتماعية فيكون لانشائهم صبغة خاصة به

المنشئون أو المترسلون

في العصر العباسي الثالث

تكاثر المنشئون في هذا العصر مثل تكاثر الشعراء واشتهر بعضهم بالصناعتين جميعاً حتى لقد تتولاك الحيرة في جعل احدهم من الكتاب أو من الشعراء . واشتهر من المترسلين في العصر طائفة من الوزراء والكبراء ورجال الدولة شرفت بهم الصناعة وارتفعت قيمتها لانهم كانوا عمدتها ووجوه كتابها . بل هم أقوى اركان تلك النهضة في النظم والنثر وسائر اسباب العلم والادب واليك اشهرهم حسب سني الوفاة :

١ ـ ابن العميد

توفي سنة ٣٦٠ ﻫ

هو ابو الفضل محمد بن العميد والعميد لقب والده على عادة أهل خراسان في اجرائه مجرى التعظيم . وكان ابن العميد وزير ركن الدولة الحسن بن بويه والد عضد الدولة . تولى الوزارة سنة ٣٢٨ ﻫ وكان متوسعاً في الفلسفة والنجوم فضلا عن الادب والترسل حتى سموه «الاستاذ» وكان يلقب لبراعته في الترسل بالجاحظ الثاني.

وقيل بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان الصاحب بن عباد من بعض اتباعه كما سيجيء . وعاد الصاحب مرة من بغداد فسأله ابن العميد عنها فقال « بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد » يشير الى تفرده في العلم. وهو اسبق المنشئين الى أسلوب ذلك العصر وقد اجاد فيه فقلدوه ونسجوا على منواله وساعد على شيوع طريقته رفعة منزلته وعلو كعبه في العلم — وكثيراً ما رأينا الوجاهة من جملة اسباب الشهرة العلمية فهي لاتجعل الجاهل مشهوراً بالعلم لكنها تجعل قليل العلم ان يشتهر بكثرته وأخذ الصاحب بن عباد عن ابن العميد وكان الصاحب مركزاً يدور حوله ادباء ذلك العصر فساعد ذلك على نشر تلك الطريقة

ويدل على مناقب ابن العميد ويمثل منزلة الادباء في ذلك العصر حادثة جرت له من ابن نباتة السعدي وقد مدحه بقصيدة فتأخرت صلته فشفعها باخرى واتبعها برقعة فلم يزده ابن العميد على الاهمال مع رقة حاله التي ورد عليها الى بابه . فتوصل الى أن دخل عليه يوماً وهو في مجلس حفل باعيان الدولة ومقدمي ارباب الديوان فوقف بين يديه وأشار اليه بيده وقال: « ايها الرئيس اني لزمتك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل وأكلت النوى المحرق انتظاراً لصلتك . والله ما بي من الحرمان ولكن شماتة الاعداء وهم قوم نصحوني فأغششتهم وصدقوني فاتهمتهم فبأي وجه ألقاهم وبأي حجة اقاومهم . ولم احصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم الا على ندم مؤلم ويأس مسقم . فان كان للنجاح علامة فاين هي ؟ وما هي الا أن الذين نحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا كانوا مثلك . فزاحم بمنكبك اعظمهم شأناً وأنوزهم شعاعاً وأمدهم باعاً وأشرفهم بقاعاً »

فحار رشد ابن العميد ولم يدر مايقول فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: « هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في الاستزادة وعن الاطالة مني في المعذرة . واذا تواهبنا مادفعنا اليه استأنفنا ما نتحامد عليه » فقال ابن نباتة: « ايها الرئيس هذه نفثة مصدور منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر . والغني اذا مطل لئيم »

فاستشاط ابن العميد غضباً وقال « والله ما استوجب هذا العتب من أحد من خلق الله تعالى ولست ولي نعمتي فاحتملك ولا صنيعتي فاغضي عليك وان بعض ما قررته في مسامعي ينغص مرة الحلم ويبدد شمل الصبر . هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحي ولا كلفتك تقريضي » فقال ابن نباتة: « صدقت ايها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ولا استدعيتني برسول ولا سألتني مدحك

ولا كلفتني تقرضيك ولكن جاست في صدر ديوانك بابهتك وقلت لا يخاطبني أحد الا بالرئاسة ولا ينازعني خلق في احكام السياسة. فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الأولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة. فكانك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال»

فثار ابن العميد مغضباً وأسرع في صحن داره الى ان دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن نباته وهو في صحن الدار ماراً يقول: « والله ان سف التراب والمشي على الجمر أهون من هذا. فلعن الله الادب اذا كان بائعه مهينا ومشتريه مماكساً فيه »

فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه حلمه التمسه من الغد ليعتذر اليه ويزيل آثار ماكان منه فكانما غاض في سمع الارض وبصرها ولم يقف على مكانه . فكانت حسرة في قلب ابن العميد الى أن مات . ونسب بعضهم هذه الحادثة الى شاعر آخر غير ابن نباتة

وكان ابن العميد يقرب أهل الادب والشعر فحام حوله طائفة منهم امتدحوه كالمتنبي وابن نباتة والصاحب بن عباد وغيرهم. كانوا يجتمعون في مجلسه فيقترح عليهم النظم والمقارضة — وهي أن يقول أحدهم شعراً أو بيتاً في وصف شيء أو حادثة فيتمه الآخر فالآخر

وكان ابن العميد شاعراً رقيقاً من أحسن شعره قصيدة قالها منها :

قد ذبت غير حشاشة ودماء ... مابين حر هوى وحر هواء

الى أن قال وفيه مبالغة :

لا تغتنم اغضاءتي فلعلها ... كالعين تغضيها على الاقذاء
واستبق بعض حشاشتي فلعلني ... يوماً اقيك بها من الاسواء
فلوان ماابقيت من جسمي قذى ... في العين لم يمنع من الاغفاء

ومن قوله في الغزل :

ظلت تظللني من الشمس ... نفس أعز علي من نفسي
فاقول واعجباً ومن عجب ... شمس تظللني من الشمس

ترى أمثلة من ترسله ونظمه في يتيمة الدهر الجزء الثالث . ولم يصلنا منه رسائل مجموعة ولا شعر على حدة

واشتهر ابنه ابو الفتح ذو الكفايتين بعده بمثل شهرته

وتجد أخبار ابن العميد في ابن خلكان ٥٧ ج ٢ ويتيمة الدهر ٢ ج ٣

٢ – أبو بكر الخوارزمي

توفي سنة ٣٨٣ هـ

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر . ويقال له أيضاً الطبرخزي لان أباه من خوارزم وأمه من طبرستان . وهو ابن أخت محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ. وكان الخوارزمي اماما في اللغة والنسب أقام بالشام مدة وسكن نواحي حلب . وكان يشار اليه في عصره وقصد الصاحب بن عباد وهو في ارجان وجالسه وباسطه . واشتهر بكثرة حفظه للاشعار . ويحكي انه لما جاء الى الصاحب استأذن عليه بدون أن يذكر اسمه فدخل عليه الحاجب واعلمه فقال الصاحب: « قل له قد ألزمت نفسي أن لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب » فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك . فقال له ابو بكر : « ارجع وقل له هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء » فدخل الحاجب فاعاد عليه . فقال : « هذا يكون ابا بكر الخوارزمي » فاذن له في الدخول

لم يصل الينا من آثار أبي بكر الخوارزمي الا مجموعة رسائل تعرف باسمه وهي مطبوعة في مصر وفي الاستانة سنة ١٢٩٧ وفي بومباي سنة ١٣٠١ وغيرها ومنها نسخ خطية في برلين وفينا وليدن وكوبرلي . وفي الجزء الرابع من يتيمة الدهر أمثلة كثيرة من نثره ونظمه . وفيه طائفة حسنة من المدائح والمراثي والاهاجي وطرق مختلفة. وهو غير محمد بن موسى الخوارزمي الفلكي الرياضي المعاصر للمأمون (ترجمته في ابن القفطي ١٨٧ والفهرست ٢٧٤) وغير ابي عبد الله محمد بن احمد الخوارزمي صاحب مفاتيح العلوم المتقدم ذكره صفحة ٢٣٢

أما ابو بكر هذا فترجمته في ابن خلكان ٥٢٣ ج ١ ويتيمة الدهر ١١٤ ج ٤

٣ – ابو اسحق الصابي

توفي سنة ٣٤٨ هـ

هو أبو اسحق ابراهيم بن هلال بن زهرون بن حبون الحراني الصابي جد ابي الحسن هلال الصابي صاحب التاريخ . كان ابو اسحق كاتب الانشاء في بغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه. وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وكانت تصدر عنه مكاتبات الى عضد الدولة بن بويه بما يؤلمه فحقد عليه فلما قتل عز

الدولة وملك عضد الدولة بغداد اعتقله سنة ٣٦٧ هـ وعزم على القائه تحت ايدي الفيلة فشفعوا فيه ثم اطلقه سنة ٣٧١ . وكان قد امره ان يصنف كتاباً في اخبار الدولة الديلمية فعمل كتاب «التاجي» فقيل لعضد الدولة ان صديقاً للصابي دخل عليه فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبييض فسأله عما يعمل فقال : « أباطيل انمقها واكاذيب ألفقها » فهاج حقده عليه ولم يزل الصابي مبعداً في أيامه

وكان ابو اسحق على مذهب الصابئة ويدل على ذلك اسمه . وكان عزّ الدولة يحرضه على الاسلام فلم يفعل لكنه كان يصوم رمضان مع المسلمين ويحفظ القرآن ويقتبس منه . وكانت له صداقة مع الشريف الرضي المتقدم ذكره . فلما توفي ابو اسحق رثاه بالقصيدة التي ذكرنا مطلعها وخبرها في ترجمة الشريف . وكان الصابي عالماً بالهندسة لكن غلبت عليه صناعة الانشاء . ومما بلغنا من انشائه :

١ منشآت الصابي: في المكتبة الخديوية نسخة خطية بهذا الاسم تدخل في ٤٥٤ صفحة تشتمل على مراسلات كتبها الصابي على لسان ولاة الامر في عصره من ملوك آل بويه والخلفاء وغيرهم . وهي كالمخابرات الرسمية في وصف الوقائع الحربية أو غيرها. منها رسالة كتبها الى ركن الدولة سنة ٣٦٤ هـ شرح فيها فتح بغداد وانهزام الاتراك منها ووصف الخلاف . ورسالة على لسان عز الدولة الى عضد الدولة جواب كتاب بفتح جبال القفص (بين فارس وكرمان) وقهر البلوص (جيل من الاكراد) ورسائل اخرى عن حروب بين البويهيين والحمدانيين وغيرهم . وكلها تشتمل على حقائق تاريخية رسمية تفسر بعض ما التبس من تاريخ ذلك العصر . وفيها صور عهود أو تقليدات رسمية للولاة أو العمال أو القضاة صادرة من الخليفة . كالعهد الذي قلده الطائع لله العباسي ابا الحسن علي بن ركن الدولة على الصلاة واعمال الحرب يدخل في بضع عشرة صفحة . وفيه أمور هامة عن أحوال السياسة والادارة والاجتماع مما لا يتيسر الوقوف عليه في كتب التاريخ . ونسخة عهد الى قاضي القضاة . وغيرها الى القواد أو الفقهاء أو أمراء الحج . ومنشورات بعثت الى الاهالين أو العمال أو القرامطة . فضلا عن رسائل خصوصية كتبها الصابي الى اصدقائه . وبالجملة ان هذه المنشآت خزانة أدب وتاريخ وسياسة وعبارتها بليغة متينة . بل هي من أبلغ ما كتب في ذلك العصر

٢ رسائل الصابي : تقسم الى ابواب في المراسلات والشفاعات والمعاتبات وما أنفذ الى العمال والمتصرفين والنواحي . وهي غير منشآته المتقدم ذكرها وان كانت تشبهها في اكثر موادها فان فيها كثيراً من الرسائل الودية فضلا عن المخابرات السياسية

والتقاليد الرسمية والمناشير ونحوها وفيها فوائد تاريخية واجتماعية هامة . منها نسخة خطية في ليدن وفي المكتبة الخديوية وجزء في باريس وطبع بعضها في بيروت

اما التاجي فلم يصلنا منه شيء

وتجد ترجمته في ابن خلكان ١٢ ج ١ ويتيمة الدهر ٢٣ ج ٢ ومعجم الادباء ٣٢٤ ج ١ والفهرست ١٣٤

٤ — الصاحب بن عباد

توفي سنة ٣٨٥ هـ

هو ابو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني . وقد تقدمت الاشارة الى منزلته من الوجاهة وتأثيره في تلك الحركة الادبية وكان اديباً منشئاً وعالماً في اللغة وغيرها . أخذ عن احمد بن فارس اللغوي الآتي ذكره وعن ابن العميد . وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لانه كان يصحب ابن العميد فقيل له صاحب ابن العميد . ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي علماً عليه . وسمي به كل من ولي الوزارة بعده . وقد وزر أولا لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه بعد ابن العميد . فلما توفي مؤيد الدولة تولى مكانه اخوه فخر الدولة فاقر الصاحب على وزارته وكان مبجلا عنده نافذ الامر . وكان مجلسه بؤرة الادباء والشعراء يمدحونه أو يتناقشون أو يتقارضون بين يديه . وذاعت شهرته في ذلك العصر حتى اصبح موضوع اعجاب القوم يتسابقون الى اطرائه ونظمت القصائد في مدحه . وكتب اليه نوح بن منصور الساماني يستقدمه اليه فاعتذر كما تقدم صفحة ٢٢٦ . وقد بلغ من رفعة القدر حتى انه لما توفي سنة ٣٨٥ هـ أغلقت له مدينة الري ابوابها واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون جنازته . وحضر مخدومه فخر الدولة المذكور اولا وسائر القواد وقد غيروا لباسهم . فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس باجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض. ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء اياماً . ورثاه ابو سعيد الرستمي بقوله :

ابعد ابن عباد يهش الى السرى   اخو امل أو يستماح جواد
ابى الله الا ان يموتا بموته   فما لهما حتى المعاد معاد

وكان شاعراً مترسلا مع ولع شديد بالسجع حتى في الكلام فضلا عن الكتابة . وقيل فيه « انه لو رأى سجعة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة

ما هان عليه التخلي عنها » وكان يتثنى ويتلوى ويتهادى . وفي يتيمة الدهر أمثلة من نظمه ونثره فضلا عن معرفتــه اللغة فانه الف معجماً سماه المحيط سيأتي ذكره مع المعاجم. والف له ابن فارس كتاب الصاحبي الآتي ذكره . وساعده منصبه السياسي على الشهرة العلميــة . وله في الرسائل كتاب الكافي منه منتخبات خطية في مكتبة باريس . وقصيدتان من شعره في برلين . وله ديوان في مكتبة ايا صوفيا بالاستانة

وترجمته في ابن خلــكان ٧٥ ج ١ وطبقات الادباء ٣٩٧ ويتيمة الدهر ٣١ ج ٣ ومعجم الادباء ٢٧٣ ج ٢ والفهرست ١٣٥ ويتيمة الدهر ١٥٧ ج ٤

٥ — بديع الزمان الهمذاني

توفي سنة ٣٩٨ ﻫ

هـو أبو الفضل احمد بن الحسين بن يحيي بن سعيد الهمذاني الحافظ المعروف ببديع الزمان كان يقيم في هراة بافغانستان . وكان شاعراً وكاتباً ولغوياً واشتهر على الخصوص بقوة الحافظة كان يسمع القصيدة التي لم يسمعها قط وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديهـا من أولها الى آخرها لا يخرم حرفاً ولا يخل معنى . وينظر في الاربعة والخمسة الاوراق من كتاب لم يعرفه نظرة واحدة خفيفة ثم يتلوها عن ظهر قلبه

وكان سريع الخاطر قوي البديهة يقترح عليــه نظم القصيدة أو انشاء الرسالة فيفرغ منها في الوقت والساعة . وربمـا يكتب الـكتاب المقترح عليه فيبتديء بآخر سطر منه وهلم جرا الى الاول . وله من المؤلفات :

١ رسائل مجموعــة في كتاب يعرف برسائل بديع الزمان طبعت في الاستانة سنة ١٢٩٨ وفي بيروت سنة ١٨٩٠

٢ ديوان شعر : منه نسخة خطية في مكتبة باريس وقد طبع بمصر سنة ١٣٢١ﻫ

٣ مقامات تعرف باسمه وهي أقدم كتاب وصل الينا في هذا الفن عن فنون اللغة . وهو أول من وفاه حقه وجعله علماً وقد اقتبس نسقه من استاذه ابن فارس اللغوي الآتي ذكره . وعنه أخذ الحريري نسق مقاماته . والمقامات حكايات قصيرة موضوعة على لسان رجل خيالي تنتهي بعبرة أو موعظة أو نكتة . والمراد بهـا في الاكثر التفنن بالانشاء وتضمينه الامثال والحكم. ولم يكن هذا كل المراد منها في زمن الهمذاني . وقد شبهها بعضهم بالدرام في اللغات الافرنجية . ومقامات الهمذاني تروى

على لسان رجل اسمه عيسى بن هشام . طبعت هذه المقامات في الاستانة سنة ١٢٩٨ ثم في بيروت مشروحة شرحاً مختصراً للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٩ وهو غير عبدالرحمن الهمذاني صاحب الالفاظ الكتابية المتقدم ذكره صفحة ١٨٩

وترجمة بديع الزمان في ابن خلكان ٣٩ ج ١ ومعجم الادباء ٩٤ ج ١ ويتيمة الدهر ١٦٧ ج ٤

٦ — أبو منصور الثعالبي

توفي سنة ٤٢٩ هـ

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري الثعالبي — قيل له ذلك لانه كان فراء بجلد الثعالب . وهو خاتمة مترسلي هذا العصر وأهم ادبائه . ونعم الخاتمة لانه أكثرهم آثاراً وأوسعهم مادة وهو الذي ترجمهم وذكر أخبارهم وأقوالهم . وكان في العصر المشار اليه راعي تلعات العلم وجامع اشتات النثر والنظم ورأس المؤلفين وامام المصنفين . وهو مع ذلك شاعر مطبوع ومن نظمه في وصف الفرس قوله :

يا واهب الطرف الجواد كانما قد أنعلوه بالرياح الاربع

لا شيء أسرع منه الا خاطري في وصف نائلك اللطيف الموقع

ولو انني أنصفت في اكرامه لجلال مهديه الكريم الالمعي

اقضمته حب الفؤاد لحبه وجعلت مربطه سواد المدمع

وخلعت ثم قطعت غير مضيع برد الشباب لجله والبرقع

وله مؤلفات كثيرة أكثرها من قبيل الادب فنؤجل ذكرها الى ذلك الباب ونكتفي هنا بذكر كتابه في الانشاء . نعني كتاب رسائل الثعالبي طبع في الاستانة سنة ١٣٠١ وهو أربع رسائل منتخبة من كتب التمثل والمحاضرة والمبهج وسحر البلاغة والنهاية الآتي ذكرها بين كتبه الاخرى

منشئون آخرون

وهناك جماعة من المنشئين وبلغاء المترسلين لم يخلفوا آثاراً غير ما ذكره الثعالبي في اليتيمة أو غيره ممن ترجموهم. وهذه أسماؤهم ومجانبها مكان وجود الامثلة من انشاء كل منهم وترجمة حاله :

٧ أبو الفتح البستي في يتيمة الدهر ٢٠٤ ج ٤

٨ أبو الفضل الميكالي « « ٢٤٧ ج ٤

٩ الحاتمي	في يتيمة الدهر	٢٧٣ ج ٢
١٠ الشابشتي	ابن خلكان	٣٣٨ ج ١
١١ التهامي الشاعر	« «	٣٥٧ ج ١
١٢ القسطلي	في اليتيمة	٤٣٨ ج ١

الادب والانشاء

عند الافرنج

ومما يحسن استطراده في هـذا المقام ان علم الادب الذي يعنيه الافرنج بقولهم ليتراتور (Littérature) يفضي الى الاجادة في فني المنثور والمنظوم مثل علم الادب عند العرب لكنه يشتمل أيضاً على روح انتقادية هي المراد الاصلي من علم الادب عندهم لا العبارة أو الاسلوب . وانما يريدون تلك الروح التي ينتقد بها الكاتب أو الشاعر ما يقع عليه نظره من الحوادث الطبيعية أو ينتبه له من أماكن النقص في الامة أو رجالها أو ملوكها فينتقده أو يصفه باسلوب انتقادي شعري يحرك العواطف ويقع من النفس موقعاً مؤثراً . وكتابهم انما يتفاضلون في أسلوب ذلك الانتقاد . وهو يشبه ما ورثوه من الروايات التمثيلية (الدرام) عن أسلافهم . لان المراد الاصلي منها تمثيل الفضائل للترغيب فيها وتمثيل الرذائل للتنفير منها.فالكاتب أو الشاعر عندهم يكتب أو ينظم أو يمثل أويخطب والغرض الرئيسي عنده الانتقاد بما توحيه اليه قريحته من النظر في الوجـود أو المجتمع الانساني أو احوال الناس من حيث الادب او السياسة أو الاخلاق . بقطع النظر عما يرجوه من الكسب أو الاسترضاء . وهذا نادر في أدباء العرب لانصراف قرائحهم في صدر دولتهم الى ارضاء الخلفاء أو الامراء من مدح أو هجاء على ماكانت تقتضيه الاحزاب السياسية.أو يشببون بما يطرب الخليفة أو الامير لان على رضاه يتوقف رزقهم

كان الغرض الاول من الادب العربي في الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية خدمة مصلحة ولاة الامر في تأييد سيادتهم ونفوذهم أوتسليتهم وتفريحهم.وكان اكثر الشعراء والادباء من الموالي طلاب الرزق.فلم تتوجه قرائحهم الى النقد الاجتماعي أو السياسي أو الفلسفي مما يقتضيه النظر في الخليقة أو نظام الاجتماع أو الدولة. لان ذلك لايلائم اغراض اصحاب السيادة.ولا سيما بعد أن صار هؤلاء يطاردون الاحرار باسم

الزندقة أو الاعتزال أو الفلسفة بعد عصر المأمون . فقامت تلك المطاردة سدا في سبيل حرية القول واستقلال الفكر. فاصبح الادباء لايفكرون الا كما يشاء امراؤهم. واذا فكروا في غيره فلا يجسرون على قوله . واذا قالوه بادروا الى اخفائه فراراً من الاذى أو سوء الاحدوثة أو الاتهام بالمروق من الدين . ولذلك لم يصلنا من أقوال أدباء ذلك العصر الحرة الانتقادية الا النزر اليسير

ولعل أول من كسر قيود التقليد في هذا الشأن أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف فنشر آراءه في انتقاد الهيأة الاجتماعية والتقاليد الدينية والاعتقادات الشائعة نظماً ونثراً . فوجه سهامه نحـو رجال الدين لاحترافهم التقوى في سبيل الاستجداء أو الاستئثار . ونظم في فلسفة الوجود وفلسفة الاجتماع فنقم عليه كثيرون واتهموه بالكفر ولم يعدوا قوله شعراً فسموه الحكيم وأنكروا عليه الشاعرية . والحقيقة ان تلك هي الشاعرية بعينها . فسرت روحه في جسم المجتمع وأخـذ الادباء من العرب وغيرهم يتحدونه كما فعل عمر الخيام برباعياته

على ان أكثر أدباء العرب اقتصروا في انتقاداتهم الاجتماعية أو الاخلاقية على نظم القصائد الحكمية يضمنونها الحكم والمواعظ ومحاسن الاخلاق. وأكثر الكتب المؤلفة في السياسة ونحوها تتضمن النصائح للملوك وما ينبغي أن يكونوا عليه من الكمالات . وقد يؤلفون الكتاب باسم ملك ينصحونه به كما فعل الشيخ عبد الرحمن في كتاب السياسة الذي قدمه لصلاح الدين الايوبي المتقدم ذكره صفحة ٢٣٣

ولكن ذلك غير ما يريده أدباء الافرنج في عصرنا من النقد الادبي أو الادب الانتقادي . فهم يريدون ما فعله شكسبير ودانتي وهوكو وروسو وفولتير وغيرهم ممن الف القصص للمطالعة أو التمثيل أو القصائد أو المقالات في تصوير الحقائق وانتقادها واستخراج العبرة منها باسلوب شعري يؤثر في النفس . وقد يؤلف أحدهم الرواية الكبيرة ينتقد بها عادة شائعة أونكتة توسمها في نظام الاجتماع أو قوانين الحكومة . والعرب قلما فعلوا ذلك في النظم ولا في النثر. الا نحو ما يؤخذ من كتاب كليلة ودمنة وأمثاله وهو تلميحي وليس هو عربي الاصل . وقد الفوا قصة عنتر مثلا صوروا بها حالة الاجتماع في الجاهلية . وصوروا في الف ليلة وليلة حال الاجتماع في عصر الرخاء والحضارة لكنهم لم يضعوا ذلك في شكل انتقادي ولا نبهوا الى مكان العبرة فيه . وان كان القارىء يتأثر من المطالعة فيساق من نفسه الى استحسان بعض ماصور هناك من المناقب فيتحداها الا انه غير مقصود في التأليف

وهذا النقص ليس خاصاً بالعرب بل هو يشمل اكثر الشرقيين • ولعل السبب فيه شدة احترامهم لرؤسائهم مع تأصل الحكم الاستبدادي في نفوسهم بتوالي الاجيال واضطرارهم للارتزاق من الرؤساء. وهم اصحاب قرائح انتقادية لحصروها في المناظرات اللغوية والنحوية كما فعل البصريون والكوفيون • أو في المجادلات الدينية ويراد بها غالباً خدمة مصلحة ولاة الامر فيما يرجع الى تأييد سيادة بعض الرؤساء دون سواه أو تحقير اعدائهم من دعاة الخلافة أو القائمين على الدولة • أو في المهاجاة لنصرة الاحزاب بين السنة والشيعة أو نحوها . أما انتقاد المبادىء الاجتماعية أو السياسية فانه قليل في ثمار قرائحهم

ولكن ليس من الانصاف أن نقيس حال أدبائنا في تلك الاعصر بحال أدباء الافرنج في هذا العصر . فان هؤلاء لم تظهر فيهم القرائح الحرة الا بعد حل قيود التقليد وقلب النظام الاجتماعي وتبديل الحال السياسي حتى صار للعامة شأن . وقد سفكت الدماء في سبيل الحرية الشخصية والحقوق الفردية فنشأت القرائح على حرية الفكر والقول

على أن تقاعد العرب عن ذلك النقد ليس من عجز في فطرتهم فانهم من أصفى الناس أذهانا وأدقهم نظراً وأباهم للضيم . فلما حدث مثل ذلك الانقلاب فيهم عند ظهور الاسلام اظهروا شجاعة أدبية لا مثيل لها حتى كان الراعي يخاطب الخليفة بلا كلفة وينتقده بلا خوف . ولا يرى الخليفة غرابة في انتقاده

حتى في إبان التمدن الاسلامي اذا اتيح للشاعر ان يقول فكره عن جرأة في الرأي مع استغنائه عن اموال ولاة الامور لم يقصر عن مجاراة اكتب الافرنج اليوم في روح النقد والعبرة والفلسفة . فقول ابي العلاء المعري في انتقاد الحكومة ورجالها :

يكفيك حزناً ذهاب الصالحين معاً	ونحن بعدهم في الارض قطان
ان العراق وان الشام مذ زمن	صفران مابهما للملك سلطان
ساس الانام شياطين مسلطة	في كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل خمص الناس كلهم	أن بات يشرب خمراً وهو مبطان
تشابه النجر فالرومي منطقه	كمنطق العرب والطائي مرطان
اما كلاب فاغنى من ثعالبهم	كأن ارماحهم في الحرب اشطان
متى يقوم امام يستقيد لنا	فتعرف العدل اجبال وغيطان

لايقل قوة عما قاله فيكتور هوكو من قصيدة « الملوك » وهي من أشد قصائده وطأة قال منها يخاطب الملوك : « اتظنون اننا نحبكم ! نحن الذين نشتغل في هذه الارض

ونستخرج ثروتها ونكد ونجد في حر الشمس وبرد الشتاء ولا ننال من اتعابنا غير الجوع والعطش . وأنتم على سرر مرفوعة من العز والنعيم . وعلى جانب من التبذير والاسراف والفحش. نحن الخدم وانتم الملوك . نحن الغنم وانتم الذئاب . نحن الفريسة وانتم المفترسون . تبنون القصور من أموالنا واتعابنا وترتعون فيها وتلعبون ونحن نقاسي نزاع الموت على لقمة . لا شغل لكم الا الاكل والنوم والسكر والفحش والقتل والظلم » (١)

وقد تصور أبو العلاء الحكم الدستوري أو الجمهوري منذ تسعمائة سنة فوصف الامة الذليلة بقوله :

مل المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وقد ظهر بعد المعري غير واحد من النقادين سيأتي ذكرهم في اماكنهم

الادب والادباء

في العصر العباسي الثالث

نضج الادب في هذا العصر وزاد استقلالا عن سائر العلوم ومال بالاكثر الى النظر في الشعر والشعراء من شرح أو تلخيص أو انتقاد . ويمتاز على الخصوص بنقد الشعر بعد أن نضج وتعددت ابوابه ومواضيعه فتعودالادباء بعد شيوع المنطق والفلسفة وعلم الكلام النظر في الادب نظر الناقد الممحص بالمقابلة والموازنة — وان انكروا الفلسفة على أصحابها واتهموهم بالكفر . فان روح النقد والنظر الفلسفي دبت في عروقهم وهم لا يعلمون . فنبغ منهم نقاد الشعر كقدامة بن جعفر وابن رشيق. وفيهم من انتقد الرواية والاخبار كابي الفرج الاصبهاني صاحب الاغاني وحمزة بن حمزة . ونظروا الى فحول الشعراء فشرحوا أقوالهم في الجاهلية والاسلام كشروح الحماسة والمعلقات . وجمعوا أقوال الشعراء ومحصوها وجمعوا بينها كما فعل الثعالبي امام المؤلفين في ذلك العصر وانتقدوا آداب المجالسة ووضعوا للندماء شروطاً وغير ذلك كما سيظهر في تراجم الادباء — وهاك أشهرهم حسب سني الوفاة :

---

(١) تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب ٢٣١

١ — ابو الفرج الاصبهاني

توفي سنة ٣٥٦ هـ

قد يفهم من لقبه انه فارسي الاصل وهو عربي أموي يتصل نسبه بمروان بن الحكم من بني أمية . وهو مع ذلك شيعي ويندر التشيع في بني أمية . واسمه علي بن الحسين وكنيته أبو الفرج وإنما لقب الاصبهاني لانه ولد في اصبهان . لكنه نشأ في بغداد وكان من أعيان ادبائها وافراد مصنفيها . وقد روى عن كثيرين وطالع كثيراً من الكتب وكان قوي الحافظة فوعا في ذاكرته ألوفاً من الاشعار والاغاني والاخبار والآثار والاحاديث والانساب باسانيدها واسماء قائليها ورواتها. فضلا عن توسعه في اللغة والنحو والسير والمغازي وعلوم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم والاشربة وغير ذلك . وكان انقطاعه بالاكثر الى الوزير المهلبي المتقدم ذكره. وكان يلقى سواه من ملوك ذلك العصر وامرائه فيعرفون فضله ويجيزونه

ولم يقتصر من العلم على الحفظ والاختزان كما يفعل كثيرون . لكنه تدبر تلك المعارف واخرج منها كتباً نافعة اشهرها كتاب الاغاني وبه اشتهر. والف أيضاً كتاب القيان وكتاب الاماء الشواعر وكتاب الديارات وكتاب دعوة الاطباء وكتاب مجرد الاغاني وكتاب اخبار جحظة البرمكي ومقاتل الطالبيين وكتاب الحانات وآداب الغرباء . وحصل له ببلاد الاندلس كتب صنفها لبني أمية ملوك الاندلس يوم ذاك وسيرها اليهم سراً . وجاءه الانعام منهم سراً فمن ذلك كتاب نسب بني عبد شمس وكتاب ايام العرب الف وسبعمائة يوم وكتاب التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومثالبها وكتاب جمهرة النسب وكتاب جمهرة بني شيبان وكتاب نسب المهالبة وكتاب نسب بني تغلب ونسب بني كلاب وكتاب الغلمان المغنين وغيرها . وهي كثيرة لكن اكثرها ضاع بتوالي الاحن فنأتي على ذكر ما وصلنا خبره منها :

١ كتاب الاغاني : هو اشهر من أن يعرف وقد وقع الاتفاق على انه لم يعمل مثله في بابه . ويقال انه اشتغل في جمعه وتأليفه نحو خمسين سنة. وبلغ خبره الى الحكم ان الناصر صاحب قرطبة وهو أموي مثله فسأله ان يرسل الكتاب اليه قبل اخراجه لبني العباس وبذل له على ذلك الف دينار . ولما تم تأليفه حمله الى سيف الدولة بن حمدان فاعطاه الف دينار واعتذر اليه. ولم يبق احد من امراء ذلك العصر

الا اقتناه ليستغني به عن سواه . وقد علمت ان الصاحب بن عباد كان اذا سافر حمل كتبه على عشرات من الجمال فلما اقتنى كتاب الاغاني استغنى به عنها

وهو اجزاء كثيرة وصل الينا منها ٢١ جزءاً في نحو ٤٠٠٠ صفحة واسم الكتاب يدل على المراد بوضعه في الاصل نعني «الاغاني» فصدره بمائة صوت كان الرشيد أمر ابراهيم الموصلي مغنيه وغيره ان يختاروها له . ثم وقعت للواثق بهذه فامر اسحق بن ابراهيم فاختار له منها ماراًى انه افضل واضاف اليها إشياء اخرى . فسار ابو الفرج على هذه الخطة معولا على ما اختاره غير هؤلاء ايضاً من اهل العلم بصناعة الغناء. وقد يعترض على وضع هذا الكتاب بين كتب الادب اذ يجدر به أن يكون بين كتب الموسيقى لكن اهميته قائمة بما فيه من الاخبار والاشعار. لان المؤلف اذا ذكر ابياتاً على لحن وعين نغمها ومن غناها استطرد الى ذكر ناظمها وترجمته والاحوال التي قيلت فيها من حرب أو حب في الجاهلية أو الاسلام . ومن غناها ومن شهد ذلك وأسبابه وأحواله فيورد تفاصيل ذلك بالدقة والاسناد . فاحتوى الكتاب على أخبار مئات من الشعراء والادباء والمغنين والعشاق والخلفاء والقواد . وا كثر أيام العرب واخبار قبائلهم وانسابهم ووقائعهم وغزواتهم ومياههم . وفيه خيرة أشعار الجاهلية والاسلام ولا سيما ماكانوا يغنون به . وآداب القوم في طعامهم وشرابهم واجتماعهم وحروبهم وزواجهم وطلاقهم وسائر أحوالهم

فاهمية هذا الكتاب متوقفة على ماحواه من تلك التراجم والاخبار ويكاد يكون منفرداً بها . ولولاه لضاع كثير من أخبار الجاهلية وصدر الاسلام وايام بني امية . وهو ثقة لتدقيقه وتمحيصه لانه لايكتفي بالاسناد الى الرواة بل هو ينتقدهم ويبين اوجه الخطأ أو المناقضة بين رواياتهم ثم يرجع الى رأيه . وكان أشد وطأة في النقد على ابن خرداذبه وابن الكلبي مما على سواهما. وفي مروياته كثير من الاخبار والحوادث تلقنها عن اناس عاصروه فحدثوه بما علموه فدونه وهو منفرد بتدوينه. واخذ عن كتب ضاعت

وقد طبع الاغاني بمصر في ٢٠ جزءاً سنة ١٢٨٥ ﻫ ثم عثروا على جزء في بعض خزائن الكتب باوربا فطبعوه في برونو سنة ١٨٨٨ فصارت ٢١ جزءاً ووضع لها الاستاذ جويدي المستشرق الايطالي فهرساً أبجدياً مطولا سنة ١٨٩٥ واعيد طبع الاغاني كاملا بمصر في ٢١ جزءاً سنة ١٣٢٢ مع فهرس أبجدي مبني على فهرس جويدي . وقد لخص الاغاني جمال الدين الحموي المتوفى سنة ٦٩٧ ﻫ في كتاب منه نسخة خطية في المتحف البريطاني. وجرده الاب انطون صالحاني اليسوعي من الاسانيد والاغاني

وابقى الروايات على حدة فى كتاب سماه «روايات الاغاني» وهو جزآن الاول فى الروايات الادبية والثاني فى الروايات التاريخية طبع بيروت سنة ١٨٨٨و١٩٠٨

٢ كتاب الديارات : وصف فيه الاديار فى العراق ومصر وغيرهما وفيه كثير من اخبار الشعراء وأشعارهم في مجالس العباسيين وخصوصاً الرشيد الى المعتضد . منه نسخة في مكتبة برلين . وبعضهم يشك فى نسبة هذا الكتاب اليه ويرى أنه للشابشتي

وترجمته في ابن خلكان ٣٣٤ ج ١ واليتيمة ٢٧٨ ج ٢

٢ — ابو علي التنوخي

توفي سنة ٣٨٤ هـ

هوابوعلي المحسن بن علي التنوخي. ولد فى البصرة وكان ابوه قاضياً وشاعراً واديباً (ترجمه الثعالبي في اليتيمة ١٠٥ج٢) وانتقل المحسن الى بغداد وتلقى العلم عن الصولى وغيره ثم تعين قاضياً على قصر بابل وما يليه . وتنقل فى مناصب اخرى واهم آثاره :

١ كتاب الفرج بعد الشدة : قد تقدم ذكره في كلامنا عن ابن ابي الدنيا (صفحة ١٧٢) وهومن كتب الادب المفيدة لما حواه من الحقائق التاريخية والاجتماعية

٢ كتاب المستجاد من افعال الاجواد: فيه حكايات وأخلاق اكثرها عن الخلفاء العباسيين . في مكاتب غوطا واكسفورد والاسكوريال وبطرسبورج واياصوفيا

٣ كتاب نشوان المحاضرة واخبار المذاكرة : مجموع اخبار تاريخية . في باريس

وترجمة التنوخى فى ابن خلكان ٤٤٥ ج ١ ويتيمة الدهر ١١٥ ج ٢

٣ — ابو هلال العسكري

توفى سنة ٣٩٥ هـ

هو ابوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري تلقى العلم فى بغداد والبصرة وأصبهان . وهو غير ابي احمد العسكري اللغوي الآتي ذكره وكلاهما اسمه الحسن بن عبد الله . فكثيرا ما يقع الالتباس بينهما وكانا متعاصرين . وابو هلال تلميذ أبي احمد وتوفي هذا سنة ٣٨٢ هـ أما ابو هلال فقد خلف كثيرا من الكتب هاك أهم ما بلغنا خبره منها :

١ كتاب جمهرة الامثال : طبع في بومباي سنة ١٣٠٦ وفي مصر على هامش أمثال الميداني سنة ١٣١٠

٢ كتاب الصناعتين النظم والنثر : منه نسخة في باريس وكوبرلى وطبع فى الاستانة سنة ١٣٢٠ وهو مفيد جدًّا في بابه

٣ ديوان المعاني : هو معجم لمعاني الشعر مرتب حسب المواضيع . قال مؤلفه في مقدمته انه جعله ١٢ باباً في ٥٠٠ ورقة ثم رأى ذلك يكبر حجمه فجعل كل باب منها في كتاب . منه نسخة في المتحف البريطانى . وفي كتب الشنقيطي فى المكتبة الخديوية كتاب خطي بهذا الاسم مؤلف من ١٧١ ورقة (٣٤٢ صفحة) يشتمل على الباب السابع وفيه وصف السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه والرياض والنبات والنسيم وغيرها . والثامن في وصف الحرب والسلاح . والتاسع في وصف الدواة والبلاغة . والعاشر في صفات الخيل والابل والفلوات والوحوش والطيور . والحادي عشر في الخضاب والعلل والموت والزهد والباقى معان متفرقة . وهو جزيل الفائدة لطلاب المعانى الشعرية

٤ كتاب المصون في الادب : في الاسكوريال

٥ روى ديوان ابي محجن : في ايا صوفيا

٦ كتاب الاوائل: اختصره السيوطي في كتاب الوسائل وهو أول من الف فيه

٧ التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم : طبع بالاستانة

وأخباره فى معجم الادباء ١٣٥ ج ٣

٤ — ابو منصور الثعالبي

توفي سنة ٤٢٩ ﻫ

قد تقدم ذكره بين المنشئين واجلنا الكلام عن كتبه في غير الانشاء الى هنا . والثعالبي المذكور مدوّن اخبار العصر الذي نحن في صدده وخصوصاً الشعر والشعراء والادب والادباء . وله كتب كثيرة في مواضيع مختلفة هاك ما وصلنا منها:

١ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : تشتمل على اخبار شعراء المائة الرابعة للهجرة وهو العصر العباسي الثالث في أربعة مجلدات . قسم الكلام فيها الى أبواب باعتبار البلاد . فافرد باباً لشعراء الشام وما كان من احوال سيف الدولة ومحاسن الشعراء ولا سيما المتنبي وأبو فراس استغرق الكلام عنهما ٢٠٠ صفحة . وباباً لشعراء مصر والمغرب . وآخر لشعراء الموصل وآخر عن آل بوية وشعرائهم وكتابهم وآخر عن شعراء البصرة فالعراق فبغداد فابن العميد والصاحب بن عباد

مفصلاً . ثم شعراء اصبهان والطارئين على الصاحب وشعراء الجبل وفارس والاهواز وجرجان . ثم محاسن الدولة السامانية ومن فيها من الشعراء . ففضلاء خوارزم وفصول لكل من أبي بكر الخوارزمي والهمذاني والبستي والميكالي وشعراء خراسان والطارئين على نيسابور وغير ذلك . والكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٣٠٤ في ٤ مجلدات تحتوي على نحو ١٥٠٠ صفحة . ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوروبا . وينتقد على مؤلفه انه جعل عبارته مسجعة وهي لا تليق بكتب التاريخ والاخبار . وانه أغفل الوفيات فيندر ان يذكر سنة الوفاة أو الولادة . وانما هو قاصر على الامثلة من الاشعار أو الانشاء واطرائها مع بعض الاخبار . والف أبو الحسن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ ذيلا لليتيمة سماه دمية القصر وعصرة أهل العصر سيأتي ذكره

٢ لطائف المعارف : هو جزيل الفائدة في موضوعه لانه يشتمل على فوائد لا يتصل اليها الا بمطالعة الكتب الكثيرة . (أولها) باب الاوائل من كل شيء وفيه فوائد تاريخية هامة كقوله « أول من جلس على سرير من ملوك العرب جذيمة وأول من كسا الكعبة الحرير نتيله .. الخ » (٢) القاب الشعراء الذين لقبوا باشعارهم كالمرقش والممزق وأسباب ذلك (٣) الالقاب الاسلامية للوجوه والاعيان (٤) كتاب المتقدمين (٥) في المتناسقين باحوال مختلفة (٦) في الغايات من طبقات الناس (٧) الاتفاق في الالقاب والكنى (٨) فنون شتى من المعارف النبوية والقرشية وصنائع الاشراف والملوك (٩) غرائب الاحوال وعجائب الاوقات ، واخيراً نموذج من خصائص البلدان . وهو مطبوع في ليدن في نحو ٢٠٠ صفحة سنة ١٨٦٧ بعناية المستشرق دي يونغ . وقد سبقه ابن قتيبة الى بعض هذه المواضيع في كتابه «المعارف»

٣ فقه اللغة : هو معجم معنوي جمعت فيه المعاني المتقاربة أو المترابطة في باب واحد مع بيان الفرق بينها أو تدرجها أو تفرعها مما يفتقر الى درس طويل . وذكر في المقدمة اسماء اللغويين والرواة والنحاة الذين عوّل عليهم . وقد طبع في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي مصر

٤ الاعجاز والايجاز . يشتمل على ابلغ ما قيل مع الايجاز طبع في بيروت سنة ١٨٩٧ وفي الاستانة في جملة رسائل اخرى

٥ خاص الخاص : وفيه خلاصة الخلاصة في الادب طبع بمصر

٦ نثر النظم أو حل العقد : هو عبارة عن تحويل الشعر المنظوم الى شعر منثور طبع بمصر سنة ١٣١٧

٧ مكارم الاخلاق : فيه فصول في العقل والعلم والزهد وغيرها طبع في بيروت
٨ غرر اخبار ملوك الفرس : في التاريخ طبع في باريس
٩ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: في الادب وفيه فوائد تاريخية على أسلوب خاص به لانه مقسوم الى فصول باعتبار اشياء مضافة الى أشياء أخرى يتمثل بها ويكثر استعمالها في النظم والنثر على ألسنة العامة والخاصة . كقولهم غراب نوح وذئب يوسف وعصا موسى وخاتم سليمان وبردة النبي ونحو ذلك وشرح كل منها • وهو كبير الحجم منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ في نحو ٦٠٠ صفحة
١٠ شمس الادب في استعمال العرب : جزآن الاول في أسرار اللغة والثاني في مجاري الفاظها ورسومها وما يتعلق بالنحو والاعراب منها • وقد يسمى سر الادب في مجاري لسان العرب . منه نسخة خطية في كل من مكتبتي برلين وليدن
١١ الكناية والتعريض: في البلاغة ويشتمل على مايرد من الاوصاف بالكناية عن النساء والغلمان والطعام والمقابح والعاهات وغيرها. ومنه نسخ خطية في برلين وفينا والاسكوريال وفي المكتبة الخديوية
١٢ أجناس التجنيس : في الجناس . بمكتبة الاسكوريال
١٣ سحر البلاغة : في مكتبة برلين وفينا وباريس وكوبرلى وغيرها. وقد طبعت بالاستانة منتخبات منه في جملة رسائل اخرى
١٤ غرر البلاغة وطرف البراعة : في مكتبة برلين
١٥ اللطف واللطائف . مؤلف من ١٦ باباً . في الاسكوريال وفينا وفي المكتبة الخديوية من كتب الشنقيطي
١٦ من غاب عنه المطرب : وهو يشتمل على منتخبات من الشعر والحكم في الخط والبلاغة والربيع وأوصاف الليالي والايام والغزل والخمريات والاخوانيات. منه نسخ خطية في برلين وباريس والمتحف البريطاني والاسكوريال وطبع في مجموعة التحفة البهية بالاستانة
١٧ برد الاكباد في الاعداد : هي مجموعة أخبار وملح عن النبى والصحابة وغيرهم مرتبة حسب الاعداد مما جاء فيه لفظ اثنين فثلاثة الى العشرة . ففي باب العدد ثلاثة مثلا يقول «ثلاثة لايسلم منهن أحد : الظن والطيرة والحسد» وقس عليه• طبع في الاستانة في جملة رسائل أخرى • ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
١٨ التوفيق للتلفيق : في برلين

١٩ النهاية في الكناية : في المتحف البريطاني والاسكوريال والمكتبة الخديوية وقد طبعت منتخبات منه في الاستانة

٢٠ مرآة المروءات واعمال الحسنات : في برلين

٢١ التمثل والمحاضرة : يحتوي على ما يحتاج اليه الاديب مما يتمثل به في الكتابة من أقوال الشعراء والمنشئين . موجود في المكتبة الخديوية وفي ليدن . وطبع منه منتخبات بالاستانة

٢٢ كتاب الغلمان : في برلين والاسكوريال. و ٢٣ تحفة الوزراء: في مكتبة غوطا

٢٤ كنز الكتاب . فيه أمثلة من أقوال ٢٥٠ شاعراً لاستعمال الكتاب . منه نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي فينا والاستانة

٢٥ أحاسن المحاسن : في مكتبة باريس والمكتبة الخديوية

٢٦ أحسن ما سمع : في كوبرلي بالاستانة وفي المكتبة الخديوية

٢٧ المبهج : فيه اخلاق ومواعظ وآداب وبلاغة في ٧٠ باباً منه نسخة خطية في برلين وباريس وكوبرلي والمكتبة الخديوية . وقد طبعت في الاستانة منتخبات منه

٢٨ اللطائف والظرائف : في مدح اشياء واضدادها . موجود في برلين والاسكوريال وليدن. وقد جمعه أبو النصر المقدسي مع المحاسن والاضداد للثعالبي هذا في كتاب سماه الظرائف واللطائف طبع على الحجر في مصر سنة ١٢٧٥

٢٩ يواقيت المواقيت : في مدح الشيء وذمه . في برلين وليدن

٣٠ لطائف الصحابة والتابعين : في مكتبة ليدن وطبع منه قطع في ليدن للتعليم

٣١ أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء . موجود في ليدن وباريس وطبع بعضه في ليدن سنة ١٨٤٤

٣٢ كتاب الشكوى والعتاب : و ٣٣ المقصور والممدود : و ٣٤ المتشابه : منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية

٣٥ المنتحل : يحوي جيد الشعر للجاهليين والمخضرمين والمولدين الى ايامه . وهو منتخب من أحاسن الاشعار لاحسن الشعراء طبع بمصر سنة ١٣٢١ مع تراجم الشعراء الواردة اسماؤهم فيه للشيخ ابي علي الازهري . وبعضهم ينسب المنتحل لابي الفضل الميكالي معاصر الثعالبي

٣٦ الجواهر الحسان في تفسير القرآن : في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية

وترجمة الثعالبي في ابن خلكان ٢٩٠ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣٦

٥ — الشريف المرتضى

توفي سنة ٤٣٦ هـ

هو من سلالة موسى الكاظم من أشراف العلويين وكان نقيب الطالبيين في بغداد. واسمه علي بن الطاهر وكان اماماً في علم الكلام والادب والشعر . وهو أخو الشريف الرضي الشاعر الذي تقدم ذكره . وله تصانيف فقهية على مذهب الشيعة وديوان شعر كبير لم يصل الينا . ومن تصانيفه :

١ كتاب نهج البلاغة : وهو يشتمل على خطب وأقوال تنسب الى الامام علي. والمشهور أن الشريف المرتضى جمع خطب علي وأقواله ودونها في ذلك الكتاب وهو من أهم كتب الادب بالنظر الى ما حواه من بلاغة الاسلوب والدقة في التعبير والحكم في الاقوال . وان كنا نرى كثيراً من تلك الخطب ليست لعلي بدليل اختلاف الاسلوب ومخالفة ما فيها من المعاني لعصره وغير ذلك مما لا محل لتفصيله . أما خطبه في المواقف التاريخية وكتبه الى قواده ورجاله فهي له . وقد طبع نهج البلاغة في بيروت وعليه شرح قليل للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٥ وطبع أيضاً بمصر . ولابن أبي الحديد شرح مطول في ٢٠ جزءاً طبع في طهران سنة ١٢٧١ في مجلدين كبيرين على الحجر . وفي آخره اضافات لم يذكرها جامعه . وقد تقدم الكلام عن نهج البلاغة في باب الخطابة بالجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ١٩٥

٢ كتاب الدرر والغرر في المحاضرات : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وأخرى في برلين

٣ كتاب الشهاب : طبع في الاستانة

وترجمة المرتضى في ابن خلكان ٣٣٦ ج ١

٦ — ابن رشيق القيرواني

توفي سنة ٤٥٦ هـ

هو أبو العباس الحسن بن رشيق من أهل القيروان. أبوه مملوك رومي من موالي الازد كان صائغاً في بلده المحمدية فعلمه أبوه صناعته. ثم قرأ الادب وقال الشعر وتاقت نفسه الى التزيد منه فرحل الى القيروان واشتهر بها وامتدح صاحبها واتصل بخدمته ولم يزل بها حتى هجم عليها العرب وقتلوا أهلها وأخربوها . فانتقل الى صقلية وأقام

بمازر الى أن مات . وله مؤلفات كثيرة أشهرها وأهمها :

١ كتاب العمدة : وبه اشتهر . يبحث في صناعة الشعر ونقده وعيوبه . وهو اجلّ كتاب في هذا الموضوع يقسم الى ابواب في فضل الشعر واشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء ، ومن رفعه الشعر ووضعه ومن قضى له وقضى عليه واحتماء القبائل بشعرائها والتكسب بالشعر ومنافع الشعر ومضاره والمقاين من الشعراء وحدود الشعر وأوزانه وبحوره والبلاغة والايجاز والاستعارة الخ .. وسائر أوجه البلاغة وأنواع الفصاحة والجوازات والاوزان . وفي آخره فصول في النسب وأيام العرب وملوك العرب والخيول والزجر والقيافة والوصف وغير ذلك . وفي خلاله طائفة من أحسن الاشعار وبحث تحليلي في الشعر ومعانيه على طريق الانتقاد . قال ابن خلدون : « إن كتاب العمدة هو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وأعطاها حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله » طبع في القاهرة في جزئين سنة ١٩٠٠ وفي غيرها . وقد الف زميله ومعاصره أبو عبد الله ابن شرف رسائل سماها « رسائل الانتقاد » تقدم ذكرها صفحة ٢٤٤

٢ كتاب قراضة الذهب في نقد أشعار العرب : منه نسخة خطية في باريس . وقد ضاعت سائر كتبه

وترجمته في ابن خلكان ١٣٣ ج ١ ومعجم الادباء ١٢٧ج ١

كتب أخرى في الادب

وهناك طائفة من كتب الادب نكتفي بذكر أصحابها بدون تراجمهم :

١ الجليس الصالح الكافي : في مائة مجلس لابن طرار الجريري المتوفى سنة ٣٩٠ منه اجزاء في المكتبة الخديوية وبرلين وباريس وكمبريدج

وترجمة ابن طرار في ابن خلكان ١٠٠ ج ٢

٢ زهر الآداب : للحصري القيرواني المتوفى سنة ٤١٣ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٥٠٠ صفحة . وفيه أخبار وقطع تاريخية ومقامات وأشعار

وترجمة الحصري في ابن خلكان ١٣ ج١ ومعجم الادباء ٣٥٨ ج ١

٣ شرح الحماسة : للمرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ منه نسخة في المكتبة الخديوية

٤ الموازنة بين الطائيين : لابن بشر الآمدي توفي سنة ٣٧٠ ﻫ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية فى ٤٤٠ صفحة كبيرة وطبع في الاستانة

وترجمة الآمدي في معجم الادباء ٥٤ ج ٣ والفهرست ١٥٥

٥ الاشباه والنظائر أو حماسة الخالديّين : هي مجموعة مختارات من أشعار المتقدمين الجاهليين والمخضرمين وغيرهم ومنها كثير لم يرد في حماسة ابي تمام . وهي تنسب الى الخالديين من ادباء العصر الثالث وهما أبوبكر محمد وابو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان كانا يشتركان في نظم الشعر ولا يكادان يفترقان . ولهما أشعار نشرها الثعالبي في يتيمة الدهر (٥٠٧ ج ١) ولهما ايضاً هذه الحماسة منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة

٦ قطب السرور في وصف الخمور : لابي اسحق الكاتب القيرواني المتوفى سنة ٣٨٣ منه نسخة خطية في برلين والاسكوريال وفينا وغيرها

٧ مجموعة المعاني : لمؤلف مجهول لكنها نفيسة وتشتمل على مائة معنى من جيد النظم . وقد أضاف المؤلف الى كل معنى ما يناسبه أو يضاده . طبعت في الاستانة في ٢٢٠ صفحة

المحاضرات

هي علم من علوم الادب تحصل به الملكة على ايراد كلام الغير بما يناسب المقام. وفائدته الاحتراز من الخطاء في تطبيق الكلام المنقول عن الغير على المقام حسب اقتضاء المخاطبة من جهة معانيه الاصلية . وهو من الفنون الاجنبية يقال إن مخترعه رجل من اليونان قبل القرن الثالث للميلاد وقد أخذه العرب في جملة ما أخذوه عن الاعجام في خلافة ابي جعفر المنصور على يد عبد الله بن المقفع عند ما ترجم كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية فكانت ترجمته هذه اساساً لهذا الفن لكنه لم ينضج الا في العصر الثالث الذي نحن في صدده . وأشهر من الف فيه ابن حيان التوحيدي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ الف كتاباً سماه كتاب المحاضرات والمناظرات . وقد تقدم ذكر كتاب الشريف المرتضى في هذا الموضوع . واشهر ما بين ايدينا من كتب المحاضرات كتاب «محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» لابي القاسم الراغب الاصبهاني وسيأتي ذكره

الروايات أو القصص

تمهيد

نريد بالروايات ما يسميه الافرنج بلسانهم « رومان » واحدها رواية وهي القصة عندنا. وانما اخترنا لفظ الرواية مجاراة لمفهوم القراء منها لانها عندهم أدلّ من القصة على ما نحن فيه . والروايات فنّ له شأن عظيم في اداب اللغات الافرنجية يكاد يكون اهمها . وأما في العربية فانه من أضعف فروع الادب . ويراد به تمثيل الاخلاق والعادات والآداب في سياق قصة موضوعة وقد تكون بشكل تمثيلي فتسمى فى اصطلاحهم « درام » وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب (صفحة ٥٨) اقتصرنا فيه على ما في اداب الجاهلية مما يقابل الدرام عند اليونان ونحن ذاكرون هنا فن الروايات على الاجمال في التمدن الاسلامي

يظهر أن العرب قلما اهتموا لهذا الفن في صدر دولتهم ولا التفتوا الى ما كان منه عند اليونان لما نقلوا علومهم . فلم ينقلوا الالياذة ولا الانياد ولا غيرها من الروايات عند اليونان والرومان . لكنهم نقلوا شيئاً من هذا القبيل عن الفرس والهنود على يد عبد الله بن المقفع وجبلة بن سالم وغيرهما. فما نقل عن الفارسية كليلة ودمنة . وكتاب رستم واسفنديار . وكتاب الاداب الكبير . وهزار افسانه . وشهر يزاد مع ابرويز . والكارنامج في سيرة انوشروان . ودارا والصنم الذهب . وبهرام ونرسي

ومما نقل عن الهندية كتاب سندباد الكبير والصغير . وكتاب بوداسف وكتاب أدب الهند وغيرها : وقد ضاع اكثر هذه الترجمات وتغير ما بقي منها وتبدل حتى صار الى غير ما كان عليه كما سترى

على أننا نرى بين ايدينا قصصاً وروايات مطبوعة يتداولها الناس ويقرأونها اشهرها قصة عنتر والف ليلة وليلة وأبو زيد الهلالى والزير والملك سيف والملك الظاهر وعلى الزيبق وفيروز شاه ونحوها . فهذه القصص اكثرها وضع بعد العصر الثالث وانما يهمنا هنا القصص والروايات التي دونت في ذلك العصر أو قبله . وهي تقسم الى قسمين : الاول ما وضعه العرب من عند انفسهم والثاني ما نقلوه عن غيرهم وتوسعوا فيه — واليك تفصيل ذلك

١ — القصص التى وضعوها

من عند انفسهم

أما ما وضعوه فيرجع في الغالب الى تصوير مناقب الجاهلية وحال الاجتماع فيها . كالحماسة والوفاء والجوار والشجاعة والعصبية والثأر . وتجد هذه المناقب ممثلة في اخبارهم وأيامهم المشهورة قبل الاسلام وهي حقائق تاريخية تناقلوها بعد الاسلام . وكانوا يتلون تلك القصص في صدر دولتهم على جندهم لتحميسهم واستحثاث بسالتهم اذا قاموا لفتح أو حرب . كذلك كانوا يفعلون بتلاوة اشعار عنترة وغيرها على أيدي القصاص قبيل المعارك لهذا الغرض

فلما تحضروا وانشأوا الدول عمدوا الى بعض تلك الاخبار فوسعوها في شكل روائي يشوق الى المطالعة . ولم يكن ذلك مقصوداً في بادىء الرأي وانما كانت القصة تكبر وتتسع تدريجاً بالتناقل الشفاهي قبل تدوينها . وبما أن المراد منها التحميس لا تقرير الحقيقة فكان الراوي يبالغ في القصة ويزيد فيها ما يثير الحماسة على ما تقتضيه الاحوال . والقصة تنمو وتتشعب حتى يقضي بهم الامر الى تدوينها بشكل الروايات الحماسية فيدونوها كما صارت اليه — هكذا فعلوا في اكثر قصصهم . ورغبة في تصويرها بشكل الحقيقة اسندوا اخبارها الى بعض الرواة المشهورين كالاصمعي وأبي عبيدة وأمثالهما . وتنوسي مؤلفوها الحقيقيون بتباعد العهد بهم كما تنوسيت أسماء مؤلفي اكثر القصص القديمة عند الافرنج

وقد نضج هذا الفن عند العرب في العصر العباسي الثالث فدونت تلك الروايات أو القصص قبل انقضائه . وهي تتفاوت بعداً عن الحقيقة وقربا منها وصار بعضها يتلى في المنازل والانديه لمجرد التسلية ولم يصلنا منها كاملا ناضجاً الا قصة عنتر

قصة عنتر

هي اكبر القصص الحماسية العربية أو هى عدة قصص متداخلة متسلسلة لاتحتاج في تعريفها الى تفصيل لاشتهارها وشيوعها . وانما نقول بالاجمال انها قصة حماسية غرامية تمثل اداب الجاهلية واخلاق اهلها وحروبهم وعاداتهم. واكثر الاسماء الواردة فيها لها مسميات تاريخية حقيقية لكنها مسبوكة في سياق قصة والمبالغة ظاهرة فيها والمشهور انها وضعت في أواخر القرن الرابع للهجرة . وضعها رجل اسمه يوسف بن اسماعيل في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي بمصر لسبب ذكرناه في الجزء الاول من

هذا الكتاب (صفحة ١٢٠) وبينا هناك أن هـذا الرجل ليس هو واضعها دفعة واحدة بل تكونت بالتدريج . وهي أحسن القصص العربية وافيدها وقد عني الافرنج بنقلها الى ألسنتهم كاملة وملخصة وطبعت في العربية مراراً عديدة في بضعة آلاف صفحة

قصة البراق

وهناك طائفة من الروايات الحماسية العربية وقف نموها في أوائل تكونها لانهم أسرعوا في تدوينها ولا تزال عليها صبغة الاخبار التاريخية وتعد من قبيل التاريخ أو ايام العرب الجاهلية

منها مجموعة لعمر بن شبة المتوفى سنة ٢٦٢ هـ سماها الجمهرة (تقدم ذكرها صفحة ١٩٤ من هذا الكتاب) يشتمل على حوادث عديدة أكثرها وقع بين ربيعة وغيرهم كما ان قصة عنتر بين عبس وسواهم . لكن المطالع يتبين من مواقف كثيرة ان هذه الاخبار متوسطة بين التاريخ والقصة . بطلها الاشهر اسمه البراق وهو شاعر قديم من ربيعة من اقرباء المهلهل وكليب . وله تاريخ مختصر فيه حماسة مثل تاريخ عنترة وله خبر مع ابنة عمه ليلى بنت لكيز واشعار حماسية وفخرية . وقد توسع خبره هذا بتوالي الايام كما توسعت قصة عنتر لكنه ما زال اصغر حجماً واقرب الى الحقيقة منها . وقصته هذه لا تعرف باسمه وانما هي مجموع أخبار عن وقائع حربية ضمنها ابن شبة كتاب الجمهرة في خمس قصص متسلسلة :

القصة الاولى مبنية على قتل الحارث بن عبـاد من ضبيعة (بطن من ربيعة) للفضيل بن عمران من سدوس (بطن من طي) بسبب قنص اختصما عليه فانتشبت الحرب بين القبيلتين ثم بين ربيعة وطي وقضاعة . ودخل فيها البراق وهو من رؤساء ربيعة وابن اخت زعيم الطائيين شبيب بن هيب . فاجتمعت قبائل ربيعة تحت راية البراق وكليب وجرت بين الطائفتين ثماني وقائع قد تكون في اصلها تاريخية لكن سياقها يدل على توسع فيهـا على سبيل الرواية . واستغرقت هذه القصة ٣٦ صفحة واسناد الحديث فيها الى ذؤيب بن نافع

يليها قصة قطيعة مضر وربيعة . ثم خروج لكيز وهما صغيرتان . ثم قصة سبي ليلى بنت لكيز من وائل الى بلاد العجم وما جرى بسبب ذلك من الحروب بين العرب والعجم والروم . وبطل الرواية البراق المذكور . واستعانوا بمضر وزعيمها نوفل بن عمرو . واخبار البراق في هذا القسم اقرب الى الرواية لانها تشبه ما يروى عن عنترة ويتخلل ذلك اشعار حماسية

ويليها حروب بين وائل واليمنيين سببها أن اسيراً كان عند كليب فقتله كليب . ودخل في هذه القصة كليب ومهلهل . واخيراً حرب البسوس وهي قصة قائمة بنفسها استغرقت مائة صفحة كبيرة يتخللها حوادث عنترية وحماسات ومبارزات ومناشدات وغير ذلك حتى يخيل للقارىء انه يطالع قصة عنتر . لكنها أصح لغة وأقرب الى اسلوب صدر الاسلام وأقل مبالغة . ولعلها لو تداولتها الايدي وتناقلها القصاص شفاهاً الى العصر الذي دونت فيه قصة عنتر لصارت مثلها. ولكنها دونت قبلها بقرن وبعض القرن . والجمهرة موجودة خطاً في المكتبة الخديوية

قصة بكر وتغلب

ومن هذا القبيل كتاب بكر وتغلب ابني وائل وفيه خبر كليب وجساس . والقصة فيه أقرب الى التاريخ منها الى الرواية تشتمل على وقائع لها ذكر في التاريخ . وقد زاد فيها المؤلف قصائد وتفاصيل نظمها خيالية أراد بها بيان حماسة العرب وقوة ربيعة على الخصوص . وهي منسوبة في روايتها الى محمد بن اسحق . أو لعل الكاتب أخذ شيئاً من رواية ابن اسحق واتمها من عند نفسه والكتاب مطبوع في بمباي سنة ١٣٠٥ يدخل في ١٢٠ صفحة كبيرة

قصة شيبان مع كسرى انوشروان

هي قصة تاريخية تدخل في سبعين صفحة مطبوعة في بمباي مع تلك لكنها أقرب منها الى الرواية الخيالية . مبنية على حادثة تاريخية في أصلها وتوسع المؤلف بها . فجعل سبب الحروب بين شيبان وكسرى انو شروان أن كسرى طلب من النعمان ابنته الحرقة بنت المتجردة فقامت الحرب بسبب ذلك . ويتخلل تلك الحوادث قصائد تنم عن حداثة نظمها فضلا عن قصائد حقيقية نظمها ابطال تلك الرواية . ومجمل الحديث فيها مروي عن بشر بن مروان الاسدي عن ابن نافع التميمي

والتوسع في الوقائع التاريخية حتى تصير بشكل الرواية ليس من مبتدعات العرب بل هو عام في الامم القديمة قبل التدوين لان القصص تنمو بالتناقل بسليقة في فطرة الانسان من الميل الى المبالغة فيما يقصه استلفاتاً لاعجاب السامع . وفي بعض الناس ميل الى تزويق العبارة وتطويلها والتوسع فيها . وبتوالي الاجيال تنمو الحادثة وتصير قصة واكثر روايات الامم القديمة من هذا القبيل . واكثرها شيوعاً بيننا الياذة هوميروس فان لها أصلا تاريخياً هو حصار طروادة اتسع بتوالي الاجيال حتى انتهى الى هوميروس فدونه أو اتمه فنسبت روايته اليه كما تنسب رواية قصة بني شيبان

وكسرى الى ابن نافع . ولم يبلغ العرب ما بلغ اليه اليونان من المبالغة فان هؤلاء انزلوا الالهة الى ساحة الحرب

الروايات الغرامية

ومما وضعه العرب من عند انفسهم ايضاً قصص العشاق العذريين ونحوهم . وفيها تمثيل العفة او التفاني في سبيل الحب . بنوها على ما جاء في اخبار عشاق صدرالاسلام ككثير لبنى وجميل بثينة . فالفوا قصصاً غرامية نضجت قبل انقضاء العصر الثالث الذي نحن في صدده . منها كتاب عمر بن ابي ربيعة الشاعر المشهور بالنسيب . وكتاب مليكة ونعم وابن الوزير . واحمد وداحة . وقصة ابي العتاهية وعتب . واحمد بن قتيبة وبانوحة . ووضعوا قصصاً غرامية على غير المشهورين من عشاق العرب كقصة علي بن اديم ومنهلة وقصة عمرو بن صالح وقصاف . وقصصاً في الحبائب المتطرفات من النساء كقصة ريحانة وقرنفل . ورقية وخديجة . وسكينة والرباب . وهند وابنة النعمان . وسلمى وسعادة . وغيرها .وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات منها ومن قصص بين الانس والجن وغير ذلك. واكثرها ضاع وما بقي منها ادخلوه في قصة الف ليلة وليلة

٢ — القصص المنقولة

اما ما نقله العرب من القصص عن اللغات الاخرى فهو يمثل على الغالب آداب الامة التي نقلت القصة عنها . واكثرها نقل عن الفرس والهند فهي لذلك تمثل اداب تينك الامتين . وقد ذكرنا اسماء بعضها وذكر الفهرست عشرات منها وقصصاًواسماراً يونانية ضاعت كلها ولم يصلنا منها الا ما في رواية الف ليلة وليلة من تلك الاقاصيص

الف ليلة وليلة

هي مجموع قصص متسلسلة تدخل في بضعة آلاف صفحة . وهي مشهورةومتداولة ولها طبعات عديدة . واختلف الباحثون في اصلها وتاريخها . وعندنا انها مؤلفة من قصص تجمعت بتوالي الاجيال مما ترجموه او وضعوه . ولها اصل نقل عن الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة نعني كتاب «هزار افسانه»

روى ذلك المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ قال : «وقد ذكر كثير من الناس ان هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك برواياتها وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية مثل كتاب افسان وتفسير ذلك في الفارسة (خرافة) . ويقال له افسانه والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها شهر زاد ودينار زاد»

وجاء بعده ابن النديم البغدادي صاحب الفهرست الآتي ذكره فقال في أصل وضع كتاب هزار افسانه هذا في الفارسية «ان ملكاً من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد . فتزوج بجارية من أولاد الملوك لها عقل ودراية يقال لها شهر زاد فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى أن اتى عليها الف ليلة وهو مع ذلك يطؤها الى أن رزقت منه ولداً اظهرته وأوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها . وكان للملك قهرمانة يقال لها دينار زاد فكانت موافقة لها على ذلك وقد قيل ان هذا الكتاب تأليف لحماني (الصحيح اهما) ابنة بهمن » وهذا الوصف ينطبق على الف وليلة تمام الانطباق

وذكر ابن النديم في مكان آخر انه شاهد هذا الكتاب وانه غث بارد. ولا ندري الآن أي جزء من الف ليلة وليلة هو

فالعرب نقلوا هذا الكتاب من الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة ثم أضافوا اليه ووسعوه وغيروا وبدلوا فيه حتى صار كما وصل الينا . ومن يطلع عليه يجد فيه قصصاً يدل أسلوبها والفاظها وبعض ما حوته من العادات انها كتبت بعد ذلك بقرون عديدة كشرب القهوة وذكر بعض الحكام المتأخرين من المماليك أو رجالهم كابي طبق ونحوه . ولا يعلل ذلك الا بما تقدم من توسيع القصة الاصلية المنقولة عن الفارسية باضافة قصص وأسمار كانت شائعة بين الناس مما وضعوه هم أو نقلوه عن سواهم

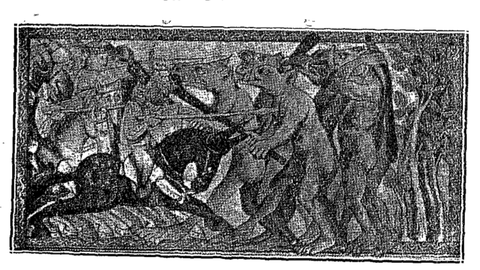
والارجح أن تأليفها على الصورة التي وصلت بها الينا تم بعد القرن العاشر للهجرة واكثر تلك الزيادات حدثت في مصر . ولعلنا لو اتيح لنا الوقوف على الترجمة الاصلية لهزار افسانه لوجدنا الفرق بينها وبين قصة الف ليلة وليلة كالفرق بين أوذيسة هوميروس وانيادة فرجيل . فان هذه اكثرها منقول عن الاوذيسة ومع ذلك فهي تنسب الى فرجيل . ولهذا السبب يصح أن يقال عن الف ليلة وليلة انها من مؤلفات العرب وان كان بعضها لا يزال على اصله الفارسي

وهي كما وصلت الينا تمثل الآداب الاجتماعية في القرون الاسلامية الوسطى ويدخل في ذلك الانهماك في الملذات والتهتك . وقد وصفت المرأة فيها وصفاً يدل على ضعفها وسوء ظن الرجل فيها وفي آدابها . وفي الكتاب كثير من قصص العفاريت وعجائب الخلق وغرائب الحوادث مما يصوره الوهم والخيال. وسواء كان ذلك مما نقل عن الفرس أو مما وضعه العرب فانه من طبيعة تلك العصور . وقد تولد بالنمو التدريجي قبل تدوينه

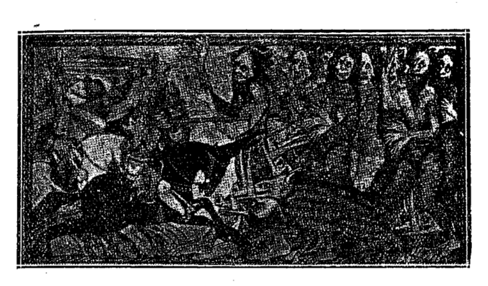
لميل الانسان من فطرته الى المبالغة كما تقدم . فاخبار السندباد البحري وغرائب ما شاهده في أسفاره في الاسماك الكبيرة الحجم التي يبلغ طولها مئات من الاذرع ومنها ما هو بصفة البقر أو الحمير والوادي الذي حجارته من الالماس ويعج بالافاعي عجيجاً . وجبل القرود والثعابين التي تأكل الآدميين . وطير الرخ الذي يشبع من فرخه الصغير عشرات من الناس واذا كبر سطا على السفن وكسرها بصخور يلقيها عليها . ونحو ذلك مما يخالف المألوف عندنا الآن فانه لم يوضع دفعة واحدة وانما نما بالتناقل وأصله مبالغة قليلة رواها أهل الرحلة كما فعل بزرك بن شهريار في أخبار الهند مما فصلناه صفحة ٢٠٥ من هذا الكتاب . فمبالغاته وسط بين الحقيقة والخرافة لو تنوقلت شفاها لصارت كالخرافات تماماً وقس عليه سائر المبالغات

خرافات الافرنج

على أن ذلك ليس خاصاً بالشرقيين كما يتهمنا بعض العلماء من الافرنج بل هو يتناول سائر الامم في تلك العصور من الميل الى المبالغة في رواية الغرائب . ولاسيما فيما تلذ المبالغة فيه من أخبار الابطال والفاتحين . والافرنج اكثر مبالغة في ذلك من العرب . فان هؤلاء نسبوا الى عنترة مقاتلة المائة والمائتين أو اكثر من الرجال وحده وذلك مع بعده لايخالف نواميس الطبيعة . واما الافرنج في قرونهم الوسطى فانهم نسبوا الى الاسكندر المكدوني خرافات تخالف النواميس الطبيعية



ش ١٥ : الاسكندر المكدوني يحارب اقواماً رءوسهم وحشية
« نقلا عن أصول خطية من القرن الثالث عشر للميلاد »



ش ١٦ : الاسكندر يحارب اقواما متوحشين لكل منهم ست ايد
« نقلا عن أصول خطية من القرن الثالثعشر للميلاد محفوظة في مكتبة بروكسل »

فقالوا انه لقي في أثناء فتوحه اقواماً نصف اجسادهم السفلي آدمي والنصف العلوي وحشي (ش ١٥) . وأقواماً وحشيين لكل منهم ست ايد (ش ١٦) . وأنه حارب جنوداً من السلاحف وأخرى من التنين . وأنه بارز مرة حيوانا هائلا بثلاثة قرون ، وبارز مرة أخرى اسوداً وغيرها . وقد صوروا ذلك في كتبهم ونشروه بين عامتهم . وفي (ش ١٥ و ١٦) أمثلة من ذلك

عود الى الف ليلة وليلة

ويتخلل حكايات الف ليلة وليلة قصص قصيرة أبطالها من مشاهير العرب بالجود والحلم أو الوفاء أو غير ذلك . كقصة حاتم الطائي بعد موته وقصص معن بن زائدة ويحيى البرمكي وابنيه جعفر والفضل وابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي وعكرمة وخذيمة والرشيد والمأمون وغيرهم . وفيها قصص مغزاها حسن تمثل الصبر والتعقل والحكمة والتبصر في العواقب . ومعظمها كانت قصصاً مستقلة فادخلت عليها بتوالي الازمان . وبعضها يقرب من الواقع ويطابق سياق التاريخ . وفيها من الجهة الاخرى خرافات على السنة البهائم كقصة الدجاجة والبطة والاسد ونحوها

وبالجملة انها مجموع قصص مختلفة المواضيع والاساليب والاغراض . عبارتها على الاجمال سهلة تختلف قوة وصحة باختلاف القصص وأعصرها . على أنها لم تبق كما وضعت لان النساخ والطباعين نقحوها وهذبوا عبارتها . وقد طبعت مراراً ونقلت

الى أكثر لغات اوربا نقولا تختلف قربا من الاصل وبعداً عنه بين اختصار وتهذيب وبعضهم بالغ في الاختصار والتبديل حتى صارت الترجمة ليس عليها من قصة الف ليلة وليلة الا اسمها . وفي بعض المواضع من هـذه القصة عبارات يخجل الاديب من تلاوتها حذفت من بعض طبعاتها في بيروت ومصر

قصص اخرى من أمثالها

لما شاعت الترجمات الفارسية المتقدم ذكرها في العالم العربي اخذ الادباء في القرنين الثالث والرابع ينسجون على منوالها أو يجمعون مما بين ايديهم ما يشبهها . وقد ذكر ابن النديم كتابا شاهده بنفسه تأليف الجهشياري قال في وصفه : « وابتدا أبوعبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه الف سمر من سمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره . واحضر المسامرين فاخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون واختار من الكتب المصنفة في الاسمار والخرافات ما يحلى بنفسه . وكان فاضلا فاجتمع له من ذلك اربعمائة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة . ورأيت من ذلك عدة أجزاء بخط ابي الطيب أخي الشافعي . وكان قبل ذلك من يعمل الاسمار والخرافات على ألسنة الناس والطير والبهائم جماعة منهم عبد الله بن المقفع وسهل بن هرون وعلي بن داود كاتب زبيدة وغيرهم » . ولم يصلنا من هذه الكتب وأمثالها غير الف ليلة وليلة

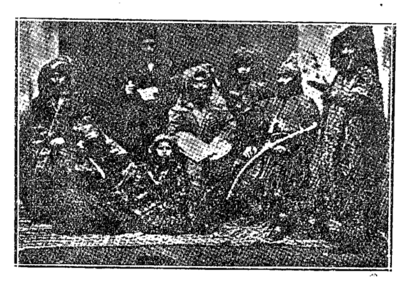
وهناك طائفة من القصص الخرافية والنكت المجونية ظهرت قبل انقضاء العصر الذي نحن في صدده ككتاب حوشب الاسدي وكتاب جحا ونوادر أبي ضمضم ونوادر ابن الموصلي لم يبق منها الا القليل . اما سائر القصص الكبرى المتداولة بين ايدينا الآن كقصة الزير والزيبق وبني هلال وغيرها فسيأتي ذكرها في مكانه

الدرام

ونريد به الروايات التمثيلية وهو عظيم الاهمية عند الافرنج لانه يمثل الاخلاق والآداب والعادات على المراسح ليشاهدها الناس ويعتبروا بها . لكن العرب لم يعانوا التمثيل على المراسح ولا ألفوا فيه . وقد عد بعض المستشرقين المقامات كمقامات الهمذاني أو الحريري من قبيل الدرام . ولا نرى مسوغاً لهذا القول والمقامات انما يراد بها الفائدة اللغوية لما يتوخونه فيها من البلاغة والالفاظ الغريبة وايراد الامثال والحكم . وليس المراد مغزاها كما يريد الافرنج من التمثيل . ونجل كتابنا عن أن

يكون غرضهم من تأليفها العبرة أو الموعظة. وهي في الغالب مبنية على المجون وانتحال أسباب الكسب بالحيل ونحوها

ولعل السبب في تقاعد العرب عن فن التمثيل انه يحتاج الى ظهور المرأة على المراسح وهم يتجافون عنه بسبب الحجاب . أو هو تابع لتباعدهم عن وضع القصص الشعرية أو الشعر القصصي (ايبوبه) الذي يحتاج الى توسيع الموضوع وتشعيبه وتفريعه . على ان ابا العلاء المعري نابغة الشعراء في العصر الثالث وضع شيئاً كالدرام نعني رسالة الغفران فانها تشبه أن تكون من نوع الكوميديا وان لم يقصد تمثيلها



ش ١٧ . تشخيص عاشوراء في ايران

ويظهر ان الشيعة في بلاد فارس لم يبالوا بهذه الموانع في تمثيل مقتل الحسين في كربلاء فانهم يمثلون تلك الواقعة على المراسح في عاشوراء. وتبتدىء هذه الرواية يوم خروج الحسين من مكة وتنتهي بقتله • او هو الفصل الاخير منها ويسمونه «روز قتل» اي يوم القتل • فهذا الفصل يمثلونه يوم عاشوراء بحضور الشاه ورجال دولته في ساحة كبيرة فيشخصون الحسين وشمر والعباس وجعفر وزينب وسكينة وكلثوم وام ليلى وعمر بن سعد وغيرهم وكيفية الواقعة من أول النهار الى آخره ومقتل الحسين واصحابه — يفعلون ذلك في ساحة ينصبون فيها الخيام عليها شارات الحداد . فيقوم شيخ يقرأ على الناس حكاية مقتل الحسين بنغم محزن ولا يكاد يبدأ بالقراءة حتى تهيج عواطف السامعين فيبكون ويندبون وينوحون فيطوف عليهم شيخ بقطنة يلتقط بها دموعهم ثم يعصرها في قارورة تحفظ بها للاستشفاء • وقد وصف ذلك الاحتفال الرحالة موريه في رحلته الثانية الى فارس سنة ١٨١١ م ونقلنا ذلك في الهلال صفحة ٤٦٦ سنة ١٨

النحو والنحاة

في العصر العباسي الثالث

كان النحاة كثيرين في هذا العصر ولكنهم لم يأتوا شيئاً كثيراً في النحو وقل الذين الفوا فيه من عند أنفسهم • واكثر ما دونوه شروح على سيبويه أو إعراب أو نحو ذلك واكثرها ضاع • وهاك اشهر من خلف مؤلفات في النحو من أهل هذا العصر وبقي منها ما يستحق الذكر نرتبهم حسب الوفاة ونذكر مؤلفاتهم في المواضيع الاخرى :

١ — ابن خالويه

توفي سنة ٣٧٠ ه

هو ابو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه أصله من همذان ودخل بغداد وأدرك جلة العلماء فيها ورحل الى الشام ثم أقام في حلب وتقرب من آل حمدان وقدمه سيف الدولة • وله معه محاضرات حسنة • ومن آثاره الباقية :

١ رسالة في إعراب ثلاثين سورة : منها نسخة خطية في المتحف البريطاني وفي ايا صوفيا

٢ كتاب الشجر : في برلين

٣ كتاب ليس : في الشواذ العربية طبع في أوربا عن نسخة خطية وجدت في المتحف البريطاني بعناية ديرنبرج • وطبعت في مصر في جملة كتاب الطرف الادبية

وترجمته في ابن خلكان ١٥٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٨٣ ويتيمة الدهر ٧٦ ج ١ والفهرست ٨٤

٢ — ابو بكر الزبيدي

توفي سنة ٣٧٩ ه

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الاشبيلي نزيل قرطبة من تلاميذ ابي علي القالي اللغوي • وكان أوحد عصره في النحو وحفظ اللغة واخبر أهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر والسير • ولم يكن بالاندلس في فنه مثله وقد اختاره الحكم المستنصر بالله صاحب قرطبة ليعلم ابناءه فعلم هشام المؤيد ولي عهده الحساب والعربية • وكانت له منزلة رفيعة عنده ونال منه دنيا عريضة حتى تولى قضاء اشبيلية

وخطة الشرطة . وحصل له نعمة توارثها بنوه بعده . وكان شاعراً . وقد الف كتباً كثيرة منها طبقات اللغويين والنحاة في المشرق والاندلس من زمن أبي الاسود الى قرب زمنه . وظل هذا الكتاب موجوداً الى آخر القرن التاسع للهجرة وأخذ السيوطي عنه في المزهر ولا نعلم خبره . وله كتب أخرى في لحن العامة وآخر في الابنية . ومختصر كتاب العين ذكره السيوطي . ولم يبلغنا من مؤلفاته الا :

١ كتاب الواضح في النحو والعربية : وهو جزيل الفائدة منه نسخة خطية في الاسكوريال

٢ كتاب الاستدراك على سيبويه : استدرك فيه أشياء فاتت سيبويه . طبع في رومية سنة ١٨٩٠ بعناية جويدي المستشرق الايطالي

وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١ يتيمة الدهر ٤٠٩ ج ١

٣ — ابن جني

توفي سنة ٣٩٢ هـ

هو ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي قرأ على ابي علي الفارسي . وكان أبوه مملوكا رومياً ولعل اسمه « جني » معرب عن لفظ يوناني مثل « جنايس » توفي ابن جني ببغداد وهو أعظم نحوي هذا العصر واكثرهم آثاراً . وكان شاعراً مطبوعاً وله منظومات حسنة لكن النحو غلب عليه وله فيه مؤلفات هامة فيها فلسفة ونقد — هاك أشهر ما بقي منها :

١ الخصائص في اللغة . كتاب كبير عظيم الفائدة يبحث في أصول النحو على مذهب اصول الكلام والفقه. وهو بحث فلسفي في اللغة واصولها واشتقاقها واحكامها ومآخذها وما يجوز القياس فيه . والكتاب عدة أجزاء ضخمة منها الجزآن الاول والثاني في المكتبة الخديوية تزيد صفحاتهما على ٧٠٠ صفحة والجزآن ٣ و ٤ في مكتبة غوطا . واجزاء أخرى في مكتبتي راغب ونور عثمانية في الاستانة

٢ سر الصناعة في النحو : هو كتاب ضخم في نحو ٦٠٠ صفحة يشتمل على أحكام حروف المعجم واحوال كل حرف منها من حيث موقعه . وفيه ابحاث في الصوت ومخارج الحروف ولفظها والحركات وما هي واجناس الحروف وفروعها وما يناسب تقاربه منها في اللفظ ونحو ذلك من الابحاث الدقيقة . فبدأ بالهمزة فالباء وما بعدها الى آخر الابجدية . ونظر في كل حرف واين يكثر أو يقل من حيث

موقعه من الالفاظ . وأحكام ما يصيبه من القلب والابدال وغير ذلك من المواضيع التي تهمّ طالب تحليل الالفاظ وفلسفة اللغة . منه نسخ خطية في برلين وليدن وباريس وراغب وكوبرلي وفي المكتبة الخديوية ومكتبة الظاهر في دمشق

٣ شرح تصريف المازني : في مكتبتي راغب باشا وكوبرلى بالاستانة

٤ كتاب العروض : هو مختصر لطيف في برلين وفينا وليدن

٥ مختصر القوافي : في الاسكوريال

٦ اللمع في النحو : في برلين وأياصوفيا وعليها شروح عديدة

٧ المحتسب في اعراب الشواذ : في مكتبة راغب

٨ شرح المتنبي : في المكتبة الخديوية

٩ المبهج . هوشرح اسماء شعراء الحماسة شرحا لغوياً لا تاريخياً . منه نسخةفي المكتبة الخديوية في ٧٢ صفحة

١٠ مختصر التعريف الملوكي . أو جمل أصول التصريف . مطبوع في ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٨٥

١١ علل التثنية : منه نسخة خطية في ليدن

١٢ التنبيه في شرح الحماسة : هو كتاب ضخم في نيف و٤٠٠ صفحة فيها شرح لغوي نحوي موجود فى ليدن وفي المكتبة الخديوية

وترجمة ابن جني في ابن خلكان ٣١٣ج١ ويتيمة الدهر ٧٧ ج١ وطبقات الادباء ٤٠٦

نحاة آخرون

واشتهر في العصر نحاة يرجع اليهم في التحقيق وان لم يخلفوا كتبا ـ فان في الناس من يحسن التعليم دون التأليف. ومن مشاهير النحاة الذين لم يصلنا من مؤلفاتهم ما يستحق الذكر :

٤ ابن دستوريه المتوفى سنة ٣٤٧ من تلاميذ المبرد وهو فارسي الاصل الف عدة كتب لم يبق منها الا « الالفاظ للكتاب »منه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد وترجمته في ابن خلكان ٢٥١ ج ١

٥ ابو سعيد السيرافي ويعرف بالقاضي توفي سنة٣٦٨ وكان واسع العلم عريض الجاه تولى قضاء بغداد وشرح كتاب سيبويه والف كتاب ألفات الوصل والقطع وكتاب اخبار النحويين البصريين وغيرها لم يصلنا منها شيء وكان الرجل ثقة يشتغل عليه الطلاب عدة فنون في القرآن واللغة والرياضيات والشعر وغيرها . وترجمته في معجم الادباء ٨٤ ج ٣ وابن خلكان ١٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٣٧٩

٦ ابو على الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ وكانت له منزلة عند سيف الدولة وعضد الدولة . ومن مؤلفاته كتاب الايضاح والتكملة شرحه كثيرون ومنه شروح خطية في المكتبة الخديوية احدها للعكبري : وترجمته في ابن خلكان ١٣١ج١ومعجم الادباء ٩ ج ٣ وطبقات الادباء ٣٨٧

٧ ـ ١١ ابو حسن الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ له عدة مؤلفات وشروح . وابن بقية المتوفى سنة ٤٠٦ والربعي سنة ٤٢٠ والافليلي سنة ٤٤١ والثمانيني سنة ٤٤٢ وغيرهم مما يطول شرحه وقد ترجمهم ابن خلكان

اللغة واللغويون

في العصر العباسي الثالث

يمتاز هذا العصر عما تقدمه أن فيه نضجت علوم اللغة وتم نشوء المعاجم اللغوية فنبغ من علماء اللغة طائفة حسنة اهمهم الذين اشتغلوا في ضبط الالفاظ وتدوينها وتعريف معانيها وترتيبها على حروف المعجم أو على المعاني . وهم اصحاب المعاجم سنفرد لهم فصلا خاصاً بعد الكلام عن علماء اللغة على العموم وهم :

١ ـــ المطرز البارودي

توفي سنة ٣٤٥ ه

هو ابو عمر محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم المعروف بالمطرّز البارودي الزاهد غلام ثعلب . وكان من أكابر أئمة اللغة المكثرين اخذ عن ثعلب المتقدم ذكره. وكان واسع الرواية غزير المادة لكن ادباء عصره يخطئونه في أكثر نقله ويقولون لو طار طائر لقال ابو عمر « حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي كذا » ويقال انه املى من حفظه أكثر من ٣٠٠٠٠ ورقة في اللغة توفي ببغداد ودفن فيها . والف كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست لم يصلنا منها الا :

١ كتاب العشرات : هي عبارة عن جمع عشرة الفاظ في معنى واحد . منه نسخة خطية فى مكتبة برلين.

٢ كتاب اخبار العرب : في الاسكوريال ولم يذكره الفهرست بهذا الاسم وترجمته في ابن خلكان ٥٠٠ ج ١ والفهرست ٧٦ وطبقات الادباء ٣٤٥

٢ — ابو علي القالي

توفي سنة ٣٥٦ ه

هو ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي . جده من موالي عبد الملك بن مروان . وكان احفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين. تتلمذ لابن دريد ونفطويه وابن درستويه وغيرهم . وطاف البلاد فسافر الى بغداد اقام بها ٢٥ سنة.واقام في الموصل زمناً وسافر الى الاندلس فدخل قرطبة على زمن عبد الرحمن الناصر وتوفي فيها سنة ٣٥٦ وله عدة مؤلفات اكثرها في اللغة هاك ما وصلنا منها :

١ كتاب الامالي : هو من نوع كتاب الكامل للمبرد املاه في جامع الزهراء بقرطبة ومنه نسخ خطية في برلين وباريس والاسكوريال . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٧ في مجلدين لهما ذيل

٢ كتاب البارع في اللغة : بناه على حروف المعجم في نحو ٥٠٠ ورقة أي الف صفحة فهو من قبيل المعاجم ولم يبق منه الا نتف في مكتبة باريس

٣ كتاب النوادر : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وترجمته في ابن خلكان ٧٤ ج ١ ومعجم الادباء ٣٥١ ج ٢

٣ — ابو احمد العسكري

توفي سنة ٣٨٢ ه

هو ابو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري اللغوي نسبة الى عسكر مكرم في الاهواز . وهو غير ابي هلال العسكري المتقدم ذكره بين الادباء .وكان ابو احمد صاحب اخبار ونوادر.وكان الصاحب بن عباد يود الاجتماع به ولا يجد اليه سبيلا فاحتال في السفر اليه ولقيه وأطراه . وخلف ابو احمد عدة مؤلفات وصل الينا منها :

١ كتاب التصحيف والتحريف : جمع فيه المصحف والمحرف من الكلمات التي وردت عن البلغاء مما يعد من انواع البديع ومن فروع المحاضرات . وشرح الكلمات المشتبهة . وهو مفيد طبع في مصر ١٣٢٧

٢ كتاب الزواجر والمواعظ : في مكتبة كوبرلي بالاستانة

٣ « الحكم والامثال : « مكتبة زكي باشا بمصر

وترجمة ابي احمد في ابن خلكان ١٣٢ ج ١ ومعجم الادباء ١٢٦ ج ٣

ومن علماء اللغة في هذا العصر ايضاً غير اصحاب المعاجم الآتي ذكرهم : جنادة المتوفي سنة ٣٩٩ والسمساني توفي ببغداد سنة ٤١٥ وصاعد اللغوي توفي سنة ٤١٧ وابن السيد القيسي توفي سنة ٤٢٧ هـ وقد ترجمهم ابن خلكان

المعاجم اللغوية

واصحابها

ولدت المعاجم اللغوية في العصر العباسي الاول في كتاب العين للخليل المتوفي سنة ١٨٠ لكنها لم تنضج ويتم نموها الا في العصر الثالث الذي نحن في صدده فيحسن بنا أن نشبع الكلام فيها

المعاجم على العموم

أسبق الامم الى المعاجم اللغوية الصينيون فانهم وضعوا معجما فيه ٤٠٠٠٠ كلمة في القرن الحادي عشر قبل الميلاد . مؤلفه اسمه باوتشي . وأقدم معجم لغوي في اللغة اللاتينية اسمه (Lingua Latina) الفه « وارو » المتوفي سنة ٢٨ قبل الميلاد . ونحو ذلك الزمن أو بعيده ظهر اقدم معجم للغة هوميروس ألفه ابولونيوس الغراماطيقي الاسكندري في زمن أوغسطس . ثم ظهر معجم اللغة اليونانية كاملا سنة ١٧٧ للميلاد تأليف يوليوس بولكس . ثم يأتي العرب وهم أسبق الامم الحديثة الى المعاجم اللغوية — وهاك تاريخها :

مآخذ المعاجم العربية

نريد بالمعاجم كتب اللغة التى تترتب فيها الالفاظ على حروف المعجم أو على المعاني المتشابهة أو المتقاربة وهي مأخوذة في الاصل عن السماع من أفواه العرب في أدوار مختلفة . وقد علمت مما تقدم انهم بدأوا بأخذ اللغة وآدابها الجاهلية من صدر الاسلام بالبصرة والكوفة من فصحاء ذكرنا بعضهم عند الكلام عن علم الادب صفحة ٩٧

فكان الرواة كحماد والاصمعي وابي عبيدة وغيرهم يروون ما يسمعونه أو يأخذونه عمن سمعه ويدونونه أو ينقلونه . ويدخل في ذلك أشعار العرب وأخبارهم

وأمثالهم والفاظهم وعلومهم وآدابهم . ودونوا ذلك أولا في كتب مستقلة كل موضوع على حدة ككتب الابل واسماء الوحوش وخلق الانسان والخيل والشاه والنبات والشجر والنخيل وغيرها للاصمعي وكتب اللبن والمطر لابي زيد الانصاري ونحوها

ويلحق ذلك ما ألفوه من كتب النوادر في اللغة وهي تشتمل على النادر استعماله من الالفاظ ودلالاتها ككتب النوادر للكسائي وابي زيد والشيباني والقالي . وكتب الغريب في اللغة كغريب ابي عبيد والشيباني وابن الاعرابي. وشروح الشعر فان فيها كثيراً من الالفاظ المشروحة مع بيان أحوالها اللغوية . وسائر الكتب التى تبحث في اللغة واشتقاقها والفاظها . وكذلك كتب الاضداد والاشباه والنظائر ومن هذا القبيل كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني المتوفي سنة ٣٢٧ هـ تقدم ذكره صفحة ١٨٩ وكتاب البارع للقالي. وأبنية الافعال لابن القوطية الآتي ذكره

ومنها كتاب «ديوان الادب» لاسحق بن ابراهيم الفارابي المتوفي سنة ٣٥٠ خال الجوهري صاحب تاج اللغة الآتي ذكره .جعله على ستة كتب أولها في السالم والثاني في المضاعف (٣) المثال (٤) ذوات الثلاثة (٥) ذوات الاربعة (٦) كتاب الهمزة وجعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين اسماء وأفعال وقدم الاسماء على الافعال واستشهد بالاشعار. ومن هذا الكتاب نسخ خطية في ليدن واكسفورد وفي المكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة خط قديم

فهذه الكتب وأمثالها كانت عوناً كبيراً في تأليف المعاجم . على أن الذين ألفوا المعاجم رجعوا أيضاً في التحقيق الى سماع الالفاظ من العرب العاربة أو ممن سمعها عنهم. وقد ذكرنا في صفحة ٩٧ اسماء القبائل التى أخذت اللغة عنها واليك تاريخ المعاجم:

تاريخ المعاجم العربية

أول من رتب الفاظ اللغة على الابجدية الخليل بن احمد في كتاب العين وقد تقدم ذكره في الكلام عن اللغة في العصر العباسي الاول صفحة ١٢١ تليه جمهرة ابن دريد المتوفي سنة ٣٢١ وقد ذكرناها بين كتب اللغة في العصر العباسي الثاني صفحة ١٨٨ وعليها كان معول طلاب اللغة في ذلك العصر والذي يليه . وقد انتقدها ابن جني ونفطويه . فاقدم المعاجم كتاب العين فالجمهرة لابن دريد فالبارع للقالي وقد تقدم ذكرها

وهاك المعاجم التى ظهرت بعد ذلك مع تراجم اصحابها مرتبة حسب تاريخ الوفاة :

١ — التهذيب للازهري

المتوفى سنة ٣٧٠ ﻫ

هو ابو منصور محمد بن احمدبن الازهر طلحة بن نوح بن أزهر الازهري الهروي اللغوي . كان فقيهاً وغلبت عليه اللغة فاشتهر بها . قرأ على ثعلب وابن دريد ونفطويه ورحل فطاف أرض العرب في طلب اللغة . ووفق الى ذلك بوقوعه في أسر قوم نشأوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ويرجعون الى اعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ ويرعون النعم ويعيشون بالبانها ويتكلمون بطباعهم البدوية ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش

فبقي في أسرهم دهراً طويلا يشتي في الدهناء ويربع في الصمان ويقيظ بالستارين فاستفاد من محاوراتهم ومخاطباتهم الفاظاً جمة . فلما الف كتابه « التهذيب » أدخل ذلك كله فيه . وجرى في ترتيبه على ترتيب كتاب العين أي حسب مخارج الحروف . وقد صدره بمقدمة أورد فيها أسماء الرواة حسب طبقاتهم مع خلاصة تراجمهم واسماء الذين ساؤا التأليف في اللغة . وعقد فصلا في القاب الحروف ومدارجها مع نصوص كثيرة من كتاب العين . وهي مقدمة مفيدة

ومن كتاب التهذيب نسخ خطية في مكاتب ايا صوفيا ونور عثمانية وكوبرلي في الاستانة ونسخة في المكتبة الاحمدية بحلب . وفي المكتبة الخديوية جزءان كبيران صفحاتهما نحو ٢٠٠٠ صفحة ينتهي الثاني بمادة ذرا والخط جميل والصفحات كبيرة جداً

٢ كتاب غريب الالفاظ التي استعملها الفقهاء : منها نسخ في برلين وكوبرلي وترجمة الازهري في ابن خلكان ٥٠١ ج ١

٢ — المحيط للصاحب بن عباد

المتوفى سنة ٣٨٥ ﻫ

قد تقدمت ترجمته بين المنشئين . وكتابه «المحيط» مرتب على حروف الابجدية كما هي اليوم في سبعة مجلدات اكثر فيه الالفاظ وقلل الشواهد . ومنه الجزء الثالث في المكتبة الخديوية

٣ — المجمل لابن فارس

المتوفى سنة ٣٩٠ هـ

هو أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي. كان اماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة. وله فضل التقدم في وضع المقامات لانه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه. وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذاني كما تقدم. وتفقه عليه الصاحب بن عباد. وكان استاذ عصره وقد خلف مؤلفات ذات شأن هاك أشهرها:

١ كتاب المجمل في اللغة: اقتصر فيه على الالفاظ الهامة المستعملة. أخذ اكثرها عن السماع واخذ عمن تقدمه واختصر الشواهد ورتبه على الابجدية المعروفة اليوم واجمل الكلام فيه ومنه اسمه. منه نسخ خطية في برلين وغوطا وليدن وباريس والمتحف البريطاني واكسفورد ويني جامع وكوبرلي. وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية نسخة في مجلدين كبيرين صفحاتهما نحو ١٣٠٠ صفحة حسنة الخط

٢ كتاب الثلاثة: يشتمل على الفاظ ذات ثلاثة معان مثل مثلثات قطرب. منه نسخة في الاسكوريال ٣ كتاب ذم الخطأ في الشعر: في برلين

٤ كتاب نقد الشعر: ذكره السيوطي بالمزهر ولم نقف على خبره

٥ كتاب الصاحبي: في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. تسمى بذلك لانه ألفه للصاحب بن عباد وجيه ذلك العصر. وفيه ابحاث في اصل اللغة العربية وخصائصها واختلاف لغاتها بحسب القبائل والمواطن وتعريف اقسام الكلام والاسماء العربية واسبابها والحروف الهجائية وتركيبها على الهجاء وغير ذلك من المواضيع اللغوية. وهو كتاب نفيس طبع بمصر سنة ١٩١٠ وفي صدره فصل في ترجمة حياة المؤلف

٦ كتاب الاتباع والمزاوجة. جمع فيه ما ورد من كلام العرب مزدوجاً كقولهم ساغب لاغب ومايق دايق والسيف والليف. منه نسخة بين كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية في ٤٤ صفحة ولم يذكر بين مؤلفاته

وترجمة ابن فارس في ابن خلكان ٣٥ ج ١ ومعجم الادباء ٦ ج ٢

٤ — الصحاح للجوهري

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري. أصله من فاراب ببلاد الترك ولذلك سموه الفارابي ايضاً. وهو غير أبي نصر الفارابي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة

٢١٣ فان اسمه محمد بن طرخان . وغير اسحق بن ابراهيم الفارابي صاحب ديوان الادب المتقدم ذكره صفحة ٣٠٧ فانه خال اسماعيل بن حماد الذي نحن في صدده

وكان اسماعيل هذا واسع العلم في اللغة اخذ عن خاله المذكور وغيره وسافر في البدو والحضر فدخل ديار ربيعة ومضر . وطاف الحجاز في طلب الادب واتقان اللغة ورجع الى خراسان فاقام في نيسابور للتدريس والتأليف وتعليم الخط لان خطه كان جميلا . ثم وضع كتاب الصحاح وسماه « تاج اللغة وصحاح العربية » فانتقى من الفاظ اللغة ماصح عنده فجاء اوعى من مجمل ابن فارس وتهذيب الازهري وجمهرة ابن دريد. ورتبه على اسلوب لم يسبقه اليه احد فجعل القاعدة في ترتيب الالفاظ على اواخر الكلم — فيضع « قلب » مثلا قبل كلمة « بيت » وهكذا . ولهذا الترتيب فائدة عند الشعراء في طلب القوافي. ويمتاز الصحاح على سواه انه استوعب الالفاظ المستعملة في ديار مضر وحققها بالسماع من عرب البادية هناك لانه عاشرهم. وفي الكتاب خطأ في ضبط بعض الالفاظ ذكر سببه ياقوت في معجم الادباء قال : « ان الجوهري صنف كتاب الصحاح للاستاذ أبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكي وسمعه منه الا باب الضاد المعجمة . واعترى الجوهري وسوسة فانتقل الى الجامع القديم بنيسابور فصعد الى سطحه وقال أيها الناس اني عملت في الدنيا شيئاً لم أسبق اليه فسأعمل للآخرة أمراً لم أسبق اليه . وضم الى جنبيه مصراعي باب وتأبطهما بحبل وصعد مكاناً عالياً من الجامع وزعم انه يطير فوقع فمات وظلت بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولا مبيضة فبيضه ابو اسحاق بن صالح الوراق تلميذ الجوهري بعد موته فغلط فيه في عدة مواضع غلطاً فاحشاً »

وقد طبع الصحاح في تبريز سنة ١٢٧٠ على الحجر . وفي مصر سنة ١٢٨٢ وفي طبعة مصر مقدمات لابي الوفاء الهوريني في تاريخ المعاجم وكيفية استخدام الكتاب وما هي الفصول الساقطة منه. وقد لخصه كثيرون وترجم الى الفارسية في كتاب سمي « الصراح » ترجمه أبو الفضل جمال الدين القرشي سنة ٩٧٦ هـ ومن هذه الترجمة نسخ خطية في برلين والمتحف البريطاني وغيرها . وطبعت في كلكتة سنة ١٨١٢

ولخصه محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي من أهل القرن الثامن للهجرة في كتاب سماه « مختار الصحاح » اقتصر فيه على ما لا بد منه في الاستعمال وضم اليه كثيراً من تهذيب الازهري وغيره وكل ما أهمله الجوهري من الاوزان ذكره بالنص على حركاته . وهو شائع ومطبوع مراراً بمصر وغيرها ومنه نسخ خطية في

مكاتب أوربا . والف كثيرون في نقد الصحاح للاسباب التى قدمناها كتباً ورسائل لا محل لذكرها ودافع عنه كثيرون . راجع كشف الظنون ٧٤ ج ٢

وللجوهري هذا فضل في تتميم علم العروض والزيادة في أوزانه[1] وقد تقدم خبر ذلك . وترجمته في معجم الادباء ٢٦٦ ج ٢ ويتيمة الدهر ٢٨٩ ج ٤

٥ — الجامع للقزاز

المتوفي سنة ٤١٢ ﻫ

هو ابو عبد الله محمد بن جعفر التميمى النحوي القزاز القيرواني . كان في خدمة العزيز الفاطمي صاحب مصر . وكان مقدماً وجيهاً وصنف له كتباً من جملتها كتاب « الجامع » في اللغة وكلها ضاعت . وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١

٦ — الموعب للتياني

المتوفي سنة ٤٣٦ ﻫ

وهو ابو غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي من أهل قرطبة . الف الموعب وجمع فيه الصحيح من محتويات كتاب العين والجمهرة ولم يختصر الشواهد . لكن الكتاب ضاع . وترجمته في ابن خلكان ٩٧ ج ١

٧ — المحكم والمخصص لابن سيده

المتوفي سنة ٤٥٨ ﻫ

وهو آخر اصحاب المعاجم التى ظهرت في ذلك العصر وأعظمهم وهو الحافظ ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده المرسي الاندلسي كان ضريراً وأبوه ضرير . وكان ابوه عالماً في اللغة فاخذها عنه وعن غيره . وكان حافظاً أقام في مرسية وتوفي في دانية من أعمال الاندلس . وقد الف غير كتاب في اللغة والادب هاك ما وصلنا منها :

١ المحكم في اللغة : واسمه المحكم والمحيط الاعظم . وهو كبير جامع يشتمل على انواع اللغة رتب الفاظه على ترتيب كتاب العين وقد نظم بعضهم ثلاثة أبيات يؤخذ ترتيب حروف المحكم من أوائل الفاظها وهي :

---

(١) العمدة ٨٨ ج ١

علقت حبيباً هنت خيفة غدره قليل كرى جفني شكا ضر صده
سبا زهوه طفلا ديانة تائب ظلامته ذنب ثوى ربع لحده
نواظره فتاكة بعميده ملاحته اجرت ينابيع وجده

ويمتاز المحكم بالضبط والدقة وصدق النظر وقد انتقى شواهده من أوثق المصادر الشعرية وغيرها . وعليه كان معول صاحب القاموس في تأليف كتابه كما سيأتي في مكانه . والمحكم موجود في المتحف البريطاني . وفي المكتبة الخديوية منه أجزاء كثيرة لا يتم منها نسخة كاملة . واكبر مجموعة من تلك الاجزاء تبلغ ١٨ جزءاً تزيد صفحاتها على خمسة آلاف صفحة خطها قديم مغربي وللمحكم خلاصة لمحمد الانسي المتوفي سنة ٦٨٠ منها نسخة في المتحف البريطاني

٢ المخصص : وهو معجم معنوي أي أن مواده مرتبة على معانيها وليس على حروفها فهو مثل فقه اللغة للثعالبي ولكنه أوسع منه كثيراً . وقد طبع في مصر سنة ١٣١٦ في ١٧ مجلداً عن نسخة خطية مخرومة كانت في المكتبة الخديوية . ومنه أجزاء خطية متفرقة في مكتبتي اكسفورد والاسكوريال . وهو أوفى كتاب في بابه قد اجتمعت فيه الالفاظ المتشابهة والمتقاربة في معانيها أو المتفرعة بعضها عن بعض في باب واحد . وفي ذيله فهرس ابجدي يسهل البحث عن مواده

٣ كتاب شرح مشكل المتنبي : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وترجمة ابن سيده في ابن خلكان ٣٤٢ ج ١

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثالث

اتخذ التاريخ في هذا العصر وجهاً آخر فتكاثرت فيه التواريخ الخاصة للمدن الاسلامية أو الامم أو الاشخاص . وذلك طبيعي بعد استبحار العمران وظهور الدول المتنافسة في الشهرة والسيادة وفي ترقية المملكة الاسلامية . واكثرهم يقربون الكتاب ويغرونهم على تدوين محامدهم . كما فعل عضد الدولة بابي اسحق الصابي المتقدم ذكره وكما فعل محمود الغزنوي بالعتبي الآتي ذكره

وقد دعا الى تدوين تواريخ الدول المستقلة ما انتهى في ذلك العصر من الانقلابات السياسية . وتاريخ الامة أو الدولة يدون غالباً في أواخر أيامها أو بعد انقضائها .

واما تراجم الافراد فيغلب تدوينها في حياة اصحابها بايعاز منهم . ونظراً لتوالي التقلبات على مصر في القرنين الثالث والرابع بتنقلها من العباسيين الى الطولونيين فالاخشيديين فالفاطميين ظهر فيها عدة كتب في التواريخ الخاصة ضاع اكثرها وسنذكر ما بقي منها

وفي هذا العصر تولد ضرب من التاريخ سموه « علم الاوائل » ومنه يعرف أوائل الوقائع والحوادث بحسب الموطن . واول من الف فيه تأليفاً مستقلا أبوهلال العسكري وقد تقدم ذكره .

أما التاريخ العام فقد خالط بعضه في هذا العصر صبغة الرحلة لكثرة ما كان من توالي الرحلات فيه كما سيجيء مع وصف الاماكن الجغرافية . فالمؤرخ يصف ماسمعه ورآه من الغرائب. وأكثرهم افاضة في ذلك المسعودي وكان هو نفسه من أهل الاسفار وكذلك أبو زيد البلخي وقد الف في التاريخ والجغرافيا وذكرناه بين المؤرخين في العصر الماضي . غير اصحاب الجغرافية الآتي ذكرهم

ويقال على الاجمال أن النقد التاريخي لم ينضج في تواريخ هذا العصر لان اكثرها كتب ولا سيما التواريخ الخاصة تحت سيطرة الملوك والامراء لارضائهم . وقد يمتنعون عن الانتقاد تحاشيا من التعرض للاحزاب الدينية الا ما كان بين السنة والشيعة وهم مع ذلك يتحاشونه . ولعل التلاعب بعد ذلك في النسخ افسد ما دونوه

ونبدأ بذكر التواريخ العامه ثم الخاصة ونرتب التراجم في كليهما على سني الوفاة :

اصحاب التواريخ العامة

١ — المسعودى

توفي سنة ٣٤٦ هـ

هو علي بن الحسين بن علي ذرية عبدالله بن مسعود ولذلك قيل له المسعودي . نشأ في بغداد وجاء مصر ورحل في طلب العلم الى اقصى البلاد فطاف فارس وكرمان سنة ٣٠٩ حتى استقر في اصطخر . وفي السنة التالية قصد الهند الى ملتان والمنصورة ثم عطف الي كنباية فضيمور فسرنديب (سيلان) ومن هناك ركب البحر الى بلاد الصين وطاف البحر الهندي الى مداغسكر وعاد الى عمان . ورحل رحلة أخرى سنة ٣١٤ الى ما وراء اذربيجان وجرجان ثم الى الشام وفلسطين . وفي سنة ٣٣٢ جاء

انطاكية والثغور الشامية الى دمشق . واستقر أخيراً بمصر ونزل الفسطاط سنة ٣٤٥ وتوفي في السنة التالية . ولم يفتر في اثناء أسفاره عن الاستقصاء والبحث واكتساب العلوم على اختلاف مواضيعها . فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافيــة ما لم يسبقه اليه أحد . والف كثيراً من الكتب المفيدة في مواضيع شتى اهمها في التاريخ وهاك اشهر مؤلفاته الباقية :

١ مروج الذهب ومعادن الجوهر : هو اشهر من أن يعرف لشيوعه وقد طبع مراراً في جزئين . وصف في الاول منهما الخليقة وقصص الانبياء مختصرا ثم وصف البحار والارضين وما فيهما من العجائب . ويدخل في ذلك تواريخ الامم القديمة من الفرس والسريان واليونان والرومان والافرنج والعرب القدماء واديانهم وعاداتهم ومذاهبهم وأوابدهم وأطوال الشهور والتقاويم القديمة والبيوت المعظمة وغيرها . ثم عطف على تاريخ الرسالة الاسلامية من ظهور النبي الى مقتل عثمان . وذكر في المجلد الثاني تاريخ الاسلام من خلافة علي الى أيام المطيع لله العباسي (توفي سنة ٣٦٣)

ويظهر مما جاء في مقدمته انه نقل هذا الكتاب عن عشرات من الكتب التاريخية وغيرها كانت موجودة في أيامه لم يصلنا منها الا بضعة قليلة كتاريخ الطبري وفتوح البلدان للبلاذري . وأما الباقي فقد ضاع وفيه عشرات من كتب التاريخ والسياسة والاجتماع . وفي خلال هذا الكتاب فوائد كثيرة لا تجدها في سواه . ولذلك فقد عني المستشرق باربيه دي مينار بنقله الى اللغة الفرنساوية وطبع في باريس سنة ١٨٧٢ في ٩ مجلدات . وقد انتقد هذه الترجمة عبد الله المراش في مجلة الضياء (سنة ٢) . ونقله الى الانكليزية الاستاذ سبرنجر وطبع الجزء الاول من ترجمته في لندن سنة ١٨٤١

٢ كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال والممالك الداثرة. وهو كبير طويل مثل اسمه يدخل في ٣٠ مجلداً . وقد اكثر المسعودي من الاشارة اليه في مروج الذهب ــ اذا اختصر الكلام في باب قال: «وقد فصلنا ذلك في كتابنا اخبار الزمان » لكن هذا الكتاب ضائع الآن. وليس منه الا الجزء الاول في مكتبة فينا

٣ كتاب الاسط: هو وسط بين الكتابين المتقدمين وقد ضاع ايضا ولكن في مكتبة اكسفورد نسخة يظنون انها هو . ويظن بعض الباحثين انه وقف على شيء منه في بعض مكاتب دمشق [1]

(١) مجلة النعمة سنة ١ ج ٢

٤ كتاب التنبيه والاشراف : أودعه لمعاً من ذكر الافلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتركيبها وأقسام الازمنة وفصول السنة ومنازلها والرياح ومهابها والارض وشكلها ومساحتها والنواحي والافاق وتأثيرها على السكان وحدود الاقاليم السبعة والعروض والاطوال ومصاب الانهار . وذكر الامم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها . ثم ملوك الفرس على طبقاتهم والروم واخبارهم . وجوامع تواريخ العالم والانبياء ومعرفة السنين القمرية والشمسية . وسيرة النبي وظهور الاسلام وسير الخلفاء واعمالهم ومناقبهم الى سنة ٣٤٥ وفيه اشياء كثيرة لا توجد في غيره من كتب التاريخ . وقد طبع في ليدن سنة ١٨٩٤ في جملة المكتبة الجغرافية في ٥٠٠ صفحة

وترجمة المسعودي في فوات الوفيات ٤٥ ج ٢ والفهرست ١٥٤

٢ — حمزة الاصفهاني

توفي نحو سنة ٣٥٠هـ

هو حمزة بن حسن الاصفهاني كان مقيماً في بغداد باوائل القرن الرابع وأصله من اصفهان كان يتعصب لغير العرب وعوّل في ما كتبه على المصادر الفارسية وأشهر كتبه:

١ كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء : رتبهُ في عشرة ابواب ذكر فيها شيئاً من انساب حمير وسائر دول العرب من غسان ولخم وكندة فضلا عن ملوك الفرس والروم وغيرهم. ويوجه همه بالاكثر الى تحقيق سنة الولادة والوفاة. طبع في ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٤٤ وفي مقدمة الكتاب اسماء الكتب الفارسية التى استعان بها في تأليفه ٢ كتاب الامثال : منه نسخة في مكتبة منشن

٣ كتاب الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ١٠٠ صفحة مكتوب على ظهرها انها تأليف حمزة الاصفهاني

وترجمته في الفهرست ١٣٩

٣ — ابن النديم

توفي نحو سنة ٣٨٥هـ

هو ابو الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب النديم الوراق البغدادي صاحب الفضل الاكبر على تاريخ آداب اللغة لانه أول من دونها منذ نحو الف سنة في «الفهرست» ولولا هذا الكتاب لضاع أخبار كثير من آداب هذا اللسان. فهو أول من الف في آداب اللغة واليك وصف كتابه :

كتاب الفهرست : بدأ فيه صاحبه بوصف لغات الامم من العرب والعجم وخطوطها وصور أمثلة منها . ثم ذكر كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين والقرآن وعلومه . ثم انتقل الى العلوم فذكر النحويين واللغويين وتاريخ النحو واصحابه في البصرة والكوفة واسماء كتبهم فاصحاب الاخبار والآداب والسير وكتبهم فالشعر والشعراء فالكلام والمتكلمين فالفقه والفقهاء والحديث والمحدثين . فالفلسفة والعلوم القديمة وأصحابها فالاسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة . فالمذاهب والاعتقادات وأخيراً الكيمياء وأصحابها . وفي كل باب تفاصيل في تاريخ كل مؤلف واسماء كتبه

وقد عني بطبع هذا الاثر النفيس المستشرق فلوجل سنة ١٨٧١ في ليدن في مجلد صفحاته ٢٦٠ صفحة كبيرة . غير الفهارس والشروح في اللغة الالمانية وهي نحو ذلك العدد . وبعد طبع الفهرست عثروا على قطعة منه ساقطة من أول المقالة الخامسة (صفحة ١٧٢) تشتمل على تراجم طائفة من علماء الكلام وهم واصل بن عطاء والعلاف والنظام وثمامه والجاحظ وابن ابي دواد وابن الروندي والناشي والجبائي والرماني وهشام بن الحكم وشيطان الطاق وغيرهم . وقد نشرت هذه القطعة في المجلة الالمانية Die Kunde des Morgenlandes سنة ١٨٨٩

والفهرست ذخيرة أدب لا تثمن لانه حوى من أحوال آداب اللغة العربية فى القرون الاولى ما لم يتعرض له غيره ولا غنى عنه في درس هذا التاريخ

٤ — المرعشي

توفي سنة ٤٢١ هـ

هو ابو منصور الحسين بن محمد المرعشي كان في جملة من تقرب من السلطان محمود الغزنوي وقد خلف :

كتاب الغرر في سير الملوك وأخبارهم : في ٤ مجلدات الاول في تاريخ الفرس الى يزدجرد بن بهرام والحروب بين ابنائه . والثاني الى سقوط يزدجرد بن شهريار وتاريخ ملوك اليهود والانبياء وملوك اليمن وامراء الشام والعراق والروم وظهور الاسلام . الثالث والرابع في تواريخ الخلفاء الامويين والعباسيين والدول الصغرى التي تفرعت من الدول العباسية كالطاهرية والسامانية والحمدانية والبويهية والغزنوية. وقد الفه بامر ابي المظفر نصر اخي السلطان محمود الغزنوي ومنه الجزآن الاول والثاني في مكتبة باريس

٥ — مسكويه

توفي سنة ٤٢١ ﻫ

هو أبو علي الخازن احمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه كان مجوسياً واسلم. وهو من نوابغ المفكرين العاملين الذين يندر ظهورهم في الامم.وكانت له معرفة تامة بعلوم الاقدمين وقد الف فيها غير كتاب . وصحب ابن العميد وكان يخدمه في مكتبته لكنه كان يشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق فضلا عن الادب والفقه والتاريخ وكان له ولع خاص بالكيمياء فانفق ماله في طلب الذهب بالطبخ.ثم ندم على ذلك وتنقلت به حاله الى خدمة بني بويه وعظم شأنه حتى ترفع عن خدمة الصاحب بن عباد ولم ير نفسه دونه . وكان شاعراً مدح ابن العميد وعميد الملك وله رسائل أنيقة على أسلوب ذلك العصر . والف كتباً كثيرة في الفلسفة والتاريخ ذكرها صاحب معجم الادباء (صفحة ٩١ ج ٢) لم يبلغنا منها الا ما يأتي :

١ كتاب تجارب الامم: هو تاريخ عام يبدأ بالخليقة وينتهي سنة ٣٦٩ﻫ ويدخل في ذلك تاريخ الفرس القدماء وما يتعلق به من أخبار الروم والترك . والكتاب كبير يمتاز عما كتبه معاصروه انه لم يجعل همه فيه جمع الحوادث بلا تدبر أو نظر . وقد استغرق هذا المؤلف ستة مجلدات كبيرة . وظلت ضائعة لم يوفق الباحثون الى الوقوف على نسخ كاملة منها حتى عنى الاستاذ كايتاني المستشرق الايطالي في أمرها . فكلف سنة ١٩٠٦ الدكتور هوروفيتس للبحث عنها في مكاتب الاستانة فعثر على نسخة منها في ايا صوفيا وهي النسخة الوحيدة الكاملة فاستنسخها بالفوتوغراف . وتشتمل على ذلك التاريخ في ستة أجزاء عنيت لجنة تذكار جيب الانكليزية في نشرها مطبوعة على الاصل . اي بان يصور الاصل الخطي كما هو ويطبع كما تطبع الصور . وقد صدر الجزء الاول على هذه الصورة في ٦٠٠ صفحة غير الفهارس والمقدمة . وينتهي الكلام فيه الى حوادث سنة ٣٧ ﻫ وستظهر سائر الاجزاء بالتدريج

وقد الف الوزير أبو شجاع من وزراء الدولة العباسية المتوفى سنة ٤٨٨ ذيلا لهذا الكتاب منه نسخة في جملة كتب زكي باشا

٢ كتاب آداب العرب والفرس : نظر فيه نظر الفيلسوف الاديب وهو في ستة مجلدات أيضاً تكلم فيها عن الاخلاق والآداب عند العرب والفرس والهند واليونان منه نسخ خطية في ليدن واكسفورد وباريس

٣ كتاب تهذيب الاخلاق: هو كتاب نفيس بسط فيه آراءه في النفس وقواها وماهيتها وأفعالها وقسم ذلك وبوبه على أسلوب واضح . وبحث في الخلق وتقويمه ومراتب الناس في قبوله مستنداً في ذلك على كتب الفلاسفة الاقدمين في اسلوب تهذيبي فلسفي ترتاح النفس اليه ويقتنع العقل بأكثر مواده. ويتخلل ذلك ابحاث في طبقات المخلوقات نحو بحث اصحاب النشوء والارتقاء اليوم . وقد أجاد في تعليل السعادة وأسبابها وبحث في العدالة واقسامها وفي الاتحاد والمحبة وضروبها ومراتبها. وآداب الصداقة وامراض النفس واسبابها وعلاجها الى غير ذلك مما يدل على صدق النظر وسداد الرأي . وقد طبع الكتاب مراراً في مصر وغيرها

٤ الفوز الاصغر : في الفلسفة وما يتعلق بها . وفي جملة ذلك رأيه في المخلوقات ونسبتها بعضها الى بعض باختلاف طبقاتها من الجماد والنبات والحيوان ونحو ما ذهب اليه أهل النشوء . وقد طبع بمصر مراراً ومنه نسخ خطية في مكاتب اوربا

وترجمة مسكويه في معجم الادباء ٨٨ ج ٢ وفي تراجم الحكماء ٢١٧ وطبقات الاطباء ٢٤٥ ج ١

٦ — صاعد الاندلسي

توفي سنة ٤٦٢ هـ

هو أبو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي قاضي طليطلة ولد في المرية سنة ٤٢٠ واشتهر بكتابه « طبقات الامم » وهو من الكتب النادرة في العربية التي تتعرض لوصف العلوم عندالامم بعد كتاب الفهرست.وقد كان مرجع مؤرخي القرن الخامس وما بعده في ما نقلوه عن تواريخ الامم بالنظر الى أحوال تمدنها وحال العلم فيها وخصوصاً ابن ابي اصيبعة صاحب طبقات الاطباء وابو الفرج الملطي صاحب مختصر الدول والحاج خليفة صاحب كشف الظنون . وكان المظنون انه لا يوجد من هذا الكتاب الا نسختان في مكتبة لندن ونتف في غيرها . وقد عثر الاب شيخو اليسوعي على نسخة عند أحد الوراقين في دمشق فطبعها في المشرق سنة ١٤ وعلق عليها . ولعله ينشرها على حدة أيضاً

وهو غير صاعد بن هبة الله الطبيب النصراني . وغير صاعد بن الحسن اللغوي البغدادى المتوفى سنة ٤١٧ هـ . وقد يسمى ابن صاعد ولكنه غير ابن صاعد المحدث المتوفى سنة ٣١٨ هـ

أصحاب التواريخ الخاصة

١ — ابو عمر الكندي

توفي نحو سنة ٣٥٥ هـ

هو ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي التجيبي كان يقيم بمصر الى أوئل النصف الثاني من القرن الرابع . وهو غير يعقوب الكندي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة ٢١٢ . وله من المؤلفات :

١ فضائل مصر : ألفه لكافور الاخشيدي يشتمل على ماجاء عن مصر في القرآن والحديث مع تاريخها القديم وجغرافيتها وتاريخها الحديث الى زمن كافور الاخشيدي باختصار . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية منقولة في الاصل عن مكتبة كافور في ٤٤ صفحة

٢ اخبار القضاة المصريين : هو تاريخ أولئك القضاة الى سنة ٢٤٦هـ منه نسخة في المتحف البريطاني وهي الآن تحت الطبع بعناية كونيغ في نيويورك

٣ كتاب تسمية ولاة مصر : طبعه كونيغ المذكور وقد صدر الجزء الاول منه سنة ١٩٠٨ مع ملاحظات

٤ تاريخ مصر : هو عظيم الاهمية منه نسخة خطية في المتحف البريطاني . وقد اخذت لجنة تذكار جيب بطبعه في لندن عن تلك النسخة

٢ — ابو عبدالله الخشني

توفي نحو سنة ٣٥٨هـ

نسبة الى خشينة من قضاعة في قرطبة . له كتاب اخبار الفقهاء والحفاظ الاندلسيين الى سنة ٣٥٨ منه نسخة خطية في اكسفورد

٣ — ابو الحسن الاسكندراني

كتب نحو سنة ٣٦٥ في ايام المعز لدين الله الفاطمي كتاباً كاليومية سماه «ما كفى من اخبار الايام » . منه نسخة في الاسكوريال

٤ — ابن القوطية

توفي سنة ٣٦٧ هـ

هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز المعروف بابن القوطية الاندلسي الاشبيلي الاصل القرطبي المولد والدار . تثقف في اشبيلية وقرطبة . وكان من أعلم أهل زمانه باللغة والعربية مع حفظ الحديث والفقه والاخبار والنوادر . وكان اروى الناس للاشعار وأدركهم للآثار لا يلحق شأوه ولا يشق غباره . وكان مضطلعا باخبار الاندلس ملياً برواية سير امرائها وأحوال فقهائها وشعرائها يملي ذلك عن ظهر قلبه وكانت كتب اللغة أكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه . توفي في قرطبة سنة ٣٦٧ وقد الف كتباً مفيدة في اللغة ويقال انه أول من فتح باب تصاريف الافعال . وجاء بعده ابن القطاع واتبعه . وله كتب أخرى أهمها :

١ تاريخ الاندلس : يشتمل على فتح الاندلس الى سنة ٢٨٠ هـ ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد ترجمه الى الفرنساوية شاربونو وطبع بباريس سنة ١٨٥٦ وعول عليه طلاب تاريخ الاندلس من الافرنج . وطبعوه مع ترجمة فرنساوية في باريس سنة ١٨٨٩ في ٢١٩ صفحة

٢ كتاب الافعال : نشره الاستاذ جويدي في ليدن سنة ١٨٩٤

وترجمته في ابن خلكان ٥١٢ ج ١

٥ — ابن زولاق

توفي سنة ٣٨٧ هـ

هو ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق الليثي . كان من فضلاء المؤرخين المصريين . له من المؤلفات :

١ كتاب مختصر تاريخ مصر الى سنة ٤٩ للهجرة : منه نسخة في غوطا

٢ تاريخ مصر وفضائلها : منه نسخة في باريس ولها مختصر في غوطا وباريس

٣ اخبار سيبويه المصري : وهو محمد بن موسى بن عبدالعزيز الكندي الصيرفي المتوفى سنة ٣٥٨ منه نسخة في المكتبة الخديوية في نحو ١٠٠ صفحة

٤ تتمة كتاب الكندي في أخبار قضاة مصر : الى سنة ٣٨٦ يبتدىء بذكر القاضي بكار وينتهي بمحمد بن النعمان . لم نقف عليه

وترجمته فى ابن خلكان ١٣٤ ج ١ ومعجم الادباء ٧ ج ٣

٦ — ابن الفرضي

توفي سنة ٤٠٣ هـ

هو ابو الوليد عبد الله بن محمد الازدي الفرضي. ولد في قرطبة سنة ٣٥١ ورحل في طلب العلم الى القيروان ومصر وتعين قاضياً لبلنسية وانتقل الى قرطبة حتى سطا عليها البربر سنة ٤٠٣ فمات في تلك السنة . ومن آثاره الباقية « كتاب تاريخ علماء الاندلس » في عدة مجلدات نشر كوديرا الجزئين ٧و٨ منها في مدريد سنة ١٨٩٢

٧ — عز الملك المسبحي

توفي سنة ٤٢٠ هـ

هو الامير المختار عزالملك محمد بن عبيد الله المعروف بالمسبحي الكاتب الحراني ولد في مصر ونشأ على زي الاجناد وخدم الحاكم بامر الله الفاطمي وتقلد الاعمال والولايات وترتيب الديوان وله مع الحاكم بامر الله مجالس ومحاضرات. وقد الف كتباً كثيرة في مواضيع مختلفة اكثرها في التاريخ والادب والنجامة وعلم النجوم وغير ذلك . لم يصلنا منها الا القليل . وهاك ماوصلنا خبره منها :

كتاب أخبار مصر: ذكر فيه من نزل مصر من الولاة والامراء والائمة والخلفاء وما فيها من العجائب والابنية واختلاف اصناف الاطعمة . وذكر نيلها وأحوال أهلها الى الوقت الذي كتب فيه ذلك الكتاب. ويتخلل ذلك اشعار الشعراء وأخبار المغنين ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والادباء والمتغزلين وغيرهم. وهو ثلاثة عشر الف ورقة أو ٢٦٠٠٠ صفحة . فهو أطول كتاب في تاريخ مصر ينتهي بحوادث سنة ٤١٤ هـ يوجد بعضه في مكتبة الاسكوريال

وقد الف له محمد بن ميسر ذيلاً ينتهي الى حوادث سنة ٥٥٣ منه نسخة في باريس وترجمة المسبحي في ابن خلكان ٥١٥ ج ١

٨ — أبو اسحق الثعلبي

توفي سنة ٤٢٧ هـ

هو ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري من علماء التفسير وقد الف فيه . وله في التاريخ « كتاب عرائس المجالس » في قصص الانبياء طبع بمصر مراراً

٩ ـ ابو النصر العتبي

توفي سنة ٤٢٧ هـ

هو ابو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي . وأصله من الري وجاء خراسان الى خال له كان من الوجهاء هناك فنشأ عنده . وكان بليغ الانشاء فتولى الكتابة للامير ابي علي ثم لابي منصور سبكتكين مع ابي الفتح البستي . ثم صار نائباً في خراسان لشمس المعالي واستوطن نيسابور واقبل على خدمة الآداب والعلوم . واشتهر على الخصوص بكتاب ألفه في تاريخ يمين الدولة السلطان محمود الغزنوي سماه « اليميني » نسبة اليه .

اليميني : هو الكتاب الذي اشتهر ابو النصر العتبي بتأليفه . بسط فيه ترجمة حياة السلطان محمود وترجمة ابيه سبكتكين وسبب طمعه في الملك وما جرى من الحروب مع الخوارزمية حتى تولى . ثم تاريخ يمين الدولة الى آخر ايامه . ويدخل في ذلك لطائف كثيرة وحقائق هامة . وقد كتبه مسجعاً على أسلوب الترسل في ذلك العصر كما فعل الثعالبي بيتيمة الدهر لكنه أبلغ منه . ولا يدانيه بالبلاغة الا ابراهيم الصابي المتقدم ذكره . وكان يجب عده من المنشئين لولا أهمية كتابه هذا في التاريخ

وقد اعتنى بضبط الفاظه وشرح مشكلاته جماعة منهم الشيخ مجد الدين الكرماني وقاسم بن حسين الخوارزمى وتاج الدين بن محفوظ وحميد الدين النجاتى وغيرهم . ومنه نسخ خطية في مكاتب برلين ومنشن وفينا وليدن والمتحف البريطانى وباريس وبطرسبرج ويني جامع

وفي المكتبة الخديوية نسخة من كتاب اليميني بخط فارسي جميل جداً مذهبة الحواشي تدخل في ٣٧٢ صفحة . على حواشيها شروح بخطوط فارسية جميلة . وقد طبع على الحجر في دلهى سنة ١٨٤٧ وفي لاهور سنة ١٨٨٣

ومن شروحه كتاب الفتح الوهبي على تاريخ ابى النصر العتبي للمنيني الدمشقي منه نسخة في فينا وبطرسبرج . وطبعته جمعية المعارف سنة ١٢٨٦ بمصر في مجلدين كبيرين مصدراً بترجمة العتبي . وبساتين الفضلاء للنجاتى في يني جامع . وقد ترجمه الى الفارسية الجربادكانى • ومن هذه الترجمة نسخة في فينا والمتحف البريطانى وبرلين • وقد ترجمه من النسخة الفارسية الى الانكليزية رينولد وطبع في لندن سنة ١٨٥٨ .

وترجمة العتبي في يتيمة الدهر ٢٨١ ج ٤ وفي مقدمة الفتح الوهبي

١٠ — هلال الصابي

توفي سنة ٤٤٨ هـ

هو ابو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال حفيد ابراهيم الصابي المنشىء صاحب الرسائل الذي تقدم ذكره . ولد سنة ٣٥٩ وكان ابوه صابئيا اما هو فاسلم متأخراً وتولى الكتابة لفخر الملك بن غالب محمد بن خلف . وله تصانيف كثيرة في التاريخ والرسائل والسياسة لم يبق منها الا :

تاريخ الوزراء : وهو كتاب جليل القدر لانه مسهب في وصف المدة التي تكلم عنها قاصر على ما حدث من اخبار العباسيين من سنة ٣٦٠ الى ٤٤٧ هـ . والطبري قد وفى التاريخ حقه من البسط الى سنة ٣١٠ والف غيره للمدة التي بعده لكن اكثرها ضاع . حتى تاريخ الوزراء هذا كادت تذهب به يد الزمان لو لم يتدارك ذلك المستشرق امدروز الانكليزي فطبعه سنة ١٩٠٤ في بيروت عن نسخة خطية كانت في مكتبة غوطا مع شروح وملاحظات . وليست هي كل تاريخ الوزراء بل قطعة فيها نقص من اماكن كثيرة تنتهي بسنة ٣٩٣ في نحو ٥٠٠ صفحة كبيرة فيها فوائد يندر العثور عليها في الكتب الاخرى عن احوال الدولة السياسية والمالية والحالة الاجتماعية وادارة الحكومة . ودخائل قصور الخلفاء وثروتهم وعاداتهم وملاهيهم الى غير ذلك مما يفهم من تضاعيف الكلام. ويسمى هذا الكتاب ايضاً كتاب الاعيان والاماثل

وترجمته في ابن خلكان ٢٠٢ ج٢ويتيمة الدهر ١٨٧ ج ١ وفي مقدمة طبعة تاريخ الوزراء

١١ — القضاعي

توفي سنة ٤٥٤ هـ

هو ابو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القاضي الشافعي . تولى القضاء بمصر وقد أنابه المصريون عنهم في رسالة الى بلاد الروم . وله عدة تصانيف اهمها كتاب خطط مصر واسمه المختار في ذكر الخطط والاخبار اخذ عنه المقريزي في خططه وبه عددناه من اصحاب التواريخ الخاصة : لكنه ضاع وهاك ماوصل الينا من مؤلفاته الاخرى:

١ كتاب الشهاب في المواعظ والاداب : جمع فيه ١٢٠٠ حديث في الحكم

والوصايا والآداب بدون الاسانيد في نحو مائة صفحة . وهو مختصر مفيد . منه نسخ في برلين وباريس وليدن وفي المكتبة الخديوية

٢ الانباء بانباء الانبياء وتواريخ الخلفاء : وفيه تاريخ العالم من الخليقة الى سنة ٤١٧ منه نسخة في برلين واكسفورد

٣ كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف : يشتمل على تاريخ البطاركة والانبياء وبني أميـة والعباسيين والفاطميين . وله ذيل الى سنة ٩٢٦ هـ وكلاهما في باريس

٤ نزهة الالباب جامع التواريخ : وهو ذيل للتاريخ . في المتحف البريطاني

٥ مسند الشهاب : وهو يتضمن أسانيد الشهاب المتقدم ذكره ويسمى أيضاً اسناد الشهاب موجود في المكتبة الخديوية في نيف و ٥٠٠ صفحة

وترجمة القضاعي في ابن خلكان ٤٦٢ ج ١ وحسن المحاضرة ٢٢٧ ج ١

١٢ - أبو بكر الخطيب البغدادي

توفي سنة ٤٦٣ هـ

هو الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب خاتمة مؤرخي هذا العصر . وكان من الأئمة المشهورين والحفاظ المبرزين ختم به ديوان المحدثين. سمع في بغداد شيوخ وقته ورحل الى البصرة والدينور والكوفة ونيسابور وجاء صور فاقام بها مدة وكان يتردد الى بيت المقدس . وخرج من صور سنة ٤٦٢ هـ الى طرابلس وحلب وعاد الى بغداد اقام بها سنة وتوفي فيها سنة ٤٦٣ وله مؤلفات تزيد على ٥٥ كتاباً في التاريخ والحديث والادب والنحو والفقه واللغة وغيرها اكثرها ضاع وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ تاريخ بغداد : ويشتمل على تراجم علمائها على الخصوص في ١٤ مجلداً وبه اشتهر لكنه تبعثر فلا نعرف له نسخة كاملة في مكان . والموجود منه على ما نعلم اجزاء متفرقة في برلين والمتحف البريطاني وباريس وكوبرلي والجزائر والمكتبة الخديوية . وقد نشر المستشرق سلمون مقدمة هذا التاريخ بباريس سنة ١٩٠٤ كتاباً على حدة في ثلثمائة صفحة تحتوي على أصل بغداد واسمها وتاريخ بنائها واقسامها ودورها وقصورها ومدائنها كما كانت في أيامه وغير ذلك من الفوائد . وذيلها الناشر بحواش وفهارس فجاءت كالكتاب المستقل بوصف عمارة بغداد وخططها .

والكتاب على اجماله مروي بالاسناد على طريقة المحدثين

٢ الكفاية : في معرفة أصول علم الرواية يبحث في شروط الرواية واحكام قبولها منه نسخ في برلين وليدن . وفي المكتبة الخديوية نسخة في ٣٤٠ صفحة بخط قديم

٣ تقييد العلم : ٤ شرف أصحاب الحديث : ٥ المؤتنف تكملة المؤتلف والمختلف : وكلها في برلين

٦ تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما اشكل منه عن نوادرالتصحيف والوهم : هو كتاب كبير الحجم فيما اشكل من اسماء الرواة . مما يتفق في الهجاء ويختلف في الحركات وما يشتبه في الخط ويختلف في هجاء بعض حروفه . أو بتقديم بعض الحروف على بعض أو غير ذلك . وفيما يتفق من اسماء المحدثين وانسابهم . فهو جزيل الفائدة من حيث تحقيق اسماء الرواة وانسابهم وأخبارهم . منه نسخة في المكتبة الخديوية في ٧٠٠ صفحة وفي آخرها نقص

٧ كتاب البخلاء : في المتحف البريطاني

وترجمة الخطيب في ابن خلكان ٢٧ ج ١ ومعجم الادباء ٢٤٦ ج ١

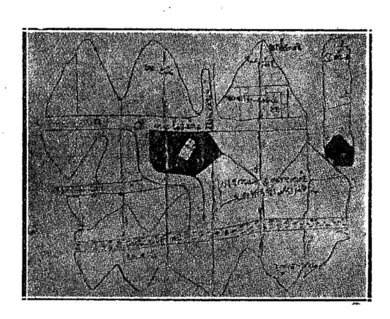
الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثالث

ما زال الجغرافيون في هذا العصر يبنون كتبهم في الجغرافية على الرحلات ولم ينضج علم الجغرافيا فيه نضجاً تاماً . ومع ذلك فانه ابان فضل العرب في اكتشاف أماكن دخلوها وبلاد ومسالك لم يسبقهم أحد الى وصفها على أثر الفتوح أو الاسفار التجارية في أواسط آسيا وافريقيا وفي البحر الهندي وبحر فارس وغيرها . فاكتشفوا كثيراً من جزائر المحيط وجزائر الاتلانتيك وعرفوا أصقاع الارض أكثر من سائر الامم التي تقدمتهم . وتقسم الجغرافيـة في هذا العصر كما يقسم التاريخ الى الجغرافية العامة والجغرافية الخاصة. وقبل التقدم الى ذكر اخبار الجغرافيين من العرب نذكر اشتغالهم برسم الخرائط

الخرائط عند العرب

رسم الخرائط من الفنون القديمة . وجدوا أمثلة منها في انقاض بابل واشور ومصر . وهذا مثال من خريطة مصرية من زمن الفراعنة



ش ١٨ : خريطة قديمة من زمن رعمسيس الثاني

أما العرب فبدأوا برسم الخرائط في صدر الدولة العباسية بعد ترجمة كتب الفلك والجغرافية . وكانوا يجعلون اساس رسومهم قياس العرض والطول . واول من رسم منهم خريطة الارض على هذا الاساس محمد بن موسى المعروف بالخوارزمي في زمن المأمون . فانه عين مواقع المدن والبحور بالدرجات الجغرافية المبنية على علم الفلك كما فعل بطليموس القلوذي . فلما اخذوا في الرحلة اغضوا عن تلك المقاييس وصاروا يرسمون الخرائط بلا قياس كما فعل ابو زيد البلخي في اوائل القرن الرابع للهجرة وابن حوقل والاصطخري والمقدسي في اواسطه . فانهم كانوا يرون مشقة في تعيين الاماكن بالاقيسة فاكتفوا بتعيين مواقع البلاد بالنظر الى الجهات الاربع (الشرق والغرب والشمال والجنوب) بلا تقدير الابعاد بينها. ولم تكن عندهم قاعدة لتعيين الجهات المذكورة في الخارطة كما يفعلون اليوم فان الخرائط عندنا مقيدة في تعيين جهاتها ان يكون دائماً أعلاها شمالا واسفلها جنوباً ويمينها شرقا وشمالها غرباً . أما هم فالغالب عندهم أن يجعلوا الجهات في زوايا الخارطة فالزاوية بين الاعلى واليمين مثلا قد تكون

شمالا والزاوية المقابلة لها من أعلى غرباً كما ترى في خريطة بين النهرين المنقولة عن الاصطخري (ش ١٩) . أوأن تكون الزواية بين الاعلى واليمين غربا وتكون المقابلة لها في الاعلى جنوباً كما في خريطة الشام المنقولة عنه (انظر ش ٢٠) أو غير ذلك

على أن العرب اخذوا بعد ذلك العصر في تعيين الابعاد بين الاماكن وأقدم من عينها منهم الشريف الادريسي في الخريطة التي رسمها للملك روجر الثاني صاحب صقلية وسيأتي ذكره — وهاك تراجم اصحاب الجغرافية العامة :

اصحاب الجغرافية العامة

١ — ابو زيد البلخي

قد تقدم ذكره بين المؤرخين صفحة ١٩٩ وله في الجغرافية كتاب :

صور الاقاليم : وهو أقدم كتاب جغرافي عربي موضح بالخرائط . أو هو خرائط موضحة ببعض الشروح . لان المؤلف اراد تصوير الاقاليم فالف هذا الكتاب وسماه «صور الاقاليم الاسلامية» فرسم الارض وأشكالها والاقاليم الاسلامية بالخرائط الملونة على ما بلغ اليه جهد العرب في ذلك العصر . ومنه نسخة خطية كاملة بخرائطها الملونة في مكتبة برلين . وهي كثيرة الشبه باقاليم الاصطخري الآتي ذكره لان هذا نقل عنه لكنه توسع في شرح احوال البلاد . فنكتفي بشرح جغرافية الاصطخري

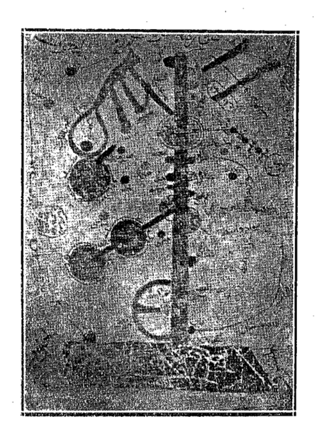
٢ — الاصطخري

في أواسط القرن الرابع للهجرة

هو ابو اسحق الفارسي من أهل اصطخر ويعرف أيضاً بالكرخي له كتابان :

١ كتاب الاقاليم : يشتمل على حدود الممالك وصور اقاليم الارض ومدنها وبحارها وأنهارها والمسافات بينها مفصلا. فيبدأ ببلاد العرب فبحر فارس وديار المغرب والاندلس ومسافاتها ومصر وأقسامها وبلادها وأرض الشام وبيت المقدس والمسافات بينها . وصفة بحر الروم وأرض الجزيرة والعراق ومسافاتها وأنهارها وخوزستان وبلاد فارس ومسافاتها وبلاد كرمان والسند وأرمينية واذربيجان والجبال وطبرستان أو الديلم وبحر الخزر وخراسان وسجستان وافغانستان وماوراء النهر ومسافاتها. وقد وضح ذلك كله بالخرائط ويسميها « الصور » وجملتها ١٩ صورة كبيرة. وقد طبع هذا

الكتاب على الحجر في غوطا سنة ١٨٣٩ بعناية الدكتور مولر الالماني ومعه الخرائط المشار اليها ملونة مثل الاصل تماما . وفي ش١٩ صورة تمثل العراق وش٢٠ يمثل الشام



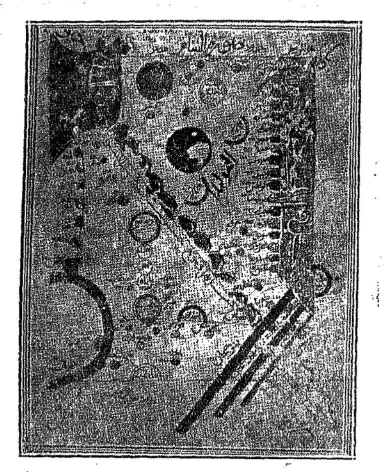
ش ١٩ : خريطة العراق عن كتاب الاقاليم للاصطخري

٢ كتاب مسالك الممالك : هو كثير الشبه بكتاب الاقاليم لكنه خال من الخرائط وفي صدره مقدمة في تأليف الكتاب وتقسيمه في بضع صفحات . ويكاد يكون باقيه نفس كتاب الاقاليم . طبع فى ليدن سنة ١٨٧٠ في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه وقد قال المؤلف في صدره انه عوّل فيه على كتاب صور الاقاليم لابي زيد البلخي

٣ – ابن حوقل

في اواسط القرن الرابع

هو ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي له « كتاب المسالك والممالك » وهو مثل مسالك الممالك للاصطخري مع زيادات قليلة وقد طبع ايضاً في جملة المكتبة الجغرافية وترجم الى الانكليزية وطبع في لندن سنة ١٨٠٠ وترجم بعضه المختص بافريقيا وطبع بباريس سنة ١٨٤٢ وقسم آخر يختص ببالرم طبع في باريس سنة ١٨٤٥



ش ٢٠ : خريطة بلاد الشام عن كتاب الاقاليم للاصطخري

٤ — المقدسي

توفي بعد سنة ٣٧٥ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن البشاري المعروف بالمقدسي. ولد في بيت المقدس وساح في أكثر بلاد الاسلام شرقاً وغرباً الى السند والهند والاندلس . وقد عول في كثير مما كتبه على اختباره الشخصي مما شاهده بعينه . وذكر عادات الاقوام الذين وصفهم واخلاقهم واحوال بلادهم كما شاهدها . واستفاد أيضاً من سابقيه فالف سنة ٣٧٥ هـ كتاباً سماه :

أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم : وهو أفضل الجغرافيات العامة في ذلك العصر . صدره بمقدمة في تاريخ علم الجغرافية عند العرب الى أيامه بانتقاد . ثم ذكر مزية كتابه وما قاساه في سبيل تأليفه وجمع حقائقه فقال : «وما تم لي جمعه الا بعد

جولاني في البلدان ودخولي اقاليم الاسلام ولقائي العلماء وخدمتي الملوك ومجالستي القضاة ودرسي على الفقهاء واختلافي الى الادباء والقراء وكتبة الحديث ومخالطة الزهاد والمتصوفين وحضور مجالس القصاص والمذكرين . مع لزوم التجارة في كل بلد والمعاشرة مع كل أحد والتفطن في هذه الاسباب بفهم قوي حتى عرفتها . ومساحة الاقاليم بالفراسخ حتى اتقنتها ودوراني على التخوم حتى حررتها وتنقلي الى الاجناد حتى عرفتها وتفتيشي عن المذاهب حتى علمتها وتفطني في الالسن والالوان حتى رتبتها وتدبري في الكور حتى فصلتها وبحثي عن الاخرجة حتى احصيتها » الخ

وقد أوضح كتابه بالخرائط الملونة بدليل قوله بعد ذكر تقسيم الكتاب الى اقاليم: « ورسمنا حدودها وخططها وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة وجعلنا رمالها الذهبيه بالصفرة وبحارها بالخضرة وانهارها المعروفة بالزرقة وجبالها المشهورة بالغبرة ليقرب الوصف الى الافهام ويقف عليه الخاص والعام» لكن هذه الخرائط لا توجد في الطبعة التي بين ايدينا .وقد طبع مرتين في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه الاولى سنة ١٨٧٧ والثانية ١٩٠٦ مع شروح وملاحظات

٥ – هيئة اشكال الارض

ومن كتب الجغرافية العامة في ذلك العصر كتاب اسمه « هيئة اشكال الارض ومقدارها في الطول والعرض » منه نسخة في مكتبة طوب قبوسراي في الاستانة لم يذكر فيه مؤلفه لكن في المقدمة ذكر سيف الدولة بن حمدان كانه كتب له .وفيه عشرات من الخرائط الملونة . ومنه نسخة في جملة كتب زكي باشا منقولة عن تلك بالفوتوغراف

الجغرافية الخاصة

لم يظهر في الجغرافيات الخاصة في هذا العصر ما يستحق الذكر الا :

جغرافية بغداد لابن سرابيون

وهي جغرافية ما بين النهرين وصف بها تلك البلاد ومسافاتها وطرقها في اوائل أيام البويهيين ولا نعرف شيئاً عن مؤلفها . أما الكتاب فقد نقله الى الانكليزية المستشرق سترانج الانكليزي ونشره سنة ١٨٩٥ مع خرائط استخرجها من وصف المؤلف لجغرافية بغداد وضواحيها واضاف اليها تعاليق وشروح جزيلة الفائدة

وفي مجلة المقتطف مقالة عن جغرافيي العرب لسليم شحادة من صفحة ٥٩٣ سنة ٧

العلوم الاسلامية

في العصر العباسي الثالث

تفرعت العلوم الاسلامية في اوائل الاسلام الى القراءة والتفسير والحديث. ثم ظهر الفقه وأخذت هذه العلوم تنمو بنمو التمدن وقد علمت مما تقدم ان الفقه نضج ورسخت قواعده في العصر العباسي الاول والحديث في العصر الثاني . ونشأت في أثناء ذلك فروع اخرى من علوم القرآن أو العلوم الاسلامية الدينية على أثر انتشار الفلسفة وغيرها من علوم الاقدمين والعلوم الدخيلة ونشأت فروع أخرى في الاعصر الآتية سيرد بيانها

ومن يتدبر اشتغال المسلمين في العلوم الاسلامية يعجب لما استخدموه فيها من اعمال الفكرة ولا سيما الفقه فانه من ثمار عقولهم واجتهادهم لا دخل فيه لامة أخرى اذ لا علاقة له بالعلوم القديمة. ومن ينظر في قضاياه وأحكامه يعلم ما اقتضاه ذلك من دقة النظر وقوة العقل مما لم يسبق له مثيل . أما الفلسفة أو المنطق مما نقلوه عن اليونان فقد ساعد في انشاء بعض فروعه والتوسع في البعض الاخر كعلم الكلام فقد كان للفلسفة والمنطق تأثير كبير في نموه وقد تقدم خبره في العصر الثاني صفحة ٢٠٧

علم الكلام

ونبغ في هذا العصر غير واحد من علماء الكلام لبعضهم مؤلفات في مواضيع أخرى جاء ذكرهم في ابوابها كالشريف المرتضى بين الادباء . والبعض الاخر لم يخلفوا ما يستحق الذكر . وانما نذكر منهم في هذا الباب اشهر انصار الاشعري وهو :

ابو بكر الباقلاني

هو القاضي ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ صاحب « اعجاز القرآن » وهو مشهور بين طلاب الادب والبلاغة . ومدار البحث فيه على اثبات اعجاز القرآن وانه معجزة نبوة النبي . وفيه فصول في نفي الشعر من القرآن وكيفية الوقوف على عجز القرآن . وطائفة حسنة من خطب النبي وكتبه ومن كلام الراشدين وغيرهم من بلغاء الصحابة والتابعين وغير ذلك . وقد طبع في مصر سنة ١٣١٥ وغيرها . وترجمة الباقلاني في ابن خلكان ٤٨١ ج ١

التصوف

هو من العلوم التي نشأت ونضجت في هذا العصر وخلاصة تاريخه « أنه من العلوم الشرعية الحادثة وأصله العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيها من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة »

وقد اختلف علماء الاسلام في أصل كلمة التصوّف أو الصوفية فقال جماعة باشتقاقها من الصفاء أو الصفة وقال آخرون غير ذلك . ويرى ابن خلدون أن اشتقاقها من الصوف أقرب الى الصواب لاختصاص اصحابه بلبس الصوف . وعندنا انها مشتقة من لفظة يونانية الاصل هي Σοφια (صوفيا) ومعناها الحكمة ويتركب منها ومن Φιλοσ (فيلوس) محب Φιλοσοφια (فيلوصوفيا) أي محب الحكمة وهي بالعربية « الفلسفة » . فيكون الصوفية قد لقبوا به نسبة الى الحكمة لأنهم كانوا يبحثون فيما يقولونه أو يكتبونه بحثاً فلسفياً . ويؤيد ذلك انهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولاعرفوا بهذه الصفة الا بعد ترجمة كتب اليونان الى العربية ودخول لفظ الفلسفة فيها

ومدار طريقتهم كلها « محاسبة النفس على الافعال والتروك وآداب خاصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم يدلون بها على ما يريدونه من أساليب المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقي من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم » فلما دونت العلوم في الاسلام كتب الصوفية في طريقتهم على ذلك المنهج فنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والترك ومنهم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ وكان عالماً في الفقه والتفسير والحديث والاصول والادب والشعر والكتابة فضلا عن التصوف وقد الف فيه كتابه المعروف بالرسالة القشيرية وهي مطبوعة بمصر سنة ١٢٨٤ هـ وسنة ١٣٠٤ وبهامشها تقريرات من شرح شيخ الاسلام زكريا الانصاري عليها . وابو حفص عمر بن محمد الملقب شهاب الدين السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ببغداد الف في ذلك كتاب عوارف المعارف . وقد جمع حجة الاسلام الغزالي بين الامرين في كتاب الاحياء فدون فيه احكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم . وسنأتي على ترجمة حاله ومؤلفاته. وصار علم التصوف علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط

الفقه

لم يزد الفقهاء بعد رسوخ قواعد الفقه على ايدي الائمة الاربعة شيئاً غير التلخيص والشرح أو التعليق . وقد ظهر في أثناء هذا العصر جماعة من كبار الفقهاء ولكن اكثرهم اشتغلوا بعلوم اخرى . فدخلت ترجماتهم في ابواب تلك العلوم . ولو اردنا ترجمة كل من ظهر من الفقهاء في هذا العصر لخرجنا عن الاختصار الذي اردناه في هذا الباب . وانما نترجم الفقهاء الذين خلفوا كتباً تدخل في بعض الابواب الاخرى من آداب اللغة جرياً على الغرض المراد من هذا الكتاب . واشهرهم في هذا العصر :

ابو الحسن الماوردى

توفي سنة ٤٥٠ هـ

هو ابو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعى تعلم في البصرة وبغداد وتقدم في مناصب القضاء . وكان مفكراً حسن التأليف كما يظهر من كتبه التى وصلت الينا وهاك أهمها :

١ كتاب الاحكام السلطانية : يبحث في الامامة وشروطها والخلافة واحكامها والوزارة وأقسامها وشروطها وامارة الجهاد وأقسامها والقضاء والشروط التي يصح التقليد بها والنقابة حسب الانساب . وفصول في الولاية على الحج وولاية الصدقات واحكام الفيء والغنيمة واقسامها والجزية والخراج حسب الارضين واحكام الاقطاع وترتيب الدواوين وأنواعها . وما اختص ببيت المال واحكام الحسبة وغير ذلك من القواعد الشرعية مما يتعب الباحث عنه في غير هذا الكتاب . وهو مطبوع في مصر سنة ١٢٩٨ وغيرها

٢ أدب الدنيا والدين : يبحث في الاخلاق والاداب ويشتمل على فصول في فضل العقل وذم الهوى والحث على العلم واخلاق العلماء والآداب الدينية والدنيوية ويدخل تحتها ما يصلح به حال الانسان من المؤاخاة بالمودة وادب النفس وما يتعلق به كحسن الخلق والحياء والحلم والصدق واضدادها وآداب المواضعة . وفيه ابحاث في الكلام والصمت والصبر والجزع والمشورة وكتمان السر والمزاح والضحك. طبع في الاستانة سنة ١٢٩٩ وفي مصر مراراً . وهو من كتب الادب المعول عليها في كثير من المدارس

٣ نصيحة الملوك : في باريس

٤ تسهيل النظر وتعجيل الظفر : في السياسة والحكومة . في غوطا

٥ كتاب الحاوي الكبير في الفروع : هومطول في الفقه الشافعي يدخل في ٢٣ مجلداً منها نسخة في المكتبة الخديوية تنقص الجزء الثامن . وربما زادت صفحات الكتاب كله على ٧٠٠٠ صفحة كبيرة

٦ اعلام النبوة : يبحث في اثبات النبوات وشروطها وما تضمنه القرآن من الاعجاز وما في أقوال النبي من ذلك. منه نسخ في برلين والمكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة

٧ كتاب الامثال والحكم : يشتمل على ٣٠٠ حكمة و ٣٠٠ حديث و ٣٠٠ شعر . موجود في ليدن

٨ معرفة الفضائل : في الاسكوريال

وترجمة الماوردي في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١

الفرائض

وتفرع من الفقه علم الفرائض وهو معرفة حقوق الورائة وأشكالها ومختلفاتها وضروب مواقعها وما يحتاج اليه ذلك من الحساب . فافرد له العلماء باباً مخصوصاً وكتب فيه الفقهاء منهم كابي حنيفة وغيره . ولكن بعضهم انقطع له بنوع خاص ومن هؤلاء في أوائل الدولة العباسية ابن شبرمة وابن ابي ليلى ويحيى بن اكثم ثم ابو المعالى ثم الف فيه كثيرون يضيق المقام عن ذكرهم

التفسير والحديث

اما التفسير فما زال للعقل مجالٌ فيه فظهر جماعة كبيرة من المفسرين بعد الطبري المتقدم ذكره في العصر الماضي . ومنهم في هذا العصر النقاش الموصلي المتوفى سنة ٣٥١ صاحب كتاب « شفاء الصدور » ومنه قطعة في المكتبة الخديوية . والحوفي المصري المتوفى سنة ٤٣٠ هـ صاحب كتاب «البرهان فى تفسير القرآن» منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وابن ابي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ في قرطبة له مؤلفات كثيرة ضاعت وغيرهم .

واما الحديث فاستقرت قواعده في الكتب الستة المتقدم ذكرها لكن العلماء ظلوا يشتغلون فيه بين اخذ ورد . واشهر من نبغ من المؤلفين فيه بهذا العصر الطهماني الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ وابو الفتح سليم بن ايوب الرازي المتوفى سنة ٤٤٧ والاجري المتوفى سنة ٣٦٠ والبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ وغيرهم . ولم يصلنا من آثارهم مايستحق الذكر

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثالث

علمت من كلامنا عن هذه العلوم في العصر العباسي الاول انها تتألف من فروع كثيرة ترجع الى اربعة الطب والفلسفة والنجوم والرياضيات . وكان المشتغلون في نقلها اكثرهم من غير المسلمين ثم اشتغل بها المسلمون في العصر العباسي الثانى وذكرنا من نبغ فيها . وزاد اشتغالهم بها في هذا العصر ونبغ فيها علماء لايشق لهم غبار فنذكر اصحاب كل فرع على حدة وان كان اكثرهم اشتغلوا بعلمين فأكثر من تلك العلوم . فنضع كلا منهم فى العلم الذي غلب عليه

الطب

يدخل فى الطب فروعه الطبيعية كالكيمياء والصيدلة والنبات لكننا سنفرد لها فصلا خاصاً . اما الطب فقد اشتغل المسلمون فيه وخدموه وتكاثر الاطباء على الخصوص فى هذا العصر وامامهم ابن سينا . ويستدل من بعض القرائن انهم كانوا كثيرين . فقد احصوا اطباء بغداد وحدها فى زمن المقتدر بالله في أول القرن الرابع للهجرة فبلغ عددهم ٨٦٠ طبيباً امتحنوا لنيل الاذن فى التطبيب سوى من استغنى عن الامتحان لشهرته وسوى من كان في خدمة الخليفة . فلا يمكن ان يكون مجموع ذلك كله اقل من الف طبيب متعاصرين فى مدينة واحدة . وبلغ عدد أطباء النصارى فقط فى خدمة المتوكل بأواسط القرن الثالث للهجرة ٥٦ طبيباً . وكان سيف الدولة اذا جلس على المائدة حضر معه ٢٤ طبيباً . منهم من يأخذ رزقين لتعاطيه علمين . ومن يأخذ ثلاثة ارزاق لتعاطيه ثلاثة علوم

وكان للاطباء عنــدهم نظام وعليهم رئيس يمتحنهم ويجيز من يرى فيه الـكفاءة للتطبيب . واشهر هؤلاء الرؤساء سنان بن ثابت في بغداد ومهذب الدين الدخوار في مصر . وفعلوا نحو ذلك في الصيادلة وكانوا كثاراً . وتفشى الغش في الادوية حتى اضطر ولي الامر الى امتحانهم واعطاء الاجازات أو المنشورات الى الذين يحسنون الصناعة ونفي الآخرين . واول من فعل ذلك الافشين في بغــداد ووكل زكريا بن الطيفوري به في حديث يطول ذكره . وكان من الاطباء أو الصيادلة من هو خاص بالجند يرافقه في أسفاره ومنهم من هو خاص بالخلفاء والامراء ولهؤلاء رواتب خاصة ويعرفون بالمرتزقين . ومنهم من يطببون العامة وهم غير مرتزقين وأشهر أطباء هذا العصر ابن سينا

ابن سينا

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو الشيخ الفيلسوف الطبيب ارسطو الاسلام وابقراطه. واسمه ابو علي الحسين ابن عبد الله ويلقب بالشيخ الرئيس ويسميه الافرنج (Avicenna) كان ابوه من بلخ في شمــالي افغانستان وسكن مملـكة بخارا في زمن نوح بن منصور من الدولة السامانية وتولى التصرف بقرية من قراها اسمها خرميثن . وفيها ولد له ابنه الحسين سنة ٣٧٠ هـ وكان من صغره نادرة عصره في الذكاء والفطنة ثم انتقل والده به الى مدينة بخارا وهي يومئذ حافلة بالعلماء. وحفظ القرآن وأخذ يقرأ الفقه قبل ان يتجاوز العاشرة ولم يدرك السادسة عشرة حتى تعلم المنطق والهندسة والطبيعة والفلسفة والطب ثم تفرغ للتوسع بهذه العلوم . وكان يحيي الليل في الدرس والبحث

واتفق أن نوحاً المذكور مرض فذكر له ابن سينا فاستقدمه فبرىء على يده فقربه اليه . وكان عند نوح مكتبة نادرة المثال فاستأذنه في دخولها فاذن له فدرسها درساً ثم احترقت بعد أن وعى زبدتها . وأخذ في التأليف وهو في الحادية والعشرين من عمره . وارتفعت منزلته وتولى بعض مناصب الدولة . وتنقل في بلاد خراسان وهو موضع الاعجاب ومصدر الاستفادة بالتطبيب والتأليف . ولم يتمكن من اللغة العربية كما ينبغي الا بعد حين . ومرت به طوارىء مختلفة وقاسى ما يقاسيه طالب العلى من العذاب والملوك مناظروه أو مريده . وكان قوي القوى كلها جسداً وعقلا لـكن شهواته البدنية كانت غالبة عليــه . فاثرت في مزاجه حتى أماتته بهمذان سنة ٤٢٨ هـ وهو في الثامنة والخمسين من عمره



ش ٢١ : الشيخ الرئيس ابن سينا

وكان من المتفردين بسعة العلم وقوة العقل وقد الف في كل فن من العلم والادب وتزيد مؤلفاته على مئة وكان لها تأثير كبير في نهضة أوربا الاخيرة لانهم نقلوا أهمها الى لغة العلم عندهم يومئذ (اللاتينية)

أما في الاصل العربي فكثير من مؤلفاته لايزال باقياً ومنها جانب كبير في المكتبة الخديوية يمكن الاطلاع عليها لمن أراد — فمن كتبه الطبية الموجودة هناك

١ القانون : في ١٤ جزءاً مطبوع في رومية ومصر وهو من أهم كتبه . حوى أهم ما عرف من علوم الطب وخصائص العقاقير والتشريح وغيرها . وعليه وعلى كتاب الحاوي لابي بكر الرازي كان اكثر معول العالم الطبي في التمدن الاسلامي وفي نهضة أوربا قبيل التمدن الحديث

٢ الشفاء : وهو ١٨ جزءاً بعضها في الطب والبعض الآخر في العلوم الاخرى . منه جزآن مطبوعان على الحجر ببلاد فارس والكتاب موجود برمته في المكتبة الخديوية ٣ الالفية في الطب ٤ منظومة في الطب

ومن كتبه الفلسفية — ١ الاشارات : ولها شرح للطوسي مطبوع في الاستانة وعلى هامشه شرح للفخر الرازي ٢ النجاة : ثلاثة مجلدات مطبوع ٣ رسائل

في الانصاف والمسائل العشرين والمباحثات والجوهر الذي لا يتحرك وتقسيم العلوم الفلسفية وحد الجسم وشرح كتاب النفس لارسطو وما بعد الطبيعة . وكلها توجد خطاً في المكتبة الخديوية

ومن كتبه في الفقه والتوحيد — ١ القصيدة العينية في النفس ٢ كتاب المبدأ والمعاد ٣ الالهيات ٤ الجمانة الالهية

وفي المنطق — ١ كتاب الاشارة ٢ كتاب الشرقيين ٣ رسالة العروس . غير ثمانية مؤلفات في المنطق يوجد بعضها في مكاتب أوربا

وفي العلوم الطبيعية والرياضية خمسة عشر مؤلفاً لايوجد منها في المكتبة الخديوية شيء ولكن اكثرها موجود فيمكاتب أوربا ولا محل هنا لتفصيل ذلك. وله مؤلفات في الآداب السياسية والموسيقى وفي اللغة العربية وعلومها ضاع معظمها

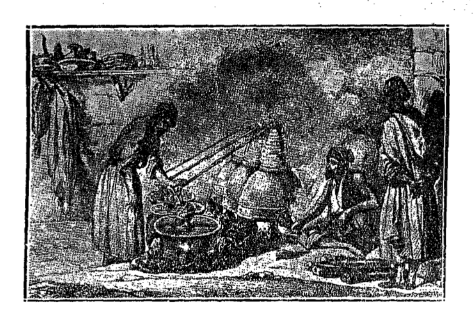
ولابن سينا آراء خصوصية في العلم الطبيعي وقد أوضح كثيراً من غوامضه وكذلك الالهيات مما يستغرق شرحه صفحات عديدة

وترجمة ابن سينا في ابن خلكان ١٥٢ ج ١ وطبقات الاطباء ٢ ج ٢ وتراجم الحكماء ٢٦٨ وفي سنة ١٨ من الهلال . وللافرنج مقالات عديدة في ابن سينا وفلسفته وكتبه في الفرنساوية والانكليزية والالمانية وغيرها

الصيدلة والكيمياء والنبات

وللمسلمين فضل كبيرعلى الصيدلة والكيمياء والنباتوهي من فروع الطب بدأوا بذلك في صدر الدولة العباسية وسنلخص تاريخها عندهم وإن تجاوزنا هذا العصر لجمع الموضوع في باب واحد . وقد عنى الافرنج بعد نهضتهم الاخيرة في درس تاريخ فن الصيدلة فتحققوا أن العرب هم واضعو اسس هذا الفن وهم أول من أشتغل في تحضير الادوية أو العقاقير فضلا عما استنبطوه من الادوية الجديدة . وانهم أول من الف الاقرباذين على الصورة التي وصلت الينا وظل العرب في النهضة العباسية يعتمدون في المارستان ودكاكين الصيادلة على اقرباذين الفه سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ ﻫ حتى ظهر اقرباذين أمين الدولة ابن التلميذ المتوفى في بغداد سنة ٥٦٠ ﻫ . وهم أول من أنشأ حوانيت الصيادلة على هذه الصورة . ومن أقرب الشواهد على ذلك أسماء العقاقير التي أخذها الافرنج عن العرب ولاتزال عندهم باسمائها العربية أو الفارسية أو الهندية كما أخذوها عن العربية

على أن تقدمهم في الصيدلة تابع لتقدمهم في الكيمياء والنبات ولا خلاف في أن العرب هم الذين اسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربهم ومستحضراتهم — وأول من اشتغل في نقلها الى العربية خالد بن يزيد نقلها عن مدرسة الاسكندرية وعنه أخذ جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٠ هـ وبعده جابر بن حيان ثم الكندي فابو بكر الرازي وغيرهم فاكتشفوا كثيراً من المركبات الكماوية التي بنيت عليها الكيمياء الحديثة. وقد ذكر محققو الافرنج أن العرب هم الذين استحضروا ماء الفضة (الحامض النتريك) وزيت الزاج (الحامض الكبريتيك) وماء الذهب (الحامض النيتروهيدرو كلوريك) واكتشفوا البوتاسا وروح النشادر وملحه وحجر جهنم (نترات الفضة)



ش ٢٢ : العرب يستقطرون العقاقير

والسلياني (كلوريد الزئبق) والراسب الاحمر (اكسيد الزئبق) وملح الطرطير وملح البارود (نترات البوتاسا) والزاج الاخضر (كبريتات الحديد) والكحول والقلي والزرنيخ والبورق. وغير ذلك من المركبات والمكتشفات التي لم يصل الينا خبرها. على أننا نستدل على وجود بعض المركبات الكماوية في أيامهم مما لم نسمع له بمثيل في تاريخ الكيمياء قبل أواخر القرن الماضي — فقد أشار ابن الاثير الى أدوية استخدمها العرب في واقعة الزنج سنة ٢٦٩ هـ اذا طلي بها الخشب أمتنع احتراقه ولم يذكر ما هي. ومما يعد من قبيل الكيمياء ايضاً البارود فقد ترجح لنا بالبحث انهم هم الذين ركبوه. وهم أول من وصف التقطير والترشيح والتصعيد والتبلور والتذويب

وقد الفوا في ابطال الكيمياء القديمة — أول من الف ذلك منهم حكيمهم وفيلسوفهم يعقوب الكندي في أواسط القرن الثالث للهجرة

وأما النبات فللعرب القدح المعلى في درسه والتأليف فيه وقد أخذوا هذا العلم في النهضة العباسية عن مؤلفات ديسقوريدس وجالينوس ومن كتب الهند . ونقل كتاب ديسقوريدس في أيام المتوكل نقله اصطفان بن باسيل من اليونانية الى العربية



ش ٢٣ : ديسقوريدس

فالعقاقير التى لم يعرف لها اسماء في العربية تركها على لفظها اليوناني اتكالا على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره . وحمل هذا الكتاب الى الاندلس على هذه الصورة فانتفع به الناس الى أيام الناصر صاحب الاندلس في أوائل القرن الرابع للهجرة . فكاتبه ملك القسطنطينية سنة ٣٣٧ ﻫ وهاداه بكتب من جملتها كتاب ديسقوريدس باليونانية مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب . ولم يكن في الاندلس من يحسن اليونانية فبعث الناصر الى الملك يطلب اليه رجلا يعرف اليونانية واللاتينية لينقله الى اللاتينية وعارفو هذه اللغة في الاندلس كثيرون . فبعث اليه راهباً اسمه نقولا وصل قرطبة سنة ٣٤٠ ﻫ فتعاونوا على استخراج ما فات ديسقوريدس ذكره من اسماء العقاقير والادوية وجعله ذيلا على ذلك الكتاب

ابن البيطار

حتى اذا نبغ ابن البيطار المالقي النباتي في اواسط القرن السابع للهجرة فتناول الكتاب المذكور فدرسه وتفهمه ثم سافر الى بلاد اليونان والى أقصى بلادالروم ولقي جماعة يعانون هـذا الفن وأخذ عنهم معرفة نبات كثير عاينه في مواضعه . واجتمع أيضاً في المغرب وغيره بكثير من علماء النبات وعاين منابته بنفسه . وذهب الى الشام ودرس نباتاتها وجاء الديار المصرية في خدمة الملك الكامل الايوبي وكان يعتمد عليه في الادوية المفردة والحشائش حتى جعله رئيساً على العشابين واصحاب البسطات . وبعد طول ذلك الاختبار الف كتاباً في النبات هو فريد في بابه وكان عليه معول أهل اوربا في نهضتهم الاخيرة في علم النبات . ومؤلفاته الباقية :

١ كتاب المغني في الادوية المفردة : الفه للملك الصالح الايوبي . منـه نسخ خطية في غوطا وليدن والمتحف البريطاني واكسفورد وباريس

٢ جامع مفردات الادوية والاغـذية : طبع بمصر سنة ١٢٩١ وترجم الى الالمانية في مجلدين وطبع في ستتجارت سنه ١٨٧٠ وترجم بعضه الى الفرنساوية بقلم لاكلارك وغيره

٣ ميزان الطبيب : في اوبسالا

وترجمة ابن البيطار في طبقات الاطباء ١٣٣ ج ٢ وفوات الوفيات ٢٠٤ ج ١

رشيد الدين بن الصوري

ومن المبرزين في علم النبات رشيد الدين بن الصوري المتوفى سنة ٦٣٩ هـ صاحب كتاب الادوية المفردة وكان كثير البحث والتدقيق يخرج لدرس الحشائش في منابتها ويستصحب مصوراً معه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها ويتوجه الى المواضع التي بها النبات في لبنان وسوريا فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه واعضائه وأصوله ويصور بحسبها بالدقة . وذلك غاية ما يفعله الباحثون في هذا العلم اليوم . وفي مجلة المقتطف مقالة عن كيماويي العرب صفحة ٢٢ سنة ٧

الفلسفة

وجمعية اخوان الصفا

كان للفلسفة شأن آخر في هذا العصر واشتغل فيهـا اكثر الذين عنوا بعلوم القدماء ولا سيما الاطباء وفي مقدمتهم ابن سينا الشيخ الرئيس وقد ذكرناه . وكان الفلاسفة في هذا العصر متهمين بالـكفر وكان الانتساب الى الفلسفة مرادفاً للانتساب

الى التعطيل وشاعت النقمة على المأمون لانه كان السبب في نقل الفلسفة الى اللغة العربية حتى قال ابن تيمية بعد ذلك : «ما أظن الله يغفل عن المأمون ولا بد أن يعاقبه بما أدخله على هذه الامة »

فاضطر اصحابها الى التستر فألفوا الجمعيات السرية لهذا الغرض وأشهرها جمعية « اخوان الصفا » تألفت في بغداد باواسط القرن الرابع للهجرة ذكروا من اعضائها خمسة هم : أبو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وابو احمد المهرجاني والعوفي وزيد بن رفاعة . وكانوا يجتمعون سراً ويتباحثون في الفلسفة على انواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص هو خلاصة ابحاث الفلاسفة المسلمين بعد اطلاعهم على اراء اليونان والفرس والهند وتعديلها على ما يقتضيه الاسلام . وأساس مذهبهم ان الشريعة الاسلامية تدنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وانه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال

رسائل اخوان الصفا

وقد دونوا فلسفتهم هذه في خمسين رسالة سموها رسائل اخوان الصفا وكتموا أسماءهم. وهي تمثل الفلسفة الاسلامية على ما كانت عليه في ابان نضجها وتشمل النظر في مباديء الموجودات وأصول الكائنات الى نضد العالم فالهيولى والصورة . وماهية الطبيعة والارض والسماء ووجه الارض وتغيراته والكون والفساد والآثار العلوية والسماء والعالم وعلم النجوم وتكوين المعادن وعلم النبات واوصاف الحيوانات ومسقط النطفة وكيفية رباط الناس بها . وتركيب الجسد والحاس والمحسوس والعقل والمعقول والصنائع العلمية والعملية والعدد وخواصه والهندسة والموسيقى والمنطق وفروعه واختلاف الاخلاق وطبيعة العدد . وان العالم انسان كبير والانسان عالم صغير والاكوار والادوار وماهية العشق والبعث والنشور وأجناس الحركات والعلل والمعلومات والحدود والرسوم.وبالجملة فقد ضمنوها كل علم طبيعى أو رياضي أو فلسفي أو الهي أو عقلي

ويظهر من امعان النظر فيها ان اصحابها كتبوها بعد البحث الدقيق والنظر الطويل . وفي جملة ذلك أراء لم يتصل أهل هذا الزمان الى أحسن منها . وفيها بحث من قبيل النشوء والارتقاء . وفي ذيل الكتاب فصل في كيفية عشرة اخوان الصفا وتعاونهم بصدق المودة والشفقة وان الغرض منها التعاضد في الدين. وذكروا شروط

قبول الاخوان فيها وغير ذلك

وكان المعتزلة ومن جرى مجراهم يتناقلون هذه الرسائل ويتدارسونها ويحملونها معهم سراً الى بلاد الاسلام . ولم تمض مئة سنة على كتابتها حتى دخلت الاندلس على يدابي الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني . وهو من اهل قرطبة رحل الى المشرق للتبحر في العلم على جاري عادة الاندلسيين . فلما عاد الى بلاده حمل معه الرسائل المذكورة وهو اول من ادخلها الاندلس فما لبثت ان انتشرت هناك حتى تناولها اصحاب العقول الباحثة واخذوا في درسها وتدبرها

وقد طبعت رسائل اخوان الصفا غير مرة . اتقنها طبعة ديتريشي في ليبسك سنة ١٨٨٣ وطبعت في بومباي سنة ١٣٠٣ وفي مصر سنة ١٣٠٦ ومنها نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وقد ترجمت الى اللغة الهندستانية وطبعت في لندن سنة ١٨٦١

وهي غير رسائل اخوان الصفا للحكيم المجريطي المتوفي سنة ٣٩٥ ومنها نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ١٨٠صفحة . وهي تشبه تلك لكن صاحب هذه يريد أن يفسر الفلسفة بالدين

مآخذ لطلاب فلسفة الاسلام

ومن الكتب الافرنجية التي يستعان بها في درس تاريخ الفلسفة والفلاسفة في الاسلام:

(١) Boer, The history of philosophy in Islam. London, 1903
(٢) Dietrici, Die Philosophie der Araber in X Jahrhundert n. chr. Leipzig, 1897
(٣) Dugat, Histoire de philosophes et des théologiens musulmans. Paris, 1878
(٤) Leclerc, Histoire de la médecine arabe 2 vol. Paris 1876
(٥) Wuestenfeld, Geschichte der arabischen Aerzte und Naturforscher. Gottengen, 1840

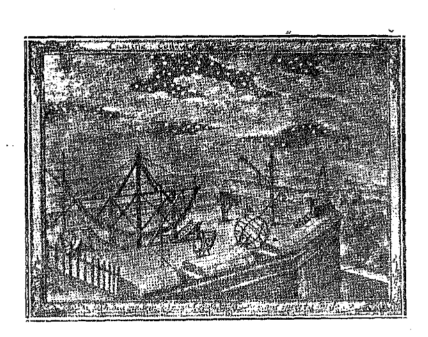
غير مقالات عديدة في المجلات الاسيوية والشرقية والفرنساوية والانكليزية والالمانية. وفي دائرة المعارف البريطانية مادة Arabian Philosophy ومثلها في دوائر اللغات الاخرى . وفي المقتطف مقالة في الفلسفة الاسلامية وابن رشد صفحة ٤٦٩ سنة ١٠ ومقالة أخرى في فلسفة العرب لحسين بيهم صفحة ١٣ سنة ٧

ومن الكتب العربية التي يستعان بها في درس تراجم الفلاسفة والاطباء وسائر علماء الطبيعة والرياضيين «طبقات الاطباء» لابن ابي أصيبعة و «تراجم الحكماء» لابن القفطي وكلاهما مطبوعان

ولم تظهر ثمار الطب والفلسفة وفروعها في الاندلس الا في العصر الآتي فنبغ الزهراوي وابن جزلة وابن رشد وغيرهم كما سيجيء

النجوم

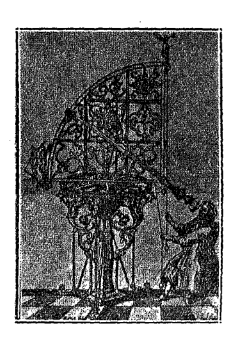
كان للمسلمين حظ وافر من علم النجوم وفضل كبير عليه يكفيك انهم جمعوا فيه مذاهب اليونان والهند والفرس والكلدان والعرب الجاهلية شأنهم في اكثر العلوم الدخيلة . وقد اتينا على تفصيل ذلك في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي من صفحة ١٨٩ وقد اشتهر في العصرين الماضيين جماعة لم يخلفوا آثاراً وصلت الينا وان كان لهم فضل كبير على هذا العلم اشهرهم بنو شاكر وابو معشر البلخي المتوفى سنة ٢٧٢ وحنين بن اسحق سنة ٢٨٨ واحمد بن كثير الفرغاني وسهل بن بشر ومحمد بن عيسى الماهاني ومحمد بن جابر الحراني المعروف بالبتاني المتوفى سنة ٣١٧ وكان اوحد عصره في فنه وقد استعان الافرنج بكتبه في نهضتهم الاخيرة . أما في العصر الثالث الذي نحن في صدده فاكثر فلكي المسلمين آثاراً البيروني وقد بقي منها شيء كثير وسنأتي على ترجمته واعماله



ش ٢٤ : مرصد فلكي وفيه آلات الرصد في الاجيال الوسطى

واول مايستلفت انتباهنا من هذا القبيل ان العرب (او المسلمين) قالوا بابطال صناعة التنجيم المبنية على الوهم ولعلهم اول من فعل ذلك وان كانوا لم يستطيعوا ابطالها ولكنهم مالوا بعلم النجوم نحو الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كما فعلوا بعلم

الـكيمياء . وكانوا كثيري العناية بعلم الفلك يرصدون الافلاك ويؤلفون الازياج ويقيسون العروض ويراقبون السيارات ويرحلون في طلب ذلك العلم الى الهند وفارس ويتبحرون في كتب الاوائل ويتممون ما نقص منها أو يجمعون بين مذاهبها



ش ٢٥ : ذات السموت من آلات الرصد العربية

ولعلم النجوم تاريخ طويل عند العرب لامحل له هنا . وقد ذكرنا تاريخ المراصد وآلاتها وما ادخله العرب من الاصلاح في هذا العلم في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ صفحة ١٩١ واليك ترجمة نابغة علم النجوم في هذا العصر :

ابو الريحان البيروني

المتوفي سنة ٤٣٠ هـ

هو اشهر علماء النجوم والرياضيات من المسلمين في العصر الثالث . واسمه محمد بن احمد البيروني نسبة الى بيرون بلد في السند . سافر في بلاد الهند اربعين سنة اطلع فيها على علوم الهنود فضلا عن مطالعة الـكتب العلمية المنقولة أوالمؤلفة في هذه الفنون وأقام مدة في خوارزم . وأكثر اشتغاله في النجوم والرياضيات والتاريخ وخلف مؤلفات نفيسة اليك ما بقي منها مما وصل خبره الينا :

١ الآثار الباقية عن القرون الخالية : ألفه للامير شمس المعالى وهو يبحث في التواريخ التي كانت تستعملها الامم في زمانه والاختلاف الواقع في الاصول التي هي مبادئها والفروع التي هي شهورها وسنوها والاسباب الداعية لذلك. وفي الاعياد المشهورة والايام المذكورة للاوقات والاعمال وغيرها مما يعمل به بعض الامم دون البعض الآخر. فهو من قبيل التوقيت أو ما يسميه الافرنج علم الكرونولوجيا . ويدخل فيه النظر في ما هو اليوم والشهر والسنة على اختلاف الاصطلاح عند الامم القديمة وتاريخ ذلك عند الاشوريين واليونانيين الى الاسلام وما بعده الى ايامه. وما أصاب التقاويم في أثناء ذلك الزمن من التعديل والتبديل. وجداول للاشهر الفارسية القديمة على اختلاف الاعصر والبلاد . ومثل ذلك عند العبرانيين وعند العرب فى الجاهلية والاسلام وعند الروم والهند والترك بالتفصيل والمقابلة . وفي استخراج التواريخ بعضها من بعض وتواريخ الملوك ومدد حكمهم على اختلاف الاقاويل من آدم فما بعده من رجال التوراة ويلحق ذلك جداول عن ملوك اشور وبابل والكلدان والقبط واليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها وملوك الفرس قبل الاسلام على اختلاف طبقاتها وبازاء كل ملك مدة حكمه الى يزدجرد الذي توفي بعد الاسلام . وفضول في مواليد السنين وكيفياتها وكبائسها عند اليهود وغيرهم وتواريخ المتنبئين واممهم من أهل الاوثان أو أهل البدع في الاسلام وأعياد الفرس . ومذاهب اهل خوارزم وحساب قبط مصر في السنين والكبس والاعياد عندهم وعند الملكية . وأعياد النصارى وأحوالهم على اختلاف الطوائف ومثل ذلك عن المجوس والصابئة وما كانت العرب تستعمله من هذا القبيل في أيام الجاهلية وما فعله الاسلام فيها وغير ذلك مما تقف عليه في كتاب آخر ولذلك فقد عني المستشرق سخاو الالماني بترجمته الى الانكليزية وقد طبع الاصل في ليبسك سنة ١٨٧٨ والترجمة في لندن سنة ١٨٧٩

٢ تاريخ الهند : وهو من الكتب النادرة في هذا الموضوع بالعربية . ترجمه سخاو ايضاً الى الانكليزية وطبع الاصل في لندن سنة ١٨٨٧ والترجمة فيها ١٨٨٨

٣ التفهيم لاوائل صناعة التنجيم : هو مختصر في الهندسة والفلك والنجامة منه نسخ في برلين وأوكسفورد والمتحف البريطاني وفي كتب زكي باشا بمصر

٤ القانون المسعودي : في الهيئة والنجوم قدمه للسلطان مسعود بن محمود الغزنوي ومنه اسمه . موجود في برلين والمتحف البريطاني وأكسفورد

٥ رسالة في الاسطرلاب . في برلين وباريس

٦ استيعاب الوجوه الممكنة في صنعة الاسطرلاب . في برلين وليدن وباريس

٧ استخراج الاوتاد في الدائرة بخواص الخط المنحني فيها. هي مسائل هندسية وله فيها طرق خصوصية . موجودة في ليدن

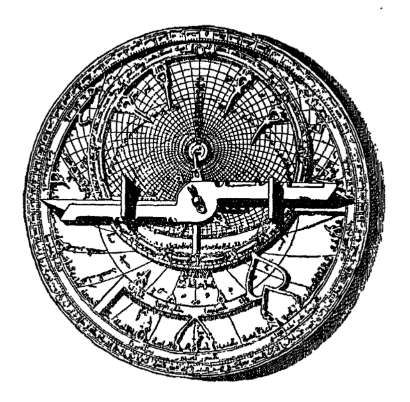
٨ رسالة في راسيكات الهند : في التناسب منه نسخة في المكتب الهندي بلندن

٩ مبحث في مباديء العلوم ألفه بالفارسية . وتوجد ترجمته العربية في باريس

١٠ رسالة في سير سهمي السعادة والغيب : في اكسفورد

١١ كتاب الجماهر في معرفة الجواهر : الفه للملك المعظم ابي الفتح مودود . موجود في الاسكوريال وفي كتب زكي باشا

وترجمة البيروني فيطبقات الاطباء٢٠ج٢وفيمقدمة الطبعة العربية للآثار الباقية



ش ٢٦ : الاسطرلاب

ونبغ غير واحد من علماء الفلك في هذا العصر كالبوزجاني المتوفي سنة ٣٨١ وابن رستم الكوهي والمنجم القمي وأبو الحسين الصوفي وابن اللبان الجيلي وعبد الاعلى الصدفي وغيرهم يضيق المقام عن ذكرهم. وقد اردنا الاختصار في هذا الباب لان التطويل فيه لا يفيد المطالعين بعد تغيير تلك العلوم وانقلابها في هذا العصر فمن اراد التوسع في هذا الشأن فليطالع تراجم أولئك العلماء في اماكنها

الرياضيات

نريد بالرياضيات هنا الحساب والجبر والهندسة وكان للعرب فيها شأن عظيم ومن اكبر مآثرهم فيها نقلهم الحساب الهندي والارقام الهندية من الهند وسائر اقطار العالم . فالعرب يسمونها ارقاما هندية لانهم نقلوها عن الهنود والافرنج يسمونها عربية لانهم أخذوها عن العرب وأول من تناول تلك الارقام من الهنود أبو جعفر محمد موسى الخوارزمي

وأما الجبر فللعرب فضل كبير في وضعه أو تأليفه. ولما أخذ العرب في نقل العلوم اليونانية نقلوا كتابين في الجبر احدهما لذيوفانتوس والآخر لابرخس وقد وجد الباحثون بعد نهضة التمدن الحديث ان ما كتبه هذان ليس من الجبر في شيء أو هي أصول ضعيفة لا يعتدّ بها . وهم يعتقدون أن الجبر من موضوعات العرب . والحقيقة على ما نرى أن العرب بعد أن اطلعوا على حساب الهنود اضافوه الى ما نقلوه عن اليونان وبنوا على ذلك علم الجبر . ومن اشهر كتب المسلمين في الجبر كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي المذكور . فالظاهر ان الخوارزمي جمع بين ما عثر عليه من الاصول الجبرية عند اليونان والهنود والفرس فاستخرج منه الجبر العربي كما جمع في زيجه بين آراء الهند والفرس واليونان وقد عنى العرب بشرح كتاب الخوارزمي مراراً . وألف ايضاً في الجبر ابو كامل شجاع بن أسلم وأبو الوفاء البوزجاني وأكثر مؤلفاته في الحساب وابو حنيفة الدينوري المتوفي سنة ٢٨١ ﻫ وأبو العباس السرخسي المتوفي سنة ٢٨٦ﻫ وغيرهم . ولما نهض الافرنج في تمدنهم الحديث اخذوا الجبر عن العرب

ومما احدثه المسلمون في الهندسة انهم طبقوها على المنطق وقد فعل ذلك ابن الهيثم المصري في أوائل القرن الخامس للهجرة فانه ألف كتابا جمع فيه الاصول الهندسية والعددية من اقليدس وابلنيوس ونوع فيها الاصول وقسمها وبرهن عليها ببراهين نظمها من الامور التعليمية والحسية والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انتقاص توالى اقليدس وابلونيوس. وأدخل في الجبر والحساب اساليب جديدة في استخراج المسائل الحسابية من جهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي وعدل في أوضاع الجبريين والفاظهم

وبنو موسى بن شاكر اشتغلوا في استخراج مسائل هندسية لم يستخرجها أحد من الاولين كقسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية

واشتغل العرب في أعوص المسائل المشكلة في الهندسة كقسمة الدائرة الى سبعة أقسام ووضعوا فيها الرسائل والكتب

الفنون الجميلة

ذكرنا تاريخ نشوء الموسيقى العربية صفحة ١٣٤ من هذا الكتاب . وقد ارتقت بعد ذلك ونبغ فيها كثيرون وإن لم يخلفوا كتباً مستقلة في هذا الفن ولكن ورد كثير من قواعده في كتاب الاغاني وأمثاله وكان لهم شأن في اختراع الآلات الموسيقية وتحسين الآلات التي اخذوها عن سواهم

ومن مخترعاتهم الموسيقية القانون والمشهور انه من اختراع الفارابي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة ٢١٣ فقد ذكروا انه اصطنع آلة مؤلفة من عيدان يركبها ويضرب عليها وتختلف انغامها باختلاف تركيبها ولكنها في كل حال غريبة في بابها

ذكروا أن الفارابي حضر مجلس غناء لسيف الدولة ولم يكن أحد من الحضور يعرفه فعاب المغنين فسأله سيف الدولة هل يحسن الغناء ففتح خريطة كانت معه واستخرج تلك الآلة وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس . ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب عليها فبكى كل من كان في المجلس ثم فكها وغير تركيبها وضرب ضرباً آخر فنام كل من كان في المجلس حتى البواب فتركهم نياماً وخرج

زرياب وابن فرناس

وزاد المسلمون في العود وتراً خامساً زاده زرياب بالاندلس — كان للعود أربعة أوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الاربع فزاد عليها وتراً خامساً أحمر متوسط ولون الاوتار وطبقها على الطبائع . وهو الذي اخترع مضراب العود من قوادم النسر وكانوا قبله يضربون بالخشب

وعباس بن فرناس في الاندلس اصطنع الآلة المعروفة بالمنقال يعرف بها الاوقات على غير رسم ومثال

نظرة

انقضى العصر العباسي الثالث وبانقضائه تم الجزء الثاني من هذا الكتاب . وقد رأيت أن العصر العباسي الثالث المذكور من أهم عصور آداب اللغة.والباقي لنا من ثمار قرائح اصحابه اكثر من بقايا سائر العصور التى تقدمته وفيها نخبة من الكتب الهامة المعول عليها في اللغة والادب والشعر والتاريخ والجغرافية وغيرها . لكنها مع ذلك أقل من بقايا العصر الرابع الآتي ذكره في الجزء الثالث من هذا الكتاب.فان اكثر ما يتداوله القراء من كتب الموسوعات التاريخية والجغرافية والكتب المطولة في الادب واللغة انما هي من بقايا العصر الرابع المذكور والذي يليه . كما ستراه مفصلا في الجزء الثالث ان شاء الله

﴿ تم الجزء الثاني ﴾

صقر قريش

جاء صفحة ٢٤٩ من الجزء الاول ان عبد الملك بن مروان «صقر قريش» والصواب أن هذا اللقب لعبد الرحمن الداخل صاحب الاندلس

فهرست الجزء الثانى

من تاريخ آداب اللغة العربية

العلوم الاسلامية الشرعية

العلوم الدخيلة

الفلسفة والرياضيات

الطب والاطباء

العصر العباسي الثالث

الدول التي ساعدت عليها

مزايا هذا العصر

الشعر والشعراء

مزايا الشعر فى هذا العصر

أشهر الشعراء

تم الفهرست

مؤلفات جرجي زيدان

صاحب الهلال ومؤلف هذا الكتاب

١ — مؤلفاته التاريخية	الثمن	البريد	
	ص	ص	
تاريخ مصر الحديث مزين بالرسوم جزآن (طبعة ثانية)	٤٠	٤	
« التمدن الاسلامى ٥ أجزاء مزين بالرسوم	٧٥	٥	
« العرب قبل الاسلام جزء أول	٢٠	٢	
« الماسونية العام	٢٠	٢	
« اليونان والرومان (مختصر)	٣		٢٠
« انكلترا مزين بالرسوم	٤	١	
التاريخ العام الجزء الاول	٨	١	٢٠
تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر مزين بالرسوم جزآن مجلدان (طبعة ثانية)	٤٠	٥	

---

٢ ـ مؤلفاته العلمية واللغوية وغيرها	الثمن	البريد	
الهلال ـ مجلة علمية تاريخية أدبية تصدر مرة في الشهر مزينة بالرسوم قيمة اشتراكها بالسنة للقطر المصري والسودان	٨٠		
وقيمة اشتراكها في السنة للخارج	١٠٠		
سنو الهلال من السنة الاولى الى الخامسة عشرة ثمن السنة	٦٠	٥	
ومن السنة السادسة عشرة الى الاخيرة « «	٨٠	٥	
الفلسفة اللغوية (طبعة ثانية)	١٠	١	
تاريخ اللغة العربية	٥		٢٠
تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الاول والثاني ثمن الجزء	٢٠	٣	
أنساب العرب القدماء	٤		٢٠
علم الفراسة الحديث مزين بالرسوم	١٥	٢	

تابع مؤلفات جرجى زيدان

٣ — سلسلة روايات تاريخ الاسلام

البريد	الثمن	
ص	ص	
٣	٢٠	١ فتاة غسان جزآن طبعة ثالثة
٢	١٠	٢ ارمانوسة المصرية « «
٢	١٠	٣ عذراء قريش « «
٢	١٠	٤ ١٧ رمضان « ثانية
١ ٢٠	١٠	٥ غادة كربلاء « «
١ ٢٠	١٠	٦ الحجاج بن يوسف « «
١ ٢٠	١٠	٧ فتح الاندلس « «
١ ٢٠	١٠	٨ شارل وعبد الرحمن « «
١ ٢٠	١٠	٩ أبومسلم الخراسانى « «
١ ٢٠	١٠	١٠ العباسة اخت الرشيد « «
١ ٢٠	١٠	١١ الامين والمأمون
١ ٢٠	١٠	١٢ عروس فرغانة
١ ٢٠	١٠	١٣ احمد بن طولون
١ ٢٠	١٠	١٤ عبد الرحمن الناصر
١ ٢٠	١٠	١٥ الانقلاب العثمانى
٢	١٠	١٦ فتاة القيروان

---

٤ رواياته الاخرى

البريد	الثمن	
٢	١٠	أسير المتمهدي تاريخية غرامية طبعة الثالثة
١ ٢٠	٨	استبداد المماليك « أدبية « ثالثة
١ ٢٠	٨	المملوك الشارد « غرامية « ثالثة
١ ٢٠	٦	جهاد المحبين أدبية غرامية « ثانية

